



تفسير الماوردي

النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم

تأليف

الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي

(٣٦٤ـ ٤٥٠هـ)

تحقيق

أ.د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع

المجلد الرابع

سورة الأعراف

/ [١٣٦/ و] بسم الله الرحمن الرحيم رب يسّر [١]

سورة الأعراف، مكية[٢] في قول الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر[٣].

وقال[٤] ابن عباس، وقتادة: هي[٥] مكية إلا خمس آيات "من قوله تعالىٰ[٦]: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف:١٦٣] إلىٰ خمس[٧] آيات.

قوله ﷻ[٨]: ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف:١] فيه لأهل التأويل تسعة[٩] أقاويل:

أحدها- معناه: أنا[١٠] الله أَفْصِل[١١]، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

الثاني- أنه هجاء المصوِّر، قاله السدي[١٢].

الثالث- أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة[١٣].

---

(١) هذه الجملة ليست في (ك، ق، ف).

(٢) في (ك، ق): مكية كلها.

(٣) هو جابر بن زيد، كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٦٤).

(٤) في (ق): "قال" -بغير واو-. وروي عن ابن عباس، وقتادة كالقول الأول.

(٥) "هي" سقطت من (ك).

(٦) هذه الجملة ليست في (ق). وعبارة (ك): وهي قوله.

(٧) في (ك، ق): إلىٰ آخر الخمس.

(٨) هذه الجملة ليست في (ق).

(٩) الأولىٰ عدم الخوض في تفسير فواتح السور لعدم قيام الأدلة، أو ثبوت الروايات الصحيحة في ذلك. فالله أعلم بمراده بها، كما هو مذهب أبي بكر الصديق، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، والشعبي، وابن زيد، وغيرهم.
أما الذين ذهبوا إلىٰ تفسيرها فقد اختلفت أقوالهم بما يزيد علىٰ الثلاثين قولاً. انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٠٥)، والبرهان للزركشي (١/ ١٧٢).

(١٠) في الأصل: (أن)، وما أثبته من نسختي (ق، ك، ف): وهي رواية الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٩٣) عن سعيد بن جبير، وعن ابن عباس من رواية أبي الضحىٰ عنه. كما زاد ابن عطية في تفسيره (٧/ ٥) نسبة هذا القول لزيد بن علي.

(١١) هذا الضبط من البرهان للزركشي (١/ ١٧٤).

(١٢) جاءت عبارة الأصل مضطربة هكذا: "الثاني- أنه هجاء بغض الصور والمصور اسم من أسماء الله تعالىٰ المصور. قاله السدي". وما أثبته من (ف ك، ق)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢٩٣) حيث أوضح المراد بقوله: "هو هجاء حروف اسم الله تبارك وتعالىٰ الذي هو المصور". وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ٥)، وابن الجوزي (٣/ ١٦٥).

(١٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٤) و(١/ ٢٠٥).

الرابع- أنه اسم[١] للسورة، مفتاح لها، قاله الحسن[٢].

الخامس- أنه اختصار من كلام فهمه[٣] النبي ﷺ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضـًا[٤].

السادس- هي حروف هجاء مقطّعة (نبه بها علىٰ إعجاز القرآن)[٥]. [٦].

السابع- هي من حساب الجُمَّل[٧] (المعدودات[٨] استأثر الله تعالىٰ بعلمه)[٩].

الثامن- هي[١٠] حروف تحوي معاني كثيرة دل الله تعالىٰ بها خلقه علىٰ مراده من كل ذلك[١١].

التاسع- هي حروف اسم الله الأعظم[١٢].

([١٣] ويحتمل[١٤] عندي قولاً عاشراً- أن يكون المراد به: المصير إلىٰ كتاب أنزل إليك من ربك، فحذف باقي الكلمة[١٥] ترخيمـًا، وعبر[١٦] عنه بحروف الهجاء لأنها "أعذب، وأغرب"[١٧] ولأنها تذهب بالسامع كل مذهب، وللعرب[١٨] في الاقتصار علىٰ الحروف مذهب كما قال[١٩] الشاعر:

---

(١) في (ك، ق): اسم السورة.

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٦٥).

(٣) في (ق): يفهمه. وعبارة (ك): من كلامهم يفهم.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٠٧).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٠٧) و(١٢/ ٢٩٤).

(٧) يروىٰ بالتشديد والتخفيف. راجع فاتحة سورة البقرة، وانظر: تفسير الطبري (١/ ٢٠٨، ٢١٦)، و(١٢/ ٢٩٤).

(٨) في (ك): المعدود.

(٩) ما بين القوسين ليس في (ق).

(١٠) في الأصل: (من)، وهو تحريف، واللفظة ساقطة من (ق). وإثباتها من (ف، ك).

(١١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٤) و(١/ ٢٠٨، ٢١٤).

(١٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٤) و(١/ ٢٠٦) عن ابن عباس.

(١٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٤) [عندي] زيادة من (ك).

(١٥) أي حذف الياء والراء من كلمة "المصير".

(١٦) في (ك): عبر عنه حروف الهجاء.

(١٧) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(١٨) في الأصل، و (ك): والعرب. والصواب ما أثبته من (ف).

(١٩) في (ك): كما قال الشاعر.

قلـــت لهـــا قفـــي فقالـــت قـــاف [1] ** أي وقفـــــــــــــــــــــــت [2].)

قوله[3] ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:٢] يعني القرآن.

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:٢] وفي الحرج هاهنا[4] ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه الضيق[5]، قاله الحسن، وهو / [١٣٦/ ظ] أصله[6]. (قال الشماخ[7]:

ولـو تطلـب[8] الحاجـات عنـدي رَدَدْتهـا ** بحاجـة[9] لا القـالي ولا المتحـرج[10]

ويكون)[11] معناه: فلا يضيق صدرك خوفًا أن لا تقوم بحقه.

الثاني- أن الحرج هاهنا[12] الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي[13].

---

(١) قائله الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو في تفسير الطبري (١/ ٢١٢)، والصاحبي لابن فارس (ص١٢٢)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص٣٠٨).

(٢) هـذا رأي المؤلـف، وقـد نقلـه ابـن الجـوزي في تفسـيره (٣/ ١٦٥)، وأبـو حيـان في البحـر المحيط (٤/ ٢٦٦)، ونسـباه للماوردي. وهو تقدير لا يدل عليه دليل.

(٣) هذه الجملة ليست في (ق).

(٤) في (ك): هنا.

(٥) في (ك): التضييق.

(٦) فالحرج جمع حَرَجة وهي الشجر الملتف الذي تضايق فلا يدخل بينه شيء. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٠٣)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٦).

(٧) في (ك): الشماخ بن ضرار، وقد تقدم التعريف به.

(٨) في (ك): ولو رددت المعروف.

(٩) في (ك): لحاجة لا العالي، وفي الأصل: (الغالي ..).

(١٠) البيت في ديوانه بتحقيق: صلاح الدين الهادي (ص٧٦)، وراويته:

ولو تطلب المعروف عندي رددتها ** بحاجـة لا القـالي ولا المـتلجلج

وقبله:

يقـــر بعينـــي أن أنَبّـــا أنهـــا ** وإن لـــم أنلهـــا أيِّـــمٌ لـــم تـــزوج

ومعنىٰ البيت: أنه لا يدخل عليها بما تطلب بل يسارع إلىٰ إجابتها من غير قلي أو ضيق.

(١١) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٢) في (ك): هنا.

(١٣) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣١)، والطبري (١٢/ ٢٢٥).

قال الراجز[١]:

آليت لولا حرج يعروني ** جئت أغزوك ولا تغزوني

ويكون معنىٰ الكلام[٢]: فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به.

الثالث- فلا يضيق[٣] صدرك بأن يكذبوك، قاله الفراء[٤].

ثم قال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ[٥] وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٢] فجعله إنذاراً[٦] للكافرين، وذكرىٰ للمؤمنين ليعود[٧] نفعه علىٰ الفريقين.

قوله ﷻ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤] وهذا[٨] إخبار من الله تعالىٰ عن حال من أهلكه بكفر تحذيراً للمخاطبين به (أن ينزل بهم من البأس ما[٩] نزل بمن كان قبلهم بتكذيبهم لينتهو)[١٠] عن مثله.

و"كم"[١١] هي كلمة توضع[١٢] للتكثير، ورُب كلمة[١٣] موضوعة للتقليل، (وذلك هو الفرق بين رب وكم)[١٤].

قال الفرزدق:

---

(١) في الأصل: الزاجر. وهو تصحيف. وهذا الرجز ساقط من (ق). ولم أقف عليه.

(٢) في (ك، ق): ومعناه.

(٣) في الأصل: تضييق، وما أثبته من (ف، ك، ق).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٠).

(٥) "لتنذر به" ليست في الأصل، وزيادتها من (ف، ك، ق).

(٦) في الأصل: (إنكاراً)، وما أثبته من (ف، ك، ق).

(٧) في الأصل: (ليكون)، وما أثبته من (ف، ك، ق).

(٨) في (ك): هذا.

(٩) في الأصل: "من"، والصواب ما أثبته من (ف).

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ك، ق). وقد ورد في نسخة (ف) بالحاشية.

(١١) في (ك): وقوله وكم، وفي (ق): فقوله فكم.

(١٢) سقطت من (ك).

(١٣) سقطت من (ك، ق).

(١٤) ما بين القوسين ساقط من (ق). وفي (ك): (... بين كم ورب).

كـم خالـة لـك يـا جريـر وعمـة ** فـدعاء قـد حلبـت علـيَّ عشـاري[١]

فدل ذلك علىٰ تكثير العمّات والخالات.

قوله[٢] تعالىٰ: (أهلكناها} "أي أهلكنا أهلها" [٣]،﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف:٤] وإنما الهلاك بعد مجيء البأس. وفيه[٤] أربعة أقاويل[٥]:

أحدها- معناه أهلكناها حكماً فجاءها بأسنا فعلاً.

الثاني- أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب فجاءها بأسنا بوقوع العذاب بهم[٦].

الثالث- أهلكناها بخذلاننا لهم[٧] عن الطاعة، فجاءها بأسنا عقوبة علىٰ المعصية[٨].

الرابع- أن البأس والهلاك وقعا معاً[٩] في حال واحد[١٠]، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون[١١] بمعنىٰ الواو كما يقال[١٢] أعطيت فأحسنت[١٣]، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء، قاله الفراء[١٤].

(١) عجز البيت سقط من (ك). وصدره في (ك، ق): كم عمة ... وانظر: شرح ديوان الفرزدق (٢/ ٤٥٢)، والنقائض (١/ ٣٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٠٠)، وراجع آية/ ٣ من سورة المائدة.

(٢) في (ك، ق): وفي قوله.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ك، ق). وتوجد في نسخة (ف) إشارة إلحاق إلىٰ هامش ذهبت به الأرضة.

(٤) سسقطت من (ق).

(٥) في (ك، ق): أوجه.

(٦) سقطت من (ك).

(٧) في (ك، ق): لها.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٠).

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) في (ك، ق): واحدة.

(١١) في الأصل: بل يكون، وما أثبته من بقية النسخ.

(١٢) سقطت من (ك).

(١٣) في (ق): وأحسنت.

(١٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧١)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٠١)، حيث جعل الإهلاك هو البأس بعينه، وبمثل هذا فلا إشكال، أو أن البأس بيان لكيفية الإهلاك.

[(١)]﴿بَيَٰتًا﴾ [الأعراف:٤] يعني في نوم الليل. ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤][(٢)] في نوم النهار وقت القائلة.

فإن قيل: فلم جاءهم العذاب[(٣)] في وقت[(٤)] النوم دون اليقظة؟ قيل: (لأمرين: أحدهما)[(٥)]- لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ.

الثاني- لئلا يتحرزوا منه ويهربوا عنه، لاستسلام النائم وتحرز المستيقظ[(٦)].)[(٧)]، والبأس: شدة العذاب، والبؤس: شدة الفقر.

(قوله ﷻ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦] فيه وجهان:

أحدهما- لنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة والقيام بشروطها، ولنسألن المرسلين[عن أداء الرسالة][(٨)] عن أداء الرسالة والأمانة فيها[(٩)].

الثاني- لنسألن الذين أرسل إليهم عن حفظ حرمات الرسل، ولنسألن المرسلين عن الشفقة علىٰ الأمم)[(١٠)].

قوله ﷻ: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأعراف:٨] فيه [(١١)] ثلاثة أقاويل [(١٢)]:

---

(١) في (ك، ق): وقوله.

(٢) في (ك): يعني ...

(٣) في (ق): بالعذب.

(٤) "وقت" سقطت من من (ك).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) التوجيه الأول أولىٰ فلا مهرب من عذاب الله ولا احتراز، فلا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وزيادتها من (ف، ك).

(٩) بنحوه في تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٦) عن ابن عباس، والسدي ومجاهد.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١١) سقطت من (ق).

(١٢) أنكرت المعتزلة وجود الوزن والميزان وقالوا أن المراد إظهار العدل. وأهل السنة علىٰ القول بوجود ميزان حقيقي كما هو ظاهر النصوص، كما وقع الخلاف فيه هل هو ميزان واحد أو موازين. والأكثر علىٰ أنه ميزان واحد. وورده بالجمع لبيان كثرة من توزن أعمالهم، وكثرة ما يوزن فيه. كما وقع الخلاف في الذي يوزن، علىٰ ما بينه الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

=

أحدها- أن الوزن هاهنا[(١)] القضاء[(٢)] بالحق، أي بالعدل، قاله مجاهد[(٣)].

الثاني- أنه موازنة الحسنات والسيئات (بعلامات[(٤)] يراها الناس يوم القيامة.

الثالث- أنه موازنة الحسنات والسيئات)[(٥)] بميزان له كفتان، قاله الحسن وطائفة[(٦)].

واختلف من قال بهذا في الذي يوزن علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- أن الذي يوزن هي[(٧)] الحسنات والسيئات توضع[(٨)] إحداهما في كفة والأخرىٰ في كفة، قاله الحسن والسدي.

الثاني- أن الذي / [١٣٧/ و] توزن[(٩)] صحائف الأعمال، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال، والوزن إنما يمكن[(١٠)] في الأجسام، قاله عبدالله[(١١)] بن عمرو.

=

وقد وردت النصوص بوزن الأعمال والعامل، وصحائف الأعمال فينبغي الإيمان بما ثبت. وقد ذكر ابن الجوزي خمسة من وجوه الحكمة في ذلك:

أحدها: امتحان الخلق بالإيمان في ذلك في الدنيا. والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرىٰ. والثالث: تعريف العباد ما لهم من خير وشر، والرابعة: إقامة الحجة عليهم. والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١١-١٤)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ١٦٩)، والبحر المحيط (٤/ ٢٧٠)، والعقيدة الطحاوية (٤٧٢-٤٧٥)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٨٤).

(١) في (ك): هنا.

(٢) في (ك، ق): هو القضاء.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٩)، ولم يرد في تفسيره المطبوع.

(٤) في (ق): بعلامة.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٣١١) وهو قول عمرو بن دينار، وعبيد بن عمير.

(٧) في (ك، ق): هو. وما أثبته من الأصل (ف).

(٨) في (ق): توضع أحدهما.

(٩) في (ك): يوزن. واللفظة من غير إعجام في (ق).

(١٠) في (ك): يكن.

(١١) في (ك): ابن عمرو. وهذا إشارة إلىٰ حديث البطاقة الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ فقد ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٧٠) مرفوعًا، وذكر نحوه الطبري (١٢/ ٣١٣) موقوفًا، غير أن في نسبة إنكار وزن الأعمال لابن عمرو نظر فلم يرد عنه صريح عبارة في ذلك، وإنما هو مجرد فهم من تلك الرواية.

الثالث- أن الذي يوزن[١] هو الإنسان، قاله عبيد بن عمير، قال يؤتىٰ بالرجل العظيم الجثة[٢] فلا يوزن[٣] جناح بعوضة[٤].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- فمن قُضي له بالطاعة.

الثاني- (فمن[٥] زادت حسناته علىٰ سيئاته.

الثالث[٦]- فمن كانت كفة حسناته أثقل من كفة سيئاته.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨] يعني بما لهم[٧] من الثوب، وبضده إذا خفت.

(قوله ﷻ[٨]: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٠] فيه وجهان:

أحدهما- سهّلنا عليكم التصرف فيها حتىٰ وصلتم إلىٰ مرادكم منها.

الثاني- ملكناكم إياها حتىٰ صرتم أحق بها[٩].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الأعراف:١٠] فيه وجهان:

أحدهما- ما تعيشون به من نبات وحيوان[١٠].

---

(١) في الأصل: توزن.

(٢) لفظة "الجثة" سقطت من (ك).

(٣) في الأصل: تزن. وما أثبته من (ك، ق).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره موقوفًا علىٰ عبيد بن عمير في مواضع (١٢/ ٣١٠، ٣١١)، وكذا في تفسير مجاهد (١/ ٢٣١)، وروىٰ البخاري في صحيحه (٨/ ٤٢٦) -فتح الباري- من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال: اقرأوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٧٠)، وابن كثير (٣/ ١٠٧)، وقد جمع ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٠٢) بين الآثار المتعددة في ذلك بأنه قد: "يكون ذلك كله صحيحًا فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالّها، وتارة يوزن فاعلها. والله أعلم". وانظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٨٤-١٨٩).

(٥) في (ك، ق): معناه فمن.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) في (ك): ما لهم.

(٨) سقطت من (ك).

(٩) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٧٢) من غير نسبة.

(١٠) في الأصل: وحيران. وهو تحريف.

الثاني- ما تتوصلون به إلىٰ معايشكم[(١)] فيها من زراعة وعمل[(٢)].)[(٣)].

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف:١١] فيه لأهل التأويل أربعة[(٤)] أقاويل:

أحدها- ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء، قاله عكرمة[(٥)].

الثاني- خلقناكم يعني آدم -صلىٰ الله[(٦)] عليه وسلم-، ثم صورناكم في ظهره، قاله مجاهد[(٧)].

الثالث- خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء، ثم صورناكم عند اجتماع النطف[(٨)] في الأرحام، وهو معنىٰ قول[(٩)] الكلبي.

الرابع- خلقناكم في بطون أمهاتكم، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر[(١٠)].[(١١)].

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:١١] فإن قيل فالسجود عبادة لا تجوز إلا الله[(١٢)]، فكيف أمر به لآدم[(١٣)]؟

---

(١) في الأصل، ف: معايشهم.

(٢) في (ك): أو عمل.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٧٢)، والبحر المحيط (٤/ ٢٧١)، وما بين القوسين من (ق).

(٤) ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٧٢) ثمانية أقوال.

(٥) رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال قتادة والضحاك والأعمش. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١٩)، وابن الجوزي (٣/ ١٧٢)، والبحر المحيط (٤/ ٢٧٢).

(٦) ساقطة من (ك، ق).

(٧) انظر: تفسيره (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٢٠).

(٨) في الأصل: (التكليف)، وهو تحريف. وفي (ك): النطفتين.

(٩) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٧٣)، والبحر المحيط (٤/ ٢٧٢).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٠).

(١١) اختار الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المعنىٰ: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه. بدليل قوله تعالىٰ بعد: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:١١] ولأن العرب تضيف الخطاب إلىٰ الرجل والمعنىٰ في ذلك سلفه. واختار هذا القول الفخر الرازي ونسبه للحسن ويوسف النحوي. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٠)، وتفسير الفخر الرازي (١٤/ ٢٩).

(١٢) في (ك): لله تعالىٰ.

(١٣) في (ق) زيادة: عليه السلام.

قيل: فيه لأهل[(١)] العلم قولان:

أحدهما- أنه أمرهم[(٢)] بالسجود له تكرمة وهو لله تعالىٰ عبادة.

الثاني- أنه جعله قبلة سجودهم لله تعالىٰ[(٣)].

فإن قيل: فالأمر بالسجود لآدم قبل[(٤)] تصوير ذريته، فكيف قال: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ [الأعراف:١١] ؟ ففي[(٥)] ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنه صورهم في صلب آدم[(٦)]، ثم قال للملائكة: اسجدوا.

الثاني- معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم[(٧)] بأنا[(٨)] قلنا للملائكة: اسجدوا[(٩)].

الثالث- أن في الكلام تقديماً وتأخيراً[(١٠)]، وتقديره: ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم[(١١)].

وفيه[(١٢)] رابع أنكره بعض النحويين، وهو أن[(١٣)] ثم[(١٤)] هاهنا[(١٥)] بمعنىٰ الواو، وهو قول الأخفش[(١٦)]. [(١٧)].

---

(١) في (ق): .. لأهل العلم فيه.

(٢) في الأصل: أمره، وهو تحريف. والصواب ما أثبته من بقية النسخ.

(٣) انظر هذين القولين والتعليق علىٰ ذلك في سورة البقرة، آية/ ٣٤.

(٤) في (ق): قيل، وهو تصحيف.

(٥) في (ق، ك): فعن.

(٦) في (ق) زيادة: عليه السلام.

(٧) في (ق): اخترناكم، وهو تصحيف.

(٨) في (ك): أنا.

(٩) ذكره الفخر الرازي (١٤/ ٣٠) من غير نسبة.

(١٠) في (ك): تقديم وتأخير، وهو لحن.

(١١) رد هذا القول ابن جرير الطبري (١٢/ ٣٢٢) لأنه غير جائز عربية. ونسبه لبعض من ضعفت معرفته بكلام العرب.

(١٢) في (ك، ق): وفيه جواب رابع.

(١٣) "أن" سقطت من (ك).

(١٤) في الأصل: (ثم أن)، وهو تحريف.

(١٥) في (ك): هنا.

(١٦) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٢٩٤).

(١٧) علىٰ اختيار الطبري المتقدم يكون المعنىٰ: إن الله لما خلق آدم وصوره علىٰ صورته التي خلقه الله عليها أمر الملائكة بالسجود له. فلا إشكال. انظر: تفسيره (١٢/ ٣٢١-٣٢٣).

قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف:١٣] فيه ثلاثة [١] أقاويل:

أحدهما- أنه[٢] أهبط من السماء لأنه كان فيها، قاله الحسن[٣].

الثاني- من الجنة[٤].

الثالث[٥]- أنه أهبط من المنزلة الرفيعة التي[٦] استحقها بطاعة الله تعالىٰ إلىٰ المنزلة الدنية التي استوجبها بمعصية الله[٧] تعالىٰ، قاله ابن بحر[٨].

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣] وليس لأحد من المخلوقين[٩] أن يتكبر فيها ولا في غيرها، وإنما المعنىٰ: فما لمن يتكبر أن يكون فيها، وإنما المتكبر يكون[١٠] في غيرها.

(وفي تكبره[١١] وجهان:

أحدهما- تكبّر عن أمر الله أن يمتثله.

الثاني- تكبر عن[١٢] آدم أن يسجد له.

﴿فَٱخْرُجْ ﴾ [الأعراف:١٣] فيه[١٣] قولان:

أحدهما- من المكان الذي كان فيه من السماء أو[١٤] الجنة.

---

(١) في (ق): فيه قولان.
(٢) في (ق): أحدهما أهبط.
(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٧٥).
(٤) ذكره ابن الجوزي منسوبـًا للسدي.
(٥) هذا القول ليس في (ق).
(٦) في الأصل: (الذي) والصواب ما أثبته من (ف، ك).
(٧) سقط لفظ الجلالة من (ك).
(٨) ذكره أبو حيان في البحر المحيط بنحوه من غير نسبة.
(٩) "من المخلوقين" سقطت من (ك).
(١٠) "يكون" سقطت من (ك).
(١١) في الأصل: تكبيره، وفي (ك): المتكبر، وهما تحريف، والصواب ما أثبته من (ف).
(١٢) في (ف): علىٰ.
(١٣) في (ك): فيها.
(١٤) في الأصل (ق)، والجنة، وما أثبته من (ك، ف).

الثاني- من جملة الملائكة الذين كان منهم أو معهم.

﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣] فيه وجهان:

أحدهما- بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه.

الثاني- بالعذاب في الآخرة لأن المعذّب ذليل[١] [٢].) [٣].

وفي هذا القول من الله تعالىٰ لإبليس وجهان:

أحدهما- أنه قال ذلك علىٰ لسان بعض[٤] الملائكة.

الثاني- أنه أراه معجزة تدله[٥] علىٰ ذلك[٦].

/ [١٣٧/ و] قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤] ([٧] فيه قولان[٨]:

أحدهما- أنه سأل[٩] الأنظار بالعقوبة إلىٰ يوم[١٠] البعث وهو يوم القيامة.

([١١]﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥][١٢] يعني بالعقوبة[١٣] إلىٰ يوم القيامة).

الثاني- أنه سأل[١٤] الأنظار بالحياة إلىٰ يوم[١٥] القيامة (لئلا يذوق[١٦] الموت، فَأُجِيْبَ بالإنظار

---

(١) في (ك): ذليل بالعذاب.

(٢) فقد عوقب بخلاف غرضه وقصده فحين أظهر الاستكبار ألبسه الله الذل والصغار.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) "بعض" سقطت من (ك).

(٥) في (ك): له ، وهو تحريف.

(٦) وقيل إنه كلام من الله له علىٰ وجه الإهانة. انظر: تفسير الفخر الرازي (١٤/ ٣٥).

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) بياض في (ف).

(٩) في (ك): سأله.

(١٠) "يوم" سقطت من (ك).

(١١) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٣) بياض في (ف).

(١٤) في (ك): سأله.

(١٥) عبارة (ك، ق): إلىٰ يوم يبعثون وهو يوم القيامة.

(١٦) في (ك): لا يذوق.

إلـىٰ (يـوم القيامـة) أي)[١] يـوم الوقـت المعلـوم وهـي النفخـة الأولـىٰ)[٢] ليـذوق[٣] المـوت بـين النفختين[٤]، وهو أربعون[٥] سنة، قاله الكلبي.

(فإن قيل: فكيف قدر الله له مدة أجله، وفي ذلك إغراء[٦] بفعل المعاصي[٧] تعويلاً علىٰ[٨] التوبة منها[٩] في آخر الأجل؟

قيل: قد علم الله من حاله أنه لا يتوب مـن معصـيته بمـا أوجبـه مـن لعنتـه بقولـه: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَـةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحِجر:٣٥] فجاز مع علمه بهذه الحال أن يقدر له مدة أجله ولو كـان كغيـره ما قدر له مدة أجله)[١٠].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ف، ق).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ك). وفي العبارة تكرار، ولعل صوابها: "... فأجيب بالأنظار إلىٰ يوم الوقت المعلوم...".

(٣) في (ك): لا يذوق، وهو تحريف.

(٤) أي أن إبليس لعنه الله سأل الأنظار إلىٰ يوم البعث ليتحقق له بذلك الخلود والبقاء الـذي لا فنـاء معـه. لأنـه لا يمـوت بعـد البعث، لكنه لم يعط ذلك وقد بين الله مـدة أنظـاره في سـورة الحجـر: ٣٧، ٣٨ بقولـه سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجـر:٣٦-٣٨] ومثلهـا في سـورة ص: ٧٩-٨١. علىٰ أن المراد بذلك اليوم الذي يموت فيه جميع الأحياء، وقال آخرون: أن الله لم يوقت لـه أجـلاً معلومـًا وأن المعنـىٰ أنه أنظر إلىٰ الوقت المعلوم في علم الله. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٠)، والفخر الرازي (١٤/ ٣٦).

(٥) أي ما بين النفختين. وقد أخرج البخاري، كتاب التفسير (٨/ ٥٥١) -فتح الباري- ومسلم، كتاب الفتن وأشـراط السـاعة (٤/ ٢٢٧٠) رقم (١٤١)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١)، وذكره السيوطي في الـدر المنثـور (٦/ ٢٥٢) كلهـم عـن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومـًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعـون شـهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون عامـًا؟ قال: أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلىٰ إلا عظمـًا واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب المخلوق يوم القيامة. ويعني قوله: أبيت، قيل: نسيت، وقيـل: أبيت أسأل النبي ﷺ عن ذلك، وقيل: امتنعت من بيان ذلك لكم، وقيل غير ذلك. وانظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٦٤).

(٦) في (ك): إغواء.

(٧) في (ك): الماضي، وهو تحريف.

(٨) في الأصل: (إلىٰ)، وما أثبته من (ف، ك).

(٩) "منها" سقطت من (ك).

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ق). وانظر: تفسير الفخر الرازي (١٤/ ٣٦).

فإن قيل: كيف أقدم إبليس على هذا[(١)] السؤال مع معصيته؟ قيل: كما ينبسط[(٢)] الجاهل في سؤال ما[(٣)] لا يستحقه.

فإن قيل: فكيف أجاب الله تعالى سؤاله مع معصيته؟ قيل: في إجابة دعاء أهل المعاصي قولان:

أحدهما- لا تصح إجابتهم لأن إجابة الدعاء تكرمة للداعي، وأهل المعاصي لا يستحقون الكرامة، فعلى هذا إنما أنظره الله تعالى وإن كان[(٤)] عقيب سؤاله ابتداء منه لا إجابه له[(٥)].

الثاني- قد[(٦)] يجوز أن تجاب دعوة أهل المعاصي على وجه البلوى، وتأكيد الحجة، فتكون[(٧)] إجابة المطيعين تكرمة، وإجابة العاصين[(٨)] بلوى.

فإن قيل: فهل يُنظر غير إبليس إلى الوقت الذي سأل، وقد قال: من المنظرين؟ قيل: نعم، وهو من لم يقض الله تعالى عليه الموت[(٩)] من عباده الذين تقوم عليهم[(١٠)] الساعة.

قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ[(١١)] لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦] .

اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف:١٦] على قولين:

أحدهما- أنه على معنى القسم وتقديره: فبإغوائك لي[(١٢)] لأقعدن لهم[(١٣)]. [(١٤)].

---

(١) "هذا" سقطت من (ق).

(٢) في (ق): يتبسط.

(٣) في الأصل: (فيما لا يستحق)، وما أثبته من بقية النسخ.

(٤) في الأصل: (وإن كانت..)، وما أثبته من بقية النسخ. وقوله: "وإن كان عقيب سؤاله" جملة اعتراضية. والمعنى: إنما أنظره الله ابتداء منه، لا إجابة له.

(٥) في هذا نظر فإجابة الله لدعاء العبد مسلمًا كان أو كافراً إما تشمله الربوبية المطلقة فهو من جنس رزق الله للكافر والعاصي. انظر: شرح الطحاوية (ص٥١٩).

(٦) في (ق، ك): أنه قد.

(٧) في (ك): فيكون. واللفظة من غير إعجام في (ف).

(٨) في (ك): العصاة. وفي (ق): العاصي.

(٩) في (ق): الموت.

(١٠) في (ك): تقوم الساعة عليهم. وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٢)، وابن الجوزي (٣/ ١٧٥).

(١١) في (ك): الآية.

(١٢) في (ك): إلى، وهو تحريف.

(١٣) بعدها في (ك، ق): .. صراط المستقيم.

(١٤) إلى هذا مال أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٧٤) حين قال: (الظاهر أن الباء للقسم ..). وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٣) فقد ذكره عن بعضهم من غير تعيين، وتفسير الزمخشري (٢/ ٦٩)، وابن عطية (٧/ ٢١)، وابن الجوزي (٤/ ١٧٥).

الثـاني- أنـه بمعنـىٰ[١] المجـازاة، وتقـديره[٢]: فكمـا أنـك[٣] أغـويتني لأقعـدن لهـم صـراطك[٤] المستقيم[٥].

واختلف أهل العلم في قوله[٦]: (أغويتني) علىٰ أربعة[٧] أقاويل:

أحدها- معناه أضللتني، قاله ابن عباس وابن زيد[٨].

الثاني- خيبتني[٩] من جنتك[١٠]، ومنه قول الشاعر[١١]:

فَمَـنْ يَلْـقَ خَيْـراً يَحْمـد النـاسُ أمـرهَ ** وَمَـنْ يَغْـو لا يَعْـدَم علـىٰ الغـيّ لائمـًا

أي من[١٢] يخب.

الثالث[١٣]- معناه عذبتني كما قال[١٤] الله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] أي عـذابـًا، قالـه[١٥] ابن بحر.

---

(١) في (ك): علىٰ معنىٰ.

(٢) في (ك): تقديره.

(٣) في (ك، ق): فلأنك.

(٤) "صراطك المستقيم" ليست في (ك).

(٥) رجح هذا القول ابن عطية في تفسيره (٢/ ٢١) بقوله: وهذا أليق المعاني بالقصة، وانظر: المصادر السابقة.

(٦) "قوله" سقطت من (ك).

(٧) في (ق): ثلاثة أقاويل. وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٧٥) نحو تسعة أقاويل.

(٨) انظـر: تفسـير الطـبري (١٢/ ٣٣٢)، ونسـبه ابـن عطيـة (٧/ ٢١)، وابـن الجـوزي (٣/ ١٧٥)، وأبـو حيـان (٤/ ٢٧٥): للجمهور.

(٩) في الأصل: حبتني. وما أثبته من بقية النسخ.

(١٠) بياض في (ق).

(١١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٧/ ٢١)، وأبو حيان (٤/ ٢٧٥) من غير نسبة. وذكره ابن الأنباري في كتابه الزاهـر (٢/ ٢٦٤) ونسبه محققه: د. حاتم الضامن للمرقش الأصغر.

(١٢) في (ك): ومن.

(١٣) هذا القول ساقط من (ق).

(١٤) في (ك): كقوله تعالىٰ.

(١٥) في (ك): "قاله الحسن". والمشهور عن الحسن: لعنتني، كما في تفسير ابن عطية (٧/ ٢١)، وأبي حيان (٤/ ٢٧٥).

الرابع[١]- معناه أهلكتني بلعنك لي[٢]، يقال: غوىٰ الفصيل إذا أشفىٰ[٣] علىٰ الهلاك بفقد[٤] اللبن، قال الشاعر[٥]:

معطفة[٦] الانساء ليس فصيلها ** برازئها[٧] درّاً ولا ميّت غوىٰ[٨]

وفي قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦] أي علىٰ صراطك المستقيم[٩]. [١٠].

وفيه[١١] تأويلان:

أحدهما- طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة، قاله ابن مسعود[١٢].

---

(١) في (ق): والثالث.

(٢) قاله ابن الأنباري كما في تفسير البحر المحيط (٤/ ٢٧٥).

(٣) في (ك): شفا، وهو تحريف.

(٤) في (ق): لفقد.

(٥) جملة "قال الشاعر" سقطت من (ق). وقائله -كما ذكر الشيخ محمود شاكر- في حاشية تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٣) هو: مدرج الريح الجرمي، واسمه عامر بن المجنون. وقد جاء في تاج العروس (١٠/ ٢٧٣) "غوىٰ" منسوباً لعامر المجنون، ومثلها في المعاني الكبير، وقد صوب الشيخ محمود شاكر اسمه: عامر بن المجنون.

(٦) في (ق): مقطعة الأبناء، وفي (ك): معطفة الانشا، وجاء في نسخة (ف) تعليقاً علىٰ (الانساء) قوله: (وفي أخرىٰ الأثناء).

(٧) في الأصل: داراً. وما أثبته من بقية النسخ ومراجع التخريج.

(٨) ورد البيت من غير نسبة في تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٣)، وابن عطية (٧/ ٢١)، وفي الزاهر لأبي بكر بن الأنباري (٢/ ٢٦٥) وقد أورده شاهداً علىٰ أنه بمعنىٰ هلاك الفصيل من كثرة اللبن لا من فقده، يقال: قد غوي الفصيل يغوىٰ غوىً إذا بشم من لبن أمه عند الإكثار والازدياد منه. ثم أورد البيت، وجاء في هذا المعنىٰ تفسير الفخر الرازي (١٤/ ٣٧) من غير ذكر للبيت. وقد نقل المعنيين صاحب تاج العروس (غوىٰ) (١/ ٢٧٣)، فيكون المراد الإشراف علىٰ الهلاك بسبب فقد اللبن أو كثرته. ورواية البيت فيما تقدم من المراجع: معطفة الاثناء .. ، والمعنىٰ: أن هذا الفصيل لا يرزؤها ولا يموت بفقد لبنها.

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) ذكره ابن عطية في تفسيره (٧/ ٢١) من غير نسبة وزاد: وفي صراطك، وذكره ابن الجوزي (٣/ ١٧٦) منسوباً للفراء والزجاج. وعبارة الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٧٥): علىٰ طريقهم وفي طريقهم)، وعبارة الزجاج (٢/ ٣٥٨): "ولا اختلاف بين النحويين في أن "علىٰ" محذوفة...". وذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٢٦) قولاً لبعض نحويي البصر، لكنه اختار قول بعض الكوفيين وهو أن المعنىٰ: لأقعدن لهم علىٰ طريقهم وفي طريقهم.

(١١) في (ك): فيه.

(١٢) وهو قول الحسن، وابن جبير، وعون بن عبدالله. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٥)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٢٢)، وابن الجوزي (٣/ ١٧٦)، وهو تخصيص ضعيف، يقول الإمام الطبري في تفسيره تعقيباً علىٰ هذا: (والذي قاله عون وإن =

الثاني- طريق الحق ليصد عنه بالإغواء، قاله مجاهد[١].

قولـه ﷻ[٢]: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ[٣] بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ [الأعـراف:١٧] فيـه أربعة[٤] تأويلات:

أحـــدها- ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الأعـــراف:١٧] أي أشــككهم في آخـــرتهم، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعـراف:١٧] أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأعـراف:١٧] أي مـن قبـل حسـناتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧] من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس[٥]. [٦].

الثاني- ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الأعراف:١٧] أي[٧] مـن قبـل دنيـاهم، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعـراف:١٧] من قبل / [١٣٨/ و] آخرتهم، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] الحق أشككهم فيه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧] الباطل أرغبهم فيه، قاله السدي وإبراهيم[٨].

والثالث- (من بين أيديهم وعن أيمانهم) من حيث يبصرون[٩]، • ومن خلفهم وعن شـمائلهم) من حيث لا يبصرون، قاله مجاهد[١٠].

=

كان من صراط الله فليس هو الصراط كله، وإنما أخبر عدو الله أنـه يقعـد لهـم صـراط الله المسـتقيم، ولـم يخصـص منـه شيئًا دون شيء ...).

(١) انظر: تفسيره (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٣٦).

(٢) سقط من (ق).

(٣) في (ك): الآية. وآخرها ليس موجوداً في (ق).

(٤) ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٧٦) سبعة أقوال، ونحوها في البحر المحيط (٤/ ٢٧٦) وقد أضاف الماوردي قـولين آخرين له.

(٥) في (ك): ابن عامر ، وهو تحريف.

(٦) والقـول لابـن عبـاس في تفاسير الطـبري (١٢/ ٣٣٩)، وابـن عطيـة (٧/ ٢٣)، وابـن الجـوزي (٣/ ١٧٦)، وأبـي حيـان (٤/ ٢٧٦)، ولابن عباس روايات أخرى.

(٧) "أي" سقطت من (ق).

(٨) هو: إبراهيم النخعي، وبه قال الحكم بن عتبة. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩)، وابن الجوزي (٣/ ١٧٦)، وأبـي حيـان (٤/ ٢٧٦).

(٩) في الأصل: (ينصرون) ، وهو تصحيف. وفي (ك): ينظرون.

(١٠) انظر: تفسيره (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩)، وابن عطية (٧/ ٢٣).

الرابع- أراد من كل الجهات التي[١] يمكن الاحتيال عليهم منها[٢].

ولـم يـذكر مـن فـوقهم لأن رحمـة الله تعـالىٰ [تصـده][٣]، ولا مـن تحـت أرجلهـم لمـا فيـه مـن السعير[٤]، (لأن السعير يرده)[٥]. قاله بعض المتأخرين.

(ويحتمل تأويلاً خامسًا[٦]-﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعـراف:١٧]: فيمـا بقـي مـن أعمـارهم فـلا[٧] يقدمون فيه[٨] علىٰ طاعة، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] فيما مضىٰ من أعمارهم فلا يتوبون منه[٩] عن معصية، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] من قبل غناهم فلا ينفقونـه في مشـكور، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور.

ويحتمل سادسًا- ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] بسط أملهم، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] تحكيم جهلهم، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] فيما تيسر[١٠] لهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] فيما تعسر[١١] عليهم)[١٢][١٣].

---

(١) في الأصل: الذي. وما أثبته من بقية النسخ.

(٢) في (ك): ... منها عليهم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وفي (ق): (تصـد)، وفي (ك): تصـل. ومـا أثبتـه مـن (ف). وقـد روي عـن ابـن عبـاس وعلة ذلك أن رحمة الله تنزل علىٰ عباده من فوق. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩)، وأبي حيان (٤/ ٢٧٦).

(٤) في (ك): التنقير. ولعلها تصحيف: التنفير، وفي (ف) هكذا: (البيّعير). وقـد ذكـر أبـو حيـان عـن ابـن عبـاس في تعليـل ذلـك قوله: (... ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان من تحتهم فيه توحش).

(٥) سقطت من (ق، ك).

(٦) في (ك): (... تأويلاً خامسًا). وهو أحد قولي الماوردي في الآية، وقد ذكره عنه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٧٧).

(٧) في (ك): ولا.

(٨) سقطت من (ك).

(٩) في تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٧٧) عن الماوردي (فلا يتوبون فيه من معصية).

(١٠) في (ك): ينشر، وهو تصحيف.

(١١) في (ك): تعشر، وهو تصحيف.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٣) اختار الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢/ ٣٥١) في تفسير هذه الآية أن المعنىٰ: ثـم لآتينهم مـن جميـع وجـوه الحـق والباطـل فأصدهم عن الحق، وأحسن لهم الباطل.

[١]﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧] يحتمل وجهين:

أحدهما- شاكرين لنعمتك[٢]. [٣].

الثاني- مقيمين علىٰ طاعتك[٤].

فإن قيل: فكيف علم إبليس[٥] ذلك؟ فعنه جوابان:

أحدهما- أنه ظن ذلك فصدّق ظنه، كما قال الله[٦] تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّـهُۥ ﴾ [٧] [سبأ:٢٠] وسبب ظنه أنّه لما أغوىٰ آدم -عليه[٨] السلام- فاستزلّه[٩]، قال: ذرية هذا أضعف منه، قاله الحسن.

الثاني- أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله تعالىٰ[١٠].

قوله ﷻ: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [الأعراف:١٨] يحتمل وجهين:

أحدهما- من حيث كان من جنّة أو سماء[١١].

الثاني- من الطاعة، علىٰ وجه التهديد.

---

(١) في (ك): ثم قال. وفي (ق): قال.

(٢) في بقية النسخ: لنعمك.

(٣) قاله مقاتل. تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٧٧)، وأبي حيان (٤/ ٢٧٧).

(٤) قاله الحسن. انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٢٧٧)، وقد ورد عن ابن عباس أن المعنىٰ: موحّدين كما في تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٢).

(٥) أي لأنه من علم الغيب.

(٦) في (ق): كما قال. وفي (ك): كما قال تعالىٰ.

(٧) "ظنه" سقطت من (ق).

(٨) سقطت من (ق، ك).

(٩) في (ق): واستزله.

(١٠) ذكر أبو حيان في تفسيره (٤/ ٢٧٧) ستة أقوال بيانًا لمن قال أن إبليس قال ذلك علىٰ سبيل العلم. منها أنه علم ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] أو من قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة:٣٠]. غير أن ذلك يحتاج لمعرفة الزمن أي القولين أسبق؟

(١١) الجمهور علىٰ أن الضمير عائد إلىٰ الجنة، وما ذكره المؤلف هنا إشارة إلىٰ الخلاف في مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ [الأعراف:١٣] فراجعها.

﴿مَذْءُومًا [1] مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف:١٨] في قوله ﴿مَذْءُومًا﴾ [2] خمسة تأويلات:

أحدها- يعني مذموماً[3]، قاله ابن زيد، وقرأ الأعمش: (مذوماً) [4].

الثاني- لئيماً، قاله الكلبي[5].

الثالث- مقيتاً، قاله ابن عباس[6].

الرابع- منفياً، قاله مجاهد[7].

الخامس- أنه شدة العيب. وهو أسوأ حالاً من المذموم، قاله الأخفش[8]، (قال عامر ابن حذافة[9]:

لم يأخذوا الحقَّ بل زَاغت قلوبُهُمُ ** قَبْل القِتال وما مثلي[10] بمذآم[11])[12]

وأما المدحور ففيه قولان:

أحدهما- المدفوع.

الثاني- أنه[13] المطرود، قاله مجاهد والسدي[14].

---

(١) في (ك): مذموماً.

(٢) في (ك): مذموماً.

(٣) في الأصل: مذؤماً. وما أثبته من بقية النسخ.

(٤) في بقية النسخ: مذموماً ، وهو تحريف. وهذه القراءة (مذوماً) بضم الذال من غير همز قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في شواذ القرآن (ص٤٢) وقد قرأ بها: الأعمش، والزهري، وأبو جعفر. انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ٢٤)، وابن الجوزي (٣/ ١٧٧)، وأبي حيان (٤/ ٢٧٧)، ومعجم القراءات القرآنية (٢/ ٣٤٦).

(٥) وفي البحر المحيط (٤/ ٢٧٧) عن الكلبي: ملوماً.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٣).

(٧) انظر: تفسيره (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٤٣)، وهي رواية عن ابن عباس.

(٨) في (ق): (ابن الأخفش) وليس في معاني القرآن (٢م٢٩٥) للأخفش الأوسط، وعن ابن قتيبة في غريب القرآن (ص١٦٦) أنه المذموم بأبلغ الذم.

(٩) "حذافة" وردت مكررة في (ك).

(١٠) آخر البيت ساقط من (ك).

(١١) لم أجده.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٣) "أنه" سقطت من (ق، ك).

(١٤) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣٢)، والطبري (١٢/ ٣٤٣).

قوله ﷻ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩] يعني حواء، (وفي الجنة التي أمر[1] بسكناها قولان:

أحدهما- هي[2] جنة الخلد التي وعد المتقون، وجاز الخروج منها لأنها لم تجعل ثواباً فيخلّد فيهان ولا يخرج منها.

الثاني- أنها جنة من جنات[3] الدنيا (لأن جنة الخلد)[4] لا تكليف فيها وقد كان مكلفاً[5]) [6].

﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [الأعراف:١٩] يحتمل وجهين:

أحدهما- من حيث شئتما من الجنة كلها.

الثاني- ما شئتم[7] من الثمار كلها؛ لأن المستثنىٰ بالنهي لمَّا كان ثمراً كان المأمور به ثمراً.

﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥] قد ذكرنا اختلاف الناس[8] فيها (علىٰ ستة أقاويل:

أحدها- أنه البُرّ، قاله ابن عباس.

الثاني- أنها الكَرْم، قاله السدي.

الثالث- أنها[9] التين، قاله ابن جريج.

---

(١) من (ف)، وفي الأصل: أمر.

(٢) في (ك): في.

(٣) في (ك): جنان.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٥) رأي الجمهور أنها التي في السماء وهي جنة المأوىٰ كما نص علىٰ ذلك ابن كثير في قصص الأنبياء (١/ ٣٢).
وانظر: تفسير الفخر الرازي (٣/ ٣)، وراجع سورة البقرة/ ٣٥.

(٦) ما بين القوسين ليس في (ق). وقد جاء عوضاً عنه قوله: (والجنة التي أمر بسكناها هي جنة الخلد).

(٧) في (ق): ما شئتما.

(٨) في (ق): الاختلاف فيهما. وراجع سورة البقرة/ ٣٥، وأعلم أن هذه الأقوال ليس لها دليل ثابت صحيح يعتمد عليه، ويستند إليه، وكان الأجدر عدم الخوض في تعيينها فلعدم فائدة معرفتها أعرض القرآن عنها فالعظة والعبرة لا تتعلق بنوع الشجرة بل بمبدأ الأكل منها ومخالفة لغة النهي عنها، ولهذا قال الإمام ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء (١/ ٣٢) تعقيباً علىٰ هذه الأقوال: "وهذا الخلاف قريب وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن".

(٩) سقطت من (ك).

الرابع- أنها شجرة الكافور، قاله علي بن أبي طالب -رضي[1] الله عنه-.

الخامس- أنها[2] شجرة العلم، قاله الكلبي.

السادس- أنها شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة، قاله ابن جدعان[3].

وحكىٰ محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل، ولا أعرف لهذا وجهًا إلا ليستدلا بها -إن كان[4] ذلك توقيفًا عن نبوّة- علىٰ مرارة أحوال الدنيا) [5].

فإذا قيل: فما وجه نهيهما)[6] عن ذلك مع كمال معرفتهما؟

[١٣٨/ ظ] قيل: للمصلحة[7] في استدامة المعرفة، والابتلاء فيما[8] يجب فيه الجزاء.

قوله ﷻ: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا [9] وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠].

أما الوسوسة فهي إخفاء الصوت بالدعاء[10]، يقال: وسوس له إذا أوهمه[11] النصيحة له،

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) في الأصل و (ف): "ابن جذعان". فلعله تصحيف، وما أثبته من (ك). وهو: علي بن زيد بن جدعان، أبو الحسن القرشي التيمي البصري. أصله من مكة، ولد أعمىٰ، وسكن البصرة وأصبح أحد علمائها، وقد ضعفوه في الحديث وأنه كثيرا الرفع لها، كما اتهموه بالتشيع. توفي سنة (١٣١). انظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٨٦)، الضعفاء الكبير للعقيلي (٣/ ٢٢٩)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٧)، كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد بن حبان البستي (٢/ ١٠٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٢٢).

(٤) وردت عبارة الأصل هكذا (... إن كان ذلك توفيقًا علىٰ نبوة عليّ علىٰ مرارة أحوال الدنيا)، وما أثبته من (ف، ك).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) في (ك، ق): المصلحة.

(٨) في بقية النسخ: بما.

(٩) آخر الآية ليس في (ك، ق).

(١٠) الأولىٰ عدم تخصيص ذلك بالدعاء. يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته (ص٨١٩): (الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي، والهمس الخفي ... ويقال لهمس الصائد وسواس)، والمراد بوسوته لهما هي قوله لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وإقسامه لهما علىٰ ذلك. وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٦).

(١١) سقطت من (ك).

ووسوس[1] إليه: إذا ألقىٰ إليه[2] المعنىٰ، قال[3] رؤبة بن العجاج:

وَسْـوَس يـدعو مخلصـاً ربَّ الفلـق ** سـراً[4] وقـد أوّن تـأْوين العُقـق[5]

فإن قيل: فكيف وسوس لهما وهما في الجنة، وهو خارج عنها؟ ففي ذلك[6] ثلاثة أجوبة، هي أقاويل اختلف فيها أهل التأويل:

أحدها- أنه وسوس إليها وهما في الجنة في السماء، وهو في الأرض، فوصلت الوسوسة إليهما[7] بالقوّة التي خلقها الله تعالىٰ له[8] إلىٰ السماء ثم إلىٰ الجنة، قاله الحسن[9].

الثاني- أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه[10] فيلقاهما هناك[11].

الثالث- أنه خاطبهما من باب الجنة وهما[12] فيها، ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وهذا هو الذي ألقىٰ به[13] الوسوسة[14] إليهما

---

(١) في الأصل: وسوس.

(٢) في الأصل: "عليه". وما أثبته من بقية النسخ. وفي تفسير الفخر الرازي (١٤/ ٤٥): "... ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح، ولكن موسوس له، وموسوس إليه وهو الذي يلقىٰ إليه الوسوسة. ومعنىٰ وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه".

(٣) في (ك): وفي ذلك قول ...، وفي (ق): وذلك قول.

(٤) في (ق): شراً، وهو تصحيف.

(٥) ديوانه (ص١٠٨)، وصدره في تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٧)، وتاج العروس "وسوس" (٤/ ٢٦٨)، وفي تفسير ابن عطية (٧/ ٢٩)، جاهراً بدل مخلصاً ولا تتفق مع المعنىٰ، فالبيت في وصف الصائد المختفي حين أراد رمي صيده وسوس نفسه بالدعاء رجاء الإصابة، والمجاهرة قد تنبه الصيد.

(٦) في (ك): فعنه.

(٧) في (ك، ق): .. وسوسته بالقوة.

(٨) في الأصل: لهم. وما أثبته من بقية النسخ، وهو مقتضىٰ السياق.

(٩) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٢٧٨)، والفخر الرازي (١٤/ ٤٦)، وذكره بنحوه ابن عطية في تفسيره (٧/ ٢٩) وضعّفه بقوله: "وهذا قول ضعيف يرده لفظ القرآن".

(١٠) في (ك): إليها. تحريف.

(١١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٧/ ٢٩)، وأبو حيان (٤/ ٢٧٨) من غير نسبة.

(١٢) "وهما فيها" سقط من (ك).

(١٣) "به" سقطت من (ق).

(١٤) في (ك): من الوسوسة.

استغواء لهما بالترغيب في فضل المنزلة، ونعيم الخلود[١].

فإن قيل: كيف[٢] تصورا ذلك مع كمال معرفتهما[٣]؟

قيل: إنما كملت[٤] معرفتهما بالله تعالىٰ لا بأحكامه.

وفي قول إبليس ذلك وجهان:

أحدهما- أنه أوهمهما أن ذلك في حكم الله تعالىٰ جائز أن يقلب[٥] صورتهما إلىٰ صور الملائكة، وأن يخلدهما في الجنّة.

الثاني- أنه[٦] أوهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة مع علمهما بأن قلب[٧] الصور[٨] لا يجوز.

(قوله ﷻ: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٢١] أي حلف لهما علىٰ صدقه في خبره، ونصحه في مشورته، فقبلا قوله وتصورا صدقه، ولم يعلما[٩] أن أحداً يجترىء علىٰ الحلف بالله تعالىٰ كاذبًا. (وكان أول من حلف بالله كاذبًا [١٠]) [١١].

ويحتمل وجهًا آخر- أن يكون معنىٰ قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ أي قال لهما: إن كان ما قلته خيراً فهو لكما دوني وإن كان شراً فهو عليّ دونكما، ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما،

---

(١) ذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٤/ ٤٦)، وأبو حيان - مختصراً من غير نسبة (٤/ ٢٧٨)، وراجع ما كتبه المؤلف في سورة البقرة/ ٣٦، فقد رجح أنه خلص إليهما بدلالة قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٢١] والمقاسمة تدل علىٰ المشافهة.

(٢) "كيف" سقطت من (ك، ق). وفي (ك): "هل".

(٣) في الأصل: معرفتهم. وما أثبته من بقية النسخ.

(٤) في الأصل: (ملكت)، لكنها وردت مصححة بالحاشية. وكذا في بقية النسخ.

(٥) في (ك): تقلب.

(٦) في (ك): أن.

(٧) سقطت من (ق).

(٨) في (ك، ق): الصور.

(٩) في (ك): "لأنهما لم يعلما أن أحد لم يجترئ". وفيهما تحريف ولحن.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(١١) قاله قتادة، والزجاج، وبنحوه عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٥١)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٠).

فكانت هذه مقاسمته[١] أن قسم الخير لهما، والشر لنفسه[٢] علىٰ وجه الغرور، ولتنتفي[٣] عنه التهمة ويسرع إليه القبول)[٤].

قوله ﷻ: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾ [الأعراف:٢٢] معناه[٥] فحطهما بغرور من[٦] منزلة الطاعة إلىٰ حال المعصية.

فإن قيل: فهل علما عند أكلهما أنها معصية؟

قيل: لا[٧]، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر، وإنما أقدما[٨] عليها لشبهة دخلت عليهما[٩] بالغرور.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف:٢٢] (فإن قيل: فلم بدت لهما سوءاتهما)[١٠] ولم تكن بادية[١١] لهما من قبل؟

ففي[١٢] ذلك جوابان:

أحدهما- أنهما كانا مستورين بالطاعة، فكشف[١٣] الستر عنهما بالمعصية.

الثاني[١٤]- أنهما كانا مستورين بنور الكرامة، فزال عنهما بذلك المهانة[١٥].

---

(١) في (ك): "مقاسمتهما". وعلىٰ هذا تكون من القسمة لا من القسم والحلف.

(٢) في (ك): له.

(٣) في (ك): لتنتفي.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق) من قوله: قوله ﷻ: وقاسمهما ...).

(٥) في الأصل: معناهما، وهو تحريف. وما أثبته من بقية النسخ.

(٦) سقطت من (ك).

(٧) سقطت من (ك).

(٨) من (ك، ق)، وفي الأصل: قدما.

(٩) في الأصل: عليها. وما أثبته من بقية النسخ.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١١) "لهما" زيادة من (ك، ق).

(١٢) في (ك): عن ذلك.

(١٣) في (ك، ق): فانكشف.

(١٤) هذا القول ليس في (ق).

(١٥) هو معنىٰ قول وهب بن منبه كما في تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٥)ن وابن عطية (٧/ ٣٢)، وقد بين ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطأ مثل هذا التفسير في كتابه قصص الأنبياء (١/ ٣٩) حين ذكر أن في كتاب التوراة التي بأيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء علىٰ الأكل من الشجرة هي الحية ... -إلىٰ أن قال- وكذا قال وهب بن منبه: كان لباسهما نوراً علىٰ فرجه =

ويحتمل جوبـًا[١] ثالثـًا- أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من[٢] ساكني الجنّة، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيّانة[٣].

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٢] (في (طفقا) وجهان[٤]:

أحدهما- أقاما[٥] يخصفان، قاله ابن بحر.

الثاني- جعلا (يخصفان)، أي يقطعان[٦].

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وفيه قولان:

أحدهما- ورق الموز[٧].

الثاني- ورق التين[٨]، قال ابن عباس: من قبل [٩] أن يزدردا عوقبا [١٠].) [١١].

=

وفرجها. ثم تعقبه بقوله: "وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم، وتحريف، وخطأ في التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلىٰ لغة لا يتيسر لكل أحد، ولا سيما من لا يكاد يعرف كلام العرب جيداً ولا يحيط علمـًا بفهم كتابه -أيضـًا- فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كبير لفظـًا ومعنىٰ وقد دل القرآن العظيم أنه كان عليهما لباس في قوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾. [الأعراف:٢٧] فهذا لا يرد لغيره من الكلام. والله تعالىٰ أعلم".

(١) في (ق): والثاني. وفي (ك): والثالث.

(٢) سقطت من (ك).

(٣) قول للمؤلف. وهو مخالف لظاهر النصوص.

(٤) في الأصل: "وجهين"، وهو لحن.

(٥) في (ك): قاما.

(٦) ومنه قيل للذي يرقع النعال خصّاف.

(٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨١) وقال: ذكره المفسرون. وانظر: البحر المحيط (٤/ ٢٨٠).

(٨) قاله ابن عباس كما في تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٤)، وذكره ابن كثير في قصص الأنبياء (١/ ٤٠) بسنده عن ابن عباس ثم تعقبه بقوله: "وهذا إسناد صحيح إليه، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب، وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك، وبتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالىٰ أعلم". وهذا التعيين لا يتعلق به كبير فائدة، وقد أحسن أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٨٠) حين عقب علىٰ هذه الأقوال بقوله: "ولم يثبت تعيينها لا في القرآن ولا في حديث صحيح".

(٩) عبارة (ك): "قبل يزدردا عوقبا".

(١٠) قد يدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ في هذه الآية ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف:٢٢] فالذوق مقدمة الأكل، لكنه تعالىٰ ذكر في سورة طه:١٢١ أنهما أكلا منها فقال: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

(١١) عبارة ما بين القوسين في (ق): (معنىٰ طفقا أي جعلا يخصفان أي يقطعان من ورق الجنة. قال أهل التفسير هو ورق التين).

قوله ﷻ: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّۖ ﴾ [الأعراف: ٢٤].

/ [١٣٩/ و] فإن قيل: المأمور[(١)] بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس[(٢)] قد كان أهبط من قبل حين امتنع عن السجود لآدم، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع؟

ففي[(٣)] ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنه خبر[(٤)] عن[(٥)] هبوطهم مع تفرقهم وإن خرج مخرج الأمر، وهو[(٦)] معنىٰ قول السدي.

الثاني- أنهم آدم، وحواء، والحية، فكانوا جماعة، قاله أبو صالح[(٧)].

الثالث- أنهم آدم، وحواء، والوسوسة، قاله الحسن[(٨)].

(فهبط آدم بأرض الهند علىٰ جبل يقال له واسم، (وهو علىٰ واد يقال له (فعيل)[(٩)] بين الدَّهْنَج[(١٠)] والمَنْدل[(١١)].)[(١٢)].

وهبطت حواء بجدة، وهبطت الحية بأصبهان[(١٣)].

---

(١) في (ك، ق): فالمأمور.

(٢) ورد تعليقاً في (ق): لعنه الله.

(٣) في (ك، ق): فعن.

(٤) في الأصل، (ف): "عبر"، وما أثبته من (ك، ق). وهو أظهر. قال الإمام الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٧): "وهذا خبر من الله تعالىٰ ذكره عن فعله بإبليس وذريته، وآدم وولده والحية".

(٥) "عن" سقطت من (ق).

(٦) في (ك، ق): قاله السدي. وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٧).

(٧) انظر: المصدر السابق.

(٨) راجع: سورة البقرة/ ٣٦.

(٩) هكذا في نسخة (ف) ولم أتبين نطقها. واللفظة غير واضحة في الأصل.

(١٠) في الأصل: "الذبيح"، وما أثبته من (ف). وهو الوارد في المراجع. والدهنج: بفتح أوله، وإسكان ثانيه بعده نون مفتوحة وجيم: موضع من بلاد الهند. انظر: معجم ما استعجم للبكري (١/ ٥٥٩، ٢/ ١٣٦٤).

(١١) المندل: بفتح أوله، وإسكان ثانيه بعده دال مهملة مفتوحة: بلد بالهند يجلب منه العود الفائق الذي يقال له: المندلي. انظر: معجم البلدان لياقوت (٥/ ٢٠٩)، ومعجم ما استعجم (٢/ ١٢٦٩).

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(١٣) في (ك): بأصفهان، والوجهان جائزان فيها، وتنطق بفتح الهمزة وكسرها، وهي إحدىٰ المدن المشهورة في إيران. انظر: =

وفي هبوط[١] إبليس قولان:

أحدهما- بالأُبُلّة[٢].

الثاني- بالمذَار[٣].

وقيل: أنهما[٤] سكنا الجنة لثلاث ساعات خلت من يوم الجمعة، وأخرجا منها[٥] لتسع ساعات خلت من ذلك اليوم[٦].) [٧].

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦] أما المستقر ففيه وجهان[٨]:

أحدهما- أنه فعل الاستقرار.

(الثاني- أنه موضع الاستقرار)[٩]، قاله أبو صالح.

وأما المتاع فهو المنتفع به من عروض الدنيا التي يستمتع بها.

قوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلىٰ انقضاء الدنيا.

والحين: وقت مجهول القدر ينطلق علىٰ طول الزمان وقصيره، وإن[١٠] كان موضوعًا في

=

معجم ما استعجم (١/ ١٦٣)، ومعجم البلدان (١/ ٢٠٦-٢١٠).

(١) في (ك): اهبط.

(٢) الأبلّة: بضم الهمزة والباء، وتشديد اللام وفتحها: بلدة علىٰ شاطئ دجلة قرب البصرة، وهي أقدم منها، وإليها ينسب بعض العلماء. انظر: معجم ما استعجم (١/ ٩٨)، ومعجم البلدان (١/ ٧٦-٧٨).

(٣) في (ك): بالمدار ، وهو تصحيف. والمذار: بفتح أوله، وبالراء المهملة في آخره: بلدة بين واسط والبصرة فتحها عتبة بن غزوان في أيام عمر بن الخطاب، ينسب إليها جماعة من العلماء. انظر: معجم ما استعجم (٢/ ١٢٠٣)، ومعجم البلدان (٥/ ٨٨).

(٤) في (ك): أسكنهما.

(٥) في (ك): وأخرجهما.

(٦) وروي أن آدم سكن الجنة مائة عام -كما جاء في قصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٤٣)، والحق أنه لم يرد في تحديد ذلك دليل صحيح.

(٧) ما بين القوسين من قوله: (فهبط آدم في أرض الهند ...) ليس في (ق).

(٨) راجع: سورة البقرة/ ٣٦.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٠) في (ق): فإن.

الأغلب للتكثير[١]، وقد[٢] قال الشاعر:

ومـا مِزَاجُـك بعـد الحِلـمِ[٣] والـدّين ** وقـد عَـلاك مشـيبٌ حـينَ لا حـينِ [٤]

أي: وقت لا وقت.

قوله عز وجل: ﴿ يَبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ نزلت هذه الآية في ناس[٥] من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة.

ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة[٦].

وفي دخول الشبه عليهم في ذلك وجهان:

---

(١) فالحين في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ (٤٣)﴾ [الذاريات:٤٣] مراد به ثلاثة أيام، وانظر المزيد من الأمثلة في الزاهر لابن الأنباري (٢/ ٦٧).

(٢) في (ك): قال الشاعر. وقد سقطت الجملة من (ق).

(٣) في (ك): العلم. وهي رواية ابن الأنباري في الزاهر (٢/ ٦٧).

(٤) مطلع قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق، وهي في ديوانه (٢/ ٥٥٧) برواية (ما بال جهلك) والبيت في تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٩) وفيه (مراحك) بالزاي خطأ مطبعي. والظاهر أن الأمر ليس كذلك فقد وردت (مزاجك) بالزاهي هنا، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٢) وفي الزاهر لابن الأنباري (٢/ ٦٧) وفي تفسير الطوسي (٤/ ٣٧٦) يؤكد صحتها وبخاصة مع استقامة البيت وزناً ومعنىٰ.

(٥) في (ك): قوم.

(٦) وهو معنىٰ قول مجاهد في تفسيره (١/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٦١)، وروي عن ابن عباس أن طوافهما بالبيت عراة كان سبباً لنزول قوله تعالىٰ: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١] . كما ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول (ص٢٢١) -بتحقيق: سيد صقر- وابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٧٧٦). وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٣٣، ٤٣٩). وكانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس -وهم قريش وأحلافهم- إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً يطوفون بها. وفي بعض الروايات الرجال يطوفون عراة بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تجعل علىٰ فرجها سيوراً أو نحوها. وكان بعضهن يردد:

اليـوم يبـدو بعضـه أو كلّـه ** فمـا بـدا منـه فـلا أحلّـه

جهـم مـن الجهـم عظـيم ظلّـه ** كـم مـن لبيـب عقلـه يضـلّه

وناظر ينظر ما يملّه

وقائل هذه الأبيات هي ضباعة بنت عامر بن قرط، كما قال ابن العربي، والقاضي عياض، لكن ينبغي أن يعلم أنها فعلت ذلك وقالته قبل أن تسلم، وأيضاً فعلت ذلك بعد أن أخلىٰ لها البيت كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة (٤/ ٣٥٣) في قصة طويلة. وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٨٩)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٢).

أحدهما- أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عنها.

الثاني- تفاؤلاً بالتعري من الذنوب.

وقال[١] تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ [الأعراف:٢٦] أي ما تلبسون من الثياب.

فإن قيل: وليس[٢] ذلك بمنزل[٣] من السماء. [فعنه جوابان:

أحدهما- أنه لما كان ينبت بالمطر[٤] الذي ينزل من السماء، صار كالمنزل من السماء][٥]، قاله الحسن.

الثاني- أن هذا من بركات الله[٦]، والبركة تنسب إلىٰ أنها تنزل من السماء، كما قال[٧] تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ[٨] بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [٩] [الحديد:٢٥].

ثم قال: ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف:٢٦] أي يستر عوراتكم، وسميت العورة سوأة لأنها[١٠] يسوء[١١] صاحبها انكشافها.

---

(١) في (ك): فقال، وفي (ف): فقال الله تعالىٰ.

(٢) في (ك، ق): فليس.

(٣) في (ك): منزل، وفي (ق): ينزله.

(٤) في (ك): "من المطر"، قال القرطبي في تفسيره (٧/ ١٨٤) في إيضاح ذلك: "يعني المطر الذي ينبت القطن والكتان، ويقيم البهائم [التي] منها الأصواف والأوبار والأشعار. فهو مجاز ..".

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وإثباته من بقية النسخ.

(٦) في (ك): السماء.

(٧) في ك) كقوله: وأنزلنا الحديد.

(٨) في (ق): الآية.

(٩) ساق ابن عطية في تفسيره (٧/ ٣٨) هذه الآية علىٰ أن الإنزال بمعنىٰ الخلق أي وخلقنا لكم، ومثلها: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزُّمَر:٦] . ونسب القرطبي هذا التفسير لسعيد بن جبير (٧/ ١٨٤). وقال الفخر الرازي في تفسيره (١٤/ ٥١): "وتحقيق القول أن الأشياء التي تحدث في الأرض لما كانت معلقة بالأمور النازلة من السماء صار كأنه أنزلها من السماء"، ثم ساق الآيات المتقدمة.

(١٠) في (ك): لأنه.

(١١) في الأصل، (ق): تسوء.

[1]﴿وَرِيشًا﴾ [الأعراف:٢٦] وهذه قراءة أهل الأمصار، وكان الحسن يقرؤها[2]: ورياشا [3].

وفيه أربعة تأويلات:

أحدهما- أنه[4] المعاش، قاله معبد[5] الجهني[6].

الثاني- أنه اللباس، والعيش، والنعيم، قاله ابن عباس[7].

الثالث- أنه الجمال والزينة، قاله ابن[8] زيد، (ومنه قوله رؤبة بن العجاج[9]:

إليـــكَ أشـــكو شـــدّة المعـــيشِ ** وَجَهْـــدَ أعـــوامٍ نَـــتَفْنَ ريشـــي[10]

يريد أذهبن جمالي وزينتي)[11].

---

(١) في (ك، ق): ثم قال.

(٢) في (ك، ق): يقرأ.

(٣) ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن (ص٤٣) ونسبها للنبي ﷺ وعلي بن أبي طالب، وفي سند حديث قراءة الرسول ﷺ لها نظر. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٣، ٣٦٧). وهي قراءة عثمان وابن عباس ومجاهد وقتادة والسلمي، وعلي بن الحسين، وأبو رجاء، وزر بن حبيش، وهي رواية أبان عن عاصم، والحسن الجعفي عن أبي عمرو. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨١)، والبحر المحيط (٤/ ٢٨٢)، والقرطبي (٧/ ١٨٤)، ومعجم القراءات القرآنية (٢/ ٣٥٠).

(٤) في (ق): أنها.

(٥) هو معبد الجهني القدري البصري، تابعي، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: كان صدوقًا في الحديث، وكان رأسًا في القدر، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة. قال الحسن: ضال مضل، وقال الدارقطني: حديثه صالح ومذهبه رديء، قتل سنة ثمانين -تقريبًا-. انظر: أحوال الرجال للجوزجاني (ص١٨٢)، الضعفاء الصغير (ص٢٢٨) رقم (٣٥٩)، والضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص١٥٧)، والضعفاء الكبير للعقيلي (٤/ ٢١٧) رقم (١٨٠٧)، والجرح والتعديل (٨/ ٢٨٠) رقم (١٢٨٢)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٤١)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).

(٦) ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٦٥) بسنده.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٥).

(٨) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٣٦٦)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٣٨).

(٩) "ابن العجاج" سقطت عن (ك).

(١٠) انظر: ديوانه (ص٧٨) وروايته:

أشـــكو إليـــك شـــدة المعـــيش ** دهـــراً تنقـــىٔ المـــنح بالتمشـــيش

وجهـــد أعـــوام نـــتفن ريشـــي ** نتـــف الحبـــارىٔ عـــن قـــرىٔ رهـــيش

وانظر: الزاهر لأبي بكر بن الأنباري (١/ ٣٥٢).

(١١) ما بين القوسين ساقط من (ق).

الرابع- أنه المال، قاله ابن الزبير، ومجاهد[١]، قال[٢] الشاعر:

رياشـي[٣] مـنكم وهـواي معكـم ** وإن كانـت زيـارتكم لمامـا[٤]

(وفي الريش والرياش قولان:

أحدهما- أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما[٥].

الثاني[٦]-معناهما مختلف، فالريش ما بطن، والرياش ما ظهر[٧].)[٨].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦] وفي لباس التقوىٰ سبعة[٩] تأويلات:

أحدها- أنه الإيمان، قاله قتادة والسدي[١٠].

الثاني- أنه الحياء[١١]، قاله معبد الجهني.

الثالث- هو[١٢] العمل الصالح، قاله ابن عباس[١٣].

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣٣)، وهو قول عروة بن الزبير، والسدي، والضحاك، ورواية عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٥).

(٢) "قال الشاعر" سقطت من (ق). وهو جرير.

(٣) في (ك): "وريشي معكم .." ، وهو تحريف.

(٤) انظر: ديوان جرير بتحقيق: د. نعمان طه (١/ ٢٢٥) ورواية صدره:
وريشي منكم وهواي فيكم .. ومثلها في شرح ديوانه لمحمد إسماعيل الصاوي (١/ ٥٠٦)، وانظر: الزاهر لأبي بكر الأنباري (١/ ٣٥٢)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٢)، والقرطبي (٧/ ١٨٤).

(٥) قاله قطرب، ونسبه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٢) للأكثرين.

(٦) في (ك): والوجه الثاني.

(٧) انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٢٨٣)، وقال سفيان الثوري في تفسيره (ص١١٢): "الريش المال والرياش الثياب".

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) في (ق): "ستة"، وذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٣) عشرة أقوال فزاد علىٰ ماهنا أنه الدرع وسائر آلات الحرب. قاله زيد بن علي، وقيل: العفاف قاله ابن السائب، وقيل: لباس المتقين في الآخرة، قاله ابن عطاء. انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٢٨٣).

(١٠) وهو قول ابن جريج، وسمي لباس التقوىٰ لأنه يقي العذاب. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٦)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٣).

(١١) في (ك، ق): "الحياة" ، وهو تحريف. وإنما هو الحياء كما في تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٦)، بسنده عن معبد الجهني وتفسير ابن عطية (٧/ ٣٩)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٣)، والقرطبي (٧/ ١٨٤)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٣)، وزاد ابن الجوزي نسبته لابن الأنباري.

(١٢) في (ك): أنه.

(١٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٧)، وابن عطية (٧/ ٣٩)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٣).

الرابع- هو[1] السمت الحسن، قاله عثمان بن عفان -رضي الله [2] عنه [3]-.

الخامس- هو[4] خشية الله تعالىٰ، [139/ ظ] قاله عروة بن الزبير[5].

السادس- هو[6] ستر العورة (للصلاة التي هي التقوىٰ)[7]، قاله ابن زيد[8].

السابع[9]- أنه لبس[10] يتقي به الحر والبرد، قاله[11] ابن بحر[12].

وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [النساء:59] وجهان:

أحدهما- أنه راجع إلىٰ لباس التقوىٰ، ومعنىٰ الكلام أن لباس[13] التقوىٰ خير من الرياش واللباس[14]، قاله قتادة والسدي[15].

الثاني- أنه راجع إلىٰ جميع ما تقدم من قوله[16]: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف:26] الآية[17]

(1) في (ك): أنه.

(2) سقطت من (ك، ق).

(3) وروي عن ابن عباس أيضـًا. انظر: تفسير الطبري (12/ 367)، وابن الجوزي (3/ 183).

(4) "هو" سقط من (ك).

(5) انظر: تفسير الطبري (12/ 368)، وابن الجوزي (3/ 183).

(6) "هو" سقط من (ك).

(7) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(8) انظر: تفسير الطبري (12/ 368)، وابن الجوزي (3/ 183).

(9) هذا القول ليس في (ق).

(10) في الأصل: ليس، وهو تصحيف. وفي (ك): لبس ما يتقي.

(11) انظر: تفسير ابن الجوزي (3/ 183).

(12) لعل هذه الأقوال الكثيرة من باب التفسير بالمثال، ولا يراد بها الحصر. فعموم الآية لا يخصص إلا بدليل ولذا قال أبو حيان في البحر المحيط (4/ 283) -بعد أن ساق ما هو أكثر من هذه الأقوال-: "والأحسن أن يجعل عامـًا فكل ما يحصل به الاتقاء المشروع فهو من لباس التقوىٰ"، وقال ابن عطية (7/ 40) تعقيبـًا علىٰ ما ساقه من أقوال: "وهذه كلها مَثَل وهي من لباس التقوىٰ"، ولذلك قال الماوردي لاحقـًا: ذلك الذي ذكرته خير كله.

(13) في الأصل: "الناس"، وهو تحريف.

(14) سقطت من (ك).

(15) انظر: تفسير الطبري (12/ 372).

(16) في (ك): من قد أنزلنا عليكم لباسـًا يواري سوءاتكم وريشـًا ولباس التقوىٰ.

(17) في (ق): يواري سوءاتكم وريشـًا ولباس التقوي.

ثم[(١)] قال: ذلك الذي ذكرته خير[(٢)] كله.

قوله ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧] وهذا خطاب توجه إلىٰ كل[(٣)] من كان من العرب يطوف بالبيت عرياناً، قيل لهم: لا يفتننكم الشيطان بغروره كما فتن أبويكم من قبل حتىٰ أخرجهما من الجنة، ليكون إشعارهم[(٤)] بذلك أبلغ في الزجر من[(٥)] مجرد النهي[(٦)].

﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف:٢٧] فيه[(٧)] ثلاثة أقاويل:

أحدها- أن لباسهما كان أظفاراً[(٨)] تستر البدن فنزعت عنهما، وتركت زينة وتذكرة[(٩)]، قاله ابن عباس[(١٠)].

الثاني- أنه كان لباسهما نوراً، قاله وهب بن منبه[(١١)].

الثالث- نزع[(١٢)] عنهما لباسهما من تقوىٰ الله وطاعته، قاله مجاهد[(١٣)].

(﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ [الأعراف:٢٧] فيه قولان:

---

(١) "ثم قال" سقطت من (ق).

(٢) في (ك): هو خير.

(٣) سقطت من (ك، ق).

(٤) في (ك): إشعاره.

(٥) سقطت من (ك).

(٦) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٤)، وقال ابن عطية (٧/ ٤١): "هذه الآية لجميع العالم والمقصود بها في ذلك الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت عراة...".

(٧) في (ق): وفيه.

(٨) في الأصل: "إظهاراً" ، وهو تحريف. وما أثبته من بقية النسخ.

(٩) في (ك): وتبصرة.

(١٠) وهو قول عكرمة وابن زيد. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٧٣)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٤)، وراجع التعليق علىٰ آخر الأقوال.

(١١) في الأصل: "أمية" ، وهو تحريف. وما أثبته من بقية النسخ، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٧٤).

(١٢) في (ك، ق): أنه نزع.

(١٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٧٥)، وضعّفه ابن عطية (٧/ ٤٢). وقد اختار الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، إبقاء اللفظ علىٰ إطلاقه، فجائز أن يكون لباسهما ما ذكر وجائز أن يكون غير ذلك، وليس في ذلك خبر تثبت به الحجة.

أحدهما- سوءات[1] أجسادهما [من العورة][2] حين خرجا من لباسهما، وهو مقتضىٰ قول ابن عباس.

الثاني- سوءة معصيتهما حتىٰ خرجا من تقوىٰ الله وطاعته، وهو مقتضىٰ[3] قول مجاهد.

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف:٢٧][4] فيه وجهان:

أحدهما- قومه، وهو قول الجمهور[5].

الثاني- جيله[6]، قاله السدي.

﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف:٢٧] يحتمل وجهين:

أحدهما- من حيث لا تبصرون أجسادهم.

الثاني- من حيث لا تعلمون مكرهم وفتنتهم)[7].

قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ [8] أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف:٢٨] . في هذه الآية ثلاثة[9] أقاويل:

أحدها- أنها وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة، والفاحشة التي فعلوها[10] كشف العورة، قاله الأكثرون[11]. [12].

---

(١) في (ك، ف): سوءة.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ك، ف).

(٣) في (ك): معنىٰ.

(٤) في (ك): .. من حيث لا ترونهم.

(٥) قال ابن عطية (٧/ ٤٢): "والشيطان موجود وقد قررته الشريعة وهو جسم، وقبيله يريد نوعه وصنفه وذريته"، وقال مجاهد (١/ ٢٣٤): قبيله: الجن والشياطين.

(٦) في (ك): "خيله"، تحريف. وقد ذكره القرطبي (٧/ ١٨٦) من غير نسبة.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) آخر الآية ليس في (ك، ق).

(٩) في (ق): قولان أحدهما.

(١٠) في (ق): فيها. تحريف.

(١١) في (ك): "أكثر المفسرين".

(١٢) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، والسدي، والزهري، وسعيد بن جبير، والشعبي. انظر: تفسير الطبري =

الثاني أنها في عبدة[(١)] الأوثان، والفاحشة التي فعلوها الشرك بالله تعالىٰ[(٢)]، قاله الحسن[(٣)].

الثالث[(٤)]- أنها اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، قاله الكلبي[(٥)].

قوله ﷻ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الأعراف:٢٩] فيه وجهان[(٦)]:

أحدهما- بالصدق[(٧)].

الثاني- بالعدل[(٨)].

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩] فيه أربعة[(٩)] تأويلات:

أحدها- توجهوا[(١٠)] حيث كنتم في الصلاة إلىٰ الكعبة، قاله مجاهد[(١١)].

الثاني- معناه اجعلوا سجودكم خالصاً[(١٢)] لله تعالىٰ دون ما سواه من الأوثان والأصنام، قاله الربيع بن أنس[(١٣)].

=

(١٢/ ٣٧٧)، وابن عطية (٧/ ٤٢)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٤).

(١) في (ك): عبادة.

(٢) في (ك): الشرك.

(٣) وهو قول عطاء والزجاج. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٥)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٥).

(٤) هذا القول ليس في (ق).

(٥) ورواه أبو صالح عن ابن عباس، انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٥).

(٦) عبارة (ق): "... بالقسط أي بالعدل".

(٧) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٢٨٧) من غير نسبة.

(٨) قاله مجاهد، وعطاء، والسدي، وعن ابن عباس أنه قول لا إله إلا الله بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران:١٨]. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٧٩)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٧)، والفخر الرازي (١٤/ ٥٧).

(٩) في (ق): تأويلان أحدهما.

(١٠) في (ك، ق): معناه توجهوا.

(١١) انظر: تفسيره (١/ ٢٣٤)، وبه قال ابن زيد، والسدي، والمعنىٰ علىٰ هذا القول شرع القبلة والأمر بالتزامها عند كل صلاة. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٠)، وابن عطية (٧/ ٤٣)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٥).

(١٢) في (ق): خالصة.

(١٣) فالمعنىٰ علىٰ هذا القول إحضار النية وإخلاص العبادة لله وحده، وهو اختيار الإمام الطبري، لأن الخطاب في الآية لمشركي العرب. وانظر: المصادر السابقة.

(الثالث- معناه اقصدوا المسجد في وقت[١] كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ندبـًا عنـد الأكثرين، وحتمـًا عند الأقلين[٢].

الرابع- يعني أن أي موضع أدركت فيه وقت الصلاة فصلّ فيه فهو[٣] مسجد ولا تؤخرها إلىٰ حضور مسجد[٤] آخر[٥].)[٦].

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩] يحتمل وجهين:

أحدهما- أقرّوا[٧] له بالوحدانية، وإخلاص الطاعة.

الثاني- ارغبوا[٨] إليه في الدعاء بعد[٩] إخلاصكم له في[١٠] الدين[١١].

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] فيه أربعة[١٢] أقاويل:

أحدها- كما بدأكم شقيـًا وسعيداً، كذلك تبعثون يوم القيامة، (قاله ابن عباس[١٣].

الثاني- كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم، كذلك تبعثون يوم القيامة[١٤].)[١٥].

---

(١) في الأصل: "في كل وقت كل صلاة"، وما أثبته من (ك) وهو أظهر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٥)، وأبو حيان (٤/ ٢٨٧) كلاهما نقلاً عن الماوردي، وقوله: "ندبـًا عند الأكثرين، وحتمـًا عند الأقلين" إشارة إلىٰ الخلاف في حكم صلاة الجماعة.

(٣) في (ك): فإنه.

(٤) في (ك): المسجد.

(٥) قاله ابن عباس، والضحاك، وابن قتيبة. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٥).

(٦) ما بين القوسين ليس في (ق).

(٧) في بقية النسخ: يعني أقروا.

(٨) في (ق): معناه: ارغبوا.

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) سقطت من (ك، ق).

(١١) أي أن الدعاء في الآية علىٰ ظاهره، وقيل بمعنىٰ العبادة. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨١)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٥)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٨).

(١٢) في (ق): ثلاثة.

(١٣) من رواية علي بن أبي طلحة، وبه قال مجاهد، وجابر بن عبدالله، والسدي، وابن جبير، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، والفراء. واستشهد له بقراءة أبيّ: (تعودون فريقين فريقـًا هدىٰ وفريقـًا حق عليهم الضلالة). انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٢)، والفراء (١/ ٣٧٦)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٨).

(١٤) هذا القول ليس في (ق).

(١٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وإثباته من (ك، ف).

روىٰ[1] أبـو سـفيان[2] عـن جـابر أن النبـي ﷺ قـال: (تُبْعَـثُ كُـلُّ نَفْـسٍ عَلَـىٰ مَـا كَانَتْ عَلَيْهِ)[3].

الثالث[4]- كما خلقكم ولـم تكونـوا شيئـًا تعـودون[5] / [١٤٠/ و] يـوم القيامـة[6] أحيـاء، قالـه الحسن، وابن زيد[7].

الرابع[8]- كما بدأكم لا تملكون شيئـًا، كذلك تبعثون يوم القيامة[9].

روىٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُـرَاةً غُـرلاً فَأَوَّلُ مَـنْ يُكَسَىٰ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيل[10] ثـم قـرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤] الآيـة[11].[12] [الأنبياء:١٠٤].

قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] فيه أربعة أقاويل:

---

(١) في (ك): وروىٰ. وفي (ق): وقد روىٰ.

(٢) هو: طلحة بن نافع القرشي المكي الواسطي، أبو سفيان، روىٰ عن أبي أيوب وابن عباس، وجابر وأنس، وراوينه المكثر: الأعمش. قال أحمد والنسائي: ليس به بأس، وقال ابن معين: لا شيء. قال ابن عيينة: حديثه عن جابر إنما هو صحيفة. وقال الذهبي: قد احتج به مسلم. وأخرج له البخاري مقرونـًا بغيره. انظر: المراسيل لابـن أبي حـاتم (ص٨٩)، ميـزان الاعتدال (٢/ ٣٤٢) رقم (٤٠١٢)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٤) بسنده ولفظه. وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٠٩) عـن الطبري ثـم قـال: "وهـذا الحديث رواه مسلم، وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به ولفظه: (يبعـث كـل عبـد علىٰ مـا مـات عليـه)، وعـن ابـن عباس مثله". وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٢١٠).

(٤) في (ق): والثاني.

(٥) في (ق): كذلك تعودون بعد الفناء.

(٦) في (ك): بعد الفناء.

(٧) وروي عن ابن عباس، والزجاج، واختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٥)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٦).

(٨) في (ق): والثالث.

(٩) ذكره ابن الجوزي (٣/ ١٨٦) عن الماوردي.

(١٠) في (ق): إبراهيم، وفي (ك): إبراهيم علسه السلاك.

(١١) في (ق): ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾. [الأنبياء:١٠٤].

(١٢) أخرجه البخاري مطولاً في أكثر من موضع (٨/ ٢٨٦، ٤٣٧) -فتح الباري- ومسلم- مختصراً (١٧/ ١٩٣)، والترمذي -مطولاً- كتاب التفسير (٥/ ٣٢١) رقم (٣١٦٧)، والطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٦).

أحدها- أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف علىٰ ما تقدم ذكره، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، وقتادة، وسعيد بن جبير[١]، وإبراهيم[٢].

الثاني- أنه وارد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج[٣].

الثالث- أنه وارد في التزيّن بأجمل اللباس في الجُمَع[٤] والأعياد.

الرابع—وهو شاذ- أنه أراد به المشط لتسريح اللحية[٥].

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ [الأعراف:٣١] يعني ما أحله[٦] الله تعالىٰ لكم.

(ويحتمل أن يكون هذا أمر بالتوسع في الأعياد)[٧].

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] فيه ثلاثة[٨] تأويلات:

أحدها- لا تسرفوا في التحريم، قاله السدي[٩].

الثاني[١٠]- معناه ولا تأكلوا[١١] حراماً فإنه إسراف، قاله ابن زيد[١٢].

---

(١) في (ك): وابن جبير.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٩).

(٣) هذا القول أعم من الأول لأن الطواف صلاة. والذي في تفسير مجاهد (١/ ٢٣٥) أنه قال: "يعني به قريشاً لتركها الثياب في الطواف". وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٦٦).

(٤) في الأصل: (في الجمع والإجماع والأعياد). وما أثبته من بقية النسخ، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٧)، وأبي حيان (٤/ ٢٨٩) فقد ذكراه عن الماوردي.

(٥) نسبه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٧) لأبي رزين، وقال به عطاء وأبو روق كما في تفسير أبي حيان (٤/ ٢٨٩) وهو شاذ كما قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ لا دليل علىٰ تخصيصه بذلك. والأولىٰ إبقاء اللفظ علىٰ عمومه ليشمل كل ما يدخل تحت الزينة من طهارة عموم أنواع اللباس ونظافتها ونظافة البدن للصلاة والطواف. إذ لا يصار لتخصيص العام إلا بدليل. ولذا قال ابن عطية (٧/ ٤٥): "ويدخل فيها ما كان من الطيب للجمعة والسواك وبدل الثياب وكل ما وجد استحسانه في الشريعة ولم يقصد به مستعمله الخيلاء".

(٦) في (ق): أحل.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) في (ق): فيه تأويلان أحدهما.

(٩) وهي رواية عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٥)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٧)، قال ابن عطية (٧/ ٤٥): "قال أهل التأويل يريد ولا تسرفوا بأن تحرموا علىٰ أنفسكم ما لم يحرم الله ﷻ".

(١٠) في الأصل: "الثالث"، وهو تحريف. وما أثبته من بقية النسخ.

(١١) في (ك، ق): لا تأكلوا.

(١٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٥)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٧).

(الثالث- معناه[١] لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه ضار[٢]، وقد جاء في الحديث: (أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البَرَدَة)[٣]، أي[٤] التخمة.

ويحتمل[٥] رابعـًا- لا تسرفوا في الإنفاق[٦].)[٧].

[٨]﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] ويحتمل وجهين:

أحدهما- لا يحب أفعالهم في السرف.

الثاني- لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف.

قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف:٣٢] يعني بستر[٩] العورة رداً[١٠] على من تركها من العرب في الطواف.

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) في (ك): مضر.

(٣) حديث ضعيف، روي عن الدارقطني -وغيره- أن الأشبه بالصواب أنه من قول الحسن البصري. وقد أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي، والدارقطني في العلل من طريق تمام بن نجيح الأسدي، وهو منكر الحديث. ذكره ابن عباس البستي في كتاب المجروحين (١/ ٢٠٤)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ١٦٩) وذكرا هذا الحديث. والبردة -بفتح الراء- التخمة لأنها تبرد حرارة الشهوة، أو لأنها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب من برد إذا ثبت وسكن. وانظر: كشف الخفاء للعجلوني (١/ ١٣٢)، وأسنى المطالب (ص٤١)، والغمّاز على اللمّاز للسمهودي، تحقيق: محمد السلفي (ص٣٤).

(٤) في (ك، ف): يعني.

(٥) في (ك): ويحتمل تأويلاً رابعـًا.

(٦) لعل هذه الأقوال من التفسير بالمثال فالأولى إبقاء النهي عن الإسراف مطلقـًا، يقول ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٧/ ٤٥): ".. واللفظ يقتضي النهي عن السرف مطلقـًا فمن تلبس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين، وتوجه النهي عليه، ومن تلبس بفعل مباح فإ مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل -أيضـًا- من المسرفين وتوجه النهي عليه. مثل ذلك أن يفرط الإنسان في شراء ثياب ونحوها ويستنفذ في ذلك جل ماله، أو يعطي ماله أجمع ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك ونحوه، فالله ﷻ لا يحب شيئـًا من هذا وقد نهت الشريعة عنه ولذلك وقف النبي -عليه السلام- بالموصى عند الثلث ...".

(٧) ما بين القوسين ليس في (ق).

(٨) في (ك، ق): وقوله.

(٩) في (ك): ستر.

(١٠) في (ك): ورداً -بالواو-.

ويحتمل[١] وجهـاً ثانيـاً- يريد زينة اللباس[٢].

[٣]﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] فيه قولان:

أحدهما- أنهم كانوا يحرمون في الإحرام[٤] أكل السمن والألبان[٥]، قاله عبدالرحمن بن زيد[٦]، والسدي[٧].

الثاني- أنها البحيرة، والسائبة التي حرموها على أنفسهم، قاله الحسن، وقتادة[٨].

وفي طيب[٩] الرزق قولان:

أحدهما- أنه المستلذ[١٠].

الثاني- أنه الحلال[١١].

﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف:٣٢] يعني أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا لهم الطيبات من الرزق يوم القيامة لأنهم في القيامة يختصون[١٢] بها، وفي الدنيا قد يشركهم الكفار فيها.

وفي قوله: ﴿خَالِصَةً﴾ وجهان:

---

(١) هذا القول ليس في (ق). وعبارة (ك): ويحتمل ثانياً.

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٩)، وقد استدل القرطبي في تفسيره (٧/ ١٩٦) بهذه الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الأخوان وأطال في ذلك.

(٣) في (ك، ق): ثم قال.

(٤) في (ك): في الإخراج ، وهو تحريف.

(٥) في (ك): واللبن.

(٦) في (ك، ق): ابن زيد.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٩٦)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٩).

(٨) ورواية عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٩٧)، وابن الجوزي (٣/ ١٨٩).

(٩) في (ك): طيبات.

(١٠) في (ق): "المستلذ منه".

وقد نسب ابن عطية في تفسيره (٧/ ٤٦) هذا القول للشافعي وغيره.

(١١) نسبه ابن عطية للجمهور.

(١٢) في الأصل: "يختصمون" ، وهو تحريف.

أحدهما- خالصة لهم من دون الكفار[١].

الثاني- خالصة من مضرة أو مأثم[٢].

(قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف:٣٣] فيه وجهان:

أحدهما- أن الفواحش: الزنا خاصة، وما ظهر منها: المناكح الفاسدة، وما بطن: السفاح الصريح[٣].

والوجه الثاني- أن الفواحش: جميع المعاصي، وما ظهر منها: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب[٤].

﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:٣٣] فيه وجهان:

أحدهما- أن الإثم: الخيانة في الأموال، والبغي: التعدي على النفوس[٥].

والوجه[٦] الثاني- الإثم: الخمر، والبغي: السكر، وشاهده[٧] قول الشاعر:

شربت الإثْمَ حتى ضَلَّ عقلي ** كذاك الإثم يذهب بالعقول[٨]

---

(١) قال بهذا المعنى ابن عباس، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، وابن جريج، وابن زيد. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٩)، وابن عطية (٧/ ٤٧).

(٢) بمعنى قول سعيد بن جبير حين قال: "ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم إثمها". انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٠١)، وابن عطية (٧/ ٤٧)، وابن الجوزي (٣/ ١٩٠).

(٣) قاله ابن عباس وغيره. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٩٠).

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩١) عن الماوردي. والأولى إبقاء اللفظ على عمومه فيشمل كل ما فحش فعله أو اعتقاده ما بطن منه وما ظهر مما حرمه الشارع، وما ذكر من ذلك على التخصيص يحمل على أن المراد به التمثيل. يقول ابن عطية في تفسيره (٧/ ٤٩): "فقوله هنا الفواحش إنما هي إشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع أخر. فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه. وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام:١٥١] يجمع النوع الأول كله لأنه تقسيم لا يخرج عنه شيء. وهو لفظ عام في جميع الفواحش -ثم قال- وذهب مجاهد إلى تخصيص ذلك بأن قال: ما ظهر: الطواف عريانًا، والبواطن الزنى، وقيل: غير هذا مما يأتي على طريق المثال".

(٥) تفسير البغي هنا في معنى قول الفراء حيث قال في معاني القرآن (١/ ٣٧٨)، والبغي الاستطالة على الناس.

(٦) في (ك): والثاني.

(٧) عبارة (ك): قال الشاعر.

(٨) ذكر هذا البيت ابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٧٨٤)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩١)، والقرطبي (٧/ ٢٠٠)، وأبو =

وسمي الخمر بالإثم، والسكر بالبغي لحدوثهما[1] عنهما.

قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف:٣٤] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- ولكل أمة كتاب فيما قضاه الله تعالىٰ عليهم من سعادة أو شقاوة، ومن[2] عذاب أو رحمة، قاله جويبر.

الثاني- ولكلٍ أمة نبي يدعوهم / [١٤٠/ ظ] إلىٰ طاعة الله، وينهاهم عن معصيته، قاله معاذ ابن جبل.

الثالث- لكل[3] أمة أجل فيما قدّره الله تعالىٰ لهم من حياة، وقضىٰ[4] عليهم من وفاة.

[ويحتمل رابعـًا- ولكل أمة مدة يبقون[5] فيها علىٰ دينهم إلىٰ أن يحدثوا فيه الاختلاف][6].

=

بكر بن الأنباري في الزاهر (٢/ ٢٥) وورد في اللسان (٤/ ٢٧٢)، وتاج العروس (٨/ ١٧٩) -مادة أثم- وذكر صدره ابن عطية في تفسيره (٧/ ٤٩)، وأبو حيان (٤/ ٢٩٢) كلهم ذكروه من غير عزو. كما ذكره الماوردي (٣/ ١٢٠١).
وهذا القول المبني علىٰ هذا البيت مردود من وجوه:

أولاً: أن هذا البيت مجهول القائل بل قيل إنه مصنوع مختلق، وقد أنكر أبو العباس ثعلب أن يكون الإثم من أسماء الخمر في كلام العرب. كما أعقب ابن الجوزي ذكره بقوله: "قال أبو بكر وما هذا البيت معروفـًا أيضـًا في شعر من يحتج بشعره، وما رأيت أحداً من أصحاب الغريب أدخل الإثم في أسماء الخمر ولا سمتها العرب بذلك في جاهلية ولا إسلام".

ثانيـًا: علىٰ التسليم بصحة البيت فهو محمول علىٰ حذف مضاف أي: موجب الإثم، وقول ابن عباس والحسن بأن الإثم الخمر لا يدل علىٰ أنه اسم من أسمائها فذلك محمول علىٰ أنه من إطلاق المسبب علىٰ السبب. وقد قال ابن العربي (٢/ ٧٨٤) في إنكار حجيته: "وهذا لا حجة فيه لأنه لو قال: شربت الذنب، أو شربت الوزر لكان كذلك، ولم يوجب قوله أن يكون الوزر والذنب اسمـًا من أسماء الخمر كذلك هذا، والذي أوجب التكلم بمثل هذا، الجهل باللغة وبطريق الأدلة في المعاني والله الموفق".

ثالثـًا: أن سورة الأعراف مكية وتحريم الخمر إنما كان في المدينة.

(١) في (ك): لحدوثه.

(٢) في (ك): من.

(٣) في (ف): ولكل.

(٤) في (ك): وقضاء.

(٥) في (ك): يتقون ، وهو تصحيف.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ك)، ولم يرد في بقية النسخ.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا [(١)] يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]. فيه قولان:

أحدهما- فإذا[(٢)] جاء أجل موتهم.

الثاني- وإذا[(٣)] جاء أجل عذابهم، قاله جويبر)[(٤)].

[﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] يحتمل وجهين:

أحدهما- لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص.

الثاني- لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر[(٥)].][(٦)].

قوله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف:٣٧] فيه خمسة تأويلات:

أحدها- هو عذاب الله تعالىٰ الذي أعدّه لمن أشرك به[(٧)]، قاله الحسن، والسدي.

الثاني- ما سبق لهم من الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس[(٨)].

الثالث- نصيب من كتابهم[(٩)] الذي كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها [في الدنيا][(١٠)] من خير أو شر، قاله قتادة[(١١)].

---

(١) آخر الآية ليس في (ك).

(٢) عبارة (ك): أجل موتهم.

(٣) في (ف): فإذا. وعبارة (ك): أجل عذابهم.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) متناسب مع قول جويبر.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) وليس في بقية النسخ.

(٧) في الأصل: "له" وهي محتملة في (ف). وقد سقطت من (ك، ق). وفي تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٨): "هو عذاب الله الذي أعده لأهل الكفر به".

(٨) وهو قول ابن جبير ومجاهد، ورجحه ابن عطية في تفسيره (٧/ ٥٤) بقوله: "ويؤيد هذا القول الحديث المشهور الذي يتضمن أن الملك يأتي إذا خلق الجنين في الرحم فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد" غير أن أبا حيان تعقبه في تفسيره (٤/ ٢٩٤) بقوله: "ولا يناسب هذا التفسير الجملة التي بعد هذا". وانظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٧٥)، والطبري (١٢/ ٤٠٩).

(٩) في (ق): الكتاب.

(١٠) زيادة من (ك، ق).

(١١) وهو رواية عن ابن عباس ومجاهد والضحاك. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤١١).

الرابع- نصيبهم مما (وعدوا به [(١)] في الكتاب من ثواب [(٢)] أو عقاب. وهو معنىٰ قول الضحاك[(٣)].

الخامس- نصيبهم مما)[(٤)] كتب لهم من العمر والرزق [والعمل][(٥)]، قاله الربيع بن أنس، وابن زيد [(٦)].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ [(٧)] أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ [(٨)] مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [الأعراف:٣٧].

وفي توفي الرسل لهم هاهنا[(٩)] قولان:

أحدهما- أنها وفاة الموت في الدنيا التي توبخهم عندها الملائكة[(١٠)].

الثاني- أنها موافاة[(١١)] الحشر إلىٰ النار يوم القيامة، قاله الحسن[(١٢)].

(قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ [الأعراف:٣٨] يعني في النار أدرك بعضهم بعضاً حتىٰ استكملوا فيها.

﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف:٣٨] يعني الأتباع (للقادة؛ لأنهم بالاتّباع لهم متأخرون

---

(١) "به" سقطت من (ق).

(٢) عبارة (ق): من خير أو شر قاله الضحاك.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤١٢).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٥) سقطت من الأصل، وزيادتها من بقية النسخ. وتفسير الطبري (١٢/ ٤١٣).

(٦) وهو قول محمد بن كعب، واختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤١٢)، وابن عطية (٧/ ٥٥).

(٧) آخر الآية ليس في (ك).

(٨) في الأصل: تعبدون.

(٩) في (ك): هنا. وعبارة (ق): هاهنا وجهان.

(١٠) قاله الأكثرون كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٩٣).

(١١) في (ك، ق): وفاة.

(١٢) ومعنىٰ يتوفونهم أي يستوفونهم عدداً في السوق إلىٰ جهنم. انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ٥٥)، وابن الجوزي (٣/ ١٩٣)، وأبي حيان (٤/ ٢٩٥).

عنهم، وكذلك في دخول النار تقدم القادة علىٰ الأتباع[١].) [٢].

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٣٨] . يريد[٣] بأحد الضعفين عذابهم علىٰ الكفر، وبالآخر عذابهم علىٰ الإغواء[٤].

ويحتمل هذا القول من الأتباع وجهين[٥]:

أحدهما- تخفيف العذاب عنهم.

الثاني- الانتقام من القادة بمضاعفة العذاب عليهم.

فأجابهم الله فقال[٦]: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف:٣٨] يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب، لأن أحدهما بالكفر، والآخر بالإغواء، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب، (أحدهما بالكفر والآخر بالاتباع [٧]) [٨]. هذا[٩] قول الجمهور، أن[١٠] ضعف الشيء زيادة مثله[١١].

وفيه وجه ثان- قاله مجاهد: أن الضعف (هاهنا مضاعفة التكرار لا مضاعفة الزيادة[١٢].

---

(١) قاله مقاتل، كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٩٥)، وأبي حيان (٤/ ٢٩٦). وقيل في معنىٰ الآية: آخرهم منزلة ورتبة وهم الأتباع لأولهم منزلة ورتبة وهم القادة والسادة، وقيل: آخر أمة لأول أمة، قاله ابن عباس، وقيل: آخر أهل الزمان لأوليهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وزيادته من نسختي (ف، ك).

(٣) عبارة الأصل: "لا يريد أخذ"، وفي (ف): لا يريد، وهو تحريف.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩٥) من غير نسبة.

(٥) في الأصل: "وجهان".

(٦) في (ك): قال.

(٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩٥) ولم ينسبه.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٩) في (ك): وهذا.

(١٠) في (ك): وإن.

(١١) في الأصل، (ف): "زيادة علىٰ مثله"، وما أثبته من (ك). وهو أظهر. وعبارة الطبري في تفسيره (١٢/ ٤١٨): "وضعف الشيء مثله مرة". وهو مذهب أبي عبيدة، وبنحوه قال الشافعي. وعن الأزهري: أن الضعف في كلام العرب المثل إلىٰ ما زاد وليس بمقصور علىٰ المثلين. فيكون أقل الضعف محصور، وهو المثل، وأكثره غير محصور إلىٰ مالا نهاية. انظر: مفردات الراغب الأصفهاني (ص٤٣٩)، وتفسير الفخر الرازي (١٤/ ٧٤)، والألوسي (٨/ ١١٦).

(١٢) انظر: تفسيره (١/ ٢٣٦)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤١٨). وعن ابن مسعود أن الضعف هنا الأفاعي والحيات.

وفيه وجه ثالث- قاله محمد بن عُزَيز [(١)] أن الضعف هاهنا) [(٢)] من أسماء العذاب)[(٣)].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:٤٠] فيه خمسة أقاويل:

أحدها- أي لا تفتّح لأرواحهم لأنها تفتّح لروح[(٤)] الكافر، وتفتح[(٥)] لروح المؤمن، قاله ابن عباس، والسدي[(٦)].

الثاني- لا تفتح لدعائهم، (قاله الحسن.

الثالث- لا تفتح)[(٧)] لأعمالهم[(٨)]، قاله مجاهد، وإبراهيم[(٩)].

الرابع[(١٠)]- لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة؛ لأن الجنة في السماء، قاله[(١١)] بعض المتأخرين[(١٢)].

الخامس[(١٣)]- لا تفتح لهم أبواب السماء لنزول الرحمة عليهم، قاله ابن بحر[(١٤)].

---

(١) هو: محمد بن عزيز الأيلي، مختلف فيه قال عنه الذهبي: صدوق إن شاء الله، وقال النسائي: صويلح، وقال عنه مرة: ليس بثقة ضعيف. مات بأيلة سنة (٢٦٧)، وفي تهذيب التهذيب -كتابة- سنة (١٦٧) فلعله تحريف. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٦٤٧)، الجرح والتعديل (٨/ ٥٢)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٤)، الخلاصة (ص٣٥١).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق). وذلك من قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ [الأعراف:٣٨].

(٤) في الأصل: الروح، وهو تحريف.

(٥) في الأصل: ويفتح.

(٦) هو من رواية الضحاك عن ابن عباس، وزاد ابن الجوزي نسبته لأبي موسىٰ الأشعري ثم رجحه بقوله (٣/ ١٩٦): "والأحاديث تشهد به".

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) في (ق): وأعمالهم.

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٢)، وابن الجوزي (٣/ ١٩٦)، وإبراهيم هو النخعي.

(١٠) في (ق): "والرابع لا تفتح لأرواحهم وأعمالهم. قاله ابن جريج".

(١١) في (ك): "وهذا قول ...". وهذا القول هو الخامس في (ق).

(١٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٠٦) من غير نسبة، وكذا الفخر الرازي (١٤/ ٧٦).

(١٣) سقط هذا القول في (ق).

(١٤) ذكر نحوه أبو حيان (٤/ ٢٩٧)، والفخر الرازي (١٤/ ٧٦) من غير نسبة، وقال ابن عطية (٧/ ٥٩) في معنىٰ الآية وأنها =

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيه قولان:

أحدهما- أن سم الخياط: خرم[1] الإبرة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والسدي[2].

الثاني- أن سم الخياط: هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد الخفية.

وفي (الجَمَل) قراءتان:

إحداهما[3]- وهي[4] قراءة الجمهور، الجَمَل -بفتح الجيم وتخفيف الميم- وهو ذو القوائم الأربع.

والثانية- الجُمَّل -بضم الجيم وتشديد الميم- وهو القِلْس[5] الغليظ- وهذه قراءة سعيد بن جبير، وإحدىٰ قراءتي[6] ابن عباس[7]، [وكان ابن عباس][8] يتأول أنه حبل السفينة.

(ومعنىٰ الكلام: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبداً، وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه / [١٤١/ و] في النفي، والعرب تضرب هذا

=

عامة. "ومعنىٰ الآية لا يرتفع لهم عمل، ولا روح، ولا دعاء، فهي عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله تعالىٰ"، والأولىٰ ما يكون للمؤمنين.

(١) في (ك، ق): ثقب.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣٧)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤٢٨ وما بعدها).

(٣) في (ك، ق): أحدها.

(٤) في (ق): وعليها الجمهور.

(٥) القلس: حبل ضخم من ليف أو خوص، من حبال السفن الغليظة. وهذا الضبط له بالكسر فالسكون من نسخة فاس (ف)، وقد صرح بصحتها الزبيدي في تاج العروس "فلس" (/ ٢٢١) فقال: "ويروىٰ -أيضاً- القلس بالكسر، وهكذا ضبطه ابن القطاع". وهي في تفسير الطبري (١٢/ ٤٣١): القَلْس -بفتح فسكون.

(٦) في (ك): روايتي.

(٧) وقرائته الثانية كالجمهور "الجمل" كما في تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٠). وقراءة "الجمّل" قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في كتابه "مختصر في شواذ القرآن" (ص٤٣) وزاد نسبتها لعلي بن أبي طالب، كما نسب لابن عباس قراءات شاذة أخرىٰ، وهي (الجُمّل) و(الجُمُل). أما نسبتها إلىٰ سعيد بن جبير فهي إحدىٰ قراءتين عنه والثانية قراءة "الجُمَل -بضم الجيم وفتح الميم- كما في تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٢).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وزيادته من بقية النسخ.

الأمثال[١] للمبالغة، كما[٢] قال الشاعر:

إذا شـــاب الغـــراب أتيـــت أهلـــي ** وعـاد[٣] القـار كـاللّبن الحليـب[٤])[٥]

قوله ﷻ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف:٤١] قال الحسن: هي فرش[٦] من نار، والمهاد: الوِطَاء، ومنه أخذ مهد الصبي.

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١] فيها ثلاثة أوجه:

أحدها- أنها اللحف[٧].

والثاني- اللباس.

والثالث- الظل[٨]، قاله الحسن. (والمراد بذلك: أن النار من فوقهم ومن تحتهم، فعبر عما تحتهم بالمهاد، وعما[٩] فوقهم بالغواش)[١٠].

قوله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] (فيه أربعة [١١] أوجه:

أحدها- أنه الأهواء والبدع، قاله سهل بن عبد الله[١٢].

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) في (ف): وصار.

(٣) البيت من غير نسبة في التبيان للطوسي (٤/ ٤٠٠)، ومعجم البيان للطبرسي (٤/ ٤١٩)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٢٠).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) سقطت هذه الجملة من (ف، ك).

(٦) في (ق): فراش.

(٧) قاله ابن عباس، وابن زيد، ومحمد بن كعب القرظبي والضحاك. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٦)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ١٩٨)، والبحر المحيط (٤/ ٢٩٨).

(٨) في (ق): (الظلل). ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزُّمَر:١٦].

(٩) في (ف): وعبّر عما...

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١١) في الأصل: "فيها ثلاثة .."، وما أثبته من (ف، ك)، وهو المثبت تفصيلاً في الأصل.

(١٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٩٨).

والثاني- التحاسد والتباغض[١].

والثالث[٢]- الحقد[٣].

والرابع- نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم)[٤].

وفي نزعه وجهان:

أحدهما- أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه.

الثاني- أن ما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزع الغل من صدورهم[٥].

وفي هذا الغل قولان:

أحدهما- أنه غل الجاهلية، قاله الحسن[٦].

والثاني- أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان.

وقد روي عن علي بن أبي طالب -كرم الله[٧] وجهه- أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم[٨]: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ[٩]﴾ [الأعراف:٤٣]. [١٠].

وقيل[١١]: أنها نزلت في أهل بدر[١٢].

---

(١) روي نحوه عن ابن قتيبة حيث قال: (الغل: الحسد والعداوة). انظر: تفسير غريب القرآن له (ص١٦٨)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٠١).

(٢) هذا هو الرابع في (ف)، والرابع هنا هو الثالث فيها.

(٣) ذكره ابن الجوزي من غير نسبة (٣/ ٢٠١).

(٤) عبارة ما بين القوسين في (ق): "وهو الحقد".

(٥) عبارة الأصل، (ك): "ما هداهم من الإيمان وهو نزعه من صدورهم". وما أثبته من (ف ك، ق).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٩٨).

(٧) في (ف ك، ق): رضي الله عنه.

(٨) سقطت من (ف ك، ق).

(٩) سقطت من (ق).

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٣٨) من رواية قتادة عن علي، وذكره ابن كثير (٢/ ٢١٥)، وذكره ابن الجوزي (٣/ ١٩٩) عن عمرو بن الشريد عن علي، وانظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٢٩٨).

(١١) سقط هذا القول من (ق).

(١٢) روي عن علي ﷺ قال: فينا والله أهل بدر نزلت ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] . كما ذكره ابن كثير =

ويحتمل قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣] وجهين:

أحدهما- هدانا لنزع الغلّ من صدورنا[١].

[الثاني- هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا حتىٰ نزع الغل من صدورنا[٢].] [٣].

وفيه وجه ثالث- قاله جويبر: هدانا[٤] لمجاوزة الصراط ودخول الجنة[٥].

قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف:٤٦][٦].

أما الأعراف فسور بين الجنة والنار، [قاله مجاهد، والسدي][٧]، وهو جمع[٨] واحدة: عُرْف وهو ما ارتفع من[٩] غيره، ومنه عرف الديك، وعرف الفرس، قال الراجز[١٠]:

كُـــلِ[١١] كِنَـــاز لحْمُـــه نِيَـــاف ** كـالعلم المـوفي علـىٰ الأعـراف[١٢]

=

(٢/ ٢١٥)، وابن الجوزي (٣/ ١٩٩)، وأبو حيان (٤/ ٢٩٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥٧) وزاد نسبته لعبدالرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن علي. والذي في تفسير الطبري في هذا الموضع (١٢/ ٤٣٨) أن ما روي عن علي كان سببًا لنزول آية الحجر:٤٧ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحِجر:٤٧] . وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٦) -طبعة الحلبي-، وتفسير ابن عطية (٧/ ٦٢).

(١) في الأصل، (ك): صدورهم. وما أثبته من (ف)، وهو الأنسب للسياق.

(٢) ذكره بنحوه أبو حيان في تفسيره (٤/ ٢٩٩).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، (ك). وزيادته من (ف، ق).

(٤) في الأصل، (ك): هذا المجاورة ، وهو تحريف. والصواب ما أثبته من (ف) وهذا القول ساقط من (ق).

(٥) ذكره الألوسي في تفسيره (٨/ ١٢١) بنحوه من غير نسبة

(٦) في (ف ك، ق): يعرفون كلاً بسيماهم.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من بقية النسخ. وقد سقط من الأصل. وانظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣٧)، والطبري (١٢/ ٤٤٩).

(٨) ورد في (ك) زيادة: "يعني أهل الجنة، وأهل النار" ووردت في (ف) لكنه زاد: "يعرفون كلاً يعني أهل الجنة ...". غير أن هذه العبارة وضعت بين محصورتين مما يشير إلىٰ أنها خطأ ولأن المؤلف سوف يذكرها قريبًا.

(٩) في (ق): عن.

(١٠) في (ق): وقال جرير. [فلعله تحريف].

(١١) في الأصل: كد كنار. وهو تحريف، وفي (ك): كل كنار. تصحيف، وفي (ف): كل كبار.

(١٢) ورد ذكره من غير نسبة في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٥)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٠٥)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٦٦) وفيه (كالجمل) بدل (كالعلم)، وتفسير مجمع البيان للطبرسي (٨/ ٦٤) وفيه: (... لحمها نِيّاف). وذكره

=

[وفي الذين][1] علىٰ الأعراف خمسة[2] أقاويل:

أحـدها- أنهـم فضـلاء المـؤمنين، وعلمـاؤهم، قالـه الحسـن[3]، ومجاهـد، (قـال[4] أميـة ابن أبي الصلت:

وآخـرون علـىٰ الأعـراف قـد طمعـوا ** بجنّـة[5] حفّهـا الرّمـان والخضـر[6]

وهذا وإن كان شعر جاهلي، وحال الأعراف منقول عن خبر يروىٰ[7] فيحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون أمية قد وصل إلىٰ علمه من الصحف الشرعية.

والثاني- أن يكون الله قد أنطق به أميّة إلهامـًا لتصديق ما جاء به القرآن)[8].

والثاني- أنهم ملائكة يُرَون في صور الرجال، قاله أبو مجلز[9].

والثالث- [أنهم قوم أبطأت[10] بهم صغائرهم إلىٰ آخر الناس، قاله حذيفة[11].

=

الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٥٠) من غير نسبة -أيضـًا- وقال محققه الشيخ محمود شاكر في تعليقه: أنه لم يعرف قائله ثم قال: .. الكناز المجتمع اللحم القوية، والنياف: الطويل -يصف جملاً- والعلم: الجبل٩. قلت: أما ما ورد في نسخة (ق) من نسبته لجرير فهو تحريف لكلمة الراجز. فلم أجده في ديوانه في أكثر من طبعة.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. وإثباته من بقية النسخ.

(٢) ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٠٥) تسعة أقوال. وذكر أبو حيان (٤/ ٣٠١) أكثر من ذلك، وهي أقوال تحتاج إلىٰ دليل واضح في التخصيص.

(٣) انظر: تفسير الطبري (ص٤٥٨)، وابن الجوزي (٣/ ٢٠٥)، وأبي حيان (٤/ ٣٠٣). ولم يرد في تفسير مجاهد.

(٤) في (ف): وقال -بالواو-.

(٥) في الأصل، (ك): قد حفها.

(٦) انظر: ديوانه (ص٤٠)، وتفسير أبي حيان (٤/ ٣٠٢).

(٧) في (ف): نبوي.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) ذكره عنه الطبري (١٢/ ٤٥٩)، وابن الجوزي (٣/ ٢٠٦)، وابن عطية (٧/ ٦٦)، وأبو حيان (٤/ ٣٠٢) وغيرهم. واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ [الأنعام:٩]. وهذا القول من أبي مجلز: لاحق بن حميد، ضعيف مخالف لظاهر الآية قال عنه الطبري أنه: قول لا معنىٰ له.

(١٠) في (ق): بطّأت.

(١١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٣) بنحوه، وتفسير أبي حيان (٤/ ٣٠٢) بلفظه. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ٦٧).

والرابع[(١)]- أنهم قوم استوت حسناتهم، وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتىٰ يقضىٰ الله من[(٢)] أمرهم ما يشاء، ويدخلهم[(٣)] الجنة، قاله ابن مسعود[(٤)].

والخامس- أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم، قيل: إنهم غزوا بغير إذنهم.

وقد روىٰ محمد بن[(٥)] عبد الرحمن عن أبيه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: (قَومٌ[(٦)] قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَعْصِيةِ آبَائِهِمْ، فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ عَنِ[(٧)] النَّارِ، ومنعتهم[(٨)] مَعْصِيَةُ آبَائِهِم أَنْ يَدْخُلُواْ الجَنَّةَ) [(٩)].[(١٠)].

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، (ك). وإثباته من (ف، ق).

(٢) صححت في نسخة (ف) إلىٰ: (في).

(٣) في (ف ك، ق): ثم يدخلهم الجنة.

(٤) وهو قول: الشعبي، وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، وابن جبير، والضحاك، وقتادة، وأبي هريرة، وقد رجحه ابن كثير (٢/ ٢١٦). فقال: (واختلفت عبارات السلف في أصحاب الأعراف من هم وكلها قريبة ترجع إلىٰ معنىٰ واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة وابن عباس، وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف". كما يترجح بما أخرجه ابن مردويه، وخيثمة بن سليمان في مسنده في آخر الجزء الخامس عشر -كما جاء في تفسير ابن عطية (٧/ ٦٧) من حديث جابر بن عبدالله المرفوع، وفيه. قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون} وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٠٢)، وابن عطية (٧/ ٦٧)، وابن الجوزي (٣/ ٢٠٥).

(٥) محمد بن عبدالرحمن هذا اختلف في اسمه، وصرح الشيخ محمود شاكر في تعليقه علىٰ تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٨) بأنه لم يجد له ترجمة مفردة. كما اختلف في اسم أبيه فقيل: عبدالرحمن بن أبي عبدالرحمن الهلالي، وقيل: عبدالرحمن المزني. وقد ترجم له ابن حجر في الإصابة في هذين الموضعين (٢/ ٤٠٩، ٤٢٦).

(٦) في (ق): قال هم قتلوا. وفي (ف): "فقال هم قوم ..". وقد ورد في حاشية الأصل تعليقًا بغير اللغة العربية عدا مطلعه الذي يقول: "وعليه ما قاله ابن الكاتب في المحمدية".

(٧) في الأصل: (علىٰ). وما أثبته من بقية النسخ.

(٨) في الأصل (ق،ك): "ومنعهم". وما أثبته من (ف)، وتفسير الطبري (١٢/ ٤٥٨)، وكلاهما صحيح لغة.

(٩) جاءت في (ف) زيادة: "فهم آخر من يدخل الجنة".

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٥٨) وذكره ابن كثير (٢/ ٢١٦) عن سعيد بن منصور، ثم قال: "ورواه ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به ...". وذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ٤٠٩، ٤٢٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٤) وزاد نسبته إلىٰ: عبد بن حميد، وابن منيع، والحارث بن أبي أسامة في مسنديهما، وابن الأنباري في كتاب الأضداد، والخرائطي في مساوئ الأخلاق والطبراني، وأبي الشيخ، والبيهقي في البعث عن عبدالرحمن المزني. والحديث ضعيف لاضطراب سنده، وضعف أبي معشر.

ومعنىٰ قولـه: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف:٤٦] يعني أهـل الجنـة، وأهـل النـار [1] أي[2] بعلامتهم التي يتميزون بها، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم.

قال الحسن البصري[3]: علامة أهل النار سواد الوجوه، وزرقة الأعين[4]، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه، وحسن العيون[5].

(فإن قيل: في أصحاب الأعراف أنهم فضلاء المؤمنين كان ذلك زيادة في ثوابهم ومبالغة في كرامتهم لأنهم يرون منازلهم في الجنة فيستمتعون بها، ويرون عذاب النار فيفرحون[6] بالخلاص منها.

وإن قيل: أنهم المفضولون[7] وأصحاب الصغائر من المؤمنين كان ذلك لنقص ثوابهم عن استحقاق الدخول للجنة.

وإن قيل: أنهم الملائكة، احتمل أمرهم ثلاثة أوجه:

أحدها- أن يؤمروا بذلك حمداً لأهل الجنة، وذماً لأهل النار / [١٤١/ ظ] وزيادة في الثواب والعقاب.

والثاني- أن يكونوا[8] حفظة الأعمال في الدنيا، الشاهدين[9] بها عند الله في الآخرة، أمروا بذكر ما أدّوه[10] من الشهادة تبشيراً لأهل الجنة، وتوبيخاً لأهل النار.

والثالث- أن يكونوا خزنه الجنة والنار، فإن من الملائكة من أفرد لخزنة الجنة، ومنهم من أفرد

---

(١) في (ك): يعني أهل النار وأهل الجنة. وقد سقطت هذه العبارة من (ق).

(٢) في (ف): أي يعرفونهم.

(٣) في (ف ك، ق): قال الحسن.

(٤) في (ف ك، ق): العيون.

(٥) ذكره الطبري (١٢/ ٢٦٤) مختصراً، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

(٦) في (ف): فيسرون.

(٧) في الأصل، (ك): المفضلون.

(٨) في (ك): أن يكون، وفي (ف): أن يكونوا الحفظة للأعمال.

(٩) في (ف): الشاهدين بما عند الله.

(١٠) في الأصل: (بذلك ما أوده) ، وهو تحريف، وفي (ك): بذلك ما أدوه.

لخزنة النار[١]، ويكون هؤلاء قد جمع لهم بين الأمرين، والله أعلم بغيب ذلك[٢].

وحكىٰ ابن الأنباري أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف:٤٦] معناه علىٰ[٣] معرفة أهل الجنة والنار رجال، وأن قوله: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف:٤٩] الآية[٤]، من[٥] قول أصحاب الأعراف[٦]، وهو مخالف لقول جميع المفسرين)[٧].

وفي قوله: ﴿وَنَادَىٰ﴾ [الأعراف:٤٤] وجهان:

أحدهما- أنه[٨] بمعنىٰ ينادي، لأنه في المستقبل.

الثاني- أنه علىٰ الحذفِ وتقديره: إذا كان يوم القيامة نادىٰ أصحاب الأعراف.

(قوله ﷻ: [٩]﴿مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠] فيه وجهان:

أحدهما- من ماء الرحمة ومما رزقكم الله من القربة[١٠].

والثاني- من ماء الحياة ومما رزقكم الله من النعم.

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ [الأعراف:٥٢] يعني القرآن[١١].

---

(١) جاء في (ف) قوله: "الثالث أن يكونوا خزنة النار" وهو وهم من الكاتب.

(٢) أحسن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه التوجيهات لهذه الأقوال المختلفة كما أحسن بهذا الختام لمثل هذه المباحث، فهي تأويلات لا تقوم علىٰ أدلة قطعية.

(٣) في (ف): وعلي.

(٤) في (ف): ولا أنتم تحزنون.

(٥) في (ف): هو قول.

(٦) وهو قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨)، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٠٦).

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) سقطت من (ق).

(٩) في (ف): "ونادىٰ أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا..".

(١٠) تأويل بعيد لا دليل عليه. والأولىٰ ما يدل عليه ظاهر الآية من طلبهم للماء ولأنواع الطعام. يقول الزجاج (٢/ ٣٨٠): "أعلم الله ﷻ أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان معذبـًا".

(١١) قاله يحيىٰ بن سلام كما في تفسير ابن عطية (٧/ ٧٢) وأبي حيان (٤/ ٣٠٦) باعتبار أن الكلام السابق تم بقوله (يجحدون) ثم ابتدأ كلامـًا جديداً فالضمير بـ (جئناهم) عائد إلىٰ مكذبي الرسول ﷺ. ومن أعاده إلىٰ عموم الكفار جعل الكتاب اسم جنس.

﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف:٥٢] فيه وجهان:

أحدهما- بيَّنَّا ما فيه من الحلال والحرام علىٰ علم بالمصلحة.

والثاني- ميّزنا به الهدىٰ من الضلالة علىٰ علم بالثواب والعقاب.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف:٥٢] يحتمل وجهين:

أحدهما- أن(١) الهدىٰ: البرهان. [والرحمة: البيان](٢).

والثاني- أن الهدىٰ: الإرشاد، والرحمة: اللطف)(٣).

قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [الأعراف:٥٣](٤) هل ينتظرون، فعبر عن الانتظار بالنظر.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] أي تأويل القرآن، وفيه وجهان(٥):

أحدهما- عاقبته من الجزاء، قاله الحسن(٦).

والثاني- ما فيه من البعث والنشور والحساب(٧).

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] فيه وجهان:

أحدهما- القضاء به، قاله الحسن.

والثاني- عاقبة ما وعدهم الله به في الدنيا والآخرة، قاله الكلبي)(٨).

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:٥٣] فيه وجهان(٩):

أحدهما- معنىٰ نسوه أعرضوا(١٠) عنه فصار كالمنسي، قاله أبو مجلز(١١).

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ك، وإثباته من (ف).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ف): .. إلا تأويله.

(٥) عبارة (ق): قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] . فيه وجهان:.

(٦) وهو قول قتادة ومجاهد وغيرهما. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٧٨)، وتفسير مجاهد (١/ ٢٣٨)، وابن عطية (٧/ ٧٣).

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ٢١٧) من غير نسبة تم قال بعد أن ساق الأقوال: والمعنىٰ متقارب.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) في (ق، ك): قولان.

(١٠) في (ق): أي أعرضوا عنه.

(١١) وهو قول مجاهد كما في تفسيره (١/ ٢٣٨)، والطبري (١٢/ ٤٨٠).

والثاني- تركوا العمل به، قاله الزجاج[١].

(﴿جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأعراف:٤٣] يحتمل وجهين:

أحدهما- أنبياء الله في الدنيا بكتبه [المنزلة][٢] المنذرة.

والثاني- الملائكة عند المعاينة بما يبشرونهم[٣] به من الثواب العقاب)[٤].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤] وفي ترك تعجيل خلقهما[٥] في أقل الزمان مع قدرته علىٰ ذلك أربعة[٦] أوجه:

أحدها- أن إنشاءها شيئًا[٧] بعد شيء، وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل علىٰ صحة التدبير ليتوالىٰ[٨] مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات، تكرار المعلوم[٩] بأنه عالم قادر يصرف الأمور علىٰ اختياره، ويجريها علىٰ مشيئته.

الثاني- أن ذلك لاعتبار الملائكة خلق[١٠] شيئًا بعد شيء[١١].

الثالث- أن ذلك ترتب علىٰ الأيام: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة. وهي[١٢] ستة أيام فأخرج[١٣] الخلق فيها[١٤]، قاله مجاهد[١٥].

---

(١) لم يذكره الزجاج في كتابه: معاني القرآن وإعرابه في هذا الموضع (٢/ ٣٨٠)، ويقول ابن عطية في تفسيره (٧/ ٧٤): "يحسن أن يكون النسيان من أول الآية بمعنىٰ الترك ..".

(٢) زيادة من (ف).

(٣) في الأصل: بشروهم. وما أثبته من (ف).

(٤) ما بين القوسين ليس في (ق، ك).

(٥) في (ق): خلقها.

(٦) في (ق): ثلاثة أوجه.

(٧) في الأصل: أنشأهاشيء...

(٨) في الأصل، (ك): لتتوالىٰ.

(٩) في (ف): المعلومات.

(١٠) في بقية النسخ: خلق شيء ... وما أثبته من (ف) وهو أظهر.

(١١) يلزم من هذا أن يكون خلق الملائكة قبل خلق السموات والأرض.

(١٢) في الأصل: "وفي" وما أثبته من (ف، ك)، وعبارة "وهي ستة أيام" سقطت من (ق).

(١٣) في (ق): وأخرج.

(١٤) في الأصل: فيهما. وفي (ق): فيه. وما أثبته من (ف).

(١٥) ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٨٢) مطولاً، ولم يرد له ذكر في تفسير مجاهد في هذا الموضع (١/ ٢٣٨).

الرابع- ليعلمنا[١] بذلك، الحساب لأن أخذ[٢] الحساب كله من ستة، ومنه يتفرع سائر العدد، قاله ابن[٣] بحر[٤].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فيه قولان:

أحدهما- استوىٰ أمره علىٰ العرش[٥]، قاله الحسن.

والثاني- استولىٰ علىٰ العرش، كما قال[٦] الشاعر:

[٧] قـد اسْـتَوَىٰ بِشْـرٌ علـىٰ العِـرَاقِ ** مِـن غَيْـرِ سَـيْفٍ ودم مهْـرَاقٍ[٨]

(وفي العرش ثلاثة أقاويل:

(١) في الأصل: كيعملنا ، وهو تحريف.

(٢) في (ف): أصل.

(٣) هذا القول ليس في نسخة (ق).

(٤) لا شك من وجود حكم عظيمة في ذلك غير أن تعيينها يتوقف علىٰ ثبوت الدليل الصحيح ولم يثبت وجائز أن يكون ما ذكر بعضها، وقد أحسن بعض المفسرين في عدم الخوض في هذا، فإن لكل شيء عند الله أجلاً. يقول ابن عطية في تفسيره (٧/ ٧٤): "وقوله في ستة أيام حكىٰ الطبري عن مجاهد أن اليوم كألف سنة، وهذا كله والساعة اليسيرة سواء في قدرة الله تعالىٰ، وأما وجه الحكمة في ذلك فمما انفرد الله ﷻ بعلمه كسائر أحوال الشرائع وما ذهب إليه من أراد أن يوجه هذا كالمهدوي وغيره تخرص". وقال أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٠٧): "ولا فرق بين خلقه تعالىٰ ذلك في لحظة واحدة أو في مدد متوالية بالنسبة إلىٰ قدرته تعالىٰ وإبداء معان كما زعمه بعض المفسرين قول بلا برهان فلا نسود كتابنا بذكره وهو تعالىٰ المنفرد بعلم ذلك".

(٥) تأويل للآية عن صريح ظاهرها بلا دليل.

(٦) في (ف): قال .. وهذه العبارة ساقطة من (ق).

(٧) في الأصل (ك): فقد. وفي (ق): ثم.

(٨) ذكره من غير نسبة ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢١٣)، والقرطبي (٧/ ٢٢٠)، والألوسي في روح المعاني (٨/ ١٣٥)، والفخر الرازي (٢٢/ ٧). وهذا المعنىٰ منكر عند اللغويين يقول ابن الأعرابي: (العرب لا تعرف استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ ومن قال ذلك فقد أعظم، قالوا: وإنما يقال استولىٰ فلان علىٰ كذا إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه ثم تمكن منه، والله ﷻ لم يزل مستوليًا علىٰ الأشياء). وإن تعجب فعجب أن تهدر الأدلة من الكتاب والسنة وصحيح اللغة ويتمسك بهذا البيت مجهول القائل. والله سبحانه وتعالىٰ قد تمدح في كتابه باستوائه علىٰ عرشه في سبع آيات. فالاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة كما روي بعبارات متقاربة عن الإمام مالك وشيخه ربيعة بن أبي عبدالرحمن، وأم سلمة. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢١٣)، وتفسير الشنقيطي (٢/ ٣٠٤-٣٢١).

أحدها- أنه الملك كني عنه[1] بالعرش والسرير لعادة ملوك الأرض في الجلوس علىٰ الأسرة، حكاه ابن بحر[2].

والثاني- أنه السموات كلها لأنها سقف، وكل سقف عند العرب هو[3] عرش، قال الله تعالىٰ: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] [4] أي علىٰ سقوفها.

والثالث- أنه موضع في السماء هو أعلاها [١٤٢/ و] وأشرفها، محجوب عن ملائكة السماء.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف:٥٤] أي يغشي ظلمة الليل ضوء النهار[5].

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤] لأن سرعة تعاقب الليل والنهار يجعل[6] كل واحد منهما كالطالب لصاحبه.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٥٤] يحتمل وجهين:

أحدهما- مذللات بقدرته.

والثاني- جاريات بحكمته[7].

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤] يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه مالك الخلق وتدبيرهم.

والثاني- إليه إعادتهم[8]، وعليه مجازاتهم)[9]. [10].

---

(١) في (ف): يكنىٰ بالعرش ..

(٢) وبه قال القفال كما في تفسير الفخر الرازي (١٤/ ١١٥).

(٣) "هو": ليست في (ف).

(٤) ومثلها في الكهف:٤٢، والحج: ٤٥.

(٥) قال بعض العلماء: لم يقل يغشىٰ النهار الليل أنه معلوم من فحوىٰ الكلام كقوله: سرابيل تقيكم الحر. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢١٤).

(٦) في الأصل (ك): فيجعل. وما أثبته من (ف).

(٧) في الأصل (ك): بحكمه. وما أثبته من (ف).

(٨) في الأصل: أعادهم. وما أثبته من (ف، ك).

(٩) استدل بعض العلماء بهذه الآية علىٰ فساد من قال بخلق القرآن حتىٰ قال ابن عيينة: (فرق بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. فالخلق المخلوق، والأمر كلامه الذي هو غير مخلوق وهو قوله (كن)...). انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٢٢١).

(١٠) ما بين القوسين، من قوله: وفي العرش ثلاثة أقاويل ساقط من (ق).

قوله ﷻ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥] فيه وجهان:

أحدهما- في الرغبة والرهبة، قاله ابن عباس[(١)].

والثاني- التضرع[(٢)]: التذلل[(٣)] والخضوع، والخفية: إخلاص القلب.

ويحتمل [وجهاً ثالثاً][(٤)] أن التضرع: [استكانة][(٥)] البدن، والخفية: إخلاص القلب[(٦)].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] يعني في الدعاء[(٧)]. وفي الاعتداء ثلاثة[(٨)] أقاويل:

أحدها- أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز[(٩)].

والثاني- أنه يدعو باللعنه والهلاك علىٰ من لا يستحق، قاله مقاتل[(١٠)].

والثالث- أن يرفع صوته بالدعاء.

روىٰ أبو عثمان النّهدي[(١١)] عن أبي موسىٰ الأشعري قال: كان النبي ﷺ في غزاة فأشرفوا واد، فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم، فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنفُسكُم إِنَّكُم لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبـاً[(١٢)] إِنَّكُم تَدْعُونَ سَمِيعـاً قَرِيبـاً إنه مَعَكُمْ)[(١٣)].

---

(١) وعنه أنه السر. كما في تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٦)، والدر المنثور (٣/ ٤٧٥).

(٢) في (ف): أن التضرع.

(٣) في الأصل: والتذلل -بالواو-.

(٤) زيادة من (ف).

(٥) سقطت من الأصل (ك). وزيادتها من (ف) وبها تستقيم العبارة.

(٦) عبارة (ق): (ادعو ربكم تضرعـاً وخفية: يريد بالتضرع التذلل والخضوع وبالخفية الإسرار).

(٧) الأولىٰ القول بالتعميم أي لا يحب المعتدين في الدعاء ولا في غيره. وبه قال ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٧).

(٨) في (ق): وفي اعتدائه فيه ثلاثة أقاويل.

(٩) واسمه: لاحق بن حميد. وقد أخرج ذلك عنه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٨٦) وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٧٥) إلىٰ ابن أبي حاتم.

(١٠) وبه قال سعيد بن جبير، وانظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٧٥).

(١١) في (ق): الهندي ، وهو تحريف.

واسمه: عبدالرحمن بن ملّ -بتشديد اللام- والميم مثلثة- أبو عثمان النهدي، ثقة، ثبت، عابد، من كبار الثانية -مات سنة ٩٥هـ. تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوّامة (ص٣٥١).

(١٢) في (ق): وغائبـاً.

(١٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبه (٧/ ١٦٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر =

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦] فيه أربعة أقاويل:

أحدها- لا تفسدوها[(١)] بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان.

والثاني- لا تفسدوها[(٢)] بالظلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثالث- لا تفسدوها[(٣)] بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة، قاله الكلبي.

والرابع- لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي.

والخامس- لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه، قاله الحسن[(٤)].

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦] (يحتمل وجهين:

أحدهما- خوفًا من عقابه وطمعًا)[(٥)] في ثوابه.

والثاني- خوفًا من الرّد، وطمعًا في الإجابة[(٦)].

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] فإن قيل: فلم تسقط الهاء من قريب[(٧)]. والرحمة مؤنثة؟ فعن[(٨)] ذلك جوابان.

=

والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالدعاء، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٨٦) واللفظ له، وقوله: اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم.

(١) في الأصل (ك): ولا تفسدوا. وما أثبته من (ف ك، ق).

(٢) في الأصل (ك): ولا تفسدوا. وما أثبته من (ف ك، ق).

(٣) في الأصل: لا تفسدوا.

(٤) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢١٥) من غير نسبة، وزاد عليها سادسًا، وذكرها وغيرها أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣١١)، وعد بعضهم تجارة الحكام من الفساد في الأرض. والأولى إبقاء الآية على عمومها في النهي عن كل فساد في الأرض، وحمل ما ذكر من تحديد على أنه من باب التمثيل. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ٧٩).

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ك)، وإثباته من (ف ك، ق).

(٦) ذكر ابن الجوزي هذين القولين في تفسيره (٣/ ٢١٦) نصًا من غير عزو. وتعقب أبو حيان ثانيهما بقوله (٤/ ٣١٢): (وأبعد من ذهب إلى أن المعنى خوفًا من الرد وطمعًا في الإجابة). والخوف والرجاء يحملان المرء على الاستقامة في حياته على طريق الحق وبعض العلماء يغلب الخوف على الرجاء في الحياة احتياطًا، والرجاء على الخوف عند الممات حسن ظن بالله تعالى.

(٧) في (ف): قريبة.

(٨) في (ف): ففي.

أحدهما- أن الرحمة من الله إنعام[1] منه فذكر على المعنى، وهو [إنعام[2] الله قريب من المحسنين، قاله الأخفش[3].

الثاني- أن المراد به مكان][4] الرحمة، قاله الفراء[5]، كما قال عروة بن حزام[6]:

عَشِـــيَّة لاَ عَفْـــرَاءَ مِنــــكَ[7] قَرِيبَــــةٌ ❊❊ فَتَـــدْنُو ولا عَفْـــرَاءُ مِنْـــكَ بَعِيـــدُ[8]

فأراد بالبعد مكانها، فأسقط الهاء، وأرادها هي بالقريب فأثبت الهاء[9].

قوله ﷻ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف:٥٨] فيه [10] وجهان:

أحدهما- وهو قول بعض أصحاب الخواطر أن المراد بالبلد [11] الطيب هنا القلب النقي لأن القلب محل المعتقدات ومصدر الأفعال.

وقوله [12]: ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف:٥٨] أي بما أمر الله به [13] من الإيمان وأفعال الطاعات. ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ [الأعراف:٥٨] يعني من القلوب ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨]

---

(١) في الأصل (ك): أنعاماً. وما أثبته من (ف، ق).

(٢) في (ق): وهو أن إنعام الله.

(٣) انظر كتابه: معاني القرآن (٢/ ٣٠٠) وليس الكلام صريحاً فيه وقد يفهم من جملة كلامه. والمشهور عنه أن المراد بالرحمة هنا المطر. وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦١٧).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، (ك)، وإثباته من (ف ك، ق).

(٥) انظر كتابه: معاني القرآن (١/ ٣٨٢).

(٦) هو عروة بن حزام بن مهاجر العذري، توفي والده وهو صغير فكفله عمه، يعد من عشاق العرب حيث هوى ابنة عمه عفراء، ثم زوجت غيره، له ديوان شعر صغير، توفي نحو سنة (٣٠هـ). انظر: الشعر والشعراء (٣٩٤-٣٩٩)، والأعلام (١٧/٥).

(٧) في الأصل: مثل ، وهو تحريف. وما أثبته من بقية النسخ.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٤/ ٣١٣)، والدر المصون (٥/ ٣٤٦).

(٩) انظر المزيد من التوجيهات والمناقشات لها في البحر المحيط (٤/ ٣١٣)، وروح المعاني للألوسي (٨/ ١٤١)، فقد أطال في ذلك، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٤٤).

(١٠) في (ف): فيه قولان.

(١١) في (ف): بالطيب.

(١٢) ليست في (ف).

(١٣) "به" سقطت من (ف).

يعني بالكفر وأفعال المعاصي[١].

والقول[٢] الثاني- وعليه جمهور المفسرين – أنه محمول علىٰ ظاهره من بلاد الأرض فعلىٰ هذا في الطيب أربعة أوجه:

أحدها- يعني أنه طِيبُ تربته.

والثاني- يعني أنه رخص أسعاره.

والثالث- كثرة علمائه.

والرابع- عدل سلطانه.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف:٥٨] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه حسن زروعه، وجودة ثماره إذا قيل إن المراد به طيب التربة، ويكون قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي بلا[٣] كدّ ولا تعب.

والثاني- أنه[٤] صلاح أهله. إذا قيل أن المراد بالطيب كثرة علمائه.

ويكون قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي بتدبير[٥] ربه.

والثالث: كثرة أمواله، وحسن أحواله[٦]. إذا قيل أن المراد بالطيب عدل سلطانه[٧]. ويكون قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي بأمر ربه.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ [الأعراف:٥٨] يعني من البلاد [وفيه أربعة أوجه تضاد ما تقدمها:

أحدها- خبث تربته.

---

(١) تأويلات وخواطر لا تعتمد علىٰ دليل، ولا تستند إلىٰ حجة، الصحيح خلافها كما أشار المؤلف. وكان الأولىٰ أغفالها.

(٢) في (ف): الثاني.

(٣) كلمة "بلا" سقطت من الأصل، وعبارة (ف): بلا نكد ولا نصب.

(٤) في (ف): استصلاح.

(٥) في (ف): بدين ربه.

(٦) سقطت من (ك).

(٧) في (ف): السلطان.

الثاني- غلاء أسعاره.

الثالث- قلة علمائه.

الرابع- جور سلطانه] [(١)].

﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨] فيه ثلاثة [(٢)] أوجه:

أحدها [(٣)]- [١٤٢/ ظ] أن النكد الكدّ والتعب. قاله ابن عباس.

والثاني- أن النكد القليل الذي لا ينتفع به. قاله السدي [(٤)].

الثالث- العَسِر بشدته [(٥)] المانع من خيره، ومنه قول الشاعر [(٦)]:

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّبًا ** لاَ خَيْرَ فِي الْمَنْكُودِ وَالنَّاكِدِ [(٧)]

(﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- تتابع الحجج والدلائل [(٨)].

والثاني- نتصرف في ضرب الأمثال.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤] يحتمل وجهين:

أحدهما- يهتدون.

والثاني- يقبلون.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، (ك). وإثباته من (ف). وعبارة (ق): من قوله: (والبلدة الطيب: (.. يعني طيب تربته. يخرج نباته يعني يخرج نباته حسنًا جيداً).

(٢) في (ق): فيه قولان.

(٣) هذا القول ليس في (ق).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٩٧).

(٥) في (ف): لنشره، وفي الأصل، ك: بشره. وما أثبته من (ق) لأنها أظهر.

(٦) سقطت هذه الجملة من (ق).

(٧) ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٩٥)، وصرح الشيخ محمود شاكر بأنه لم يعرف قائله وذكره من غير نسبة الزمخشري في أساس البلاغة "نكد" (ص٩٩٠)، والزبيدي في تاج العروس "نكد" (٢/ ٥١٨)، وابن عطية في تفسيره (٧/ ٨٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٣٥٢) كلهم من غير نسبة لقائل.

(٨) في (ف): والأدلة.

ومنزلة الشكر بعد منزلة القبول)[١].

وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمؤمن والكافر، [فجعل المؤمن كالأرض الطيبة وجعل الكافر][٢] كالأرض الخبيثة السّبخة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي[٣].

قوله ﷻ: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ[٤] بَصْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩] فيها قولان:

أحدهما- القوة، قاله ابن زيد.

والثاني- بسط البدن، وطول الجسد، قيل: إنه كان[٥] أقصرهم طوله[٦] اثنا عشر ذراعاً[٧].

ويحتمل قولاً ثالثاً- أنه انبساط الأمل[٨].

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٦٩] فيه وجهان:

أحدهما- نعم الله.

والثاني- عهود الله.

قال الشاعر:

أَبْيَضُ لاَ يَرْهَبُ الهُزَالَ[٩] ** وَلاَ يَقْطَعُ رَحِمًا وَلاَ يَخُونُ إِلا[١٠]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، (ك). وإثباته من (ف، ق) ولم ترد في (ق) كلمة (جعل).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٣٩)، والطبري (١٢/ ٤٩٦)، والدر المنثور (٣/ ٤٧٨).

(٤) أول الآية زيادة من (ف ك، ق).

(٥) في الأصل: (قيل كان قال)، وهو تحريف.

(٦) في (ق): طولاً.

(٧) قاله مقاتل كما في تفسير البحر المحيط (٤/ ٣٢٥)، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٨٥) فيما أخرجه عبد بن حميد عن قتادة أنه قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثنىٰ عشر ذراعاً طولاً. وعن ابن عباس أن أقصرهم ستون ذراعاً وأطولهم مائة ذراع. وقيل غير ذلك، وهي أقوال متباينة، وتحديدات متعددة لا دليل عليها، ولا سند لها، والآية أفادت تميزهم في خلقهم علىٰ غيرهم، وهذا يحتمل القوة، أو ضخامة الخلقة، أو جمال الخلق أو كل ذلك وغيره.

(٨) قول للمؤلف، وكلمة (الخلق) في الآية تدفعه.

(٩) في (ك): الغزال.

(١٠) قائله الأعشىٰ. انظر: ديوانه (ص٢٣٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٨)، والدر المصون (٥/ ٣٦٠).

قوله ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ[١] رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١] في الرجس ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه العذاب، قاله زيد بن أسلم[٢].

والثاني- أنه السخط، قاله ابن عباس[٣].

والثالث- الرجس والرجز بمعنىٰ واحد، إلا أن الزاي قلبت سينًا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر[٤]:

أَلاَ لَحَا اللهُ بَنِي السَّعْلاَت ** عَمْرِو بنِ يَرْبُوعَ لِئَامَ النَّاتِ

لَيْسَوا بِأَعْفَافٍ[٥] وَلاَ أَكْيَاتِ[٦]

يريد الناس، وأكياس[٧].

(قوله ﷻ: ﴿فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٧١] يعني الأصنام، وفي مراده بتسميتهم لها وجهان:

أحدهما[٨]- في تسميتها آلهة يعبدونها.

والثاني- أنه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر، والآخر أنه يأتيهم بالرزق، والآخر أنه يشفي

(١) أول الآية من (ف ك، ق).

(٢) انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٢٥)، واعترض عليه بأنه لم يقع عليهم العذاب بعدُ، وأجيب بأن التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٢٢).

(٤) هو: علباء بن أرقم بن عوف اليشكري، شاعر جاهلي معاصر للنعمان بن المنذر. انظر: معجم الشعراء للمرزباني (ص٣٠٤)، الأمالي (١/ ٨١)، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين (ص٢١٤).

(٥) في الأصل: (أعفاص)، وفي (ف): أجواد، وما أثبته من (ك، ق).

(٦) وردت منسوبة لعلباء بن أرقم في كتاب النوادر لأبي زيد (ص٣٤٤)، وفيه: يا قبح الله بدل: ألا لحىٰ الله. وشرار بدل: لئام. وغير أعنّاء بدل: ليسوا بأعفاف. وورد من غير نسبة في الطبري (١٢/ ٥٢٢) بهذه الرواية. وورد منسوبًا في اللسان، وتاج العروس مادة "نوت". والسعلات، يقولون: الغول أو ساحرات الجن تفتن المسافرين زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج إحداهن فأولدها أولاداً.

(٧) قاله أبو عمرو بن العلاء. كما في تفسير الطبري (١٢/ ٥٢١)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٩٦).

(٨) سقطت من الأصل.

المرض، والآخر أنه يصحبهم في السفر[١].

وقيل: إنه ما أمرهم هود إلا بتوحيد الله، والكف عن ظلم الناس، فأبوا وقالوا: من أشد منا قوة، فأهلكوا)[٢].

قوله ﷻ: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً﴾ [الأعراف:٧٣] في الآية هنا وجهان:

أحدهما- أن الآية الفرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ﴾ [النور:١] أي فروضًا، ويكون معنىٰ الكلام: هذه ناقة الله عليكم فيها فرض أن تذروها ﴿تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الأعراف:٧٣] أي لا تعقروها.

والثاني- أنها العلامة الدالة علىٰ قدرته)[٣].

والآية فيها آيتان:

إحداهما: أنها خرجت من صخرة[٤] ملساء تمخضت بها كما تمخض[٥] المرأة ثم انفلقت عنها علىٰ الصفة التي طلبوها[٦].

والثانية[٧]: أنه كان لها شرب يوم، ولهم شرب يوم[٨] يخصهم لا تقرب فيه ماءهم، حكي ذلك عن أبي[٩] الطفيل والسدي وابن إسحاق[١٠].

---

(١) انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٢٦).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في الأصل (ك): شجرة، وما أثبته من (ف ك، ق).

(٥) في (ف ك): تتمخض.

(٦) نقل هذا القول ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٣/ ٢٢٤) من غير نسبة.

(٧) في (ق): الثاني أنها كان لها.

(٨) كررت لفظة "يوم" في الأصل (ك)، والعبارة غير ظاهرة في (ف): وعبارة (ق). (والثانية أنه كان لها شرب يوم تشرب ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم...).

(٩) في (ق): عن الطفيل. وهو: أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله الليثي، صحابي صغير، رأىٰ النبي ﷺ وروىٰ عنه، له صحبة روىٰ عن أبي بكر وعمر وعلي وغيرهم، وعنه: الزهري وعكرمة وعبدالعزيز بن رفيع وآخرون. مات نحو سنة (١٠٠) بمكة وهو آخر من مات من الصحابة. انظر: الإصابة (٤/ ١١٣)، وكتاب الأسامي والكنىٰ للإمام أحمد بن حنبل (ص٣٠).

(١٠) انظر الروايات عنهم بطولها في تفسير الطبري (١٢/ ٥٢٥) وما بعدها، والدر المنثور (٣/ ٤٩١). وقد أجاد الزجاج =

قوله ﷻ: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٧٤] فيه وجهان:

أحدهما- يعني أنزلكم في الأرض[١]، وهي أرض الحجر بين[٢] الشام والمدينة.

والثاني[٣]- أي أمكنكم فيها من منازل تأوون إليها، ومنه قولهم: بوّأته منزلاً، إذا أمكنته منه ليأوي إليه، قال الشاعر[٤]:

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا ** فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبوؤُهَا[٥]

أي مكنت من الكرم[٦] في صميم النسب.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف:٧٤] والقصور ما شيّد[٧] وعلا من المنازل اتخذوها في سهول الأرض ليصيّفوا[٨] فيها.

(﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء:١٤٩] لتكون مساكنهم في الشتاء لأنها أحصن وأبقىٰ

=

وأفاد حين قال في كتابه معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٦) – بعد أن ذكر أقوال المفسرين وأن منهم من قال بخروجها من الصخرة، ومنهم من قال بأنها ناقة من سائر النوق، وأن الآية في شربها وحلبها. "فجائز أن يكون أمر خروجها من الصخرة صحيحًا، وجائز أن يكون أمر حلبها صحيحًا، وكل منهما آية (معجزة) تدل علىٰ النبوة. وجائز أن تكون الروايتان صحيحتين فيجمع أنها خرجت من صخرة وأن حلبها علىٰ ما ذكرنا، ولم يكن ليقول: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٧٣] فتكون آية فيها لبس".

(١) في (ف): قال ابن عباس.

(٢) في الأصل (ك): (من)، وما أثبته من (ف).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) سقطت هذه الجملة من (ق). والقائل هو إبراهيم بن هرمة، تقدم التعريف به.

(٥) انظر: شعر إبراهيم بن هرمة القرشي بتحقيق: محمد نفّاع وحسين عطوان (ص٥٧) والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٨٧)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٢٤). والبيت من قصيدته التي قالها مهموزة حين قيل له: أن قريشًا لا تهمز. فقال: لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش ومطلعها:

إن سليمىٰ – والله يكلؤها ** ضنت بشيء ما كان يرزؤها

(٦) في الأصل: (الكرب)، وهو تحريف. وما أثبته من (ف).

(٧) في الأصل (ك): تشيد. وما أثبته من (ف).

(٨) في الأصل: (ليضيقوا) وفي (ك): (ليضيفوا) وهو تصحيف. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٢٥).

وأدفأ. فكانوا[1] طوال الآمال، طوال الأعمار.

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٤] فيه ما قدمنا[2] من الوجهين:

أحدهما- نعمه.

الثاني- عهوده.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] فيه وجهان:

أحدهما- لا تعملوا فيها بالمعاصي.

والثاني- لا تدعوا إلىٰ عبادة غير الله تعالىٰ[3].

وفي العبث وجهان:

أحدهما- [١٤٣/ و] أنه السعي في الباطل.

الثاني- أنه الفعل المؤذي[4] لغير فاعله)[5].

قوله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الأعراف:٧٨] فيها قولان[6]:

أحدها- أنه حركة الأرض تضطرب من تحتهم، وهي الزلزلة التي أهلكوا بها[7]. قاله ابن عباس.

والثاني- أنها الصيحة، قاله مجاهد، والسدي[8].

---

(١) في (ف): وكانوا -بالواو-.

(٢) راجع: آية/ ٦٩.

(٣) عبارة الأصل: لا تدعون مع عبادة غيره. والصواب ما أثبته من (ف، ك).

(٤) في (ك): المودي، وهو تصحيف.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) في (ق): (فيها ثلاثة أقاويل) وجعل الأول قولين من غير نسبة إلىٰ قائل.

(٧) هو قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٨)، والفراء في معاني القرآن (ص٣٨٤٨)، وأبو مسلم كما في البحر المحيط (٤/ ٣٣١) ولم أره منسوبًا لابن عباس.

(٨) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٤٠)، والطبري (١٢/ ٥٤٥). وقد جمع بين القولين بأنه يحتمل أن الزلزلة من تحتهم، =

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨] (قال محمد بن مروان السدي: كل ما في القرآن من دارهم فالمراد به مدينتهم، وكل ما فيه[1] من ديارهم فالمراد به[2] عساكرهم)[3].

وفي الجاثم قولان:

أحدهما- أنه البارك علىٰ ركبته[4] كأنهم أصبحوا[5] موتىٰ علىٰ هذه الحالة[6]. [7].

والثاني- أصبحوا[8] كالرماد[9] الجاثم لأن الصاعقة أحرقتهم[10].

(وقيل: إنه كان بعد العصر. ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ [الأعراف:٧٩] أي خرج من بين أظهرهم.

وقيل: أن صالحاً خرج عنهم إلىٰ رملة[11] فلسطين بمن آمن معه[12] من قومه وهم مائة وعشرة[13].

= والصيحة من فوقهم. أو أن الرجفة نتيجة لشدة الصيحة. وانظر: تفسير الآلوسي (٨/ ١٦٥).

(١) في (ف): وكل ما في القرآن.

(٢) هذا تعليل لتوحيد الدار هنا وجمعها في سورة هود:٦٧ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود:٦٧] . وذكر الكرماني، والنيسابوري أنه حيث ذكر الرجفة وحّد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمعها لأن الصيحة من السماء أكثر انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٢٦)، وأبي حيان (٤/ ٣٣١)، والألوسي (٨/ ١٦٥).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ف، ك): ركبتيه.

(٥) في الأصل (ك): أضحوا، وما أثبته من (ق، ف).

(٦) في (ق، ك): الحال.

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٦٩)، وابن الجوزي (٣/ ٢٢٦).

(٨) في الأصل (ك): كالمراد ، وهو تحريف.

(٩) وهو قول الفراء (١/ ٣٨٤).

(١٠) في (ف): من أرضهم.

(١١) في (ف): إلىٰ فلسطين. وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٣١).

(١٢) في الأصل: معهم. وما أثبته من (ف، ك).

(١٣) وروي أنهم مائة وعشرون، وقيل: أربعة آلاف، وهو تحديد ليس عليه دليل. انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٣١-٣٣٢)، والألوسي (١٢/ ١٦٨).

وقيل: إنه لم يهلك أمة ونبيها[١] بين أظهرها[٢].

قوله ﷻ: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢] فيه وجهان:

أحدهما[٣]- من إتيان الأدبار[٤].

والثاني- يتطهرون بإتيان النساء في الأطهار[٥]، [٦]. قال الشاعر[٧]:

قَـوْمٌ إِذَا حَـارَبُوا سَـدُّوا مَـآزِرَهُم ** دَونَ النِّسَـاءِ وَلَـو بَاتَـتْ[٨]بِأَطْهَـارِ[٩]

قوله ﷻ: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [الأعراف:٨٣] وفيه وجهان:

أحدهما- فخلصناه.

والثاني- [رفعناه][١٠] علىٰ نجوة من الأرض.

وقيل: أن أهله ابنتاه واسمهما[١١] زينا ورميا[١٢].

[١٣]﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الأعراف:٨٣] فيه ثلاثة أوجه[١٤]:

---

(١) في (ف): ونبيهم بين أظهرهم.

(٢) قاله الفراء (١/ ٣٨٥)، وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٤٧).

(٣) في (ف): يتطهرون.

(٤) عن ابن عباس ومجاهد أنهم يتطهرون من أدبار الرجال والنساء. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٠).

(٥) في الأصل: (الأظهار)، وهو تحريف. وعبارة (ف): يتطهرون عن إتيان النساء في غير الأطهار.

(٦) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٣٥) من غير نسبة، وزاد أقوالاً أخرىٰ منها أنهم يغتسلون من الجنابة ويتطهرون بالماء. والأولىٰ أنهم يتطهرون عن كل أفعال قومهم المشينة وأظهرها إتيان الأدبار.

(٧) قائله: الأخطل.

(٨) في الأصل (ك): باتوا. والصواب ما أثبته من (ف) وديوان الشاعر.

(٩) انظر: شرح ديوانه، بتحقيق: إيليّا سليم الحاوي (ص٨٤) من قصيدة قالها في مدح يزيد بن معاوية، وهو آخر أبياتها. وروايته: دون النساء بدلاً: عن النساء. ومثلها في النوادر لأبي زيد (ص٤٣٠).

(١٠) ما بين المعقوفين أثبته استظهاراً من النص حيث وردت مطموسة في (ف) فقط ولم ترد في بقية النسخ مع اقتضاء السياق لها. والنجوة: المكان المرتفع. انظر: المصباح المنير (٢/ ٧٢٧).

(١١) في الأصل: واسمها، وهو تحريف. وفي (ف): (واسماها ريثا ورعنا).

(١٢) جاء في كتاب: التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن للسهلي (ص٧٧) أن اسمهما: ريثا ورعوثا.

(١٣) في (ف): إلا امرأته كانت ..

(١٤) في (ف): أقاويل.

أحدها- من الباقين في الهلكىٰ، والغابر الباقي، ومنه[١] قول الراجز[٢]:

فَمَا وَنَىٰ مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَر ** لَهُ الإِلَهُ مَا مَضَىٰ وَمَا غَبَر[٣]

والثاني- من الغابرين عن[٤] النجاة، من قولهم: قد غبر عنا فلان زمانًا إذا غاب، قال الشاعر:

أَفَبَعْدَنَا وبَعْدَهُمْ ** يُرْجَىٰ لِغَابِرِ[٥] الْفَلاَحُ[٦]

والثالث- من الغابرين في العمر، لأنها لقيت هلاك قومها، قاله أبو عبيدة[٧].)[٨].

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف:٨٦] الصراط: الطريق، قال الشاعر[٩]:

حَشَرْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ[١٠] حَتَّىٰ[١١] ** تَرَكْنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصِّرَاطِ[١٢]

وفي المراد به ثلاثة أقاويل:

---

(١) في (ف): قال الراجز.

(٢) هو العجاج.

(٣) انظر: ديوانه (ص٨). والرجز في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٩٠)، وثلاثة كتب في الأضداد (ص١٥٣)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٤٦) وقوله: وما غبر أي وما بقي. وكلمة الغبر من الأضداد فتأتي بمعنىٰ الماضي، وبمعنىٰ الباقي.. واستعمالها في الماضي أكثر. وقيل: الماضي عابر -بالعين غير المعجمة- والباقي غابر بالغين المعجمة. انظر: ثلاث كتب في الأضداد (ص٥٨، ١٥٣).

(٤) في الأصل (ك): (في). والصواب ما أثبته من (ف). وهو قول الزجاج. أي: من الغائبين عن النجاة. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩١)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٤٦)، وأبي حيان (٤/ ٣٣٥).

(٥) في (ف): لغابرنا.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) علىٰ معنىٰ أنها كانت باقية في قومها معمرة فيهم قبل الهلاك. انظر كتابه: مجاز القرآن (١/ ٢١٩)، تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٢).

(٨) ما بين القوسين من قوله: وقيل: إنه كان بعد العصر ..) ساقط من (ق).

(٩) اختلف في قائله فنسب لأبي ذؤيب الهذلي، وعامر بن الطفيل، وعبيد بن الأبرص، وليس في دواوينهم.

(١٠) في (ف): بالجيش.

(١١) سقطت من الأصل.

(١٢) ذكره -مع بعض الاختلاف اليسير- أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٥) من غير نسبة، وبين الخلاف في نسبته المحقق: فؤاد سزكين. وذكره الطبري في تفسيره (١/ ١٧٠) منسوبًا لأبي ذؤيب، وذكره القرطبي (١/ ١٤٧) ونسبه لعامر بن الطفيل وورد في الإتقان (٢/ ٨٠) من مسائل ابن الأزرق منسوبًا لعبيد بن الأبرص.

أحـدها[1]- يقعـدون علىٰ الطريـق إلىٰ شـعيب يـؤذون مـن قصـده للإيمـان [بـه][2] ويخوفونـه القتل[3]، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة[4].

والثاني- أنه نهاهم عن قطع الطريق، قاله أبو هريرة[5].

والثالث[6]- أنهم العشارون نهاهم عن تعشير أموال الناس[7].

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ [الأعراف:86] يحتمل وجهين:

أحدهما- تصدون المؤمنين عن طاعة الله وعبادته.

والثاني- تصدون من أراد الإيمان بإغوائه ومخادعته.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ [الأعراف:86] قال قتادة:يعني تبغون السبيل عوجًا عن الحق.

والفرق بين العِوَج -بالكسر- وبين[8] العَوج -بالفتح- أن[9] العوج بكسر العين ما كان في الدين، وما لا يُرَىٰ، والعوج[10] -بالفتح- ما كان في العود، وما يُرىٰ[11].

---

(1) سقطت من الأصل. ومن قوله قال الشاعر ساقط من (ق).

(2) زيادة من (ق). وعبارة (ف): إلىٰ الإيمان.

(3) في (ف، ق): بالقتل.

(4) انظر: تفسير مجاهد (1/ 240)، والطبري (12/ 557)، والقرطبي (7/ 248).

(5) من حديث أخرجه الطبري في تفسيره مختصراً في هذا الموضع (12/ 557) ومطولاً في سورة الإسراء (15/ 6)، قال: أتىٰ النبي ﷺ ليلة أسري به علىٰ خشبة علىٰ الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته قال: وما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون علىٰ الطريق فيقطعونه ثم تلا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾ [الأعراف:86].

(6) سقط هذا القول من (ق).

(7) قاله السدي كما في تفسير الطبري (12/ 557)، وابن عطية (7/ 108)، والقرطبي (7/ 249). ويقول أبو حيان في تفسيره (4/ 338) بأن في هذا القول والذي قبله مناسبة لقوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [الأعراف:86] بل ذلك يناسب القول الأول.

(8) في (ق): وبالفتح. وفي (ف): (والعوج بالفتح) بدون (بين) الثانية. وهو الأولىٰ؛ لأنها لا تكرر إلا مع الضمير، فتقول بيني وبينك؟

(9) في (ف): أنه بكسر العين.

(10) في (ف): وبفتحها.

(11) انظر: المصباح المنير (2/ 520).

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦] حكىٰ الزجاج فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- كثّر عددكم[١] بعد[٢] القلة (قال ابن عباس: وذلك أن مدين ابن إبراهيم تزوج[٣] زينا بنت لوط وولد آل مدين منها[٤].)[٥].

والثاني- كثركم بالغنىٰ بعد الفقر.

والثالث- كثركم بالقوة بعد الضعف.

(وذكر بعض المفسرين وجهـًا[٦] رابعـًا- أنه كثرهم بطول الأعمار بعد قصرها من[٧] قبل)[٨].

قوله ﷻ: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف:٨٩] والفرق بين الملة والدين: أن الملة ما شرعه الله، والدين ما اعتقده الناس تقربـًا إلىٰ الله، فصار كل دين ملة، وليس كل ملة دينـًا)[٩].

فإن قيل: فالعود إلىٰ الشيء الرجوع إليه بعد الخروج منه. فهل كان شعيب علىٰ ملة قومه من الكفر حتىٰ يقول[١٠]: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ [الأعراف:٨٩] ؟

ففي الجواب [١٤٣/ ظ] عنه ثلاثة أوجه:

أحدها- أن هذه حكاية عمن اتبع شعيبـًا من قومه الذين كانوا قبل اتباعه علىٰ ملة الكفر[١١].

---

(١) في (ق): عددهم.

(٢) في (ك): بالقلة ، وهو تحريف.

(٣) في (ف): نكح ريثا ابنة لوط فولدت آل مدين.

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٤٠).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) في (ف): قولاً.

(٧) ذكر الزجاج الأقوال الثلاثة الأولىٰ في معاني القرآن (٢/ ٣٩٢) وزاد أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٤٠) القول الرابع ثم قال: (وقيل: المراد مجموع الأقوال الأربعة فإنه تعالىٰ كثر عددهم وأرزاقهم وطول أعمارهم وأعزهم بعد ان كان علىٰ مقابلاتها).

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ف).

(١٠) سقطت من الأصل (ك). وإثباتها من (ف، ق).

(١١) أي أما شعيب فلم يكن علىٰ ملتهم منذ البداية.

والثاني- أنه قال ذلك علىٰ التوهم أنه[١] لو كان عليها لم يعد إليها.

والثالث- أنه يطلق ذكر العَود علىٰ المبتدئ بالفعل وإن لم يسبق منه فعل مثله من قولهم: قد عاد إليّ[٢] من فلان مكروه وإن لم يسبقه بمثله[٣]، ومثله[٤] قول الشاعر:

ولَـئِن[٥] كَانَـت الأَيَّـامُ أَحْسَـنَّ أَمَـرَّه ** إِلَـيَّ لَقَـدْ عَـادَتْ لَهُـنَّ ذُنُـوبُ

أَتَـىٰ دَونَ حُلْـوِ الْعَـيْشِ شَـيْءٌ[٦] أُمِـرُّهُ ** كُـرُوبٌ عَلَـىٰ آثَـارِهِنّ كُـرُوبُ[٧]

ثم قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٨٩] (فيه قولان:

أحدهما- أن نعود في القرية إلاّ أن يشاء الله، قاله بعض المتكلمين.

والثاني- وهو قول الجمهور أن نعود في ملة الكفر وعبادة الأوثان) [٨].

فإن قيل: فالله تعالىٰ لا يشاء عبادة الأوثان، فما وجه هذا القول من شعيب[٩]؟ فالجواب عنه من

---

(١) سقطت من (ق).

(٢) في (ف): "عليّ"، وفي (ق): قد عاد علي مكروه فلان.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٩٣)، وتفسير الفخر الرازي (٤/ ١٧٧).

(٤) هذه الجملة ساقطة من (ق).

(٥) في (ف، ق): لئن. -بدون الواو-.

(٦) في (ف): حتىٰ. ولم يرد هذا البيت في (ق).

(٧) ذكرهما من غير نسبة أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٨٣)، والطبرسي في مجمع البيان (١/ ٣٦٥)، ونسبهما السجاوندي في تفسيره عين المعاني (٣/ ٧٤٣-) -طبعه علىٰ الآلة الكاتبة- للغنوي. ولم أجدهما في ديوانه بتحقيق: محمد عبدالقادر أحمد.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) هذا التساؤل مبني علىٰ مذهب المعتزلة وفرع من قاعدتهم الفاسدة القائلة بوجوب رعاية الصلاح والأصلح علىٰ الله. يقول الزمخشري في تفسيره في هذا الموضع (٢/ ١٩٦): (... مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة) وهو تساؤل غير وارد في مذهب أهل السنة -بحمد الله ومنّه- فهذه هي المشيئة القدرية الكونية فكل ما في هذا الكون لا يخرج عن هذه المشيئة. وعجباً من المعتزلة كيف يجعلون من أنفسهم أعلم بالحق عن الله من شعيب رسول الله. وقد جاءت حاشية في نسخة (ف) فقط تعليقاً علىٰ هذا نصها: "مذهب أهل الحق أن أفعال العباد خيرها وشرها وقعت بمشيئة الله تعالىٰ وهذا السؤال إنما يلزم المعتزلة القائلين أن الله تعالىٰ لا يشاء الشرك".أهـ. قلت: وما ذكره الماوردي هنا هو ما استدل به ابن الصلاح علىٰ اعتزال الماوردي غير أن ذكره له إنما هو حكاية لبعض ما قيل في الآية، ودلالة ذلك علىٰ عقيدته جزماً مسألة فيها نظر إذ غالباً ما يحكي ما قيل في الآية، لكنه بكل حال - مؤاخذ بترك مثل هذه =

من ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه قد كان في ملتهم ما يجوز التعبد به[١].

والثـاني- أنـه لـو شـاء عبـادة الـوثن لكانـت عبادتـه طاعـة[٢] لـه لأنـه شـاءه[٣] كتعبـده بتعظـيم الحجر الأسود[٤].

والثالـث- أن هـذا القـول مـن شـعيب علـىٰ التعبيـد والامتنـاع كقولـه: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] وكقولهم: حتىٰ يشيب الغراب[٥].

ثم قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩] فيه وجهان:

أحدهما- اكشف بيننا وبين قومنا وبينه، قاله قتادة[٦].

الثاني- احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين[٧].

=

الأقوال بعد ذكرها من غير بيان لها ورد عليها. وانظر: مبحث اعتزال الماوردي في قسم الدراسة.

(١) أي مثل بعض القربات وأعمال البر، واعترض أبو حيان علىٰ مثل هذا المعنىٰ بقوله (٤/ ٣٤٤): (وهذا الاحتمال لا يصح لأن قوله: [بعد إذ نجانا الله منها} إنما يعني النجاة من الكفر والمعاصي لا من أعمال البر. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١١٢).

(٢) في (ك): عبادة.

(٣) في الأصل: (لو شاءه) والصواب ما أثبته من (ك، ق، ف).

(٤) كلام محض افتراض، مخالف لأسّ عقيدة التوحيد. وعقيدة المسلمين في الحجر وسائر مشاعر الحج، تعظيم الله وحده بامتثال أوامره، واتباع سنة نبيه، وكما قال عمر: والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

(٥) أي أن هذا تعليق علىٰ مستحيل، فالجمل لا يلج في سم الخياط، والغراب لا يبيّض أبداً.
وقد تعقب ابن عطية هذا في تفسيره (٧/ ١١٢) بقوله: "وهذا تأويل إنما للمعتزلة الذين من مذهبهم أن الكفر والإيمان ليس بمشيئة من الله تعالين فلا يترتب هذا التأويل إلا عندهم. وهذا تأويل حكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه".

(٦) هذا قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦) والمراد أن ينزل عليهم عذاباً يدل علىٰ كونهم ظالمين مبطلين وكون شعيب ومن معه محقين. أما المشهور عن قتادة فهو أن المعنىٰ: اقضي بيننا وبين قومنا بالحق. كما نقله عنه الطبري وغيره. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٦٤)، وابن الجوزي (٣/ ٢٣٢)، والفخر الرازي (١٤/ ١٨٠).

(٧) قاله ابن عباس، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٢٠)، وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٦٣).

وذكر الفراء، أن [أهل][(١)] عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتّاح[(٢)]. وقال غيره: [إنها][(٣)] لغة مراد[(٤)]، قال[(٥)] الشاعر:

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي عُصَمَ رَسُولاً ** بِأَنِّي عَنْ فَتَّاحِكُمُ غَنِي[(٦)]

وقال ابن عباس: [كنت][(٧)] لا أدري ما[(٨)] قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩] حتىٰ سمعت بنت[(٩)] ذي يزن تقول: تعالَ[(١٠)] أفاتحك، يعني أقاضيك[(١١)].

وقيل: إنه سمي[(١٢)] بذلك لأنه يفتح باب العلم الذي قد انغلق علىٰ غيره.

فإن قيل: فما معنىٰ قوله: (بالحق) ومعلوم أن الله لا يحكم إلا بالحق؟.

ففي الجواب عنه أربعة[(١٣)] أوجه:

---

(١) زيادة من (ف، ق).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٥)، وتفسير الطبري.

(٣) زيادة من (ف). وفي (ق): أنه.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٣٠).

(٥) سقطت من (ق). وفي (ف): وقال -بالواو-.

(٦) قائله الأسعر الجعفي، وقيل محمد بن أبي حمران وبنو عصم هم رهط عمرو بن معد يكرب. وقد تقدم تخريجه (١/ ٣٧٧).

(٧) زيادة من (ف، ق).

(٨) في الأصل: (لا أدري ما أقوله)، وفي (ك): "ما أقوله"، والصواب ما أثبته من (ف، ق).

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) سقطت من (ق). وفي الأصل (ك): تعالى. وما أثبته من (ف). وقد جاء في بعض الروايات أن الخطاب لزوجها وأن هذه لغة حمير.

(١١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٦٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٠٣) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن الأنباري في الوقف والابتداء، والبيهقي في الأسماء والصفات.

وذو يزن هو الذي قدم بخبر إسلام ملوك اليمن. واسمه مالك بن مرارة.

(١٢) في الأصل (ك): مسمىٰ. وما أثبته من (ف، ق).

(١٣) في (ق): وجهان. وفي (ف): فعنه أربعة أوجه.

أحدها- أنه قال ذلك صفة لحكمه لا طلبًا له[(١)].

والثاني- أنه سأل الله أن يكشف لمن خالفه من قومه أنه علىٰ حق.

الثالث[(٢)]- أن معناه احكم بيننا لذي[(٣)] الحق، قاله ابن بحر.

والرابع- احكم في الدنيا بنصر الحق، قاله السدي[(٤)].

قوله ﷻ: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ﴾ [الأعراف:٩٢] [فيه][(٥)] أربعة تأويلات:

أحدها- كأن لم يقيموا فيها، قاله ابن قتيبة[(٦)].

والثاني- كأن لم يعيشوا فيها، قاله الأخفش[(٧)].

(والثالث- كأن لم ينعموا فيها، قاله قتادة[(٨)].

والرابع- كأن لم يعمّروا فيها، قاله ابن عباس[(٩)].

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٢] فيه وجهان:

أحدهما- بالكفر.

الثاني- بالهلاك، قاله ابن عباس)[(١٠)].

---

(١) أي أن الصفة أقيمت مقام الموصوف التقدير: أحكم بحكمك الحق. انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٥١).

(٢) هذا القول هو الرابع في (ف). ولم يرد هذا القول والذي بعده في (ق).

(٣) في الأصل (ك): لدي –وهو تصحيف- والصواب ما أثبته من (ف). والمعنىٰ: أحكم بيننا لصاحب الحق.

(٤) ذكر معناه أبو حيان في البحر المحيط من غير نسبة (٢٢/ ٢٣٤).

(٥) زيادة من (ف). وعبارة (ق): فيها تأويلان: احدهما..

(٦) كما في كتاب غريب القرآن (ص١٧٠) حيث قال بعد ذلك: (غنينا بمكان كذا: أقمنا، ويقال للمنازل مغان واحدها مغنى).

(٧) غير موجود في هذا الموضع (٢/ ٣٠٦) من معاني القرآن للأخفش الأوسط تحقيق: فائز فارس، وربما كان المراد غيره. وقد نسبه للأخفش ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٣٢)، وأبو حيان (٤/ ٣٤٦). وهو قول ابن عباس، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦) علىٰ معنىٰ: كأن لم ينزلوا ولم يعيشوا فيها مستغنين.

(٨) انظر: تفسير ابن الجوزي، وأبي حيان.

(٩) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٤٦)، ولا تعارض بين هذه الأقوال، فالمعنىٰ كأنهم لم يقيموا في ديارهم أعماراً طويلة متنعمين في عيش رغيد.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ق).

قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [الأعراف:٩٦] فيه أربعة[١] أقاويل:

أحدها- أن البأساء: القحط، والضراء: الأمراض والشدائد، قاله الحسن.

الثاني- أن البأساء: الجوع، والضراء: الفقر، قاله ابن[٢] عباس.

والثالث[٣]- أن البأساء: البلاء، والضراء: الزمانة[٤].

والرابع- أن البأساء: ما نالهم من الشدة في أنفسهم. والضراء: ما نالهم في أموالهم[٥]، حكاه ابن[٦] عيسىٰ.

(ويحتمل قولاً خامسًا- أن البأساء: الحروب. [والضراء: الجدوب] [٧].

﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤] فيه وجهان:

أحدهما- يتوبون.

والثاني- يدعون، قاله ابن عباس[٨].) [٩].

قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ [الأعراف:٩٥] فيه وجهان:

أحدهما- مكان الشدة الرخاء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد[١٠].

[١٤٤/ و] والثاني- مكان[١١] الشر الخير.

---

(١) سقطت من (ق).

(٢) في (ق): قاله السدي.

(٣) سقط هذا القول من (ق).

(٤) في (ف): (قاله ابن ...) فقد طمست اللفظة. ولعله: ابن مسعود. فقد فسر الضراء بالسقم، كما ذكر المؤلف في سورة البقرة/ ١٧٧، والطبري (٣/ ٣٤٩)، فقد تقدم ذكرهما، فراجع هذين الموضعين.

(٥) في (ك): أنفسهم. وهو وهم.

(٦) في (ف، ق): علي بن عيسىٰ. وقد حكىٰ الزجاج هذا القول وعكسه (٢/ ٣٩٧).

(٧) زيادة من (ف). وقد سقط من بقية النسخ.

(٨) وعن الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٣٩٨): يخضعون.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٧٤)، وأبي حيان (٤/ ٣٤٧) وعن مجاهد: السيئة الشر، والحسنة الرخاء والمال والولد. وانظر: تفسيره (١/ ٢٤٠).

(١١) في الأصل: (مكان الخير الشر) وفي (ك): ... والشر -بالواو-. وهو وهم، ولم يرد في (ق): سوىٰ القول الأول. =

﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف:٩٥] فيه أربعة[1] أقاويل:

أحدها- حتىٰ كثروا، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، [وابن زيد][2] (قال لبيد:

وَأَنَاسٌ بَعْدَ قَتْلٍ قَدْ عَفَواْ ** وَكَثِيرٌ زَالَ عَنْهُمْ فَانْتَقَلْ[3]

الثاني- حتىٰ أعرضواْ، قاله ابن[4] بحر)[5].

والثالث- حتىٰ سُرّوا، قاله قتادة[6].

والرابع- حتىٰ سمنوا، قاله الحسن[7]، ومنه قول بشر بن أبي حازم:

فَلَمَّا عَفَا وَأَصَابَ مَالاً ** تَسَمَّنَ[8] مُعْرِضًا فِيهِ ازْوِرَارُ[9]

(﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف:٩٥] أي الشدة والرخاء يعنون ليس[10] البأساء والضراء عقوبة علىٰ[11] تكذيبك وإنما هي عادة الله في خلقه أنّ بعد كل خصب جدب، وبعد كل جدب خصب)[12].

=

والصواب ما أثبته من (ف). وهو روايته عن مجاهد كما في تفسير الطبري.

(١) في (ق): ثلاثة.

(٢) زيادة من (ف، ق). وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٧٤) وزاد بعضهم: وكثرت أموالهم وأولادهم.

(٣) ليس في ديوانه.

(٤) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٤٧) وزاد بذكر تعليله وأنه: (من عفا عن ذنبه أي أعرض عنه).

(٥) ما بين القوسين ليس في (ق). والأقوال فيها ثلاثة.

(٦) ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٧٦) وضعفه بأنه: (تأويل لا وجه له في كلام العرب لأنه لا يعرف (العفو) بمعنىٰ السرور في شيء من كلامها) ثم التمس له تخريجاً علىٰ استبعاد بقوله: (إلا أن يكون أراد: حتىٰ سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم فيكون ذلك وجهاً وإن بعد). وقد نقل أبو حيان في البحر (٤/ ٣٤٧) قول قتادة معللاً بقوله: (قال قتادة: سروا بكثرتهم وذلك استدراج منه لهم...).

(٧) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٤٧).

(٨) في (ف، ق): تشمّس.

(٩) ليس في ديوانه بتحقيق: د. عزة حسن.

(١٠) في (ف): أنه ليس.

(١١) في الأصل: حتىٰ. تحريف. وما أثبته من (ف، ك).

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

قوله ﷻ: ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم﴾ [الأعراف:٩٦] فيه وجهان:

أحدهما- لرزقنا[١]، قاله السدي[٢].

والثاني- لوسّعنا[٣].

﴿بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦][٤] بركات السماء: القطر. وبركات الأرض: النبات والثمار. ويحتمل[٥] أن تكون بركات السماء: قبول[٦] الدعاء. وبركات الأرض: تسهيل الحاجات[٧].

(وفي[٨] قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠] أي لا يقبلون[٩]، كما يقال في الصلاة: سمع الله لمن حمده، أي قبل الله ممن[١٠] حمده، وقال الشاعر[١١]:

دَعَوْتُ اللهَ حَتَّىٰ خِفْتُ أَنْ لاَّ ** يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ[١٢]

---

(١) في (ف): لرزقناهم.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٤٨) وعبارته وقال السدي: "المعنىٰ لفتحنا عليهم أبواب السماء والأرض بالرزق".

(٣) لم أقف عليه منسوباً وقد سقط تفسير هذه الآيات إلىٰ قوله: ﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأعراف:٩٨] من تفسير الإمام ابن جرير الطبري (١٢/ ٥٧٧).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) في (ف): ويحتمل وجهاً ثانياً.

(٦) في (ف): إجابة.

(٧) ذكر هذا القول والذي قبله أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٤٨) من غير نسبة. ومن عادة المؤلف هنا أن يعبر عن قوله بالاحتمال.

(٨) في (ف): قوله ﷻ.

(٩) في الأصل (ك): لا يعقلون، وهو تحريف. والصواب ما أثبته من (ف).

(١٠) في (ف): من.

(١١) هو شُمَير بن الحارث.

(١٢) ذكره أبو زيد الأنصاري في نوادره (ص٣٨١) منسوباً لشمير بن الحارث من أبيات سبعة، وبعده:

ليحملني علىٰ فرس فإني ** ضعيف المشي للأدنىٰ حَمُول

وذكره من غير نسبة أبو بكر الأنباري في كتابه: الزاهر (١/ ١٥٤) من إنشاد أبي العباس عن ابن الأعرابي. ثم قال: ومعناه: يجيب ما أقول. وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٣٥).

أي يقبل[١].

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف:١٠١] يحتمل وجهين:

أحدهما- بما [٢] بان أنه معجز وبرهان.

والثاني- بما [٣] بان أنه خير وصلاح) [٤].

[٥] ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ [الأعراف:١٠١] [فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- أي فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل][٦] وقت أن[٧] أخذ الله ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم. قاله السدي [٨].

والثاني- [فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق من علم الله تعالىٰ أنهم يكذبون به يوم اخرجهم [٩] من صلب آدم. قاله أبي بن كعب [١٠].] [١١].

والثالث- فما كانوا ليؤمنوا -لو أحييناهم بعد هلاكهم- بما كذبوا [١٢] قبل هلاكهم كقوله: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام:٢٨] . قاله مجاهد [١٣].

---

(١) سقطت هذه الجملة من (ف).

(٢) في الأصل (ك): لما. وما أثبته من (ف). وهو أظهر.

(٣) في (ك): لما.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) في (ق): قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف:١٠١] .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، (ك). وإثباته من (ف، ق).

(٧) في (ف): وقت أخذ الله.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٨).

(٩) في (ك، ق): أخذهم. وما أثبته من (ف).

(١٠) وهو قول الربيع بن أنس. وقد ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٨)، ورجحه وذلك أن من سبق في علم الله أنه لا يؤمن به فلن يؤمن أبداً.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وإثباته من بقية النسخ.

(١٢) في (ف): بما كذبوا به.

(١٣) انظر: تفسيره (١/ ٢٤١). وقد ضعفه الطبري في تفسيره (١٣/ ٨) لأنه تأويل لا دليل عليه من ظاهر التنزيل ولا من خبر صحيح عن الرسول، كذا قال الطبري، وقد استدل عليه بالآية المذكورة.

قولـه ﷻ: ﴿وَمَاوَجَدْنَالِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعـراف:١٠٢] (الآيـة. في قولـه: ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف:١٠٢])[١] قولان:

أحـدهما- أن العهـد الطاعـة، يريـد: مـا وجـدنا لأكثـرهم مـن طاعـة لأنبيـائهم، لأنـه قـال بعـــده: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعـــراف:١٠٢] وتكـــون (مِـــنْ) في[٢] هـــذا الموضع علىٰ هذا التأويل زائدة.

والثاني- أنه محمول علىٰ ظاهر العهد)[٣] أي من وفاء بعهده[٤].

وفي المراد بالعهد هنا[٥] ثلاثة أقاويل.

أحدها- الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظهر آدم، قاله أبو جعفر الطبري[٦].

والثـاني- مـا جعلـه الله في عقـولهم مـن وجـوب شـكر[٧] النعمـة، وأن الله هـو المـنعم، قالـه ابن[٨] عيسىٰ.

والثالث[٩]- أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قاله الحسن[١٠].

﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢][١١] (في قوله: ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾)[١٢] وجهان:

---

(١) عبارة (ف): فيه قولان.
(٢) عبارة (ف): وتكون من في هذا التأويل زائدة.
(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).
(٤) في (ف، ق): بعد.
(٥) في (ف، ق): هاهنا.
(٦) ليس صريح عبارته في هذا الموضع من تفسيره (١٣/ ١٠)، ولم أستظهره من عباراته الأخرىٰ في غير هذه الآية وإنما فسر العهد هنا بالوصية فقال: (يقول تعالىٰ ذكره: ولم نجد لأكثر أهل هذه القرىٰ التي أهلكناها .. من عهد -يقول- من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله، واتباع رسله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه، وهجر عبادة الأوثان والأصنام. لكن ذكره قولاً لأبي بن كعب، ومجاهد، وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٥٤).
(٧) (شكر) سقطت من الأصل (ك). وإثباتها من (ف، ق).
(٨) في (ف، ق): علي بن عيسىٰ.
(٩) في الأصل: والثاني، وهو تحريف.
(١٠) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٣٦).
(١١) هذا الجزء من الآية ساقط من الأصل (ك).
(١٢) في (ف): فيه وجهان.

أحدهما- يعني خارجًا عن طاعته.

الثاني- خائنًا في عهده.

وهذا)[(١)] يدل علىٰ أن العصاة أكثر من المطيعين.

(﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٠٥] في (حقيق) وجهان:

أحدهما- حريص، قاله أبو عبيدة[(٢)].

والثاني- أنه[(٣)] واجب، مأخوذ من وجوب الحق.

وفي قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء:١٧١] وجهان:

أحدهما- إلا الصدق.

والثاني- إلا ما فرضه عليّ من الرسالة)[(٤)].

قوله عز[(٥)] وجل: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾ [الأعراف:١١١][(٦)] فيه قولان:

أحدهما- معناه أَخِّرْهُ، قاله ابن عباس والحسن[(٧)].

والثاني- أحبسه، قاله قتادة والكلبي[(٨)]. [(٩)].

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) هذا التفسير من أبي عبيدة علىٰ قراءة تخفيف (علىٰ) وهي قراءة من عدا نافع من السبعة حيث يقرأ بالتشديد (عليّ)، وعلىٰ هذه القراءة يأتي الوجه الثاني من التفسير وهو الوجوب. انظر: معاني القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٢٤)، وتفسير الطبري (١٣/ ١٣)، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٨٧).

(٣) سقطت من (ف، ك).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) في (ق، ف): وأخاه.

(٧) أخرجه الطبري عن ابن عباس وحده (١٣/ ٢٢)، وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن (ص١٧٠).

(٨) سقطت من (ق).

(٩) ذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٤/ ١٩٨) عنهما. ومثله عن قتادة -فقط- في تفسير الطبري (١٣/ ٢٢)، والقرطبي (٧/ ٢٥٧)، وقد ذكر الفخر الرازي تضعيف المحققين لهذا القول من وجهين: أولهما أن الإرجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس، والثاني أن فرعون ما كان قادراً علىٰ حبس موسىٰ بعدما شاهد حال العصا. وقد ذكر القرطبي في تفسيره وجهًا آخر وهو أن (أرجه) مأخوذة من رجا يرجو أي أطمعه ودعه يرجوه.

﴿وَأَرۡسِلۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف:١١١] قال ابن عباس: هم أصحاب الشُرَط وهو قول الجماعة[١] (أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين[٢] رجلاً[٣].)[٤].

قوله ﷻ: ﴿أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ [الأعراف:١١٧] (قال ابن عباس: العصا[٥] أول آيات موسىٰ وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع بطول موسىٰ، فضرب بها باب فرعون فألقىٰ الله تعالىٰ عليه الفزع منها[٦]، فشاب فخضب بالسواد استحياء من قومه، فكان فرعون أول من خضب بالسواد[٧].)[٨].

﴿فَإِذَا هِىَ تَلۡقَفُ﴾ [الأعراف:١١٧] معنىٰ تلقف هو سرعة التناول إلا أن المراد هنا[٩] سرعة ابتلاعه بالفم. (قال أبو حاتم: وهي في بعض [/] القراءات :تلقّم" بالميم والتشديد[١٠].[١١]، قال الشاعر:)[١٢]

---

(١) وبه قال مجاهد، والسدي، انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٣).

(٢) في الأصل: وسبعون. والصواب ما أثبته من (ف، ك).

(٣) وقع خلاف كبير لا طائل تحته في عدد هؤلاء السحرة حتىٰ أن ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٠) ذكر ثلاثة عشر قولاً منسوباً في عددهم، بل وقع الخلاف في أسماء رؤسائهم وقد أحسن أبو حيان صنعاً حين ضرب صفحاً عن ذكرهم وعجب ممن ذكرهم فقال (٤/ ٣٦٠): (واضطرب الناقلون للأخبار في عددهم اضطراباً متناقضاً يعجب العاقل من تسطيره في الكتب فمن قائل تسعمائة ألف ساحر وقائل سبعين ساحراً فما بينهما من الأعداد المعينة المتناقضة). ويقول الفخر الرازي (١٤/ ٢٠٤) بعد أن ذكر بعض الأقوال في عددهم: (واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وليس في الآية ما يدل علىٰ المقدار والكيفية والعدد).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) العصا: سقطت من الأصل. وإثباتها من (ف، ك).

(٦) عبارة الأصل (ك): (قصد باب فرعون فألقي عليه الفزع. وما أثبته عبارة (ف) وهي أظهر.

(٧) تفصيلات من أخبار بني إسرائيل لا حاجة إليها، ولا دليل عليها.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) في (ف، ق): هاهنا.

(١٠) في (ف): وتشديد القاف.

(١١) ذكرها القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٦٠) من غير عزو. وذكرها أبو حيان (٤/ ٣٦٣) قراءة لابن جبير. وانظر: معجم القراءات القرآنية (٢/ ٣٩٠).

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

أَنْـتِ عَصَـا مُوسَـىٰ الَّتِـي لَـمْ تَـزَلْ ** تَلقَـفُ مَـا يَأْفِكُـهُ السَّـاحِرُ[١]

وفي[٢] (يأفكون) وجهان:

أحدهما- معناه يقلبون، ومنه المؤتفكات المنقلبات، قاله ابن[٣] عيسىٰ.

والثاني- يكذبون لأن الإفك هو[٤] الكذب، قاله مجاهد[٥].

فإن قيل: فَلِمَ أمر موسىٰ[٦] السحرة أن[٧] يلقوا وذلك منهم كفر لا يجوز أن يأمر به نبي؟

قيل عن ذلك جوابان.

أحدهما- [أن][٨] مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا[٩].

والثاني- ألقوا علىٰ ما يصح ويجوز لا علىٰ ما يفسد ويستحيل[١٠].

وقوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف:١١٨] أي ظهر الحق، قاله الحسن، ومجاهد، (وفي الحق الذي ظهر. فيه قولان:

---

(١) انظر البيت من غير نسبة في تفسير القرطبي (٧/ ٢٦٠)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤١٧)، وقد ذكره الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٠٥) ثم قال عنه: (هذا البيت أنشد لأبي عبيدة وزعم التوزي صاحب أبي عبيدة أنه لا يعرفه وهو صحيح في المعنىٰ).

(٢) في (ف، ق): وفي قوله.

(٣) في (ف، ق): علي بن عيسىٰ.

(٤) ليست في (ف، ق).

(٥) انظر: تفسيره (١/ ٢٤٢). وهناك إشارة إلحاق في نسخة (ف) إلىٰ حاشية غير واضحة.

(٦) في (ف): موسىٰ عليه السلام.

(٧) سقطت من (ق).

(٨) سقطت من الأصل، وزيادتها من بقية النسخ.

(٩) زاد الفخر الرازي إيضاح هذا الوجه في رسالته (عصمة الأنبياء) (ص٦٤) بأنه: (.. كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] أي إن كنتم قادرين). وذكر في تفسيره (١٤/ ٢٠٢) أوجهًا اخرىٰ. منها أنهم إنما جاءوا لإلقاء هذه الحبال وأن التخيير لموسىٰ إنما هو في التقديم والتأخير. فأذن لهم ازدراء بشأنهم ومنها أن إبطال سحرهم لا يتم إلا بعد إظهاره. وإظهاره لا يكون إلا بإلقائه.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٢) عن الماوردي، وزاد ثالثًا عن الواحدي وأنه فعل ذلك لتكون معجزته أظهر.

أحدهما- ظهرت عصا موسىٰ علىٰ حبال السحرة[١].

والثاني- ظهرت نبوّة موسىٰ علىٰ ربوبية فرعون[٢].

قوله ﷻ: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٠] وفي سجودهم قولان:

أحدهما- أنهم سجدوا لموسىٰ تسليمـًا له وإيمانـًا به.

والثاني- أنهم سجدوا لله إقراراً بربوبيته، لأنهم قالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف:١٢١-١٢٢] . وفي سجودهم له[٣] قولان:

أحدهما- أن الله ألهمهم ذلك لطفـًا بهم.

والثاني- أن[٤] موسىٰ وهارون سجدا شكراً لله عند ظهور الحق علىٰ الباطل فاقتدوا بهما في السجود لله طاعة له[٥].[٦]) [٧].

قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف:١٢٧] .. الآية [٨].

أما ﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف:١٠٩] ففيهم[٩] ثلاثة أقاويل:

---

(١) هناك إشارة إلحاق في نسخة (ف) إلىٰ حاشية مطموسة.

(٢) هذا القول في حقيقته نتيجة للذي قبله. وفي التعبير بالوقوع ما يفيد قوة الظهور والثبوت بحيث لا يصح فيه البطلان. انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٦٤).

(٣) سقطت من (ك).

(٤) في (ف): لأن.

(٥) سقطت من (ك).

(٦) سجود السحرة لحظة عظيمة لإيمان عميق أبرزتها كلمة (ألقي). هذه المفردة القرآنية الدقيقة، فكأنما ألقاهم ملق حين انكشفت لهم الحقيقة، فالسحرة أعلم الناس بفنهم ومهنتهم ومدىٰ حدودها وما هو خارج عنها، فكان تحولاً عظيمـًا منهم من تحد سافر إلىٰ تسليم مطلق وإيمان تام.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) في (ف، ق): أتذر موسىٰ وقومه ليفسدوا في الأرض.

(٩) في الأصل (ك): فيهم. وما أثبته من (ف)، وعبارة (ق): الملأ من قومه رؤساء قومه.

(أحدهما- أنهم أشرفهم.

والثاني- رؤساؤهم.

والثالث- أنهم الرهط والنفر [الرجال][(١)] الذين لا نساء معهم.

والفرق بين الرهط والنفر من وجهين:

أحدهما- كثرة الرهط، وقلة النفر.

والثاني- قوة الرهط، وضعف النفر[(٢)])[(٣)].

وفي تسميتهم بالملأ[(٤)] وجهان:

أحدهما- لأنهم[(٥)] [مليئون بما يراد منهم.

والثاني- لأنه تملأ النفوس هيبتهم[(٦)].

وقيل وجه ثالث[(٧)]- لأنهم] [(٨)] يملؤون صدور المجالس.

فإن قيل: فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له؟

قيل: لأنهم رأوا منه خلاف عادته، وعادة الملوك في السطوة بمن أظهر العناد[(٩)] وخالف، وكان ذلك من لطف الله بموسى[(١٠)].

وفي[(١١)]: ﴿لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:١٢٧] وجهان:

---

(١) زيادة من (ف)، وفي الأصل، ك: (الذي) بدل الذين.

(٢) إجمال دقيق للفرق بين اللفظتين دون ذكر للخلاف في العدد. انظر: المصباح المنير (٢٨٧، ٧٥٥).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ق) وفي تسميتهم بذلك.

(٥) في (ق) أنهم.

(٦) ذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته (ص٧١٩) تعريف الملأ وتعليل التسمية فقال: (الملأ: جماعة يجتمعون على رأي فيلمؤون العيون رواء ومنظراً والنفوس بهاء وجلالاً).

(٧) في (ف): آخر.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وزيادته من بقية النسخ.

(٩) في الأصل: العباد، وهو تصحيف. وفي (ك): العبادة. وما أثبته من (ف، ق).

(١٠) في الأصل: لموسى. وفي (ف): بموسى عليه السلام.

(١١) في (ف): وفي قوله.

أحدهما- ليفسدوا فيها بعبادة غيرك والدعاء إلىٰ خلاف دينك.

والثاني- ليفسدوا فيها بالغلبة عليها، وأخذ[١] قومه منها.

ثم قالوا[٢] له: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧] فإن قيل: فما وجه قولهم ذلك له وهم قد صدّقوه علىٰ قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] ؟

قيل الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه كان يعبد الأصنام وكان قومه يعبدونه، قاله الحسن[٣].

والثاني- أنه كان يعبد ما يستحسن من البقر ولذلك أخرج السامري عجلاً جسداً له خوار فقال[٤] هذا إلهكم وإله موسىٰ، فنسي وكان معبوداً في قومه، قاله السدي[٥].

والثالث[٦]- أنها كانت أصناماً[٧] يعبدها قومه تقرباً إليه، قاله الزجاج[٨].

وقرأ[٩] ابن عباس: (وَيَذَرَكَ وَإِلاَهَتَكَ)[١٠] أي وعبادتك[١١].

قال الحسن: وكان فرعون يُعبَد ولا يَعْبُد[١٢]. وعلىٰ هذه القراءة سقط السؤال.

---

(١) كذا في جميع النسخ. ولعل الأولىٰ: وإخراج.

(٢) في الأصل (ك): ثم قال له. وفي (ق): ثم قالوا. وما أثبته من (ف). وهو الأظهر.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٩) وفي إحدىٰ الروايات عنه أن فرعون كان يعبد جمانة يعلقها في نحره. وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٦١)، وأبي حيان (١٤/ ٢١١).

(٤) في (ف): (وقال) والكلام مسوق علىٰ تضمين معنىٰ الآية دون إرادة لفظها.

(٥) ذكرها الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٨) عن السدي عن ابن عباس.

(٦) في الأصل: والثاني ، وهو تحريف.

(٧) في الأصل، (ك): أصنام. والصواب ما أثبته من (ق) واللفظة غير واضحة في (ف).

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٦).

(٩) في الأصل: (وقول) ، وهو تحريف.

(١٠) ذكر ابن خالويه هذه القراءة في مختصره في شواذ القرآن (ص٤٥)، منسوبة لابن عباس، وعلي، وابن مسعود. وزاد ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٤) نسبتها للحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، وابن محصن. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٨-٤٠)، وأبي حيان (٤/ ٣٦٧).

(١١) أي وعبادة الناس إياك.

(١٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٩).

(وذكر ابن قتيبة في هذه القراءة تأويلاً ثانيـًا- أن[١] العرب تسمي الشمس الإلاهـة[٢]، واستشـهد بقول الأعشىٰ:

ولـــم أذكـــر الرهـــب حتـــىٰ انفتلـــت ❊❊ قبيـــل الإلاهـــة منهـــا قريبـــا [٣]

يعني الشمس، فيكون تأويل الآية: ويذرك والشمس التي[٤] تعبد[٥].

فعلىٰ هذا يكون السؤال متوجهـًا. والجواب عنه ما تقدم)[٦].

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [الأعراف:١٢٧] إنما عدل عـن قتـل موسـىٰ[٧] إلـىٰ قتـل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر علىٰ قتل موسىٰ إما لقوتـه وإمـا لمـا[٨] تصـوره أنـه مصـروف عـن قتلـه، فعدل إلىٰ قتل الأبناء ليستأصل قوم موسىٰ من بني إسرائيل فيضعف[٩] عن فرعون.

﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [الأعراف:١٢٧] (وفيه[١٠] قولان:

أحدهما- أي تفتش أرحامهن فينظر ما فيهن من الولد، مأخوذ من الحياء وهو اسـم مـن أسـماء الفرج، حكاه ابن بحر[١١].

والثـاني- وهـو[١٢] الأظهـر- أن معنـاه:)[١٣] أن نسـتبقيهن[١٤] أحيـاء لضـعفهن عـن المنازعـة

---

(١) في الأصل (ك): والعرب.

(٢) أي كأنه علما عليها.

(٣) لم أجده في ديوانه ولا في الصبح المنير وفيه دواوين الأعشين الآخرين.

(٤) في الأصل (ك): (حتىٰ). والصواب ما أثبته من (ف).

(٥) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٦٧) من غير نسبة، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٤) منسوبـًا لابن قتيبة.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) في (ف) زيادة: عليه السلام.

(٨) في (ف): وإما لتصوره.

(٩) أي موسىٰ.

(١٠) في (ف): فيه -بلا واو-.

(١١) قول غريب بعيد.

(١٢) "وهو" سقطت من (ك).

(١٣) ما بين القوسين ليس في (ك). وبعدها: أي.

(١٤) في الأصل: أن يستبقين. وما أثبته من (ف، ك). وهو أظهر.

وعجزهن عن المحاربة[١].

قوله ﷻ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ [الأعراف:١٢٨][٢] يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه أمرهم بذلك تسلية لهم من وعيد فرعون، كما يقول من نالته شدة[٣]: استعنت بالله.

والثاني- أنه موعد[٤] منه بأن الله سيعينهم علىٰ فرعون إن استعانوا به.

ثم قال: (واصبروا) يحتمل وجهين:

أحدهما- اصبروا[٥] علىٰ ما أنتم فيه من الشدة طمعـًا في ثواب الله تعالىٰ.

والثاني- أنه أمرهم بالصبر انتظاراً لنصر الله تعالىٰ[٦].

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف:١٢٨] فيه[٧] وجهان:

أحدهما- [أنه قال ذلك][٨] تسلية[٩] لقومه في أن الدنيا لا تبقي علىٰ أحد فتبقي علىٰ فرعون لأنها تنتقل من قوم إلىٰ قوم.

والثاني- أنه أشعرهم بذلك أن الله يورثهم أرض فرعون.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨] ويحتمل وجهين:

أحدهما- يريد[١٠] في الآخرة بالثواب.

والثاني- في الدنيا بالنصر[١١].

---

(١) لعل الأظهر في تعليل استبقائهن أحياء هو إرادة استرقاقهن والاستمتاع بهن.

(٢) ليست في (ف، ق).

(٣) في (ك): الشدة.

(٤) في الأصل (ك): (توعد)، والصواب ما أثبته من (ف، ق).

(٥) في (ف، ق): واصبروا.

(٦) زيادة من (ف).

(٧) في (ف): وفيه.

(٨) زيادة من (ف، ق).

(٩) في الأصل: تسكينة .

(١٠) في الأصل، (ك): يزيد.

(١١) وقيل الجنة وقيل العاقبة المحمودة. قال أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٦٨): (وفي وعد موسىٰ لقومه بالنصر وحسن =

قولـــه ﷻ: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ﴾ [الأعـــراف:١٢٩] فيـــه أربعة[1] أقاويل:

أحدها- أن الأذىٰ من قبل ومن بعد، أخذ الجزية. قاله الحسن[2].

والثـاني[3]- أن الأذىٰ مـن قبـل: تسـخيرهم لبنـي إسـرائيل في أعمـالهم إلـىٰ[4] نصـف النهـار وإرسالهم في بقيته ليكتسبوا لأنفسهم. والأذىٰ من بعد[5]: تسخيرهم في جميع النهار كله بلا طعام ولا شراب، قاله جويبر[6].

والثالث[7]- أن الأذىٰ الـذي كـان مـن قبـل: الاستعباد، وقتـل الأبنـاء[8]، والـذي كـان مـن بَعـد: (الوعيد بتجديد ذلك عليهم، [حكاه علي بن عيسىٰ[9].

الرابع- أن الأذىٰ كان من قبل][10] أنهم كانوا يضـربون[11] اللبِن، ويعطيهم التبن. والأذىٰ من بعد أن صاروا يضربون له اللبن ويجعل عليهم التبن، قاله الكلبي[12].

=

الخاتمة، ونتيجة طلب الإعانة توريث الأرض لهم، ونتيجة الصبر العاقبة المحمودة والنصر علىٰ من عاداهم فلذلك كان الأمر بشقين ينتج عنهما شيئان).

(١) في (ق): فيه قولان أحدهما.

(٢) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٤٥)، والقرطبي (٧/ ٢٦٣)، وأبو حيان (٤/ ٣٦٨).

(٣) سقطت هذا القول من (ق).

(٤) في الأصل (ك): لنصف. وما أثبته من (ف).

(٥) في الأصل (ك): من بعده. وما أثبته من (ف).

(٦) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٤٥)، والقرطبي (٧/ ٢٦٣) منسوبًا لجويبر، وورد في تفسير أبي حيان منسوبًا لجرير، وهو تحريف.

(٧) في (ق): الثاني.

(٨) في الأصل (ك): الأنبياء ، وهو تصحيف.

(٩) وروي مثله عن عكرمة، وقد ذكره ابن الجوزي من غير نسبة (٣/ ٢٤٦)، وذكره منسوبًا أبو حيان.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. وزيادته من (ف، ك).

(١١) في (ف): (يضربون له). واللَبِن -بكسر الباء- واحده لَبِنَة.

(١٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٦) عن الكلبي، وهو قول وهب بن منبه كما في تفسير الدر المنثور (٣/ ٥١٧) فيما أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عنه. وذكره أبو حيان (٤/ ٣٦٨) -عن الكلبي- وزاد: وكان النساء =

وفي قولهم: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:١٢٩] قولان:

أحدهما- من قبل أن تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئتنا بها، قاله ابن عباس.

والثاني- من قبل أن تأتينا بعهد الله إليك أنه يخلصنا، ومن بعد ما جئتنا به[١].

وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما- أنه شكوى ما أصابهم من فرعون واستعانة[٢] بموسى)[٣].

والثاني- أنهم قالوه استبطاء[٤] لوعد موسى[٥]، حكاه ابن عيسى[٦].[٧].

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩] (عَسَىٰ) في اللغة طمع وإشفاق. قال الحسن عسى من الله واجبة، وقال الزجاج: عسى من الله يقين[٨].

(يحتمل في هذا الموضع وجهين:

=

يغزلن له الكتان وينسجنه. وهو قول الزجاج (٢/ ٤٠٩). ونقل ابن عطية في تفسيره (٧/ ١٣٩): (أنه كان يكلفهم عمل الطوب ويمنعهم التبن ليشق عليهم عمله). أي حيث لا يتماسك بدونه فهو حكم بالأعمال الشاقة. والأولى إبقاء الآية على عموم مدلولها. فكلمة (الأذى) تشمل مختلف أصنافه والجزم بأن المراد هذا أو ذاك لابد له من دليل صحيح.

(١) ذكر ابن الجوزي هذين القولين في تفسيره (٣/ ٢٤٦) وعزا ثانيهما فقط للماوردي.

(٢) في (ف): استعانة -بدون واو-.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ف): استبطاء منهم.

(٥) في (ف): صلى الله عليه وسلم. قاله علي بن عيسى.

(٦) عبارة (ق): (وهذا القول منهم على وجه الاستبطاء لوعد موسى قاله علي بن عيسى).

(٧) أي هل قولهم ذلك مجرد استعطاف لا نفرة من الدين فلا يلحق إيمانهم شيء. أو أنه استبطاء لوعد موسى بزوال المضار عنهم فيدل ذلك على ضعف اليقين وقلة الدين.

يقول ابن عطية (٧/ ١٣٩): (.. هو كلام يجري مع المعهود من بني إسرائيل من اضطرابهم على أنبيائهم وقلة يقينهم وصبرهم على الدين واستعطاف موسى لهم بقوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩] ووعده لهم بالاستخلاف في الأرض يدل على أنه يستدعي نفوسًا نافرة. ويقوي هذا الظن في بني إسرائيل سلوكهم هذه السبيل في غير قصة).

(٨) عبارة الزجاج في كتابه معاني القرآن (٢/ ٤٠٦): (عسى طمع وإشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب. وهو معنى قول المفسرين: أن عسى من الله واجبة). والحق أنه لا يجب على الله شيء فنعمه فضل، وعقابه عدل، وظاهر الآية هنا صريح بأنه طمع ورجاء من موسى عليه السلام لمصلحة قومه.

أحدهما- أن تكون إيجاباً.

والثاني- أن تكون على الترجي أي أرجو أن يفعل الله ذلك [١].) [٢].

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩] فيه وجهان:

أحدهما- يجعلكم فيها خلفاء من فرعون وقومه [٣] فتكونون [٤] خلفاً من بعد سلف.

والثاني- يجعلكم فيها خلفاً لنفسه لأنكم أولياؤه وأولياء الله خلفاؤه [٥] في أرضه [٦].

و﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هنا قولان:

أحدهما- أرض مصر. قاله الكلبي [٧].

والثاني- أرض الشام) [٨].

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩] فيه [٩] وجهان:

أحدهما- فيرى [١٠].

والثاني- فيعلم أولياؤه [١١].

وفي قول موسى ذلك لقومة أمران:

---

(١) وهو الصواب، فهو رجاء من قبل العباد. وانظر الهامش السابق.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) في الأصل: وقوله، وهو تحريف. والصواب ما أثبته من (ف، ك).

(٤) في (ك): فتكون.

(٥) في الأصل: خلفاه.

(٦) ذكر هذين القولين ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٦) من غير عزو.

(٧) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٤٦)، وأبو حيان (٤/ ٣٦٩) عن ابن عباس، وذكرا -أيضاً- القول الثاني هنا ونسبه ابن الجوزي للماوردي. وقد تحقق ذلك فاستخلفوا في مصر زمن داود وسليمان، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٤٠).

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) عبارة (ق): (في قوله فينظر وجهان أحدهما فترى والثاني فنعلم).

(١٠) قاله الزجاج وعبارته (٢/ ٤٠٦): (أن يرى ذلك بوقوع منكم لأن الله -جل وعز- لا يجازيهم على ما يعلمه منهم من خطيئاتهم التي يعلم أنهم عاملوها لا محالة إنما يجازيهم على ما وقع منهم).

(١١) تأويل لا دليل عليه.

أحدهما- الوعد[١] بالنصر والاستخلاف[٢] في الأرض.

والثاني- التحذير من الفساد فيها لأن الله تعالىٰ ينظر كيف تعملون.

(فيه [٣] وجهان:

أحدهما- في طاعته [٤].

والثاني- في خلافته) [٥].

قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٠] فيه قولان:

أحدهما- يعني بالجوع، قاله مجاهد، وقتادة[٦].

والثاني- أن السنين الجدوب، قاله الحسن[٧].

والعرب تقول: أخذتهم السنة إذا قحطوا وجدبوا[٨].

وقال الفراء: المراد بالسنين الجدب والقحط عاماً[٩] بعد عام[١٠].

(وقيل: أنهم قحطوا سبع سنين [١٤٥/ ظ] متواليات [١١]).

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف:١٣٠] يحتمل وجهين:

أحدهما- قلة [١٢] ريعها ليعلموا ارتفاع البركات بحدوث المعاصي.

---

(١) في (ق): الوعيد.

(٢) في الأصل: والاستحقاق، وهو تحريف.

(٣) في (ف): وفيه -بالواو-.

(٤) في الأصل (ك): طاقته. وما أثبته من (ف).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٤٤)، والطبري (١٣/ ٤٦).

(٧) وهو قول أبي عبيدة (١/ ٢٢٥)، والزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٠٦) وعبارته: (السنين في كلام العرب الجدوب، يقال مستهم السنة ومعناه جدب السنة وشدة السنة ونقص الثمرات).

(٨) في الأصل: (أوجدبوا)، وفي (ك): أو جذبوا. وما أثبته من (ف، ق).

(٩) في الأصل، (ك): (علم)، وما أثبته من (ف، ق).

(١٠) انظر كتابه: معاني القرآن (١/ ٣٩٢).

(١١) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٦٩).

(١٢) في الأصل، (ك): (ليعلموا قلة ..)، وما أثبته من (ف).

والثاني- تلفها بعد حدوثها ليتحققوا الانتقام بعد ظهور العناد [١].) [٢].

قولــه ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ [الأعراف:١٣١] [٣] في الحسنة والسيئة وجهان [٤]:

أحدهما- أن الحسنة: الخصب، والسيئة: (الجدب.

والثاني- أن الحسنة: السلامة والأمن، والسيئة: الأمراض) [٥]، والخوف.

ويحتمل [٦] ثالثـًا- أن تكون الحسنة: الغنىٰ، والسيئة: الفقر [٧].

﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ [الأعراف:١٣١] [أي هذه كانت حالنا في أوطاننا وقبل اتباعنا لك، جهلاً منهم بأن الله تعالىٰ هو المولي لها] [٨].

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف:١٣١] أي يتشاءمون [بموسىٰ ومن معه] [٩] ويقولون له [١٠] هذا من اتباعنا إياك [١١]، وطاعتنا لك [١٢] علىٰ ما كانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة

---

(١) وجهان محتملان. وقد روي عن رجاء بن حيوة أن النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة وهو تحديد يحتاج إلىٰ دليل. وقال ابن عباس وقتادة أن السنون كانت لباديتهم ومواشيهم ونقص الثمرات لأمصارهم وقراهم. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٦)، وأبو حيان (٤/ ٣٦٩).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) في (ف، ق): (.. يطيروا بموسىٰ ومن معه).

(٤) في (ف، ق): هاهنا وجهان.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) سقط هذا القول من (ق). وفي (ف): ويحتمل وجهـًا ثالثـًا.

(٧) الأولىٰ حمل ما ورد في هذه الوجوه علىٰ التمثيل دون التحديد. فالحسنة تشمل كل جوانب السراء والرخاء. والسيئة تعم كل جوانب الضراء والبلاء.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. وإثباته من بقية النسخ.

(٩) زيادة من (ف).

(١٠) سقطت من (ق).

(١١) في (ف): لك. وفي (ق): إياكم.

(١٢) في (ف): إياك.

اليمين[١]، ثم قال رداً لقولهم.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] فيه [٢] وجهان:

أحدهما- أي حظهم من العقاب.

والثاني- أي طائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر، والنفع والضر من عند الله لا صنع فيه لمخلوق.

قوله ﷻ: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾ [الأعراف:١٣٣] .. الآية[٣].

أما الطوفان ففيه ستة تأويلات[٤]:

أحدها- أنه الغرق بالماء الزائد، قاله ابن عباس[٥].

الثاني- أنه الطاعون، قاله مجاهد[٦].

الثالث- الموت، قاله عطاء[٧]. وروت عائشة ﵂ قالت: قال النبي ﷺ (الطوفان الموت)[٨].

الرابع- أنه أمر من[٩] الله طاف بهم، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس أيضاً[١٠].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٧) وهي عبارة الماوردي. وانظر الحديث عن الزجر وكيفيته عند العرب في: مفتاح السعادة لابن القيم (٢/ ٢٢٩)، وبلوغ الأرب للألوسي (٣/ ٣٠٧).

(٢) عبارة (ق): (أي طائر البركة وطائر الشؤم من الخير) وهي محرفة بالسقط.

(٣) في (ف): آيات مفصلات.

(٤) في بقية النسخ: أقاويل.

(٥) وهو قول قتادة، والضحاك، وسعيد بن جبير، وأبي مالك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٩)، وابن الجوزي (٣/ ٢٤٨)، وأبي حيان (٤/ ٣٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٢)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧١).

(٦) رواية عن مجاهد، ورويت عن وهب -أيضاً- وما في تفسير مجاهد (١/ ٢٤٤): أنه الموت على كل حال وكذا في تفسير الطبري (١٣/ ٥٠-٥١) عنه. وروي عنه -أيضاً- أنه الماء.

(٧) ورواية عن مجاهد، ووهب بن منبه.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥١) بسنده. وفيه المنهال بن خليفة العجلي وهو ضعيف، والحجاج بن أرطأة وهو مدلس، وقد تركه ابن المبارك، ويحيى القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد. وذكر الحديث ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٤٠) عن الطبري ثم قال: (وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن يمان به وهو حديث غريب)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٩) وزاد نسبته لابن أبي حاتم وأبي الشيخ. فالحديث ضعيف لضعف المنهال، ولذا قال أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٧٣): لو صح وجب المصير إليه. وانظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (١/ ٢٧٧، ٤/ ٢٣٧).

(٩) في (ق): .. من الله وهو مروي أيضاً عن ابن عباس.

(١٠) وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٢) وأنه مصدر من قول القائل: طاف بهم أمر الله يطوف طوفاناً. فجائز أن يكون =

والخامس- كثرة[١] المطر والريح، واستدل قائله[٢] بقول الحسن بن عُرْفطة[٣]:

غَيَّـــرَ الْجِـــدَّةَ مِـــنْ عِرْفَانِـــهِ ** حَـرَقٌ[٤] الـرِّيحِ وَطُوفَـانُ الْمَطَـرِ[٥]

والسادس- أنه عذاب ينزل من السماء، واستدل قائله[٦] بقول[٧] أبي النجم:

وَمَـــدَّ طُوفَـــانٌ فبَـــث[٨] بَـــرداً ** شَـهْراً شَـآبِيبَ[٩] وَشَـهْراً مـدداً[١٠][١١]

= الذي طاف بهم المطر الشديد، وجائز أن يكون الموت الذريع. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٤٢).

(١) في (ف، ق): أنه كثرة.

(٢) في (ف، ق): قائل ذلك.

(٣) في الأصل: (عرفله) والصواب ما أثبته من بقية النسخ. وكلمة (الحسن) طمس أولها في (ف) وظهر من آخرها الياء والنون. فكأنها (الحسين). وهو شاعر جاهلي اختلف في اسمه فقيل: الحسن كما هنا. ولسان العرب، وتاج العروس مادة "كون". وأصل تفسير الطبري (١٣/ ٥٣). وقيل: حسين، كما في الأظهر من نسخة (ف)، وهو قول أبي حاتم، وقد خطّأه أبو زيد في نوادره (ص٢٩٥)، وسماه: (حُسَيْل بن عرفطة) بالتصغير، وهو ما رجحه محمود شاكر في تعليقه علىٰ تفسير الطبري (١٣/ ٥٣) وأثبته. قلت: وهو الأنسب لزمنه، واسم أبيه. وقد رواه أبو العباس (حَسِيل).

(٤) هذا الضبط من نسخة (ف). وجاء في تفسير الطبري (خُرُق) وهي رواية الأصمعي وكما في نوار أبي زيد (ص٢٩٦). وهي بهذا الضبط جمع خريق وهي الريح الشديدة التي تخترق المواضع. وفي نوادر أبي زيد: خِرُق: جمع خِرْقة وهي القطعة من الريح.

(٥) البيت في تفسير الطبري (١٣/ ٥٣)، وابن عطية (٧/ ١٤٢)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٣٠٨)، ونوادر أبي زيد (ص٢٩٦)، وقبله فيه:

لـم يـك الحـقّ علـىٰ أن هاجـه ** رسـم دار قـد تعفـىٰ بالسِّـرر

وعند الطبري والأخفش: (آياتها) بدل (عرفانة).

(٦) في (ف، ق): قائل ذلك.

(٧) سقطت من (ق).

(٨) في الأصل: (فيت مددا). وكلمة (برداً) تحتمل في (ق): فرداً، وما أثبته من (ف). وفي تفسير الطبري (١٣/ ٥٤)، وابن عطية (٧/ ١٤٢): فبت مددا.

(٩) في الأصل، (ك): سالبيت ، وهو تحريف. والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر. وقال ابن سيده: لا يقال للمطر شؤبوب إلا وفيه برد.

(١٠) لم أجد هذا البيت في ديوان أبي النجم بشرح: علاء الدين آغا. وقد ذكره الطبري في تفسيره (٣/ ٥٣). وعلق عليه الشيخ محمود شاكر بقوله: (لم أجده في مكان آخر). قلت: وقد ذكره ابن عطية في تفسيره (٧/ ١٤٢) منسوباً. ورواية آخره فيهما: (شهرابردا).

(١١) وأولىٰ هذه الأقوال متردد بين ما قاله ابن عباس واختاره الطبري من أنه أمر من أمر الله طاف بهم لأن الطوفان مصدر =

(وقيل [(١)]: أنه دام بهم هذا الطوفان ثمانية أيام من السبت إلىٰ السبت [(٢)]. قال ابن عباس: فلما زال عنهم الطوفان خرج نبات زرعهم حسناً فقالوا: هذه نعمة، فأرسل الله عليهم (الجراد بعد شهر فأكل جميع ما أنبتت الأرض وبقي من السبت إلىٰ السبت. ثم طلع بعد شهر من الزرع ما قالوا هذا يكفينا فأرسل الله] [(٣)] عليهم القمّل فسحقه [(٤)] سحقـاً [(٥)]).

وأما (ٱلْقُمَّلَ) فيه خمسة أقاويل:

أحدها- أنه الدبىٰ وهو صغار الجراد لا أجنحة له. قاله ابن عباس، (وقتادة ومجاهد[(٦)].

الثاني- السوس الذي في الحنطة قاله سعيد [بن جبير][(٧)]، ويروىٰ عن ابن عباس[(٨)].

والثالث)[(٩)]- البراغيث، قاله ابن زيد[(١٠)].

والرابع- القردان، قاله أبو عبيدة[(١١)].

والخامس- هو دواب سود صغار، قاله الحسن، وابن[(١٢)] جبير[(١٣)]، قال الأعشىٰ[(١٤)]:

=

طاف يطوف فهو عام في كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم:١٩] وبين ما قاله ابن عباس -أيضـًا- أنه الغرق بالماء الزائد لأنه أكثر استعمال العرب له.

(١) سقطت من (ك) وبعدها: أي.

(٢) قاله ابن عباس، وقال الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٩٢): (أرسل الله عليهم السماء سبتاً فلم تقلع ليلاً ولا نهاراً...). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٤٨)،وأبي حيان (٤/ ٣٧٢).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. وإثباته من (ف، ك).

(٤) في (ف): فسحقها.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٤٤)، وتفسير الطبري (١٣/ ٥٤).

(٧) زيادة من (ف) وبعدها: وهو مروي.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٤)، وابن عطية (٧/ ١٤٣).

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٥).

(١١) انظر كتابه: معاني القرآن (١/ ٢٢٦) لكنه قال: إن القمل عند العرب هو الحمنان. والحمنان ضرب من القردان واحدتها حمنانة. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٦)، وابن الجوزي (٣/ ٢٤٩).

(١٢) في (ف، ق): وسعيد بن جبير.

(١٣) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٥)، وذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٤٩) ثم قال: وقيل هذه الدواب هي السوس.

(١٤) في (ف، ق): وشاهده قول الأعشىٰ.

قَوْمــــاً تُعَــــالِجُ قُمَّــــلاً أَبْنَــــاؤهُهُمْ ** وَسَلاَسِــــلاً أُجْــداً[١] وَبَابــاً مُؤْصَــداً[٢][٣]

وواحد[٤] القمّل قمّلة[٥].

وأما الضفادع فواحدها ضفدع، وهو مشهور. وقيل: إنه كان يوجد في فرشهم وآنيتهم، ويدخل ثيابهم فيشتد أذاؤه[٦] لهم.

وأما الدم ففيه قولان:

أحدهما- أن ماء شربهم كان يصير دمًا عبيطًا، وكان إذا غرف القبطي من الماء صار دمًا وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء.

والثاني- أنه رعاف كان يصيبهم، قاله زيد بن أسلم[٧].

(﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف:١٣٣] فيها قولان:

أحدهما- مبيّنات لنبوة موسىٰ[٨].

الثاني- مفصل بعضها عن بعض لأن هذه الآيات لم تجتمع في وقت واحد[٩] وكانت تأتي شهراً[١٠]

---

(١) في (ق): احدوا.

(٢) في الأصل: مرصدا.

(٣) انظر: ديوان الأعشىٰ بتحقيق محمد محمد حسين (ص٢٧٩)، وتفسير الطبري (١٣/ ٥٦) وفي الديوان: (يعالج)، و(أُجُدا). والبيت من قصيدة قالها يرفض فيها طلب كسرىٰ لرهائن من رهط الأعشىٰ. وقبله:

لسـنا كمـن جعلـت ايـاد دارهـا ** تكريـت تنظـر حبّهـا أن يحصـدا

(٤) في الأصل: وأوحد.

(٥) ومن الأقوال في القمّل أنه القمل. قاله عطاء الخراساني وزيد بن أسلم وتشهد له قراءة الحسن: (القَمْل). انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٤٣)، وأبي حيان (٤/ ٣٧٣) وهو معنىٰ القول الخامس.

(٦) في (ف، ق): أذاه.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٨)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٠) وقد نسب القول الأول للجمهور. وقال عنه ابن عطية (٧/ ١٤٣) أنه قول جماعة المتأولين.

(٨) في (ف) زيادة: صلىٰ الله عليه وسلم.

(٩) سقطت من (ف).

(١٠) في الأصل: -شهر- بالرفع.

بعد شهر فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذار، فكان بين كل آيتين[١] شهر[٢].

﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ [الأعراف:١٣٣] فيه وجهان:

أحدهما- عن الانزجار بالآيات.

الثاني- عن الإيمان بموسىٰ[٣].

﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣] فيه وجهان:

أحدهما- كافرين.

والثاني- متعدّين[٤].)[٥].

قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ [الأعراف:١٣٤] [١٤٦/ و] فيه قولان:

أحدهما- أنه العذاب، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد[٦].

الثاني- هو طاعون أصابهم فمات[٧] به من القبط سبعون ألف إنسان، قاله سعيد بن جبير[٨].

---

(١) في الأصل: اثنين.

(٢) جمع الطبري بين القولين واعتبرهما قولاً واحداً (١٣/ ٦٨) فقوله: (آيات) أي علامات ودلالات علىٰ صحة نبوة موسىٰ. ومفصلات) أي قد فصل بينها وجعل بعضها في أثر بعض. فهي مبيّنة وهي منفصلة. وقد روي أن الآية تبقىٰ من السبت إلىٰ السبت ثم ترفع عنهم شهراً وقيل غير ذلك وقد أحسن أبو حيان حين عقب علىٰ ما ساقه من روايات بقوله: (والذي دلت عليه الآية أنه أرسل عليهم ما ذكر فيها وأما كيفية الإرسال ومكث ما أرسل عليهم من الأزمان والهيئات فرجعه إلىٰ النقل عن الأخبار الإسرائيليات إذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء). انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٧٤)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥١).

(٣) في (ف): (عليه السلام). وقد ذكر هذين القولين ابن الجوزي في تفسيره باختصار (٣/ ٢٥١).

(٤) في (ف): معتدين.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٢٥) هذا التفسير مرفوعـًا إلىٰ النبي ﷺ من حديث عائشة فيما أخرجه ابن مردويه. وقد فسر ابن زيد هذا العذاب بأنه ما سلطه الله عليهم من الجراد والقمل والضفادع ... وغير ذلك مما تقدم ذكره في الآية. وعليه فإن سؤالهم هذا يكون بعد وقوع جميعها. ويحتمل أن يكون بعد وقوع نوع منها والأول أظهر. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٧١)، وأبي حيان (٤/ ٣٧٤).

(٧) في الأصل: ... صابهم فماتت. وما أثبته من بقية النسخ.

(٨) في (ق): (سعيد بن جبير). وفي (ف): (سعيد بن جبير والسدي). وهو قول لابن عباس في حديث طويل. وقد ضعّفه ابن عطية في تفسيره (٧/ ١٤٤) لأنه مما يؤخذ من كتب بني إسرائيل. واختار الطبري عدم التحديد للعذاب فكل ذلك جائز =

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الأعراف:١٣٤] فيه ثلاثة[١] أقاويل:

أحدها- بما تقدم إليك[٢] به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك.

والثاني[٣]- [بما][٤] وصاك به أن تفعله[٥] في قومك، قاله السدي.

والثالث- أن ذلك منهم علىٰ معنىٰ القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم[٦].

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف:١٣٤] وهذا قول قوم فرعون، ويحتمل وجهين:

أحدهما- لنصدقنك يا موسىٰ أنك[٧] نبي.

والثاني- لنؤمنن بك يا الله أنك إله واحد[٨].

قوله ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ[٩] كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] يحتمل وجهين:

أحدهما- يستقلون.

والثاني- يستذلون وهم بنو إسرائيل[١٠].

= ولم يرد في تعيينه نص. ولم أقف علىٰ نسبة هذا القول للسدي. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٧٠)، وابن الجوزي (٣/ ٢٥١)، والدر المنثور (٣/ ٥٢٥).

(١) في (ق): فيه قولان.

(٢) في (ف): .. به إليك. ومثلها في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٢).

(٣) ها القول ليس في (ق) وما بعده هو الثاني فيها.

(٤) زيادة من (ف).

(٥) في الأصل (ك): يفعله.

(٦) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٥٢) من غير نسبة. وزاد رابعاً وهو قوله: (بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن) غير أنه قول لا تفسير فيه. وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٢٧٤)، وابن عطية (٧/ ١٤٤)، وقد رجح معنىٰ الأول لأنه أعم وألزم.

(٧) سقطت هذه الجملة من (ف).

(٨) إيمانهم لموسىٰ يعني تصديقهم بنبوته واستجابتهم لدعوته في توحيد الله فليسا قولين متغايرين بل متكاملين، والآية تدل علىٰ أن موسىٰ طلب منهم شيئين: الإيمان، وإرسال بني إسرائيل معه.

(٩) صدر الآية ليس في الأصل، (ك). وإثباته من (ف، ق).

(١٠) واستذلالهم كان بذبح الأبناء، واستخدام النساء وتسخير الرجال. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٣).

﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف:١٣٧] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- يريد الشرق والغرب، قاله ابن عيسىٰ[١].

والثاني- [٢] أرض الشام ومصر، قاله الحسن[٣].

والثالث[٤]- أرض الشام وحدها، شرقها وغربها، قاله قتادة[٥].

﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف:١٣٧] فيه قولان:

أحدهما- بالخصب.

والثاني- بكثرة الأنهار والأشجار والثمار[٦].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف:١٣٧][٧] فيها قولان:

أحدهما- أن تمام كلمة[٨] الحسنىٰ ما قد[٩] وعدهم من هلاك[١٠] عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله[١١]: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ ﴾[١٢] [الأعراف:١٢٩]

---

(١) في (ف): (علي بن عيسىٰ). ذكر ابن الجوزي هذا القول في تفسيره (٣/ ٢٥٣) من غير نسبة. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٤٦).

(٢) في (ف): هي. وفي (ق): هو.

(٣) هو أحد الأقوال عن الحسن. وعنه أنها الشام وحدها. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٧٦)، وابن الجوزي (٣/ ٢٥٣)، وابن عطية (٧/ ١٤٦)، وأبي حيان (٣/ ٣٧٦).

(٤) في (ف، ق): هي.

(٥) انظر: المصادر السابقة. ومجمع البيان للطبرسي (٩/ ٨) – طبعة دارالفكر (١٣٧٦هـ).

(٦) عن ابن عباس أن هذه البركة بالماء والشجر. وقيل بكثرة الأنبياء والأولىٰ الإطلاق للتعميم. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٣)، وأبي حيان (٤/ ٣٧٦).

(٧) في (ف، ق): بما صبروا.

(٨) في (ق): كلمته. وفي (ف): كلمة ربك.

(٩) "قد" ليست في بقية النسخ.

(١٠) في (ف، ق): إهلاك.

(١١) في (ف): في قوله تعالىٰ. وقد سقطت هذه الآية من (ق).

(١٢) ذكره ابن عطية (٧/ ١٤٧)، وأبو حيان (٤/ ٣٧٦) من غير نسبة.

وسماها الحسنىٰ[1] لأنه وعد بما يحبون.

والثاني- هي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥] إلىٰ[2] قوله: ﴿يَحْذَرُونَ﴾ [3] [القصص:٥، ٦].

(وفي قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف:١٣٧] وجهان:

أحدهما- بما صبروا علىٰ أذىٰ فرعون.

الثاني- بما صبروا علىٰ طاعة الله[4] تعالىٰ[5]) [6].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف:١٣٩] فيه[7] ثلاثة أوجه:

أحدها- باطل، قاله الكلبي[8].

والثاني- ضلال، حكاه أبو اليسع[9].

والثالث- مهلك[10]، ومنه التبر، الذهب. وفي تسميته بذلك قولان:

أحدهما- لأن[11] مَعْدِنه مهْلكة.

---

(١) سقطت من (ق).

(٢) في (ق): ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص:٥-٦].

(٣) ممن قال بهذا المهدوي والزمخشري. انظر: الكشاف (٢/ ١٠٩)، وتفسير ابن عطية (٧/ ١٤٧)، وأبي حيان (٤/ ٣٧٦).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) وقد ذكر ابن الجوزي هذين القولين في تفسيره (٣/ ٢٥٤) من غير عزو.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) عبارة (ق): (أي مهلك ومنه التبر الذهب).

(٨) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٧٨) عن الكلبي بفظ: (مبطل). قلت: ولا يساعده آخر الآية لقوله: وباطل ما كانوا يعملون.

(٩) ذكره أبو حيان منسوباً بلفظ: مضلل (٤/ ٣٧٨).

(١٠) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص١٧٢) وقال السدي وابن زيد: متبر: مهلك مدمر رديء العاقبة. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٥)، وأبي حيان (٤/ ٣٧٨).

(١١) في (ف): أن.

والثاني- لكسره، وكل إناء مكسور متبّر. قاله الزجاج[١]. [٢].

وقال الضحاك هي كلمة نبطية[٣] [ليس بصحيح][٤] لما ذكرنا [٥].

قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف:١٤١][٦] قال هذه تذكيراً[٧] لنِعَمه.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٤١] أي أشد العذاب.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [الأعراف:١٤١] [أي يقتلون أبناءكم صغاراً ويستحيون نساءكم للاسترقاق والاستخدام كباراً] [٨].

﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٤١] فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- أن[٩] ما فعله فرعون بكم من قتل الأبناء واسترقاق النساء بلاء عليكم[١٠] عظيم، قاله الكلبي.

والثاني- أنه ابتلاء لكم واختبار عظيم، قاله الأخفش[١١].

والثالث- في خلاصكم من ذلك بلاء عظيم[١٢]، أي نعمة عظيمة، قاله ابن قتيبة[١٣].

---

(١) أي ويقال لكسارته تبر. ومنه تبر الذهب أي كسارته. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٠)، وتفسير ابن عطية (٧/ ١٥٠).

(٢) جاء في الأصل (ك): زيادة قوله: (قال الزجاج). وهو وهم من الناسخ.

(٣) وهو قول لسعيد بن جبير كما في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب للسيوطي (ص٧٩).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل (ك)، والجملة بكاملها من: (وقال الضحاك...) ساقطة من (ق):

(٥) أي في بيان أصل اشتقاق الكلمة.

(٦) جاء بعدها في الأصل، (ك): (يسومونكم) ولم ترد في (ف، ق).

(٧) في (ق): يذكر النعمة.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. وزيادته من بقية النسخ.

(٩) في الأصل، (ف، ك): إنما.

(١٠) سقطت من (ف).

(١١) لم يرد هذا القول في معاني القرآن للأخفش: سعيد بن سعدة بتحقيق: د. فائز فارس (٢/ ٣٠٩). ولعله ذكره في مؤلف آخر.

(١٢) في (ق): عليكم عظيم. وفي (ف): عليكم عظيماً.

(١٣) عبارته في كتابه تفسير غريب القرآن (ص١٧٢): (أي: في إنجائه إياكم نعمة من الله عظيمة). وجاء في تفسير الطبري (١٣/ ٨٥) قوله: (يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة). وقد جاء عن الأصمعي أن
=

قوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا[(١)] مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢] فيها قولان:

أحدهما- أن الثلاثين ليلة شهرٌ أمر بصيامه[(٢)]، والعشر[(٣)] بعدها أجل لمناجاة ربه[(٤)].

والثاني- أن الأربعين كلها أجل لمناجاة ربه، أجّل في الأول ثلاثين ليلة ثم زيد[(٥)] عشراً[(٦)] بعدها. وقد[(٧)] قيل: إنه ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، حكي ذلك عن مجاهد، وابن جريج، ومسروق[(٨)].

﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف:١٤٢] يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة، (وكان وعده إلىٰ الجبل الذي كلمه فيه) [(٩)].

فإن قيل: فمعلوم أن العشر [مع][(١٠)] الثلاثين مستكملة أربعين، فما معنىٰ قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾.

=

البلاء من الأضداد حيث قال: (البلاء يكون نعمة ومنحة ويكون نقمة ومحنة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء:٣٥] وقال أيضاً: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال:١٧]، وقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:٤٩] راجع إلىٰ الأمرين إلىٰ المحنة التي في قوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [البقرة:٤٩] وإلىٰ المنحة التي في قوله: (أنجاكم)).أ.هـ. قوله: أنجاكم. كذا في الأصل، وهي قراءة ابن عامر لقوله: أنجيناكم. انظر: ثلاث كتب في الأضداد (ص٥٩).

(١) في الأصل، (ك): (ووعدنا) وهي قراءة لأبي عمر وأبي بن كعب، وأبي رجاء. انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٥٢).

(٢) في الأصل (ك): (شهراً من قضينا به)، وهو تحريف، وما أثبته من (ف، ق).

(٣) في (ق): والعشرة.

(٤) أي أن صوم الثلاثين استعداد وتهيؤ للمناجاة. وأما العشر فهي مدة المناجاة. انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٥٣)، وأبي حيان (٤/ ٣٨٠).

(٥) في (ق): زيدت.

(٦) في الأصل (ك): عشر.

(٧) في (ف): وقيل.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٨٦)، وابن عطية (٧/ ١٥٢).

(٩) ورد عوض ما بين القوسين في هذا الموضع في الأصل، (ك). قوله: (ليدل بذلك علىٰ أن العشر هي ليال وليست ساعات) ووردت الجملة أعلاه في موضع هذه العبارة الآتي قريباً. والتريب الذي أثبته من (ف) وهو الصواب، ولم ترد هاتان العبارتان في (ق).

(١٠) سقطت من الأصل، وزيادتها من بقية النسخ.

فعن ذلك ثلاثة[1] أجوبة:

أحدها- أنه تأكيد في الذكر فلم يمتنع.

والثاني- ليدل بذلك أن العشر هي ليال وليست ساعات.

والثالث- لينفي[2] إتمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين[3] لأن تمام الشيء بعض منه[4].

(فإن قيل: فلم زاد في أجل وعده[5] بعد [146/ ظ] الثلاثين عشراً جعلها أجلاً ثانياً فأخر بها موعده[6]؟

قيل: عن ذلك جوابان:

أحدهما- أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فزاده الله لتأخرهم عنه أجلاً ثانياً ليحضروا.

والثاني- لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلاً ثانياً عقوبة لهم[7].

ويحتمل جواباً ثالثاً- أن يكون الله فعل ذلك به اختباراً لقومه فيتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن[8] من المرتاب[9].)[10].

والفرق بين الوقت والميقات وإن كانا[11] من جنس أن الميقات ما قدّر لعمل[12]، والوقت قد

(1) في (ق): جوابان أحدهما) وقد سقط منها القول الثاني.

(2) في (ف): لينتفي.

(3) بعدها في الأصل (ك): زيادة: تمام.

(4) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في تفسيره (3/ 255) من غير نسبة. وهي في الجملة للتأكيد والإيضاح مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة:196].

(5) عبارة (ف): فلم زاد الله تعالىٰ في أجله بعد الثلاثين.

(6) في (ف): وعده.

(7) ذكره أبو حيان في تفسيره (4/ 380) من غير نسبة.

(8) في الأصل: المتقين، وهو تحريف. وما أثبته من (ف، ك).

(9) هو قول للمؤلف حيث عبر عنه بالاحتمال كما صرح في مقدمة التفسير.

(10) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(11) في (ك): كان.

(12) تحتمل في الأصل: (بعمل) واللفظة غير واضحة في (ف). وما أثبته من (ك، ق) وهو الأظهر. والمعنىٰ أن الميقات ما =

لا يتقدر لعمل[٩].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٤٣] .. الآية، في سؤال موسىٰ -عليه السلام- ذلك لربه ثلاثة أقاويل:

أحدها- ليرد عليه من جواب الله تعالىٰ ما يحتجّ به علىٰ قومه حين قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة:٥٥] مع علم موسىٰ بأنه لا يجوز أن يراه في الدنيا[١].

الثاني- أنه كان يعلم ذلك باستدلال فأحب[٢] أن يعلمه ضرورة[٣].

الثالث- أنه جوّز ذلك وظنه وأنّ رؤيته في الدنيا ممكنة، قاله الحسن، والربيع، والسدي[٤].

فأجابه الله تعالىٰ بأن قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] . ثم أظهر بعد ذلك[٥] الجواب ما يعلم به استحالة مسألته فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣] .. الآية[٦]؛ لأن الجبل إذا لم يستقر لرؤيته فالإنسان[٧] بذلك أولىٰ[٨].

=

قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للإحرام فيها. أما وقت الشيء فهو قدره. انظر: مجمع البيان للطوسي (٩/ ١٢)، وتفسير أبي حيان (٤/ ٣٨٠) وفي عبارته سقط حيث قال: (... والوقت وقت الشيء) تمامها: أي قدره.

(١) أي أنه سأل الرؤية لقومه لا لنفسه. وهذا من توجيهات بعض المعتزلة كالجبائي وغيره. وقد رد هذا بأنه لو كان الأمر كذلك لقال: أرهم ينظرون إليك. ولقيل في الجواب: لن تروني وأيضاً لو كان محالاً لمنعهم منه كما منعهم ورفض طلبهم بأن تكون لهم آلهة حين قالوا له: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف:١٣٨] فأجابهم بقوله لهم: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] . انظر: الكشاف (٢/ ١١٣)، والبحر المحيط (٤/ ٣٨٣)، ومجمع البيان للطوسي (٩/ ١٥٩).

(٢) في الأصل: (واجب). وهي تصحيف: وأحب.

(٣) وجه آخر من توجيهات المعتزلة حكىٰ نحوه الأصم حين قال: (المقصود أن يذكر من الدلائل السمعية ما يدل امتناع الرؤية حتىٰ يتأكد الدليل العقلي بالدليل السمعي). انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٨٣).

(٤) وهو معنىٰ ظاهر الآية.

(٥) في (ف): مع ذلك. وفي (ق): مع الجواب. وفي (ك): ثم أظهر في الجواب.

(٦) في (ك، ق): فإن استقر مكانه فسوف تراني.

(٧) في الأصل: والإنسان. والصواب ما أثبته من بقية النسخ.

(٨) استدل المعتزلة النافون لرؤية الله سبحانه وتعالىٰ بهذه الآية وقالوا بأن "لن" للنفي المؤبد. وهذا غلط فقد وردت دون أن
=

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣] ومعنىٰ تجلىٰ أي ظهر مأخوذ من جلاء العروس إذا ظهرت، ومن جلاء المرآة إذا أضاءت[١].

وفي تجليه أربعة[٢] أقاويل:

أحدها- أنه ظهر[٣] بآياته التي أحدثها في الجبل لحاضري الجبل[٤].

الثاني- أنه[٥] أظهر للجبل من[٦] ملكوته ما تدكدك به، لأن الدنيا لا تقوم لما يبرز من ملكوت السماء[٧].

=

يراد بها التأبيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥] لأنه أخبر عنهم بتمنيه في الآخرة بقوله: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزُّخرُف:٧٧] . والحق جواز الرؤية عقلاً في الدنيا وتحققها للمؤمنين في الآخرة. أما في الدنيا فلهذه الآية حيث أن موسىٰ مع علمه بالله تعالىٰ سألها إذ لو كانت مستحيلة لما جاز له أن يسألها فالأنبياء أكمل الناس معرفة بالله. ولأن الله لم ينكر عليه المسألة في الآية وإنما منعه من الرؤية، إذ لو كانت مستحيلة لقال: (لا أرىٰ) فدل علىٰ أن معنىٰ الآية هنا: لن تراني في الدنيا وهو قول ابن عباس وغيره. ولأنه علقها باستقرار الجبل وهو أمر جائز غير مستحيل فدل علىٰ جوازها. ولو كانت مستحيلة لعلقها علىٰ مستحيل كما علق دخول الكفار الجنة لاستحالته بقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] . أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم وهي أكمل وأكبر نعمه عليهم دل علىٰ ذلك:

١-قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] .

٢-مفهوم المخالفة في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾. [المطفِّفين:١٥] .

٣-ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] . الحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجهه الكريم. وغير ذلك من النصوص.

انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٦)، وتفسير ابن عطية (٧/ ١٥٤)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٣٢).

(١) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٢).

(٢) في (ق): ثلاثة أقاويل.

(٣) في (ك): أظهر.

(٤) ذكره الطوسي في مجمع البيان من غير نسبة (٩/ ١٧).

(٥) في (ق): أنه إذا أظهر.

(٦) في الأصل: (في)، وما أثبته من بقية النسخ.

(٧) قاله المبرد كما ذكره أبو حيان في تفسيره مختصراً (٤/ ٣٨٤).

والثالث- أنه أبرز قدر الخنصر من العرش[1]. [2].

الرابع- أنه أظهر[3] أمره للجبل[4].

وفي قوله[5] تعالىٰ: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣] فيه أربعة أقاويل:

أحدها- يعني مستويـًا بالأرض، مأخوذ من قولهم ناقة دكاء[6] إذا لم يكن لها سنام، قاله ابن[7] قتيبة وعلي بن عيسىٰ.

الثاني- أنه ساخ في الأرض، قاله الحسن وسفيان[8].

الثالث- أنه صار ترابـًا، قاله ابن عباس[9].

الرابع- أنه صار قطعـًا، قاله[10] مقاتل.

وكان أعظم جبل بمدين تقطع ست قطع تفرقت في الأرض، صار منها بمكة ثلاثة أجبل: ثبير،

---

(١) في الأصل: العشر. وهو وهم من الناسخ.

(٢) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٨٤) من غير نسبة ولا تحديد للمقدار، وذكره الطوسي في مجمع البيان (٩/ ١٧). وهو تفصيل وتحديد لما لم يثبت عليه دليل.

(٣) في (ك): ظهر. ولم يرد هذا القول في (ق).

(٤) ذكره أبو حيان (٤/ ٣٨٤) من غير نسبة، وهو تأويل للآية وصرف لها عن ظاهرها من غير دليل. والصواب من ذلك نسبة التجلي إليه سبحانه وتعالىٰ كما هو صريح الآية علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته.

(٥) عبارة (ك): جعله دكا فيه أربعة أقاويل.

(٦) في الأصل: دكت. وما أثبته من بقية النسخ.

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٢). وقد نسبه أبو حيان (٤/ ٣٨٤) للجمهور. واختار الطبري (١٣/ ١٠١) الجمع بينه والذي بعده إذ لا شك أنه إذا ساخ فذهب فقد ظهر وجه الأرض فصار بمنزلة الناقة التي ذهب سنامها وصارت دكـًا بلا سنام.

(٨) وهو سفيان الثوري. انظر: تفسيره (ص١١٣) وعبارته: "بعضه ذهب في البحور، وبعضه هصر يعني الجبل لما تجلىٰ ربه". وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٩٨)، وابن عطية (٧/ ١٥٧)، وأبي حيان (٤/ ٣٨٤) وتمامه في رواية الطبري: حتىٰ وقع في البحر فهو يذهب معه. كلهم عن سفيان. وذكره الطوسي في مجمع البيان (٩/ ١٧) عن الحسن.

(٩) أخرجه الطبري (١٣/ ١٠١) عن عكرمة. وذكره الطوسي في مجمع البيان (٩/ ١٧) عن ابن عباس.

(١٠) في (ق، ك): (قال). وقد ذكره أبو حيان عنه (٤/ ٣٨٤).

وغار ثور، وحراء. ووقع بالمدينة ثلاثة أجبل: رضوىٰ، وأحد، وورقان[١][٢]. والله أعلم.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف:١٤٣] فيه قولان:

أحدهما- ميتـًا، قاله قتادة[٣].

الثاني- مغشيـًا عليه، قاله الحسن[٤]، وابن عباس، وابن زيد[٥]. [٦].

(قال ابن عباس: أخذته الغشية عشية[٧] الخميس يوم عرفة وأفاق عشية[٨] الجمعة، وفيه نزلت عليه التوراة[٩] وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة، وفيها عشر آيات أنزلها الله تعالىٰ في القرآن علىٰ محمد ﷺ في ثماني عشرة[١٠] آية من بني إسرائيل)[١١].

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه تاب من الإقدام علىٰ المسألة قبل الإذن فيها[١٢].

الثاني- أنه تاب من اعتقاد[١٣] جواز رؤيته في الدنيا[١٤].

---

(١) في (ق): وزقان ، وهو تحريف. وقد جاء ضبطه في معجم المعجم (٢/ ١٣٧٧) بكسر الراء. وأجاز إسكانها.

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٧/ ١٥٧) عن النقاش، وقد ورد فيه أثر مرفوع عن أنس بن مالك ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٤٥)، ونسب إخراجه إلىٰ ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه. وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٤٤) بسنده ثم قال عنه: وهذا حديث غريب بل منكر.

(٣) وهو قول ابن جريج ومقاتل. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٩٧)، وابن الجوزي (٣/ ٢٥٧).

(٤) في (ك): (ابن عباس والحسين ..). وقوله الحسين تصحيف.

(٥) وهو الصواب لقوله بعد ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف:١٤٣] والإفاقة لا تقال للميت. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٧)، وابن عطية (٧/ ١٥٧).

(٦) جاء في (ق): زيادة قوله: (وهو لم يمت). وقد جاء في مجمع البيان للطوسي (٩/ ١٧) بعد حكاية هذا القول: (ولم يمت بدلالة قوله: فلما أفاق...).

(٧) في الأصل: غشية. وهو تصحيف.

(٨) في الأصل: غشية. وهو تصحيف.

(٩) ذكره الطوسي في مجمع البيان (٩/ ١٧) عن ابن عباس.

(١٠) في (ك): (في ثمانية عشرة من سورة بني إسرائيل) وفي بقية النسخ: في ثمانية عشر.

(١١) ما بين القوسين ليس في (ق).

(١٢) ذكره من غير نسبة ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٥٧)، وأبو حيان (٤/ ٣٨٥).

(١٣) في (ك، ق): اعتقاده.

(١٤) ذكره من غير نسبة ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٥٧)، وأبو حيان (٤/ ٣٨٥).

الثالـث- أنـه قـال ذلـك علـىٰ جهـة التسـبيح وعـادة المـؤمنين عنـد ظهـور الآيـات الدالـة علىٰ عظم قدرته[١].

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣] فيه قولان:

أحدهما- أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك في الدنيا، قاله ابن عباس[٢]، والحسن.

الثاني- وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية[٣].

قوله ﷻ: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن [٤] كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ ﴾ [الأعراف:١٤٥].

وفي (وكتبنا) قولان:

أحدهما- فرضنا، كما قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] أي فرض.

والقول[٥] الثاني- أنها كتابة خط بالقلم في ألواح[٦] أنزلها الله تعالىٰ عليه)[٧].

واختلفوا في الألواح من أي[٨] شيء هي [١٤٧/ و] علىٰ أربعة أقاويل:

أحدها- أنها كانت من زمرّد أخضر، قاله مجاهد[٩].

الثاني- كانت من ياقوت، قاله سعيد بن جبير[١٠].

---

(١) ذكره بنحوه من غير نسبة أبو حيان في تفسيره (٤/ ٣٨٥). وقال ابن عطية (٧/ ١٥٧): "ويحتمل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول ما اطلع ولم يعن به التوبة من شيء معين ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام – ثم قال: والذي يتحرز منه أهل السنة أن تكون توبة من سؤال المحال كما زعمت المعتزلة). وذكر ابن الجوزي وأبو حيان أنه تاب من سؤاله الرؤية وهو قول لابن عباس ومجاهد. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٠٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٠٣)، ومجمع البيان للطوسي (٩/ ١٨). وبه قال أبو العالية.

(٣) وهو قول للجبائي من المعتزلة كما ذكره الطوسي في مجمع البيان (٩/ ١٨). وقيل: أنا أول المؤمنين من قومي بني إسرائيل. وضعفه الطبري (١٣/ ١٠٤) بأنه كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولد إسرائيل لصلبه. وأن المعنىٰ وأنا أول المؤمنين بك من قومي أنه لن يراك أحد في الدنيا إلا هلك.

(٤) في (ك): (الآية في وكتبنا له قولان).

(٥) في (ك): والثاني.

(٦) في الأصل (ف): الألواح. وما أثبته من (ك) وهو الأنسب للسياق.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) في الأصل: (من كل شيء)، وفي (ك، ق): (من أي شيء كانت). وما أثبته من (ف).

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٢٧).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٢٧).

الثالث- أنها كانت من بَرَد، قاله أبو العالية[١].

الرابع[٢]- كانت من خشب، قاله [٣] الحسن [٤].

واللـوح مـأخوذ مـن أن المعـاني تلـوح بالكتابـة فيـه (ومنـه قـولهم: إنـه لجـوهر بـيّن اللـوح أي اللمعان) [٥].

وفي قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٤٥] وجهان[٦]:

أحدهما- من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والمباح والمحظور والواجب وغير الواجب[٧].

الثاني- كتب له التوراة فيها[٨] كل شيء من الحكم والعبر[٩].

[١٠] ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ [الأعراف:١٤٥] فيه تأويلان:

أحدهما- أن الموعظة: النواهي، والتفصيل: الأوامر، وهو معنىٰ قول الكلبي.

الثاني- الموعظة: الزواجر، والتفصيل: الأحكام، وهو معنىٰ قول مقاتل.

قال: وكانت سبعة ألواح[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٦٢، ١٣/ ١٢٧) وكيف تكون من برد وهو ماء!.

(٢) عبارة (ق، ك): والرابع قاله الحسن كانت الألواح من خشب.

(٣) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٥٨)، وابن عطية (٧/ ١٥٩)، وأبو حيان (٤/ ٣٨٧).

(٤) هذا بعض ما قيل في ماهية هذه الألواح وقد ذكر ابن الجوزي فيها سبعة أقوال وذكر نحوها أبو حيان في البحر المحيط. وهو أمر أجمله القرآن الكريم وسكت عنه فالأولىٰ عدم الخوض فيه إذ لا دليل من النقل الصحيح عليه. ومثله الخلاف في عددها. قال الألوسي (٩/ ٥٧): (.. ولا يخفىٰ أن مثال هذا يحتاج إلىٰ النقل الصحيح وإلا فالسكوت أولىٰ إذ ليس في الآية ما يدل عليه ..).

(٥) ما بين القوسين ليس في (ق، ك). وقد جاء في (ف) تعليقاً في الحاشية.

(٦) في بقية النسخ: قولان.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٥٨) من غير نسبة. وهو بمعنىٰ قول مجاهد والسدي وسعيد بن جبير. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٠٦).

(٨) في (ف): وفيها. وفي (ك): (.. في التوراة فيها من كل شيء). وفي (ق): .. من كل شيء من العبر والحكم.

(٩) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٥٨).

(١٠) في (ق، ك): وفي قوله ..

(١١) وعنه أنها تسعة كما جاء في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٥٨) وأبي حيان (٤/ ٣٨٧) وقيل في عددها أنها عشرة قاله وهب. =

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:١٤٥] فيه أربعة[1] أقاويل:

أحدها- بجد واجتهاد قاله السدي[2].

الثاني- بطاعة[3]، قاله الربيع بن أنس[4].

الثالث- بصحة عزيمة، حكاه علي بن عيسىٰ[5].

الرابع[6]- بشكر، قاله جويبر[7].

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥] لم يقل ذلك لأن فيها غير حسن، وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- أن أحسنها: المفروضات، وغير أحسنها[8]: المباحات[9].

والثاني- أنه الناسخ دون المنسوخ[10].

والثالث- أن فعل ما أمر به أحسن من ترك ما نهي عنه لأن العمل أثقل من الترك وإن

=

وقال الكرماني: ثمانية. وعن ابن عباس لوحان واختاره الفراء وضعفه أبو حيان. وهذا التحديد يحتاج إلىٰ دليل. والذي دل عليه ظاهر القرآن أنها جمع من غير تحديد لعدد معين.

(١) في (ق): ثلاثة.

(٢) وهو قول ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٠٩)، وابن عطية (٧/ ١٥٩).

(٣) في (ق): بالطاعة.

(٤) وهو قول أبي العالية. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٠٩)، وابن عطية (٤/ ٣٨٨).

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٨٨) معللاً: "بأنه إذا أخذها بضعف النية أداه إلىٰ الفتور" ثم قال عنه: وهذا القول راجع لقول ابن عباس.

(٦) هذا القول ليس في (ق).

(٧) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٥٩)، وأبو حيان (٤/ ٣٨٨).

(٨) في (ق، ك): (الأحسن)، أي وهو حسن.

(٩) ذكره من غير نسبة ابن الجوزي (٣/ ٢٥٩)، وأبو حيان (٤/ ٣٨٨).

(١٠) ذكره ابن عطية (٧/ ١٦٠)، وأبو حيان (٤/ ٣٨٨) وقال إن حسن المنسوخ باعتبار ما كان عليه قبل النسخ لأنه بعده ليس مشروعـًا. وذكر هذا القول الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ١٩) منسوبـًا للجبائي. ثم ضعفه بخروج المنسوخ عن الحسن. قلت: وقد يجاب عن هذا بما ذكره أبو حيان.

كانا[١] طاعة[٢].

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٥] وفيها أربعة أقاويل:

أحدها- هي جهنم، قاله الحسن، ومجاهد[٣].

الثاني- هي[٤] منازل من هلك لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال. قاله قتادة[٥].

الثالث- أنها منازل سكان الشام من الجبابرة والعمالقة[٦].

الرابع- أنها دار فرعون وهي مصر[٧].

(وقرأ قسامة بن زهير: (سَأُوَرِّثُكُمْ)[٨] دار الفاسقين.

قوله ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- سأمنعهم فهم[٩] القرآن، قاله سفيان بن عيينة[١٠].

---

(١) في (ك): وإن كان بالطاعة.

(٢) ذهب لهذا المعنىٰ الطبري (١٣/ ١١٠) حين قال: (... فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه) ومن الأقوال في الآية أنه ليس هناك أفعل تفضل وأن المراد بالأحسن الحسن وكلها حسن كقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧] وكل شيء هين عليه سبحانه وتعالىٰ. انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٥٩)، وأبي حيان (٤/ ٣٨٨)، والطبرسي (٩/ ١٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١١١)، وابن الجوزي (٣/ ٣٦٠).

(٤) في الأصل: هو. وما أثبته من بقية النسخ. وعبارة (ك): (هي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية لتعتبروا ...). وفي (ق): هي منازلهم ليعتبروا ...

(٥) وهو بمعنىٰ قول الكلبي كما في تفسير أبي حيان (٤/ ٣٨٩).

(٦) هذا هو المشهور عن قتادة كما في تفاسير الطبري (١٣/ ١١١)، وابن عطية (٧/ ١٦١)، وابن الجوزي (٤/ ٢٦٠).

(٧) قاله علي ومقاتل وعطية العوفي وقتادة أيضـًا. انظر: تفسير أبي حيان وابن عطية.

(٨) في الأصل: سأريكم ... وفي (ك): ساوريكم. والصواب ما أثبته بضبطه من (ف).
وذكر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص٤٦) قراءة قسامه بكسر الراء كأنها بالتخفيف (سأورثكم) وزاد نسبتها إلىٰ ابن عباس، وذكرها الزمخشري في الكشاف (٢/ ١١٧) من غير نسبة وحسنها فقال: "وهي قراءة حسنة يصححها قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧]. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٦٠)، وأبي حيان (٤/ ٣٨٩)، ومعجم القراءات القرآنية (٢/ ٤٠٢).

(٩) في (ك): من فهم.

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ١١٢)، وذكره ابن كثير (٢/ ٢٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٢) ونسب =

الثاني- سأجعل جزاءهم علىٰ كفرهم ضلالهم عن الاهتداء بما جاء به من الحق[١].

الثالث- سأصرفهم عن دفع الانتقام عنهم[٢].

وفي قوله: (يَتَكَبَّرُون) وجهان:

أحدهما- يحقرون الناس ويرون أن لهم عليهم فضلاً[٣].

الثاني- يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول ﷺ[٤].

[٥] ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦] فيه وجهان:

أحدهما- أن الرشد: الإيمان، والغي: الكفر.

الثاني- أن الرشد: الهداية، والغي: الضلال.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦] فيه وجهان:

أحدهما- غافلين عن الإيمان.

=

إخراجه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. ولم يذكر الطبري. وقد تعقبه الطبري بأن ابن عيينة يرىٰ أن هذا الخطاب لهذه الأمة. وخالفه ابن كثير في ذلك بقوله تعقيباً علىٰ رأي الطبري: (قلت: ليس هذا بلازم لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم). أي فكأن ما ذكره ابن عيينة علىٰ سبيل التمثيل لا الحصر. يدل علىٰ هذا عبارة ابن عطية (٧/ ١٦٢) في نقل قول ابن عيينة حيث قال: (.. وقال سفيان بن عيينة: الآيات هنا كل كتاب منزل. قال القاضي أبو محمد: فالمعنىٰ عن فهمها وتصديقها). وانظر: تفسير ابن عيينة، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد صالح محايري (ص٢٥٢).

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤١٥). وعبارته: (أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي). قال أبو حيان معقباً (٤/ ٣٨٩): والآيات علىٰ هذا التوراة والإنجيل أو الكتب المنزلة).

(٢) ذكره أبو حيان من غير نسبة (٤/ ٣٨٩)، ثم أبان معناه بقوله: (أي إذا أصابتهم عقوبة لم يدفعها عنهم فالآيات علىٰ هذا ما حل بهم من المثلات التي صاروا بها مثلة وعبرة -ثم قال- وعلىٰ هذه الأقوال يكون الذين يتكبرون عام أي كل من قام به هذا الوصف).

(٣) ذكره من غير نسبة ابن الجوزي (٣/ ٢٦١)، وأبو حيان (٤/ ٣٩٠).

(٤) انظر: المصدر السابق. وقال ابن عطية (٧/ ١٦٢): (والمتكبرون بغير حق في الأرض هم الكفرة. والمعنىٰ في هذه الآية سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين علىٰ تكبرهم).

(٥) في (ك): ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ [الأنعام:٢٥].

الثاني- غافلين عن الجزاء[(١)](٢).

قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ [الأعراف:١٥٠] في الأسف خمسة(٣) أقاويل:

أحدها- أنه المتأسِف علىٰ فوت ما سلف. قاله علي بن عيسىٰ.

الثاني- أنه الحزين، قاله ابن عباس(٤).

الثالث- هو الشديد الغضب، قاله الأخفش(٥).

(الرابع- هو المغتاظ، قاله السدي(٦).

الخامس- هو النادم، قاله ابن قتيبة(٧).

وفي غضبه وأسفه قولان:

أحدهما- غضبان علىٰ قومه من عبادة العجل؛ أسفـًا(٨) علىٰ ما ترك(٩) من مناجاة ربه(١٠).

---

(١) ذكرهما الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤١٦) غير أن عبارته: "... ويجوز أن يكون وكانوا عن جوابها غافلين كما تقول: ما أغفل فلانـًا عما يراد به". فلعل قوله (عن جوابها) تحريف عن جزائها. فهي الأنسب للسياق. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦١).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) في (ق): ثلاثة أقاويل.

(٤) وهو قول الحسن والسدي وقتادة. كما في تفسير الطبري (١٣/ ١٢١)، وابن الجوزي (٣/ ٢٦٣)، والسيوطي (٣/ ٥٦٤). وقال ابن عطية (٧/ ١٦٧): (والأسف قد يكون بمعنىٰ الغضب الشديد وأكثر ما يكون بمعنىٰ الحزن والمعنيان مترتبان هاهنا.

(٥) لم أجده في مظانه من (معاني القرآن) للأخفش بتحقيق: د. فائز فارس. وهو قول للزجاج (٢/ ٤١٨)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص١٧٣)، وابن عطية (٧/ ١٦٧) وقال أبو الدرداء: الأسف منزلة وراء الغضب أشد منه. ويستدل علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ في سورة الزخرف:٥٥ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾ [الزُّخرُف:٥٥] أي فلما أغضبونا.

(٦) المشهور عن السدي أنه الحزين.

(٧) قول ثانٍ عنه ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٩٤)، وقيل: أنهما بمعنىٰ واحد كررا للتأكيد. وقال الواحدي أنهما متقاربا فإذا أتاك ما تكره ممن دونك غضبت أو ممن فوقك حزنت فأغضبه عبادتهم العجل وأحزنه فتنة الله إياهم..). انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٤).

(٨) سقطت من (ك).

(٩) في (ك): فاته.

(١٠) ذكره الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٢٩)، وذكر الطبري (١٣/ ١٢٢) غضبه علىٰ قومه وزاد ابن عطية (٧/ ١٦٧): غضبه علىٰ أخيه في أهمال أمرهم.

الثاني- غضبان علىٰ نفسه من[1] ترك قومه حتىٰ ضلوا، أسفًا علىٰ ما رأىٰ من[2] قومه من ارتكاب المعاصي.

وقال بعض المتصوفة: إن غضبه للرجوع عن مناجاة الحق إلىٰ مخاطبة الخلق)[3].

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠] يعني بعبادة العجل.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف: ١٥٠] فيه قولان:

أحدهما- يعني وعد ربكم الذي وعدكم[4] به من الأربعين ليلة، (وذلك أنه قَدَّروا أنه قد مات لمَّا لم يأتهم علىٰ رأس الثلاثين ليلة)[5]، قاله الحسن[6].

الثاني[7]- وعد ربكم بالثواب علىٰ عبادته حتىٰ عدلتم إلىٰ عبادة غيره، قاله بعض [١٤٧/ ظ] المتأخرين[8].

والفرق بين العجلة والسرعة: أن العجلة: التقدم[9] بالشيء قبل وقته، والسرعة: عمله في أقل أوقاته[10].

---

(١) في (ك): في.

(٢) في (ك): في.

(٣) ما بين القوسين ليس في (ق).

(٤) في (ك، ق): وعدني.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) في (ك) زيادة: (السدي). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦٤)، وأبي حيان (٤/ ٣٩٥).

(٧) ساقطة من (ك). فلعل لفظة (السدي) السابقة تحريفًا لها.

(٨) ذكره الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٢٩) منسوبًا لأبي علي الجبائي من المعتزلة والأولىٰ تفسير ذلك بما ذكره الله سبحانه وتعالىٰ في سورة طه: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [٨٦].

(٩) في (ق): التقديم.

(١٠) ذكر هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان (٩/ ٢٩) ثم أعقبه بقول: (ولذلك صارت العجلة مذمومة) وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣٩٥) بنحوه ثم اعترض علىٰ ذم العجلة بقوله: (... قيل وهي مذمومة ويضعفه قوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾). [طه: ٨٤] قلت: وقد وقع خطأ في تعريف السرعة عند أبي حيان حيث قال: (والسرعة المبادرة بالشيء في غير وقته وهي محمودة) والصواب: في أول وقته.. كما هنا.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وفي سبب إلقائها قولان:

أحدهما- غضبًا حين رأىٰ عبادة العجل، قاله ابن عباس[(١)].

الثاني- أنه ألقاها لما رأىٰ فيها فضائل غير قومه من أمة محمد ﷺ أنهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ[(٢)] لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].. الآية[(٣)].

قال: رب فاجعلهم[(٤)] أمتي قال: تلك أمة محمد[(٥)]، فاشتد عليه فألقاها، قاله قتادة[(٦)].

وكانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقىٰ موسىٰ الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وبقي الهدىٰ والرحمة في السبع الباقي، وهو الذي قاله الله تعالىٰ: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤][(٧)].

وقال ابن عباس: ألقىٰ موسىٰ الألواح فتكسرت ورفعت إلا سدسها[(٨)].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] فيه قولان:

---

(١) وهو قول ابن جبير والسدي وابن إسحاق، وزاد ابن عطية (٧/ ١٦٧) في التعليل غضبه علىٰ أخيه في إهمال أمرهم. وهو إنما فعل ذلك حمية لدين الله كما قال أبو حيان. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٢٢)، وابن الجوزي (٣/ ٢٦٤)، وأبي حيان (٤/ ٣٩٥).

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) ليست في (ك).

(٤) في (ق): واجعلهم مني.

(٥) في (ق): أحمد. وفي (ك): كتبت (محمد) ثم شطبت وكتب: أحمد. وهذا هو لفظ تفسير الطبري (١٣/ ١٢٣).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ١٢٣) من حديث طويل عن قتادة. وقد استبعده ابن الجوزي بقوله (٣/ ٢٦٤): وفيه بعد. كما رده ابن عطية (٧/ ١٧٦) حين قال عنه: (وهذا قول رديء لا ينبغي أن يوصف موسىٰ ﷺ به والأول هو الصحيح). كما ضعفه الطبري بتصويبه للقول الأول.

(٧) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ١٢٦)، وهو تفصيل زائد عما دل عليه القرآن الكريم بل ربما يفهم من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] أنها لم تتكسر وأنه لم يرفع منها شيء. وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٩٥).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ١٢٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٤) ونسبه لأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس، ولم يذكر الطبري، وتكسر الألواح لم يثبت بدليل.

أحدهما- أنه أخذ بأذنه.

الثاني- بشعر[(١)] رأسه[(٢)].

فإن قيل: فلم قصده بمثل هذا الهوان ولا ذنب له؟ فعن ذلك جوابان:

أحدهما- أن هذا الفعل[(٣)] مما قد يتغير حكمه بالعادة فيجوز أن يكون في ذلك الزمان بخلاف ما هو عليه الآن من الهوان[(٤)].

الثاني- أن ذلك منه كقبض الرجل الآن منّا علىٰ لحيته، وعضه علىٰ شفته[(٥)].

﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] فيه وجهان[(٦)]:

أحدهما- أنه قال ذلك لأنه كان أخاه [لأمه][(٧)]، قاله الحسن.

---

(١) في (ق، ك): بجملة.

(٢) وقيل: بلحيته أو بلحيته وذؤابته وقيل غير ذلك. والأولىٰ الجمع بين الآيات والأخذ بدلالة ظاهرها. فهذه الآية دلت علىٰ أخذه برأسه. وفي سورة طه دلت الآية علىٰ أخذه بلحيته ورأسه في قوله تعالىٰ: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ [٩٤].

(٣) في (ك): القصد.

(٤) أي أن ذلك كان منه علىٰ سبيل الإكرام. انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٨٩).

(٥) ذكره الطبرسي (٩/ ٣٠) عن أبي علي الجبائي.

قلت: وظاهر سياق الآيات أنه فعل ذلك بأخيه من شدة غضبه وحميته لدين الله وتوهمه أن أخاه عصاه وأهمل حين استخلفه عليهم وأمره بالإصلاح وأن لا يتبع سبيل المفسدين. وكيف لم يكفهم عن عبادة العجل أو يتبعه حين خالفوه كما قال تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]. وليس ما فعله بأخيه بأشد من إلقائه ألواح ربه حتىٰ قيل بتكسرها.

(٦) في (ق): في قوله ابن أم وجهان.

(٧) ما أثبته هنا هو عبارة (ك) فقط. وعبارة الأصل و (ف): (لأمه وأبيه)، وفي (ق): (لأبيه وأمه). وهذا هو الصواب ولم أثبته في الأصل لأن المعنىٰ لا يستقيم به فلا يظهر وجه التخصيص بالأم. والصحيح المشهور أن هارون كان أخًا لموسىٰ لأبيه وأمه كما في تفاسير الطبري (١٣/ ١٣١)، وابن كثير (٢/ ٢٤٨)، والقرطبي (٧/ ٢٩٠)، والألوسي (٩/ ٦٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٤) وغيرها.

ونسبة هذا القول للحسن لم أقف عليها، بل لقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٣٠) أن الحسن كان يقسم بأن هارون أخاه لأبيه وأمه فقال: (قال الحسن: والله لقد كان أخاه لأبيه وأمه إلا أنه إنما نسبه إلىٰ الأم لأن ذكر الأم أبلغ في الاستعطاف). والقول بأن هارون أخا موسىٰ لأمه دون أبيه، ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٦٥) حكاية عن الثعلبي، وذكره القرطبي (٧/ ٢٩٠) حكاية عن الزجاج بصيغة التضعيف فقال: (قال الزجاج: قيل كان هارون أخًا لموسىٰ لأمه لا لأبيه). قلت: وليس هذا القول في هذا الموطن من معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤١٨).

الثاني- أنه قال ذلك على عادة العرب استعطافًا بالرحم[١]، كما قال[٢] الشاعر[٣]:

يَـا ابْـنَ أُمِّـي وَيَـا شُـقَيِّقَ نَفْسِـي ** أَنْـتَ خلّفتنـي[٤] لأَمْـرٍ شَـدِيدٍ[٥]

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف:١٥٠] يعني من خالفه في عبادة العجل لأنهم قد صاروا بالمخالفة[٦] له أعداء.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠] أي لا تغضب عليّ كما غضبت[٧] عليهم، ولست مثلهم، فأدركته الرّقة[٨] فدعا له فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾[الأعراف:١٥١][٩].)[١٠].

قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ [الأعراف:١٥٣] . أما التوبة من السيئات فهي الندم على ما سلف منها[١١] والعزم على أن لا يفعل مثلها.

فإن قيل: فالتوبة[١٢] إيمان. فما معنى قوله: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ [الأعراف:١٥٣] ؟

فالجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها- أنهم تابوا من المعصية (وآمنوا بتلك التوبة.

---

(١) في (ك): بالرحمة. وهو خطأ. وانظر بعض التحليلات في البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

(٢) سقطت هذه الجملة من (ق).

(٣) قائله: أبو زبيد الطائي واسمه حرملة بن المنذر أو المنذر بن حرملة من قصيدة يرثي بها أخاه الجلاج، وقيل ابن أخته.

(٤) في (ق، ك): خليتني.

(٥) البيت في تفسير الطبري (١٣/ ١٢٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٨)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦٥)، وتفسير الطبرسي (٩/ ٢٨) وفيها كلها (لدهر) بدل: (لأمر). وانظره في أمالي اليزيدي (ص٩) برواية أخرى وقوله (شقيّق) تصغير شقيق للترحم.

(٦) في (ك): لمخالفته.

(٧) في (ك): كغضبك.

(٨) وأيضًا تبين له عذره. وكان قد سكت عن موسى الغضب.

(٩) في (ك) زيادة: الآية.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١١) سقطت من (ك).

(١٢) في (ق): والتوبة.

الثاني- تابوا بعد المعصية)[١] واستأنفوا عمل الإيمان بعد التوبة[٢].

الثالث- آمنوا بأن الله تعالىٰ قابل التوبة[٣].

قوله ﷻ: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ [الأعراف:١٥٥] ، وفي الكلام محذوف وتقديره: من قومه[٤] سبعين رجلاً[٥].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ قولان:

أحدهما- أنه الميقات المذكور أولاً في سؤال الرؤية[٦].

الثاني- أنه ميقات غير الأول، وهو ميقات في التوبة من عبادة العجل[٧].

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف:١٥٥] فيها[٨] ثلاثة أوجه:

أحدها- أنها الزلزلة، قاله الكلبي.

الثاني- أنه الموت. قاله مجاهد[٩]: ماتوا ثم أحياهم.

الثالث- أنها نار أحرقتهم فظن موسىٰ أنهم قد هلكوا ولم يهلكوا، قاله الفراء[١٠].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٣٢) من غير عزو.

(٣) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٦٦)، والطبرسي (٩/ ٣٢).

(٤) من قوله: (اختار موسىٰ) ساقط من (ك).

(٥) وهذا قول الفراء (١/ ٣٩٥)، والزجاج (٢/ ٤١٩)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص١٧٣).

(٦) قاله أبو علي الجبائي، وأبو مسلم وغيرهما، وصححه الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٣٤) والحق أنه قول ضعيف لاختلاف القصتين، وطول الفصل بينهما فسياق ميقات سؤال الرؤية خاص بموسىٰ بخلاف الميقات الثاني. قال الألوسي: (... وإلىٰ هذا القول بالغيرية ذهب جل من المفسرين). وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٣٩٩)، والألوسي (٩/ ٧٢) فقد أطال الكلام فيه.

(٧) هذا هو الأولىٰ. وانظر أقوالاً أخرىٰ في هذا الميقات في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦٨).

(٨) في (ك، ق): وفيها.

(٩) انظر: تفسيره (١/ ٢٤٧)، وتفسير الطبري (١٣/ ١٤٨).

(١٠) انظر كتابه: معاني القرآن (١/ ٣٩٥)، ولم يصرح بأنها نار وأنهم لم يهلكوا. فعبارة المؤلف غير محددة وإنما قال: (.. أن الله تبارك وتعالىٰ أرسل علىٰ الذين معه -وهم سبعون- الرجفة فاحترقوا فظن موسىٰ أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل فقال: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥] وإنما أهلكوا بسألتهم موسىٰ: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾
=

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ [الأعراف:١٥٥] وفي سبب أخذها لهم قولان:

أحدهما- لأنهم سألوا الرؤية، قاله ابن[1] إسحاق.

الثاني- لأنهم [لم ينهوا][2] عن عبادة العجل. قاله ابن عباس.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف:١٥٥] فيه قولان:

أحدهما- أنه سؤال استفهام [١٤٨/ و] خوفاً من أن يكون الله تعالىٰ قد عمهم بانتقامه كما قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [3] [الأنفال:٢٥].

الثاني- أنه سؤال نفي[4]، وتقديره: إنك لا تعذب إلاَّ مذنباً فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا[5]؟

(فحكي أن الله تعالىٰ أمات بالرجفة السبعين الذين اختارهم موسىٰ من قومه، لا موت فناء ولكن موت ابتلاء ليثيب[6] به من أطاع وينتقم به ممن عصىٰ، وأخذت موسىٰ غشية ثم أفاق وأحيا الله الموتىٰ)[7]، فقال[8]: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف:١٥٥]

=

[النساء:١٥٣] أ.هـ.

(١) في (ك): (أبو إسحاق). وهو تعليل الفراء كما سبق.

(٢) ما أثبته من (ق، ك). وهو المشهور عن ابن عباس من أن الرجفة أخذتهم لعدم نهيهم عن المنكر من عبادة العجل وإن لم يعبدوه هم كما في تفسير الطبري (١٣/ ١٤٣)، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٧٠). وعبارة الأصل (ف): (لم ينتهوا). أي أنهم كانوا هم من عَبَدَة العجل. وهو وجه في التوجيه. وهناك أقوال أخرىٰ في ذلك انظرها في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦٨)، وابن عطية (٧/ ١٧٢)، وأبي حيان (٤/ ٣٣٩).

(٣) أي فهو علىٰ ظاهره. ورجحه أبو حيان (٤/ ٤٠٠) بقوله: (والذي يظهر لي أنه استفهام استعلام أتبع إهلاك المختارين وهم خير بني إسرائيل بما فعل غيرهم إذ من الجائز في العقل ذلك ..). قلت: وفي الدين أيضاً فالله هو المتصرف في خلقه ثم إن تعليلات الأخذ بالرجفة السابقة توحي بانهم مؤاخذين.

(٤) قال المبرد: هذا استفهام استعطاف -بمعنىٰ النفي- لا تهلكنا. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦٩).

(٥) في (ق): منه. خطأ.

(٦) في (ك): ليثبت.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) في (ق): ثم قال.

فيه وجهان:

أحدهما- أن المراد بالفتنة العذاب، قاله قتادة[(١)].

الثاني- أن المراد بها[(٢)] الابتلاء والاختبار[(٣)].

قولـه ﷻ: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأعراف:١٥٦] في الحسنة هاهنا[(٤)] ثلاثة[(٥)] أقاويل:

أحدها- أنها النعمة سميت حسنة لحسن موقعها في النفوس.

الثاني- أنها الثناء الصالح.

الثالث- أنها مستحقات الطاعة[(٦)].

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] فيه ثلاثة[(٧)] أقاويل:

أحدها- معناه تبنا إليك، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم[(٨)].

الثاني- رجعنا بالتوبة إليك، لأنه من هاد يهود إذا رجع، قاله علي بن عيسىٰ.

الثالث[(٩)]- يعني تقربنا بالتوبة إليك من قولهم: ما له عند[(١٠)] فلان هوادة، أي ليس له سبب يقربه منه، قاله ابن بحر[(١١)].

---

(١) وهو رواية عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٥١)، وابن الجوزي (٣/ ٢٦٩).

(٢) في (ق): بالفتنة، وفي (ك): به.

(٣) قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو العالية. انظر: المصدر السابق.

(٤) في (ك): هنا.

(٥) في (ق): (قولان. أحدهما). وقد سقط منها القول الثاني.

(٦) ذكر هذه الأقوال الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٣٧)، وهذه الأقوال في حسنة الدنيا. أما حسنة الآخرة فهي الجنة لا حسنة دونها ولا مرمىٰ ورائها وتمامها برؤية الله تعالىٰ. أكرمنا الله جميعـًا بذلك.

(٧) في (ق): قولان أحدهما.

(٨) وقاله أبو العالية، والسدي. انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٤٧)، والطبري (١٣/ ١٥٣)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧٠)، وأبي حيان (٤/ ٤٠١).

(٩) هذا القول ليس في (ق).

(١٠) في (ك): عنده، وهو تحريف.

(١١) ذكره أبو حيان (٤/ ٤٠١) مختصراً.

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ [الأعراف:١٥٦] فيه قولان:

أحدهما- من أشاء من خلقي كما أصبت[١] به قومك[٢].

الثاني- من أشاء في التعجيل والتأخير[٣].

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف:١٥٦] فيه[٤] ثلاثة تأويلات:

أحدها- أن مخرجها عام ومعناها خاص، وتأويل[٥] ذلك: ورحمتي وسعت المؤمنين من[٦] أمة محمد ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦][٧]. قاله ابن عباس.

الثاني- أنها علىٰ العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة، وتأويل ذلك: ورحمتي وسعت في الدنيا البرّ والفاجر، وفي الآخرة هي[٨] للذين اتقوا خاصة، قاله الحسن، وقتادة[٩].

الثالث- أنها التوبة، وهي علىٰ العموم[١٠]، قاله ابن زيد[١١].

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] فيه قولان:

أحدهما- يتقون الشرك، قاله ابن عباس[١٢].

الثاني- يتقون[١٣] المعاصي، قاله قتادة[١٤].

---

(١) في (ق، ك): أصيب.

(٢) ذكره أبو حيان (٤/ ٤٠١) من غير نسبة.

(٣) أي أن المشيئة راجعة إلىٰ التعجيل والإمهال لا إلىٰ الترك والإهمال. كما قال أبو حيان، وانظر مزيداً من التعليلات عنده (٤/ ٤٠١).

(٤) في (ق، ك): فيها.

(٥) في (ك): تأويل ذلك.

(٦) في (ك): المؤمنين مؤمنين أمة .. وهو خطأ، وعبارة (ق): المؤمنين بي من أمة محمد عليه السلام.

(٧) في (ك): الآية). وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٥٦)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧١).

(٨) سقطت من (ك).

(٩) ذكره الطبري، وابن الجوزي وزاد قوله: فعلىٰ هذا معنىٰ الرحمة في الدنيا للكافر أنه يرزق ويدفع عنه كقوله في حق قارون: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص:٧٧].

(١٠) عبارة (ق): والثالث أنها التوراة، وهو تحريف.

(١١) ذكره الطبري، وابن الجوزي وزاد قولاً رابعاً أنها تسع كل الخلق عدا الكفار لعدم تقدير ذلك. قاله ابن الأنباري.

(١٢) ذكره الطبري وابن الجوزي، والأولىٰ حمل التقوىٰ علىٰ ما يدل عليه عموم لفظها. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٧٦).

(١٣) سقطت من (ك).

(١٤) ذكره الطبري وابن الجوزي، والأولىٰ حمل التقوىٰ علىٰ ما يدل عليه عموم لفظها. وانظر: في تفسير ابن عطية =

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة:٥٥] فيها قولان:

أحدهما- أنها زكاة أموالهم لأنها[١] من أشق فرائضهم، وهذا قول الجمهور[٢].

الثاني- معناها[٣] يطيعون الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، وذهبا إلىٰ أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال[٤].

فأما المكنّىٰ عنه بالهاء في قوله تعالىٰ[٥]: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فقد قيل: أن موسىٰ ﷺ لما انطلق في[٦] وفد بني إسرائيل كلّمه الله وقال: إني قد جعلت[٧] لهم الأرض طهوراً ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمّام، وجعلت السكينة في قلوبهم، وجعلتهم يقرؤون التوراة عن ظهر قلوبهم بألسنتهم[٨] فذكر[٩] موسىٰ ذلك لبني إسرائيل، فقالوا: لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا فاجعلها لنا في تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظراً، ولا نصلي إلا في الكنيسة، فقال الله تعالىٰ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦][١٠] يعني ما مضىٰ من السكينة والقراءة والصلاة[١١]،[١٢].

ثم بيَّن من هم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٧] (يعني محمداً ﷺ

=

(٧/ ١٧٦).

(١) سقطت من (ك).

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٧١).

(٣) في (ق): معنىٰ قوله يؤتون الزكاة أي.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٦٠)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧١).

(٥) سقطت الجملة من (ك). وفي (ق): التي في قوله.

(٦) في بقية النسخ: بوفد.

(٧) في (ق، ك): بسطت.

(٨) في (ق، ك): عن ظهر ألسنتهم.

(٩) في (ق، ك): قال فذكر.

(١٠) في (ق، ك): ويؤتون الزكاة.

(١١) في الأصل: الصلاة. وعبارة (ق، ك): .. والصلاة والقراءة.

(١٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ١٦؟)، وذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٧٢) عن نوف البكالي.

وفي تسميته بالأمي ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه لا يكتب[1].

الثاني- لأنه من أم القرىٰ وهي مكة[2].

الثالث- [لأنه][3] من العرب، والعرب أمة أمية[4].)[5].

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] [١٤٨/ ظ] لأن[6] في التوراة [في السفر الخامس][7] أني[8] سأقيم لهم نبيـًا مـن إخـوتهم مثلـك، واجعـل كلامـي في فيـه فيقول لهم كَلِمَا[9] أوصيه[10] به. وفيها: وأما ابن[11] الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسأوخره[12] لأمة عظيمة.

---

(١) أي لا يكتب ولا يقرأ.

(٢) ذكره النحاس كما في تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٩)، ولم أجده في هذا الموطن من إعراب القرآن للنحاس، وذكره الطبرسي (٩/ ٤٠)، والألوسي (٩/ ٧٩) كلاهما عن أبي جعفر الباقر. وذكره ابن عطية (٧/ ١٧٧) من غير نسبة وبين أنه علىٰ هذا المعنىٰ فهو مخصوص بالنبي ﷺ غير مضّمن معنىٰ عدم الكتابة.

(٣) زيادة من (ف، ك).

(٤) ذكره أبو حيان (٤/ ٤٠٣)، ويشهد له الأثر المروي عن الرسول ﷺ: إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب. وقيل: إنه منسوب للأمة أي أمة لأنها بجملتها غير كاتبة حتىٰ تحدث فيها الكتابة كسائر الصناعات وقيل: نسبة إلىٰ الأم بأنه علىٰ الحال التي ولد عليها من عدم معرفة الكتابة والقراءة. وأيّاً ما كان، فإن هذا في حق الرسول ﷺ وحده صفة مدح لأنه وجه في معجزته ﷺ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) في (ق): لأن ما في التوراة.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ك). وقد وردت في تفسير الطبرسي (٩/ ٤٠).

(٨) في الأصل: لأني، وما أثبته من بقية النسخ.

(٩) كذا في جميع النسخ وتفسير البحر المحيط (٩/ ٤٠٣)، فتكون: كَلِمـًا. أو أنها تحريف (كل ما) كما هي في تفسير الطبرسي (٩/ ٤٠).

(١٠) في (ق): أوصيته.

(١١) إشارة إلىٰ أن أم العرب هاجر. وفي تفسير البحر المحيط (٩/ ٤٠٣): وأما النبي.

(١٢) تحتمل في (ك): (سأدخره). وقد وردت كذلك في البحر المحيط. ويتأيد ما أثبته برواية تفسير الطبرسي: (وأوخره لأمة عظيمة).

وفي الإنجيل بشارة[١] بالفارقليط في مواضع منها: ليعطيهم[٢] فارقليط آخر يكون معكم[٣] الدهر كله. وفيها (قول المسيح للحواريين: أنا ذاهب[٤] وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه)[٥]، إنه يدبركم[٦] بجميع الحق، ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي[٧].

فهذا تفسير قوله[٨]: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ثم قال تعالىٰ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وهو الحق.

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وهو الباطل[٩]، وإنما سمي الحق معروفاً لأنه معروف الصحة في العقول، وسمي الباطل منكراً لأنه منكور[١٠] الصحة في العقول[١١].

ثم قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف:١٥٧] (فيها قولان:

أحدهما- الشحوم المحرّمة علىٰ بني إسرائيل.

الثاني- ما[١٢] كانت الجاهلية تحرمه من)[١٣] البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧] يعني ما كانوا يستحلونه من لحم الخنزير

---

(١) كررت في (ق).

(٢) في (ق، ك): يعطيكم.

(٣) وردت في البحر المحيط (معلم) وهي محتملة أن تكون في الأصل كذلك.

(٤) في (ك، ف): (أنا أذهب)، ومثلها في تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٠٣)، ومجمع البيان (٩/ ٤٠).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) في (ك): نذيركم. وفي تفسير الطبرسي (٩/ ٤٠): أنه نذيركم بجميع الحق.

(٧) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٠٣)، ومجمع البيان (٩/ ٤٠).

(٨) سقطت من (ك).

(٩) وقيل أن المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، والمنكر: عبادة الأوثان وقطع الأرحام. قاله ابن عباس، وقال مقاتل: المعروف الإيمان والمنكر الشرك وهي داخلة فيما ذكره المؤلف. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٧٢).

(١٠) في (ق، ك): (منكر)، وهما بمعنىٰ جاء في اللسان، وتاج العروس مادة (نكر): (ونكره ينكره نكراً فهو منكور).

(١١) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٧٢)، ومجمع البيان (٩/ ٤١).

(١٢) من قوله: فيها قولان ساقط من (ق).

(١٣) ما بين القوسين ساقط من (ك).

والدماء[١].[٢].

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] فيه تأويلان:

أحدهما- أنه عهدهم الذي كان الله تعالىٰ أخذه علىٰ بني إسرائيل (أن يعملوا بما في التوارة. قاله ابن عباس[٣].

الثاني- التشديد الذي كان علىٰ بني إسرائيل)[٤] في دينهم من تحريم السبت وتحريم الشحوم[٥] والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة[٦].

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] فيها تأويلان:

أحدهما- الميثاق[٧] الذي أخذه عليهم فيما حرمه عليهم، قاله ابن أبي طلحة، وجعل[٨] ذلك غلاً للزومه[٩].

الثاني- ما بيَّنه الله تعالىٰ في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[١٠] [المائدة:٦٤].

---

(١) في (ك): والربا.

(٢) وقيل في تفسير الطيبات والخبائث غير ما ذكر، يترتب عليه اختلافات فقهية. فعند مالك أن الطيبات المحللات -أي الحلال- والخبائث المحرمات. وبناء علىٰ هذا حلل مالك المتقذرات، كالحيات والعقارب وغيرها. وعند الشافعي أن الطيبات ما يستطاب من جهة الطعم. والخبائث ما يستخبث ويستقذر. والأولىٰ حمل هذا التحديد علىٰ التمثيل لا الحصر، إبقاء للآية علىٰ عمومها. انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٨٠)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧٣)، وأبي حيان (٤/ ٤٠٣)، والقرطبي (٧/ ٣٠٠).

(٣) والضحاك، والسدي، ومجاهد، والحسن. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٦٦)، والدر المنثور (٣/ ٥٨٢).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ك). وقوله: (أن يعملوا بما في التوراة قاله ابن عباس) ساقط من (ق).

(٥) في (ق): وتحريم العروق.

(٦) وابن جبير ورواية عن مجاهد وابن عباس. كما في تفسير الطبري (١٣/ ١٦٧) والأولىٰ الجمع بين القولين، وأن المراد بالأصر العهد الذي أخذ عليهم أن يلتزموا ويقوموا بتلك التكاليف وإن كانت شاقة. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٦٨)، والقرطبي (٧/ ٣٠٠).

(٧) في (ق): إنه الميثاق. وفي (ك): أن .. وهو تحريف.

(٨) سقطت هذه الجملة من (ق).

(٩) انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٨١)، وأبي حيان (٤/ ٤٠٤). وقيل أن الأغلال مثل ما كلفوا به من الأمور الشاقة كقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم، والقصاص حتماً من القاتل وترك العمل يوم السبت وغير ذلك.

(١٠) قاله ابن زيد، أي فمن آمن بالرسول ﷺ زالت عنه تلك الدعوة. انظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٠٤).

﴿فَٱلَّذِينَ[1] ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف:١٥٧] فيه وجهان:

أحدهما- عظموه، قاله علي بن عيسىٰ[2].

الثاني- منعوه[3] من أعدائه، قاله أبو جعفر الطبري[4]. ومنه تعزير الجاني لأنه يمنعه من العود إلىٰ مثله.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٥٧] يعني القرآن آمنوا به من بعده[5].

(وسمي القرآن نوراً لظهوره ووضوحه، والعرب تسمي ما ظهر ووضح نوراً.

وفي قوله: ﴿أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٥٧] وجهان:

أحدهما- أنه بمعنىٰ أنزل عليه[6].

الثاني- أنزل في زمانه)[7].

وروىٰ[8] قتادة أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه: (أَيُّ الخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيكُم إيماناً؟) قالوا: الملائكة، فقال[9] ﷺ: (المَلائِكةُ عِندَ رَبِّهم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ)، فقالوا: النبيون، فقال: (النبيون يُوحَىٰ إِلَيهِم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ)، فقالوا: فنحن[10] يا نبي الله. فقال: (أَنَا فِيكُم فَمَا لَكُم لاَ تُؤْمِنونَ)، فقالوا: فمن هم يا نبي الله؟ قال: (هُم قَومٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُم يَجِدُونَ كِتاباً فِي رق[11] فَيُؤْمِنُونَ بِهِ) فهو معنىٰ قوله:

(١) في (ك): وعزروه.

(٢) وهو قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص١٧٣).

(٣) في (ق): متعوه، وهو تصحيف.

(٤) ليس لفظ الطبري في هذا الموضع (١٣/ ١٦٨) وإنما عبارته: (.. وعززوه. يقول: وقّروه وعظموه وحموه من الناس). وهذا التفسير بتعليله قول الزمخشري، كما في الكشاف (٢/ ١٢٢). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٢٢).

(٥) فالتعزير والنصرة للرسول ﷺ تشرف به الصحابة ﷺ واختصوا به، والإيمان بالقرآن يشترك فيه معهم سائر المؤمنين بعدهم إلىٰ يوم القيامة.

(٦) أي فهو من باب تناوب الحروف. وقد ذكر هذا القول والذي بعده ابن الجوزي (٣/ ٢٧٤)، والطبرسي (٩/ ٤١).

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٨) في (ق): فروىٰ.

(٩) في (ق): فقال نبي الله.

(١٠) في (ق): نحن.

(١١) في (ق، ك): (في ورق) ومثلها في مجمع البيان (٩/ ٤٢)، واللفظة غير واضحة في (ف).

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧][1].

قوله ﷻ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] (يحتمل وجهين:

أحدهما- يهتدون[2] بالحق وبه يعملون.

الثاني- يدعون الناس إلىٰ الهداية وبالحق يحكمون[3].)[4].

فإن قيل: فهذا يدل أن في اليهود من هم علىٰ حق.

فالجواب[5] عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها- أنهم الذين تمسكوا بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم، ولا يدل[6] هذا علىٰ استدامة حالهم[7] علىٰ الأبد[8].

الثاني- أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي[9].

---

(١) ذكره الطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٤١) من غير تعيين للراوي.

(٢) في (ك): معناه يهدون.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٢٢).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٥) في (ق): الجواب.

(٦) في (ك): وهذا لا يدل.

(٧) في (ق): حاله.

(٨) قاله أبو علي الجبائي وأنهم كانوا يفعلون ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسىٰ ﷺ، فيكون المعنىٰ: ومن قوم موسىٰ أمة كانوا يهدون بالحق. انظر: تفسير مجمع البيان (٩/ ٤٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٥).

(٩) قاله السدي وابن جريج وروىٰ بعضه عن ابن عباس، في خبر عجيب وهو أنهم لما تفرقوا أسباطًا تبرأ منهم سبط وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح لهم نفق في الأرض ساروا به سنة ونصفًا حتىٰ خرجوا وراء الصين... وذكر هذا الخبر ابن جرير (١٣/ ١٧٣)، وابن كثير (٢/ ٢٥٦) وتعجب منه، والزمخشري (٢/ ١٢٣)، وابن عطية (٧/ ١٨٣) واستبعده فقال: وهذا حديث بعيد.

وقد علق الشيخ محمود شاكر علىٰ هذا الخبر بعد تحرير نصه فقال: (... ومثل هذا الخبر والذي يليه لا يؤخذ به إلا بحجة قاطعة يجب التسليم لها ولا حجة في رواية موقوفة علىٰ السدي). وقال الألوسي (٩/ ٨٥) بعد أن ذكر هذا القول وزاد نسبته للكلبي والضحاك والربيع قال: (وضعف هذه الحكاية ابن الخازن وأنا لا أراها شيئًا ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقـًا في الأرض أو سلمـًا في السماء).

الثالث- [أنهم][(١)] من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام، وابن صوريا وغيرهما، قاله الكلبي[(٢)].

[١٤٩/ و] قولـه ﷻ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [الأعـراف:١٦١] اختلـف في المأخوذ منه اسم[(٣)] القرية علىٰ وجهين:

أحدهما- أن الماء يقرىٰ إليها أي يجمع لها من قوله: قرىٰ الماء في حوضه إذا جمعه.

الثاني- لأن الناس يجتمعون إليها كما يجمع[(٤)] الماء فىٰ الحوض[(٥)].

واختلف في هذه القرية علىٰ قولين:

أحدهما- أنها بيت المقدس، قاله[(٦)] قتادة.

الثاني- أنها أرض الشام، قاله[(٧)] الحسن.

فإنه قيل: فلم[(٨)] سمىٰ المأوىٰ مسكنـًا والإنسان في مسكنه متحرك؟ قيل: لأنه يترك فيه التصرف فصار في أكثر أحواله ساكنـًا وإن كان في بعضها متحركـًا.

قولـه ﷻ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعـراف:١٦٣] فيها خمسة[(٩)] أقاويل:

أحدها- أنها أيلة، وهو قول ابن عباس، وعكرمة، والسدي[(١٠)].

الثاني- أنها ساحل مدين، قاله قتادة[(١١)].

---

(١) زيادة من (ق، ك).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٨٣)، وابن الجوزي (٢/ ٢٧٤).

(٣) في (ق، ك): تسمية.

(٤) في (ق، ك): يجتمع.

(٥) أي فالعلة هي الاجتماع سواء كان ذلك للماء أو للناس. وقد تقدم مثل هذا في تعليل تسمية القرآن في هذا الاسم.

(٦) سقطت هذه الجملة من (ق). وهو قول الطبري في تفسيره (٢/ ١٠٢، ١٣/ ١٧٨). وراجع (١/ ٣٣٣).

(٧) ليس مألوفـًا ولا معروفـًا أن يطلق علىٰ أرض الشام أو مثلها اسم قرية. فهو قول مرجوح.

(٨) في (ق، ك): فكيف.

(٩) في (ق): أربعة.

(١٠) وهي رواية الحسن، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، وابن مسعود، وعبدالله بن كثير القارئ والثوري كما في تفاسير: الطبري (١٣/ ١٨٠)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧٦)، وابن كثير (٢/ ٢٥٧)، وأبي حيان (٤/ ٤١٠).

(١١) ذكره الطبري (١٣/ ١٨١)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧٦)، وأبو حيان (٤/ ٤١٠)، غير أن رواية الطبري تنتهي إلىٰ أنها أيلة حيث قال عنه: (... ذكر لنا أنها كانت قرية علىٰ ساحل البحر يقال لها أيلة). أهـ.

الثالث[1]- أنها قرية يقال لها: مقتا[2] بين مدين وعينونـًا[3]. قاله ابن زيد.

الرابع[4]- أنها[5] قرية بين أيلة والطور، حكاه أبو جعفر الطبري[6].

(الخامس- ما قاله ابن شهاب: أن القرية التي كانت حاضرة البحر طبرية[7].

والقرية التي قال فيها: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس:١٣] أنطاكية)[8].

وسؤالهم عن هذه القرية إنما هو سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف:١٦٣] هو تعديهم فيه بفعل ما نهوا عنه.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الأعراف:١٦٣] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- معنى (شُرَّعـًا) أي طافية على الماء ظاهرة[9]، قاله ابن عباس، (ومنه: شوارع البلد لظهورها[10].)[11].

---

(١) هذا القول هو الرابع في (ك، ق).

(٢) حكاه بالتاء في الأصل و(ف)، ومن غير إعجام في (ك). وفي (ق): مقيا. قد جاءت (مقتا) عند الألوسي (٩/ ٩٠)، وهي في تفاسير: الطبري (١٣/ ١٨١)، وابن عطية (٧/ ١٨٦)، وأبي حيان (٤/ ٤١٠). (مقنا) بالنون. وقد ذكر ابن عطية الروايات فيها فقال: (وقال قتادة هي مقنا بالقاف ساكنة، وقال ابن زيد هي مقناة ساحل مدين، ويقال فيها مغنّى بالغين ونون مشددة). وزاد ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥٧) عن ابن زيد أنها معتا بين مدين وعينونا.

(٣) وتروى: عينوني، وعينون. وهي إحدى قرى الشام التي أقطعها الرسول ﷺ لتميم الداري وأهل بيته وقد ذكرها البكري عرضـًا في (١/ ٤١٧) من كتابه: معجم ما استعجم.

(٤) هذا القول هو الثالث في (ق، ك).

(٥) عبارة (ق): أنها مدين قرية ... وفي (ك): أنها ثمانين يعني قرية.

(٦) حكاه ابن عباس من رواية عكرمة (١٣/ ١٨٢) وتتمته: (.. يقال لها مدين). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٧٦).

(٧) ذكره ابن عطية (٧/ ١٨٦) وابن الجوزي. قلت: وتعيين المراد على التحديد من بين ما ذكر -أو من غيره- ليس أمراً ميسوراً لأن القرآن ذكرها بوصفها لا باسمها. وهو أنها قرية ساحلية حاضرة البحر وهذا وصف ينطبق على ما ذكر - وعلى غيرها- وليس هناك خبر ثابت في ذلك. وقد تكون (أيلة) هي المرجحة لكثرة من قال بها. على أنه ليس هناك كبير فائدة في التعيين.

(٨) ما بين القوسين ليس في (ق).

(٩) سقطت من (ق).

(١٠) ما بين القوسين ليس في (ق).

(١١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٨٣).

الثاني- أنها تأتيهم من كل مكان، قاله عطية العوفي[(١)].

الثالث- أنها تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض، رافعة رؤوسها، حكاه بعض المتأخرين، فتعدَّوا وأخذوها[(٢)] في السبت، قاله الحسن[(٣)].

(قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الأعراف:١٦٥] معنى[(٤)] نسوا: تركوا، والذي ذكروا به: أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف:١٦٥] وهم الذين أمروا[(٥)] بالمعروف ونهوا عن المنكر.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأعراف:١٦٥] وهم الذين تركوا المعروف وأتوا المنكر[(٦)].

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف:١٦٥] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- شديد، قاله مجاهد[(٧)].

الثاني- رديء، قاله الأخفش[(٨)].

الثالث- أنه العذاب المقترن بالفقر وهو البؤس.

فأما[(٩)] الفرقة الثالثة التي لم تنه ولم تفعل ففيها قولان:

أحدهما- أنها نجيت مع الذين نهوا[(١٠)].

---

(١) وهو قول عن ابن عباس -أيضًا- كما في تفسير الطبري. وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٧).

(٢) في الأصل: (فأخذوه). وفي (ك): فأخذوها.

(٣) ذكره أبو حيان (٤/ ٤١١)، والطبرسي في مجمع البيان (٩/ ٤٩) كلاهما عن الحسن. وتعليل ذلك أنها كانت آمنة يومئذ.

(٤) في (ك): يعني.

(٥) في (ك): يأمرون بالمعروف وينهون.

(٦) في (ك): وفعلوا.

(٧) وهو قول ابن عباس، وابن زيد. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٢)، ومجاهد (١/ ٢٤٨).

(٨) لم يرد في هذا الموضع من معاني القرآن للأخفش بتحقيق فائز فارس، وقد ذكر أبو حيان (٤/ ٢١٤) عن الأخفش أن معناه: مهلك.

(٩) في (ك): آما.

(١٠) وهو قول للسدي، وعكرمة، والحسن، ورواية عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٨٦)، وابن عطية (٧/ ١٨٨)، والألوسي (٩/ ٩٢)، والطبرسي (٩/ ٥٢).

الثاني- ما قاله ابن عباس: لا[١] أدري ما فعل بها[٢].)[٣].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ [الأعراف:١٦٧] فيه[٤] قولان:

أحدهما- أنه تفعُّل من الآذن[٥] ومعناه أَعْلَم، قاله الحسن، ومنه قول[٦] الأعشىٰ:

آذَنْ الْقَـومُ جيـرتي بحتـوف ** صـرموا حبـل آلـفٍ مـألوف[٧]

الثاني- تألّىٰ[٨] وأقسم، قاله الزجاج[٩].

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعـراف:١٦٧] يعنـي علـىٰ اليهـود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

فالمبعوثون[١٠] هم العرب، وسوء العذاب هو الذلة، وأخذ الجزية. قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة[١١].

---

(١) في الأصل: الثاني لأدري.

(٢) انظر: المصادر السابقة. وقد روي أن عكرمة -ض- أبان لابن عباس أنهم نجوا حين ذكره بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأعراف:١٦٦] حتىٰ سرىٰ عن ابن عباس. وكساه حلة. وهناك قول ثالث وهو أنها هلكت وقد روي عن ابن زيد وقيل بأنهم فرقتان فرقة عصت فهلكت، وفرقة نهت واعتزلت فنجت، وجمهور المفسرين أنهم ثلاث فرق. وهو ما يؤيده السياق وتدل عليه الضمائر في الآية. وفي السكوت عنها تهوين من شأنها.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ك): وفيه.

(٥) في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٤): أنه تفعل من الإيذان). وقال ابن قتيبة هو من آذنتك بالأمر. وقال ابن الأنباري: تأذّن بمعنىٰ آذن كما يقال: تعلّم أن فلانـًا قائم. أي أعلم. وقد اعترض ابن عطية علىٰ هذا القول (٧/ ١٩٣) بأنه قلق من جهة التصريف إذ نسبة تأذن إلىٰ الفاعل غير نسبة أعلم. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٤)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٧٩).

(٦) في (ك): ومنه قول الشاعر الأعشىٰ.

(٧) ديوانه (ص٦٣) وفيه (بحفوف) بدل (بحتوف). وفي (ق، ك): بخلوف.

(٨) في (ك): معناه تألّىٰ.

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٨) فقد نسبه لبعضهم. ثم ذكر القول الأول. ولهذا جعله أبو حيان (٤/ ٤١٣) اختيار الزجاج وأبي علي. وقيل في الآية: حَتَم، ووعد، وقال وأمر. وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٩٣).

(١٠) في (ك): والمبعوثون، وفي (ق): فالمبعوث عليهم العرب.

(١١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٥) وفي بعض الروايات أنهم أمة محمد ﷺ، وهذا أشمل من العرب وحدهم، واختار ابن =

ويقال: إن أول من وضع الخراج وجباه من الأنبياء موسىٰ ﷺ، فجبا الخراج سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة[١] سنة ثم أمسك فلم[٢] يجبه إلا النبي ﷺ[٣].

وقال سعيد بن المسيب: أستحب[٤] أن يبعث[٥] في[٦] الجزية الأنباط[٧]. ولا أعرف لاستحبابه ذلك وجهاً إلا أن يكون لأنهم من قوم بخت نصّر فهم أشد انتقاماً، أو لأنها كانت تؤخذ منهم فهم علىٰ استيفائها لأجل المقابلة أحرص.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٨] أي فرقناهم فيها[٨] فرقاً. وفي تفريقهم فيها ثلاثة[٩] أوجه:

أحدها- زيادة في الانتقام منهم.

الثاني[١٠]- ليذهب تعاونهم.

الثالث- ليتميز الصالح من المفسد، كما قال[١١]: ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأعراف:١٦٨][١٢].

=

عطية ما هو أشمل من ذلك فقال (٧/ ١٩٣): (والصحيح أنها عامة في كل من حال اليهود معه هذه الحال). ولعل هذا هو واقع التاريخ.

(١) في (ك): ثلاثة عشرة.

(٢) "فلم يجبه" سقطت من (ق، ك).

(٣) وهو قول سعيد بن جبير كما في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي (٣/ ٢٧٩).

(٤) في تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٧): يستحب.

(٥) في (ك): أبعث.

(٦) سقطت من (ق).

(٧) في (ق): الأقباط.

(٨) قال أبو حيان (٤/ ٤١٤): (.. فقلّ أرض لا يكون منهم فيها شرذمة وهذا حالهم وهم في كل مكان تحت الصغار والذلة سواء كان أهل تلك الأرض مسلمين أم كفاراً).

(٩) في (ق): وجهان أحدهما.

(١٠) سقط هذا القول من (ق).

(١١) في (ك): كقوله.

(١٢) قال ابن عطية في تفسيره (٧/ ١٩٤): (والظاهر في المشار إليهم في هذه الآية أنهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم،
=

[١] ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف:١٦٨] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- بالثواب والعقاب.

الثاني- بالنعم والنقم.

الثالث- بالخصب والجدب[٢].

قوله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الأعراف:١٦٩] ومعناه[٣] فخلفهم خلف.

والخَلْف -بتسكين اللام- مستعمل في الذّم. والخَلَف[٤] -بتحريك اللام- مستعمل في الحمد[٥]. (وقال أبو عبيدة: معناهما واحد، مثل الأَثَر والأَثْر[٦]، والأول أظهر، وهو في قول الشعراء أشهر، قال الشاعر[٧]:

خَلَّفْت خَلْفاً[٨] ولم تَدَعْ خَلَفَا ** ليتَ بهم كان لا بك التلفا[٩]

وفي الخلف وجهان:

أحدهما- أنه القرن، قاله الفراء[١٠].

=

والظاهر أنه قبل مدة عيسىٰ ﷺ لأنه لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسىٰ ﷺ. قلت: وتناهىٰ ضلالهم بكفرهم بمحمد ﷺ. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٨)، وابن الجوزي (٣/ ٢٨٠).

(١) في (ك): ثم قال.

(٢) فكل من الحسنات والسيئات تدعو إلىٰ الطاعة والعبادة، أما الحسنات والنعم فلطلب دوامها وزيادتها وخوف زوالها، وأما السيئات والنقم فلطلب كشفها والسلامة منها.

(٣) في (ك): معنا، وهو تحريف.

(٤) سقطت من (ك، ق).

(٥) قاله ابن الأنباري وغيره. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٩)، وابن الجوزي (٣/ ٢٨٠).

(٦) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٣٢).

(٧) في (ك): قال بعضهم.

(٨) في الأصل: (حلفا) واللفظة غير معجمة في (ف)، وما أثبته من (ك). وقوله (لم تدع خلفا) ساقط من (ك).

(٩) في (ك): التلف. والبيت في البحر المحيط (٤/ ٦٦) من غير نسبة، ونسبه السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٥٤٣) لزهير، ولم أجده في ديوانه.

(١٠) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٩).

الثاني- أنه جمع خالف[1])[2].

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف:١٦٩] يعني انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلىٰ خلف.

(وفيهم قولان:

أحدهما- خلف[3] اليهود من أبنائهم. والكتاب الذي ورثوه التوراة لانتقالها إليهم[4].

القول الثاني- أنهم النصارىٰ لأنهم خلف من اليهود. والكتاب الذي ورثوه الإنجيل لحصوله معهم، قاله مجاهد[5].)[6].

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٦٩] يعني الرشوة علىٰ الحكم في قول الجميع.

(وسماه عرضـًا لقلة بقائه. وفي وصفه بالأدنىٰ وجهان:

أحدهما- لأخذه في الدنيا الدانية.

الثاني- لأنه من المحرمات الدنية[7].)[8].

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٦٩] يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه مغفور، لا يؤاخذ[9] به.

---

(١) كركب جمع راكب، وشرب جمع شارب، قاله ابن الأنباري، وقد ضعفه أبو حيان (٤/ ٤١٦) بقوله: (وليس بشيء لجريانه علىٰ المفرد واسم الجمع لا يجري علىٰ المفرد).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) في (ك): أنهم من خلف.

(٤) اختاره الطبري (١٣/ ٢١٠).

(٥) كما في تفسيره (١/ ٢٤٩)، وقد ضعفه الطبري (١٣/ ٢١٠) لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها في اليهود. فكونها فيهم أشبه، وانظر: تفسير ابن عطية (٧/ ١٩٥)، وأبي حيان (٤/ ٤١٦)، وقد روي أنهم هؤلاء الأمة وأن المراد بالكتاب القرآن ونسبه أبو حيان لمجاهد. وذكره ابن الجوزي من غير نسبة، وأولاها الأول لصدق هذه الأوصاف علىٰ اليهود ولأن السياق فيهم.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) أي فهو إما من الدّنو والقرب أو من الدناءة والخسة.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٩) في (ك): نؤاخذ.

الثاني- أنه ذنب لكن الله تعالىٰ قد يغفره لنا تأميلاً منهم لرحمة[1] الله تعالىٰ.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ [الأعراف:١٦٩] فيه[2] وجهان:

أحدهما- أنهم أهل إصرار علىٰ الذنوب، قاله مجاهد وقتادة، والسدي[3].

الثاني- أنهم لا يشبعهم شيء، فلا[4] يأخذونه لحاجة، قاله الحسن[5].

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٦٩] [يحتمل وجهين:

أحدهما- لا يقولوا علىٰ الله إلا الحق][6] في تحريم الحكم بالرشاء.

والثاني- في جميع الطاعات والمعاصي، والأوامر والنواهي.

﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف:١٦٩] فيه وجهان[7]:

أحدهما- تركوا ما فيه أن يعملوا به حتىٰ صار دارساً[8].

الثاني- أنهم قد تلوه ودرسوه فهم لا يجهلون ما فيه، ويقدمون علىٰ مخالفته مع العلم[9].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف:١٧١] فيه ثلاثة[10] أوجه:

أحدها- زعزعنا[11]، قاله ابن قتيبة، ومنه قول العجاج[12]:

---

(١) في (ق، ك): لرحمته.

(٢) في (ك): وفيه.

(٣) انظره بمعناه في تفسير مجاهد (١/ ٢٤٩)، والطبري (١٣/ ٢١٢).

(٤) في (ك، ق): فهم لا يأخذونه.

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٨١).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل وإثباته من (ف، ك، ق).

(٧) في (ف، ك، ق): تأويلان.

(٨) في الأصل، ك: (دراسا). وما أثبته من (ف، ق).

(٩) قاله بنحوه ابن زيد كما في تفسير الطبري (١٣/ ٢١٥)، وهو الأولىٰ فهو بمعنىٰ أنه خالفوه علىٰ علم.

(١٠) في (ق): وجهان أحدهما.

(١١) في الأصل، و(ف): (زحزحنا). وقد أثبت ما في (ق، ك) لأنها لفظة ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن (ص١٧٤).

(١٢) الصواب أن البيت لرؤبة بن العجاج فقد نسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٣٢)، وهو في ديوانه (ص١٢٢) من أرجوزة طويلة يذكر فيها قومه ويمدح سليمان بن علي.

قـــد جرّبـــوا أخلاقنـــا الجلائـــلا ** ونتقـــوا أحلامنـــا الأثـــاقلا[1]

(الثاني- جذبناه، والنتق: الجذب، ومنه قيل للمرأة الولود ناتق، قال النابغة:

لـــم يُحْرَمـــوا حُسْـــن الغـــذاء وأمُّهـــم ** طفحـــت عليـــك بنـــاتق مـــذكار[2]

واختلف في سبب تسميتها ناتقًا، فقيل: لأن خروج أولادها بمنزلة الجذب.

وقيل: لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولداً)[3].

الثالث- رفعناه عليهم من أصله. قال[4] الفراء: رفع الجبل علىٰ[5] عسكرهم فرسخًا[6] في فرسخ.

وقال مجاهد: سبب نتق[7] الجبل عليهم أنهم أبوا أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة،

---

(١) ذكر عجزه أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٣٢)، والطبري في تفسيره (١٣/ ٢٢٠)، وابن عطية (٧/ ١٩٧) وقد ساقوه علىٰ أن النتق بمعنىٰ الرفع، وقبله وبعده:

فالنـــــاس إن فصـــــلتهم فصـــــائلا ** كـــــل إلينـــــا يبتغـــــي الوســـــائلا
قـــد جربـــوا أخلاقنـــا الجلائـــلا ** ونتقـــوا أحلامنـــا الأثـــاقلا
فلـــم يـــر النـــاس لنـــا معـــادلا ** أكثـــر عـــزاً وأعـــز جـــاهلا

(٢) ديوانه (ص١٠٨) -بتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. وهو في تفاسير: الطبري (١٣/ ٢٢٠)، وابن عطية (٧/ ١٩٧). وفيها: (دحقت) بدل (طفحت)، وهي رواية في البيت، وتفسير أبي حيان (٤/ ٤١٨). والبيت من قصيدة قالها في زرعة بن عمرو حين بلغه أنه يتوعده مطلعها:

طـــال الثـــواء علـــىٰ رســـوم ديـــار ** قفـــر أســـائلها ومـــا اســـتخباري

ثم ذكر زرعة فقال:

نبئـــت زرعـــة والســـفاهة كاســـمها ** يهـــدي إلـــىٰ غرائـــب الأشـــعار

وبيت الشاهد في مدح بني أسد الذين طلب منه زرعة التخلي عن عهدهم وأنهم أصحاء أقوياء كثيروا الرجال فأمهم مذكار تلد الذكور.

(٣) ما بين القوسين ليس في (ق). وما بعده هو الثاني فيها.

(٤) في الأصل و(ف، ك): قاله. وما أثبته من (ق): وهو مقتضىٰ السياق. ولأن ما بعده هو مقولة الفراء في كتابه معاني القرآن (١/ ٣٩٩).

(٥) في الأصل و(ف): مع، وما أثبته من (ق، ك) وهي كذلك عند الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٩٩).

(٦) في الأصل، ف: (فرسخ)، وما أثبته من (ق، ك): ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٩٩).

(٧) في (ق، ك): رفع.

فوعظهم موسىٰ ﷺ فلم يقبلوا، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم.

قال[1] ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: فأخذوه[2] بقوة ثم نكثوا بعده[3].[4].

(واختلف في سبب رفع الجبل عليهم هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم علىٰ قولين:

أحدهما- [150/ و] أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم.

الثاني- كان إنعاماً لإقلاعهم به[5] عن المعصية)[6].

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ [الأعراف:171] فيه قولان:

أحدهما- أنه غلب علىٰ نفوسهم انه واقع بهم علىٰ حقيقة[7] الظن[8].

الثاني- أنهم تيقنوه لما[9] عاينوا ارتفاعه عليهم، قاله الحسن[10].

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ [الأعراف:171] يعني التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:171] يحتمل وجهين[11]:

---

(1) في (ك): قاله.

(2) في (ق): فقالوا نأخذه.

(3) في (ق، ك): بعد.

(4) انظره بمعناه في: تفسير الطبري (13/ 217) و(2/ 157) راجع آية (63) من سورة البقرة.

(5) في الأصل: (بين) ومحلها بياض في (ف). وما أثبته من (ك).

(6) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(7) في (ق): الحقيقة.

(8) وهو قول الرماني، وأبي حيان في تفسيره (4/ 420)، وابن عطية (7/ 198)، وانظر: مجمع البيان (9/ 58).

(9) في (ق): بما.

(10) ونسبه أبو حيان وابن عطية إلىٰ المفسرين ثم خالفه بقوله: (وليس الأمر عندي كذلك بل هو موضع غلبة الظن مع بقاء الرجاء وكيف يوقنون بوقوعه وموسىٰ ﷺ يقول: إن الرمي به إنما هو بشرط أن لا يقبلوا التوراة - ثم بين متىٰ يأتي الظن بمعنىٰ اليقين فقال: والظن إنما يقع ويستعمل في اليقين متىٰ كان ذلك المتيقن لم يخرج إلىٰ الحواس). أ.هـ. قلت: ومعنىٰ الآية أنهم تيقنوا وقوعه إن لم ياخذوا ما أوتوا.

(11) ذكر الماوردي عند تفسيره لقوله تعالىٰ في سورة البقرة: 62 ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:63] ستة تأويلات فراجعها.

أحدهما- بجد واجتهاد.

الثاني- بنية صادقة وطاعة خالصة.

قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَاتِهِم [1] (وَأَشْهَدَهُمْ [2] عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

أُختلف في الذين أخرجهم لأخذ ذلك عليهم علىٰ قولين:

أحدهما- أنه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وجعل فيها من المعرفة ما علمتْ به ما[3] خاطبها[4]. واختلف من قال بهذا هل كان ذلك قبل نزوله إلىٰ الأرض علىٰ قولين:

أحدهما- أنه كان في الجنة قبل هبوطه إلىٰ الأرض.

الثاني- أنه فعل ذلك في[5] الأرض بعد هبوطه إليها.

القول الثاني- في الأصل أنه خلق الأرواح والأجساد معًا وذلك في الأرض عند جميع من قال بهذا التأويل.

فعلىٰ هذا فيه قولان)[6]:

أحدهما- أنه أخرجهم كالذر[7] في الأزل وألهمهم هذا[8] فقالوه، قال الكلبي ومقاتل وذلك أن

---

(١) في (ق): (ذريتهم) وكلتاهما قراءة سبعية قرأ بالإفراد ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي. وقرأ بالجمع (ذرياتهم) نافع وأبو عمرو وابن عامر. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٩٨).

(٢) في (ك): الآية.

(٣) في (ك): (من).

(٤) ذكره القرطبي بلفظه من غير نسبة (٧/ ٣١٤)، والقول بأسبقية خلق الأرواح علىٰ الأجساد. قال به محمد بن كعب القرظي كما في تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٤). وقال به محمد بن نصر المروزي وابن حزم وحكاه إجماعًا. قلت: وهو مردود هنا بظاهر الآية من ذكر الظهور والذرية. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٦٧)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٤٠، ٤٥).

(٥) "في الأرض" سقطت من (ك).

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) عبارة (ق): (كالذر في الذر والأول)، وفي (ك): (كالذر في الذر والأولىٰ). وقد كتبت كلمة (في الذر) في (ف) ثم شطبت.

(٨) في الأصل، (ف): (ماذا) وهي تحريف: هذا. وما أثبته من (ق، ك).

الله سبحانه مسح ظهر آدم بين مكة[1] والطائف فخرج من صفحة ظهره اليمنىٰ ذرية كالذر بيض، فهم أصحاب الميمنة. وخرج من صفحة ظهره اليسرىٰ ذرية كالذر سود، فهم أصحاب المشأمة، فلما شهدوا علىٰ أنفسهم جميعًا من آمن منهم ومن كفر أعادهم[2].

الثاني- أنه أخرج الذرية قرنًا بعد قرن وعصراً بعد عصر[3].

وفي إشهادهم علىٰ أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] قولان[4]:

(أحدهما- أنه[5] دلهم علىٰ نفسه بما شاهدوه[6] من قدرته، قاله بعض المتكلمين[7].

الثاني- إشهادهم علىٰ أنفسهم بما اعترفوا به من ربوبيته ووحدانيته[8].

وفيه علىٰ هذا التأويل قولان:

أحدهما- أنه قال ذلك للآباء من بني آدم حين أخرج من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم ليعلموا[9] أنه كما خلق ذرياتهم بعد أن لم يكونوا كان هو الخالق لهم لأنهم كانوا ذرية مثلهم لمن تقدمهم كما صار هؤلاء ذرية لهم فاعترفوا بذلك حين ظهرت[10] الحجة، قاله ابن بحر.

---

(١) وقيل: بنعمان واد جنب عرفة، وفي هذا تعيين للقول بأنه بين مكة والطائف. وقيل: بالهند. وقيل غير ذلك. وهي أقوال لا يقوم عليها دليل. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٢٣)، وتفسير القرطبي (٧/ ٣١٦).

(٢) ورد في هذا المعنىٰ روايات كثيرة من حديث عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وغيرهم. ذكرها الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٢٢-٢٥٠) وجاء بعضها في شرح الطحاوية (ص٢٦٥)، وذكر خلاصتها ابن عطية في تفسيره (٧/ ١٩٨).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٣٥).

(٤) في (ق): علىٰ هذا التأويل قولان.

(٥) في (ك): هو أنه.

(٦) في (ك): شهدوه.

(٧) بمعنىٰ قول الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٣١)، وأبي مسلم بن بحر والرماني وابن الأخشيد كما في تفسير مجمع البيان (٦١٨-٦٢).

(٨) ويرىٰ الطبري أن المراد شهادة بعضهم علىٰ بعض (١٣/ ٢٥٠). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٨٤).

(٩) في (ك): ليعلمهم أنه خلق.

(١٠) في (ك): ظهرت لهم.

والقول الثاني- أنه قال ذلك للذرية حين أخرجهم[(١)] من ظهور آبائهم، وهذا قول الأكثرين[(٢)].

فعلىٰ هذا فيه قولان:)[(٣)].

أحدهما- أنه قال لهم: ألست بربكم علىٰ ألسنة[(٤)] الأنبياء بعد أن كملت عقولهم[(٥)].

الثاني- أنه جعل لهم عقولاً علموا بها ذلك فشهدوا به علىٰ أنفسهم[(٦)].[(٧)].

وفي [أصل][(٨)] الذرية قولان:

---

(١) في (ك): أخذهم.

(٢) وهو ظاهر الآية. والقول الأول عائد إليه فليس -من خلا آدم- ممن كانوا آباء إلا وقد كانوا أبناء.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ق، ك): لسان الأنبياء). والجملة بعدها ساقطة من (ق).

(٥) وهذا يناسب قول من جعل إخراج الذرية قرنًا بعد قرن.

(٦) وهذا يناسب قول من جعل إخراجهم في عالم الذر الذي دلت عليه الآثار.

(٧) هذه الآية الكريمة من الآيات التي اختلف العلماء في فهمها، وطال كلامهم فيها وخلاصته:

١-أن المراد فئة خاصة من بني آدم كان آباؤهم مشركون، وليست عاملة لكل الناس. وهذا قول شاذ قال به بعض المعتزلة كالجبائي.

٢-أنها عامة وأن المراد هذه الأجيال المتعاقبة، وأن إشهادهم علىٰ أنفسهم هو ما نصبه لهم من أدلة قاطعة علىٰ قدرته ووحدانيته وإن إقرارهم بذلك وقولهم: بلىٰ إنما هو بلسان حالهم لا بلسان مقالهم. يدل علىٰ ذلك أنه لا أحد منهم يذكر أن ميثاقًا أخذ عليهم. وما لا يذكرونه ولا علم لهم به لا يكون حجة عليهم. وقد جعله الله في هذه الآية حجة.

٣-أن الآية عامة، وأن المراد ميثاقًا حقيقيًا أخذ عليهم في عالم الذر وأنهم شهدوا علىٰ أنفسهم بأن الله ربهم بلسان مقالهم. ثم أرسل الله الرسل مذكرة بذلك الميثاق الذي نسوه ومخبرة عنه فمن آمن فقد وفىٰ ومن كفر فقد بدّل وغيّر.

يشهد لهذا ما ورد من الآثار الكثيرة بين مرفوعة وموقوفة تدل علىٰ أن الله أخرج ذرية آدم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق كما في حديث عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم.

فيكون قد ثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، فلا اختلاف بينهما.

ولأن ما احتج به أصحاب القول الثاني لا يثبت لأن الحجة علىٰ الناس لا تثبت بمجرد نصب الأدلة في الآفاق والأنفس وأصل الفطرة. وإنما الحجة التي ينقطع بها العذر هي إرسال الرسل، كما هو صريح في كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ولم يقل نخلق عقولا، وننصب أدلة ونغرس فطرة. وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وغيرها.

انظر: تفاسير الطبري (١٣/ ٢٢٢)، وابن عطية (٧/ ١٩٨)، والقرطبي (٧/ ٣١٤)، وابن كثير (٢/ ٢٦١)، والطبرسي (٩/ ٦٠)، والفخر الرازي (١٥/ ٤٦)، والشنقيطي (٢/ ٣٣٥). وانظر: شرح الطحاوية (ص٢٦٥).

(٨) سقطت من الأصل. وزيادتها من بقية النسخ.

أحدهما- لأنهم يخرجون من الأصلاب كالذر.

الثاني- أنه مأخوذ من ذَرَأَ الله تعالىٰ الخلق إذا أحدثهم وأظهرهم.

قولـه ﷻ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ [الأعراف:١٧٥] فيـه ثلاثـة[١] أقاويل:

أحدها- أنه بلعم[٢] بن باعوراء[٣]، واختلفوا فيه:

فقيل: كان من اليمن، وقيل[٤]: إنه كان من بني صاب[٥] بن لوط.

وقيل: إنه كان من الكنعانيين، وهو[٦] بلعم بن باعوراء. قاله[٧] ابن عباس، وابن مسعود.

الثاني[٨]-أمية بن أبي الصلت الثقفي، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص[٩].

(١) في (ق): فيه قولان أحدهما.

(٢) في (ك): (بلعام)، وهي رواية في اسمه.

(٣) روي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وابن مسعود. وقد اختلفت الروايات في اسمه فقيل كما هنا وهو أشهرها. وقيل: بلعام. وروي: بلعم من أَبَر، أو أَبُر -بضم الباء- أو أبره. وذكره ابن حبيب في كتابه المحبّر (ص٣٨٩) بهذا النسب: بلعم ابن بعوراء بن ستّوم بن فواسيم بن ماب بن لوط بن هارون بن تارخ بن ناحور وذكره سبباً في نزول هذه الآية. ولا يصح ذلك لأن السبب إنما يكون وقت النزول. واختلف فيه فقيل إنه من بني إسرائيل وهو المشهور. وروي عن ابن عباس أنه من اليمن. وروي عن أبي حمزة الشمالي ومسروق أنه من بني هاب بن لوط. وعن ابن عباس أنه من مدينة الجبارين. وروي من قصته أنه كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب فأراده قومه أن يدعو علىٰ موسىٰ ومن معه. وما زالوا به حتىٰ دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف:١٧٥]، وقيل غير ذلك حتىٰ قال أبو حيان فأحسن (٤/ ٤٢٢): (وقد طول المفسرون في قصته وذكروا ما الله أعلم به).

راجع: تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٣)، وابن الجوزي (٣/ ٢٨٧)، والطبرسي (٩/ ٦٥)، وأسباب نزول القرآن للواحدي (ص٢٢٣)، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم للسهيلي (ص٦٠).

(٤) لم يرد هذا القول في (ق). وقد جاء ترتيبه الثالث في (ك).

(٥) في (ك): صال.

(٦) في (ق): وبأنه بلعم)، ولم ترد الجملة في (ك).

(٧) وردت هذه الجملة بعد القول الذي قبله في (ك) لاختلاف ترتيب الأقوال فيها.

(٨) في (ق، ك): أنه.

(٩) وهو قول ابن المسيب، وأبي روق، وزيد بن أسلم، حيث كان أمية قد قرأ الكتب وعلم أن الله سوف يرسل رسولاً فرجا أن يكون هو فلما بعث محمد ﷺ حسده وكفر. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٨٧)، وأبي حيان (٢/ ٤٢٢)، وأسباب =

الثالث[١]- أنه من أسلم من اليهود والنصارىٰ ونافق، قاله عكرمة[٢].

وفي الآيات التي أوتيها ثلاثة أقاويل[٣]:

أحدها- أنه اسم الله الأعظم الذي تجاب به الدعوات، قاله السدي وابن زيد[٤].

الثاني- أنه[٥] كتاب من كتب الله. قاله ابن عباس[٦].

الثالث- أنه أوتي النبوة فرشاه [١٥٠/ ظ] قومه علىٰ أن يسكت ففعل[٧] وتركهم علىٰ ما هم عليه، قاله مجاهد[٨].[٩].

(وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلىٰ معصيته.

وفي قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف:١٧٥] وجهان:

أحدهما- فانسلخ من العلم بها لأنه سلب ما أوتي منها بالمعصية.

=

النزول للواحدي (ص٢٢٣).

(١) لم يرد هذا القول في (ق).

(٢) كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٨٨)، وعن ابن المسيب أنه أبو عامر الراهب. وعن الحسن أنه المنافق. ومثل هذا الخلاف الوارد عن المفسرين فيما لا نص فيه لا يمكن فيه التعيين ولا تأثير له فالمدار ليس علىٰ معرفة اسمه وإنما في العبرة من قصته. وتحمل الأقوال فيه علىٰ أنها للتمثيل، ولهذا قال الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٦٠) بعد أنت بين أن كل ذلك جائز: (فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ونقر بظاهر التنزيل علىٰ ما جاء به الوحي من الله).

(٣) الخلاف في الآيات ينبني علىٰ الخلاف في المراد بالذي أوتي الآيات وقد زاد ابن الجوزي (٣/ ٢٨٨) علىٰ ما ذُكِر هنا. القول بأنها حجج التوحيد وفهم أدلته. وقيل أنها العلم بكتب الله ﷻ.

(٤) وروي عن ابن عباس وابن جبير. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٧)، وابن الجوزي (٣/ ٢٨٨).

(٥) في (ق، ك): أنها.

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٨، ٢٦٩).

(٧) في (ك): فسكت ففعل.

(٨) لم يرد هذا القول في تفسير مجاهد (١/ ٢٥٠)، وإنما ورد عنه فيه مثل رواية ابن عباس أنه رجل من بني إسرائيل أوتي كتاباً فانسلخ منه فأخلد إلىٰ شهوات الدنيا ولذاتها. ولم ينتفع بما أعطي من الكتب. لكن هذه الرواية ذكرها عنه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٥٩). وقد ضعفها المفسرون فقال ابن عطية (٧/ ٢٠٤): (وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد ومن أعطي النبوة فقد أعطي العصمة ولابد ثبت هذا بالشرع وقد نص معنىٰ ما قلته أبو المعالي في كتاب الشامل). وتعقبه أيضاً ابن الجوزي (٣/ ٢٨٨) بقوله: (وفيه بعد لأن الله تعالىٰ لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه الحال).

(٩) جاء في (ف) حاشية ذهب البياض بأكثرها وقد ظهر منها قوله: (قال ابن ... المشكل لا يجوز ..).

الثاني- أنه انسلخ من الطاعة بالمعصية، مع بقاء علمه بالآيات حتىٰ حكي أن بَلْعم رُشي علىٰ أن يدعو علىٰ قوم موسىٰ بالهلاك فسها فدعا علىٰ قوم نفسه[١] فهلكوا)[٢].

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:١٧٥] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أن الشيطان صيّره لنفسه تابعـًا بإجابته له حين أغواه[٣].

الثاني- أن الشيطان هو متّبعوه من الإنس[٤] علىٰ ضلالته من الكفر.

الثالث- أن الشيطان لحقه وأغواه[٥]، يقال: اتّبعت القوم إذا لحقتهم، وتبعتهم إذا سرت خلفهم، قاله ابن قتيبة[٦].

(﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] فيه وجهان:

أحدهما- من الهالكين[٧].

الثاني- من الضالين[٨].)[٩].

قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٦] فيه وجهان:

أحدهما- لأمتناه[١٠] فلم يكفر[١١].

الثاني- لحلنا بينه وبين الكفر حتىٰ يصير مرفوع المنزلة معصومـًا، قاله[١٢] مجاهد[١٣].

---

(١) في (ك): علىٰ قومه.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٦١).

(٤) عبارة (ق): (الشيطان متبع الإنس ..). والمعنىٰ أن أتباعه من الإنس يسمون شياطين.

(٥) في (ك، ق): فأغواه.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص١٧٤).

(٧) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٢).

(٨) قاله مقاتل كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٨٩)، وأبي حيان (٤/ ٤٢٣).

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٠) في (ف): (يعني ..)، وفي (ك): يعني لأمتناه فلم يكفر وتحتمل في (ق): يعني لأصبناه فلم يكفر.

(١١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤٢٣) بنحوه عن ابن أبي نجيح. وضعفه بعدم صحة معنىٰ الاستدراك.

(١٢) ربما يفهم من عبارة مجاهد في تفسيره (١/ ٢٥١) حيث قال: (لرفعناه بها) لدفعنا عنه. فدفع ما يحط من منزلته من كفر ومعصية رفع لها.

(١٣) سقطت هذه الجملة من (ق).

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٧٦] أي ركن إليها. وفي ركونه إليها وجهان:

أحدهما- أنه ركن إلىٰ أهلها في استنزالهم له[1] ومخادعتهم إياه.

الثاني- ركن إلىٰ شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله، وقد بيّن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] [2]. ثم ضرب مثله بالكلب: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦] (واللهث دلع الكلب لسانه. ومعناه: أن الكلب روي أو عطش، طرد أو ترك فإنه يلهث فهو ضال وعظ أو ترك)[3].

وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان:

أحدهما- لذلته ومهانته[4].

الثاني- لأن لهث الكلب ليس بنافع له[5].

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩] أي خلقنا ممن يصير إلىٰ جهنم بكفره[6] ومعصيته كثيراً من الجن والإنس.

(وفيه قولان:

أحدهما- أراد أولاد الزنا لأنهم من النطف الخبيثة مخلوقون، فهم أكثر الناس إسراعًا إلىٰ الكفر والمعصية فيصيرون[7] به جامعين بين المعصية[8] وخبث المولد[9].[10].

---

(١) "له" سقطت من الأصل. وإثباتها من بقية النسخ.

(٢) قال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩٠) عن هذه الآية: (وهذه الآية من أشد الآيات علىٰ أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلىٰ الهوىٰ).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ك). وقد ورد في (ف) في حاشية مطموسة.

(٤) نقل أبو حيان في تفسره (٤/ ٤٢٤) أن الآية دلت: (علىٰ أن الكلب أخس الحيوان وأذله لضرب الخسة في المثل به في أخس أحواله ولو كان في جنس الحيوان ما هو أخس من الكلب ما ضرب المثل إلا به).

(٥) من قوله: (واللهث دلع الكلب لسانه) ساقط من (ق).

(٦) في (ق): لكفره.

(٧) في (ك): فيصيروا جامعين.

(٨) في (ف، ك): المعتقد.

(٩) في الأصل: المواد، وهو تحريف. وما أثبته من (ف، ك).

(١٠) حكىٰ الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٧٧) عن سعيد بن جبير أنه قال أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم وساق فيه حديثًا ضعيفًا =

والقول الثاني- أنه علىٰ العموم في أولاد الزنا والرِّشْدة[١] فيمن ولد[٢] من نكاح أو سفاح لأنهم مؤاخذون علىٰ أفعالهم لا علىٰ مواليدهم التي خبثت بأفعال غيرهم)[٣].

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩] الحق. و﴿أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩] الرشد. و﴿ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٧٩] الوعظ، فصاروا بترك استعمالها[٤] بمثابة مَن عدمها، قال مسكين الدرامي[٥]:

أعمىٰ إذا ما جارتي خرجت ** حتىٰ يُواري جارتي الخدر

وأَصِمّ عما كان بينهما ** سمعي وما بالسمع من[٦] الوقر

(قوله عز[٧] وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأعراف:١٧٩] فيه وجهان:

أحدهما- لأنهم لا يعقلون الوعظ.

الثاني- أنهم لا يهتمون إلا بالأكل والشرب[٨].

=

لجهالة أحد رواته. وهو قول ضعيف إذ لا تزر وازرة وزر أخرىٰ ولا يؤخذ الإنسان بجرم غيره. وقد تعقبه أبو حيان (٤/ ٤٢٧) بقوله: (ليس بجيد). ولهذا فالقول التالي هو الصواب.

(١) يقال: هو لرشده أي صحيح النسب. بكسر الراء والفتح لغة. انظر: المصباح المنير (١/ ٢٧٠).

(٢) في الأصل: (راد)، وهو تحريف. والصواب ما أثبته من (ف، ك).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في الأصل: استعماله. والصواب ما أثبته من بقية النسخ.

(٥) في (ك): الداري. وهو: ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح الدارمي، شاعر أموي شجاع من أشراف تميم، لقب مسكينًا لقوله:

أنا مسكين لمن أنكرني ** ولمن يعرفني جدّ نطق

وكان يقول:

وسميت مسكينًا وكانت لجاجة ** وإني لمسكين إلىٰ الله راغب

توفي نحو سنة (٨٩). انظر: الشعر والشعراء (ص٣٤٧)، وأمالي المرتضىٰ (١/ ٤٧١)، ومعجم الأدباء (١١/ ١٢٦)، والأعلام (٣/ ٤١).

(٦) في (ك): (لي) وهي رواية في البيت. وبها فلا اقواء فيه.

(٧) "قوله ﷻ" ليس في (ف، ك).

(٨) الحق أنهم يجمعون كل ذلك.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩] فيه وجهان:

أحدهما- لأن[١] الأنعام لا تعصي وهم يعصون.

الثاني- لأن الأنعام لم تؤمر وهم مأمورون[٢].)[٣].

قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] قال[٤] ابن عباس: كل أسمائه حسنىٰ، وفي المراد بالحسنىٰ [وجهان][٥]:

أحدهما- ما مالت إليه القلوب من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة[٦].

الثاني- أسماؤه التي استحقها[٧] لنفسه ولفعله ومنها صفات هي طريقة المعرفة[٨]، وهي تسعة[٩]: القديم: الأول قبل كل شيء، والباقي بعد [فناء][١٠] كل شيء. والقادر الذي لا يعجزه شيء، والعالم الذي لا يخفىٰ عليه شيء. والحي الذي لا يموت. والواحد الذي ليس كمثله شيء، والسميع البصير الذي لا يعزب[١١] عنه شيء، والغني بنفسه عن كل شيء[١٢].

وفي دعائه بها وجهان:

[١٥١/ و] أحدهما- نداؤه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب.

---

(١) في (ك): بأن.

(٢) ولأنهم ألغوا ما ميزهم الله به عن الأنعام من عقل وإدراك فلم يستفيدوا منها ولم يستدلوا بها علىٰ الحق.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ق): قاله.

(٥) سقطت من الأصل وزيادتها من (ف). وفي (ك): هنا وجهان. وفي (ق): هاهنا.

(٦) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩٣) عن الماوردي. وذكره الطبرسي (٩/ ٧١) وفيهما (النفوس) بدل: القلوب.

(٧) في بقية النسخ: يستحقها.

(٨) في (ق): المعرفة به.

(٩) في (ق): سبعة ، وهو تحريف.

(١٠) زيادة من (ق).

(١١) في (ك): (عليه). وقد سقطت كلمة (شيء) من (ق).

(١٢) هذه بعض أسمائه سبحانه وتعالىٰ، وإلا فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: (إن له تسعاً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر). وقد وردت في بعض الروايات مسرودة، لكن الذي عليه جماعة من الحفاظ أن سردها إدراج في الحديث، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٩). (ثم ليعلم أن الأسماء الحسنىٰ غير منحصرة في تسعة وتسعين ...).

الثاني- تعظيمه بها تعبّداً له بذكرها.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] (قرئ بضم[1] الياء وبفتحها، فمن قرأ بفتحها[2] جعله مأخوذاً من لحد، ومن قرأ بضمها[3] جعله من ألحد. والفرق بينهما أن ألحد إذا عدل عن القصد. ولحد إذا ركن إلىٰ الشيء. قاله الكسائي[4].)[5].

وفيه هاهنا ثلاثة تأويلات:

أحدها- يكذبون، قاله ابن[6] عباس.

الثاني- يشركون، قاله[7] قتادة.

الثالث- يجورون، قاله الأخفش[8].

وفي إلحادهم فيها قولان:

أحدهما- اشتقاقهم أسماء[9] آلهتهم من أسماء الله تعالىٰ، كما سموا بعضها باللات اشتقاقاً من الله، وبعضها بالعزىٰ اشتقاقاً من العزيز، قاله ابن عباس، ومجاهد[10].

الثاني- تسميتهم الأوثان آلهة (وجعلهم[11] الله ﷻ أبا المسيح[12].)[13].

---

(١) في (ك): بفتح الياء وضمها.

(٢) أي (يَلحدون) وهي قراءة حمزة من السبعة. وقرأ بالباقون (يُلحدون) بالضم. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٩٨)، وحجة القراءات لابن أبي زرعة (ص٣٠٣).

(٣) في (ك): بالضم.

(٤) كما في تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣)، وابن عطية (٧/ ٢١٤) عنه، وقد رجح الطبري خلافه فقال: (وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنىٰ واحد).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣).

(٨) لم ترد في مظنها من معاني القرآن للأخفش بطبعتيه: تحقيق: د.فائز فارس، والأخرىٰ بتحقيق: د. عبدالأمير محمد أمين الورد.

(٩) سقطت من (ق).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣)، ولم ترد هذه الرواية عن مجاهد في تفسيره المطبوع. وهي مشهورة عنه. كما في تفسير ابن عطية (٧/ ٢١٤)، وأبي حيان (٤/ ٤٣٠).

(١١) في (ق، ك): والله.

(١٢) في (ق): أبا المسيح وعزير.

(١٣) وهو في معنىٰ قول الجبائي حيث قال: أراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله. كما في تفسير الطبرسي (٩/ ٧١). والأولىٰ =

قوله ﷻ: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٨١] وفيهم[1] ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنهم الأنبياء -عليهم السلام-[2].

الثاني- أنهم العلماء[3].

الثالث- أنهم هذه الأمة. روىٰ ذلك قتادة، وابن[4] جريج عن النبي ﷺ يهدون إلىٰ دين الإسلام بالدعاء إليه. ثم بالجهاد عليه.

(﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٩] يحتمل وجهين:

أحدهما- وبه يعدلون في أحكامهم وأفعالهم.

الثاني- وبه تعتدل أوصافهم حتىٰ يصيروا عدولاً في أنفسهم)[5].

قوله ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٢] فيه[6] قولان:

أحدهما- الاستدراج أن يأتيه الشيء من حيث لا يعلم. قاله السدي[7].

الثاني- أن تنطوي حاله منزلة بعد منزلة.

وفي اشتقاقه قولان:

=

حمل هذا علىٰ التمثيل لا الحصر إبقاء للآية علىٰ عمومها.

(١) في (ك): فيه .. وفي (ق): فيهم قولان أحدهما.

(٢) سقطن هذا القول من (ق). وقد ذكره والذي بعده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩٤) نقلاً عن الماوردي.

(٣) ذكره أبو حيان في تفسيره (٤/ ٤٣٠) من غير نسبة.

(٤) في الأصل، (ك): (عن ابن أبي نجيح) ومكانه بياض في (ف). والصواب ما أثبته من (ق). فقد أخرج الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٨٥) عن ابن جريج قوله: (ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: هذه أمتي قال: بالحق يأخذون ويعطون ويقضون} . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦١٧) عن ابن جريج وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ. وأخرج الطبري عن قتادة قوله بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٩] . وذكره السيوطي في الدر المنثور وزاد نسبته لابن المنذر وعبد بن حميد. وهذا القول هو ما عليه أكثر المفسرين. كما في في تفسير ابن عطية (٧/ ٢١٥)، وأبي حيان (٤/ ٤٣٠).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٦) عبارة (ق): (الاستدراج أن ينطوي علىٰ حاله منزلة بعد منزلة).

(٧) ونسبه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩٥) لليزيدي.

أحدهما- أنه مشتق من الدّرج لانطوائه علىٰ شيء بعد شيء[(١)].

الثاني- مشتق من الدرجة لانحطاطه عن منزلة بعد منزلة.

(وفي المشار[(٢)] إليه باستدراجهم قولان:

أحدهما- إلىٰ[(٣)] الهلكة.

الثاني- إلىٰ الكفر)[(٤)].

(وفي صفة الاستدراج وجهان:

أحدهما- أن يمدهم بالنعم، وينسيهم الشكر. قاله سهل بن عبدالله.

الثاني- أنه كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة. قاله عطاء[(٥)].

والفرق بين الاستدراج والمكر أن الاستدراج في النعم الظاهرة والمكر في النعم الباطنة)[(٦)].

وقوله: ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢] [يحتمل وجهين:

أحدهما- من حيث[(٧)] لا يعلمون بالاستدراج.

الثاني- لا يعلمون][(٨)] بالهلكة[(٩)].

قوله ﷻ: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ فيه قولان:

أحدهما- معنىٰ يضله يحكم بإضلاله[(١٠)] في الدين.

الثاني- يضله عن طريق الجنة إلىٰ النار[(١١)].

---

(١) ومنه: دَرَج الكتاب إذا طواه شيئًا بعد شيء.

(٢) في الأصل: المراد. وهو وهم، والصواب ما أثبته من (ف، ق).

(٣) في (ق): استدراجهم إلىٰ.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٥) وهو قول للضحاك كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٩٥)، والقرطبي (٧/ ٣٢٩).

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) في (ق): لا يعلمون.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل وإثباته من بقية النسخ.

(٩) ذكر الوجهين ابن الجوزي (٣/ ٢٩٥)، وأبو حيان (٤/ ٤٣١).

(١٠) في (ك): بضلاله.

(١١) الآية صريحة الدلالة علىٰ أن الضلال من الله. مثلما أن الهداية منه سبحانه وتعالىٰ وهو تأكيد لمعنىٰ قوله فيما سبق: =

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف:١٨٦] .

الطغيان إفراط العدوان. وفي (يَعْمَهُونَ) وجهان:

أحدهما- يتحيرون، والعمه في القلب كالعمىٰ في العين[1].

الثاني- يترددون، قاله قطرب[2]، واستشهد بقول الشاعر:

متىٰ يَعْمه إلىٰ عثمان يَعْمه ** إلىٰ ضخم السُّرادق والقطار

قوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف:١٨٧] فيه وجهان:

أحدهما- أن السائل عنها اليهود، قاله ابن عباس.

الثاني- أن السائل عنها قريش، قاله الحسن، وقتادة[3].

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف:١٨٧] أما (أَيَّانَ) فمعناه متىٰ، قال الراجز[4]:

أيّان تقضي حاجتي أيانا ** أما ترىٰ لنُجْحها أبّانا[5][6]

وأما (مُرْسَاهَا) ففيه ثلاثة أقاويل[7]:

أحدها- قيامها، قاله السدي[8].

=

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٨] فالإضلال من عدله، والهداية من فضله، والله عالم بكل ذلك قبل كونه، وهذا رد علىٰ القدرية.

(١) في (ك): في القلب. وهو وهم.

(٢) وهو قول لابن عباس، ومجاهد، والربيع. كما في تفسير الطبري (١/ ٢١٠).

(٣) جائز أن يكون السؤال وقع من أحدهما أو من كليهما فقد تتعدد الأسباب والنازل واحد أو حتىٰ من غيرهما فالآية دلت علىٰ وقوع السؤال دون تحديد السائل وكل ذلك جائز إذ لا دليل قاطع علىٰ التعيين. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي (٣/ ٢٩٧)، وأسباب النزول للواحدي (ص٢٢٤).

(٤) لم أقف علىٰ قائله.

(٥) في (ق): ايانا. وفي (ك): اتانا.

(٦) انظره من غير نسبة لقائل في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٣٤)، وتفسير الطبري (١٣/ ٢٩٣)، وابن عطية (٧/ ٢٢٠) وفيه: لفعلها بدل لنجحها، وتفسير القرطبي (٧/ ٣٣٥) وفيه: أوانا بدل: أبّانا. وتفسير الطبرسي (٩/ ٧٥).

(٧) في (ك): أوجه.

(٨) وقتادة كما في تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٤).

الثاني- منتهاها، (قاله ابن عباس[١].

الثالث- ظهورها)[٢]، قاله الأخفش[٣].

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧] أي لا يظهرها حتىٰ تعلم[٤] نفيـًا أن يعلمها غير الله ودفعـًا أن يكون قد أخبر بها من جهة الله تعالىٰ.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٧] فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- ثقل علىٰ أهل السموات والأرض قيام الساعة، قاله الحسن[٥].

الثاني- ثقل عليهم علم[٦] قيام الساعة، قاله السدي[٧].

الثالث- معناه عظم[٨] وصفها علىٰ أهل السموات والأرض، قاله ابن جريج[٩].

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعـراف:١٨٧] يعنـي علـىٰ غفلـة لأنـه لا يعلمهـا غيـر [١٥١/ ظ] الله تعالىٰ، ولم يرد[١٠] الإخبار عنها من جهة الله فصار مجيئها بغتة وذلك أشد لها كما قال الشاعر[١١]:

وَأَنْكأ شيء حين يفجؤك[١٢] البغتُ[١٣]

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٤).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٣) لم أجده في مظنة من معاني القرآن للأخفش بطبعتيه، تحقيق: د. عبدالأمير والأخرىٰ بتحقيق: د. فائز فارس.

(٤) عبارة (ق): لا يعلم وقتها إلا هو.

(٥) ذكره ابن عطية في تفسيره (٧/ ٢٢٠) وأوضحه بقوله: معناه ثقلت هيئتها [وفي تفسير أبي حيان (٤/ ٢٣٤) لهيبتها] والفزع منها علىٰ أهل السموات والأرض).

(٦) كلمة "علم" سقطت من (ق).

(٧) أي لخفائه حيث لا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل. وما خفي أمره ثقل علىٰ النفوس. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٥)، وأبي حيان (٤/ ٤٣٥)، وابن الجوزي (٣/ ٢٩٨).

(٨) سقطت من (ق).

(٩) تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٦) وروي عن السدي وعكرمة والحسن. وانظر: تفسير ابن الجوزي.

(١٠) في (ق، ف): ترد الأخبار.

(١١) هو يزيد بن ضبة الثقفي، وضبة أمه اشتهر بنسبته إليها. واسم أبيه مقسم.

(١٢) في الأص، (ك، ف): يفجاؤك. وما أثبته من (ق).

(١٣) عجز بيت وصدره: ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة ...

=

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف:١٨٧] فيه قولان [١]:

أحدهما- معناه عالِمٌ بها، قاله مجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومعمر [٢].

الثاني- معنىٰ [٣] الكلام يسألونك عنها كأنك حفي بهم، علىٰ التقديم والتأخير، أي كأن بينك وبينهم مودة توجب برّهم، من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧] قاله ابن عباس [٤].

قوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨] أي لا أملك القدرة عليهما من غير مانع ولا صادّ، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨] أن يملكني إياه فأتملّكه بمشيئته.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨] فيه أربعة [٥] أقاويل:

أحدها [٦]- لو كنت أعلم متىٰ أموت لاستكثرت من العمل الصالح، قاله ابن جريج [٧].

الثاني- لو كنت أعلم الجدب [والقحط] [٨] لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة، قاله ابن عباس [٩].

وقيل [١٠] وهو شاذ: لاشتريت في الرخص وبعت في الغلاء.

=

انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٩٣، ٣١٩)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ٨) مع بعض الاختلاف في الرواية له. وانظر: لسان العرب وتاج العروس مادة (بغت) وفيها: (وأفضع) أو (وأعظم) بدل: وأنكأ.

(١) في (ق): تأويلان.

(٢) كما في تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٩)، وتفسير مجاهد (١/ ٢٥١)، ووجهه كأنك استحفيت المسألة عنها حتىٰ علمتها.

(٣) في (ق): أن معنىٰ.

(٤) كما في تفسير الطبري (١٣/ ٢٩٧)، وابن الجوزي (٣/ ٢٩٨)، وهو رواية عن السدي وقتادة.

(٥) في (ق): ثلاثة.

(٦) سقط هذا القول من (ك). وعبارة (ق): أحدها لاستكثرت من العمل الصالح قاله الحسن وابن جريج.

(٧) وهو قول مجاهد. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٢)، وأبي حيان (٤/ ٤٣٦).

(٨) زيادة من (ف، ك).

(٩) عبارة (ق): (لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة. قاله الفراء). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٠٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٠) ونسبه للرسول ﷺ.

(١٠) في (ق): والثالث.

(الثالث–ولو كنت أعلم كتب الله المنزلة لاستكثرت من الوحي، قاله الحسن[١].

الرابع– لو كنت أعلم أسرار قلوبكم وما قضىٰ لكم وعليكم لاستكثرت من الخير في دفع الأذىٰ واجتلاب[٢] المنافع)[٣].[٤].

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨] فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها– ما بي جنون كما زعم المشركون، قاله الحسن[٥].

الثاني– وما مسني الفقر لاستكثاري من الخير[٦].

الثالث– ما دخلت عليَّ شبهة[٧].

قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الأعراف:١٨٩] يعني آدم ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] يعني حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٩] فيه وجهان:

أحدهما– ليأوي إليها. قاله[٨] أبو جعفر الطبري.

الثاني– ليألفها أو يميل إليها ويتعطف عليها. قاله علي بن عيسىٰ.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] يعني بالإفضاء والإصابة[٩].

﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ [الأعراف:١٨٩] يعني الماء الذي من نطفة آدم ﷺ وكان خفيفاً عليها.

---

(١) ذكره أبو حيان (٤/ ٤٧٦) من غير نسبة.

(٢) في الأصل، (ك): (واختلاف)، وما أثبته من (ف).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) الصواب أن هذه الأقوال علىٰ سبيل المثال وألفاظ الآية أعم من أن تحصر بها فضلاً عن أحدها.

(٥) ذكره ابن الجوزي عنه (٣/ ٣٠٠) وقال مؤرج السدوسي أن السوء الجنون بلغة هذيل. وقد ضعفه أبو حيان (٤/ ٤٣٧) لأنه علىٰ هذا القول يكون الكلام مستأنفاً. ففيه تفكيك لنظم الكلام كما أن فيه جعل الاستفادة من علم الغيب في الاستكثار من الخير فقط.

(٦) قاله ابن عباس كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٠٠).

(٧) قول ضعيف فأي شبهة تدخل علىٰ الرسول ﷺ!. والصواب عدم التقييد بمعين وإنما هو كل ما يسوء كما قال ابن زيد وبعض ما ذكر إنما هو أمثلة.

(٨) في (ك): قاله السدي. وهو قول الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٤) وعبارته: (ليأوي إليها لقضاء حاجته ولذته).

(٩) قال الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٣٦) عن هذه اللفظة القرآنية بأنها: (كناية عن الجماع أحسن كناية).

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٩] فيه قولان:

أحدهما- استمرت[١] به إلىٰ حال الثقل. قاله الحسن ومجاهد وقتادة[٢].

الثاني- شكّت فيه أحملت أم لا. قاله ابن عباس[٣].

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ [الأعراف:١٨٩] يعني آدم وحواء.

﴿صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٨٩] فيه تأويلان:

أحدهما- غلاماً سوياً. قاله الحسن[٤].

الثاني- بشراً سوياً لأنهما أشفقا أن يكون[٥] بهيمة لأن إبليس قال لهما ذلك. قاله أبو صالح[٦].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠] وذلك أن إبليس قال لحواء سميه عبدالحارث يعني نفسه لأن اسمه في السماء كان الحارث فسمته عبدالله فمات؟

[ثم حملت ولداً ثانياً فقال لها ذلك فلم تقبل فمات][٧].

ثم حملت ثالثاً فقال لها ولآدم، أتظنان الله يترك عبده عندكما؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب[٨] بالآخرين فسمياه بذلك فعاش، فهذا معنىٰ قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠]

---

(١) في (ق): معناه واستمرت.

(٢) تفسير مجاهد (١/ ٢٥٢)، والطبري (١٣/ ٣٠٤).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٥). وقد يشهد لهذا قراءة يحيىٰ بن يعمر الشاذة (فَمَرَتْ) بالتخفيف. من المرية وهي الشك.

(٤) فيما أخرجه عنه عبدالرزاق، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦). وهو قول قتادة كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٠١)، وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٦)، وقد ذكره الألوسي في روح المعاني (/ ١٣٩)، ثم تعقبه بقوله: (وهو خلاف الظاهر). قلت: ووجهه أنه بني علىٰ تفضيل الذكر علىٰ الأنثىٰ.

(٥) في (ك): تكون.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٦) وزاد نسبته للسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. ونسبه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٠١) للأكثرين. ولا أدلة قوية للأخذ به، ولا وجه له إلا أن يكون حملهما الأول، ولا يتعين إشفاقهما من كونه بهيمة فقد يكونا أشفقا من فساد خلقته كنقص بعض أعضائه ونحوه والآية فيها دعاء بالصلاح وهو عام في الخلق والدين والعقل وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بذلك.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وإثباته من بقية النسخ.

(٨) في الأصل: يذهب. وما أثبته في بقية النسخ:

أي في الاسم دون[1] العبادة[2].

وروي[3] عن النبي ﷺ أنه قال: خدعهما مرتين. خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض[4].

قال[5] الحسن وقتادة: إن المكنّىٰ عنه بقولـه: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعـراف:١٩٠] ابن آدم وزوجه[6]، وليس براجع إلىٰ آدم وحواء، (لأن هذا لا يجوز علىٰ الأنبياء ﷺ)[7].

ويكون قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بالكفر وعبادة الأصنام[8].[9].

قوله ﷻ: ﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف:١٩٥] يعني للأصنام[10] أرجل يمشون بها في

---

(١) سقطت هذه الجملة من (ق).

(٢) وردت بعض الآثار بنحو هذا عن أبي بن كعب، وابن زيد، وسعيد بن جبير، وهي كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (١/ ٣٧٥) تعقيباً علىٰ ما ذكره منها: (وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم...). وهي تفصيلات لا تدل عليها الآية ولم تثبت بصحيح السنة. وكونه شركاً في الاسم دون العبادة مبني علىٰ التسليم بصحة الآثار، وأن المراد آدم وحواء. وهو قول ابن جبير والسدي ورواية عن قتادة، واختاره الطبري (١٣/ ٣١٥)، وجعل قوله بعد ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٠] مستأنف أريد به مشكرو العرب. وهو قول فيه نظر لما يمس من عصمة نبي الله آدم ﷺ ثم هو مبني علىٰ آثار موقوفة لم يقطع بصحتها. قال ابن حزم في الفِصَل (٤/ ٥): (وهذا الذي نسبوه إلىٰ آدم ﷺ من أنه سمىٰ ابنه عبدالحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء لم يصح سندها قط وإنما نزلت في المشركين علىٰ ظاهرها وحتىٰ لو صح أنها نزلت في آدم وهذا لايصح أصلاً لما كانت فيه للمخالف حجة لأنه كان يكون الشرك والشركاء المذكورون في الآية حينئذ علىٰ غير الشرك الذي هو الكفر ...). وانظر: عصمة الأنبياء للفخر الرازي (ص٢٩).

(٣) في (ق، ك): فروىٰ.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٤) من إخراج ابن أبي حاتم عن ابن زيد إلا أن قوله: (خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض) من قول ابن زيد ولم يرفعه للرسول ﷺ فهو تفسير للمرتين. والله أعلم.

(٥) في (ق): وقال. -بالواو-.

(٦) في (ق، ك): وزوجته.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ق، ك). وقد جاء ملحقاً في حاشية (ف).

(٨) من قوله: لأن هذا لا يجوز .. ساقط من (ق).

(٩) وقد اختار هذا ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٧٥) فقال: (وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا وأنه ليس المراد من السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٠] . وهناك أقوال أخرىٰ انظرها في مجمع البيان (٩/ ٨٢)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ١٩١).

(١٠) في (ق، ك): الأصنام.

مصالحكم[١].

﴿أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ [الأعراف:١٩٥] يعني[٢] في الدفع عنكم.

﴿أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ﴾ [الأعراف:١٩٥] يعني مضاركم من منافعكم.

﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ [الأعراف:١٩٥] تضرعكم[٣] ودعاءكم.

فإن قيل: فلم أنكر عبادة من لا رجل له [١٥٢/ و] ولا يد ولا عين؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما- أن من عبد جسماً لا ينفع كان ألوم ممن عبد جسماً ينفع. وهذا[٤] عندهم لا يجوز فذلك[٥] أولىٰ أن لا يجوز.

الثاني- أنه عرّفهم بذلك أنهم مفضلون عليها، فكيف يعبدون من هم أفضل منه.

قوله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف:١٩٩] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- العفو من أخلاق الناس وأعمالهم، وهذا قول ابن الزبير، والحسن، ومجاهد[٦].

الثاني- خذ العفو من أموال المسلمين، وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها[٧]، قاله الضحاك

---

(١) في (ق، ك): مصالحهم.

(٢) في الأصل: (يعني في مصالحهم في الدفع عنكم) وعبارة (ف): يعني في مصالحهم ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ [الأعراف:١٩٥] في الدفع عنكم. وما أثبته من (ق، ك).

(٣) في (ق): دعاءكم وتضرعكم.

(٤) سقطت نهاية هذا القول من (ق).

(٥) عبارة (ك): فكذلك أولىٰ لا يجوز.

(٦) تفسير مجاهد (١/ ٢٥٣)، والطبري (١٣/ ٣٢٦)، وانظر: فتح الباري (٨/ ٣٠٥) فقد أخرج البخاري عن عبدالله بن الزبير قوله: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس وقد روي عن جعفر الصادق أنه قال: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. ومال إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٧٧) حين قال عنه: وهذا أشهر الأقوال ثم استشهد له ببعض الروايات. واختاره الطبري وعمه في المشركين حين قال (١٣/ ٣٢٩): (وأولىٰ هذه الأقوال بالصواب قول من قال معناه: خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم، وقال: أمر بذلك نبي الله ﷺ في المشركين ...).

(٧) "بها" سقطت من (ك).

والسدي وأحد قولي ابن عباس[(١)].

الثالث[(٢)]- خذ العفو من المشركين[(٣)]، وهذا قبل فرض الجهاد، قاله ابن زيد[(٤)].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف:١٩٩] فيه قولان:

أحدهما- معناه بالمعروف، قاله عروة وقتادة[(٥)].

الثاني- ما روي عن النبي ﷺ [أنه قال لجبريل][(٦)] حين نزلت عليه هذه الآية[(٧)]: (يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟) قال: لا أدري[(٨)] حتىٰ أسأل لك العالم، ثم عاد[(٩)] جبريل فقال: (يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك)[(١٠)] قاله ابن زيد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] (يحتمل وجهين:

أحدهما- ترك مقاتلتهم[(١١)].

الثاني- ترك موافقتهم)[(١٢)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٢٨) وبنحوه قال عطاء وأبو عبيدة، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٣٠٦).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) في الأصل: (المشركون) وهو لحن.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٢٨).

(٥) وهو قول السدي، وقد ذكره الطبري عنهم (١٣/ ٣٣١) موقوفاً. وذكر ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٣٠٥) أن عبدالرزاق وصله من طريق هشام بن عروة عن أبيه. وقد نص عليه الإمام البخاري في ترجمته للباب.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وإثباته من (ق، ك).

(٧) بعدها في (ق): ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾. [الأعراف:١٩٩].

(٨) في الأصل: لأدري.

(٩) في (ق، ك): قال ثم عاد.

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٣٠) من رواية سفيان بن عيينة عن أميّ بن ربيعة المرادي، وذكره ابن كثير (١/ ٢٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٨) وله شواهد من طرق أخرىٰ. وقد أحسن ابن عطية حين قال في تفسيره (٧/ ٢٣٣) عنه: (فهذا نصب غايات والمراد فما دون هذا من قبل الخير). فهذه غايات مثلىٰ في المعروف ينتهي إليها ولا ينحصر المراد بها.

(١١) هذا علىٰ أن المراد بالجاهلين المشركون ثم أمر بالإعراض عنهم ثم نسخ هذا الحكم. وأما ترك موافقتهم فيتوجه علىٰ أن المراد عموم الجهال والسفهاء. وعليه فالآية محكمة.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

فإن قيل: فكيف أمر بالإعراض عنهم[1] مع وجوب الإنكار عليهم؟

قيل: إنما أراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم. وهذا وإن[2] كان خطاباً لنبيِّه فهو تأديب لجميع خلقه.

قوله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] فيه خمسة[3] أوجه:

أحدها- أن النزغ الانزعاج.

الثاني- الغضب[4].

الثالث- الفتنة، قاله مقاتل[5].

الرابع[6]- الإغواء.

الخامس- العجلة. قاله السدي[7].

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٠٠] يعني فاستجر بالله ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] أي سميع بجهل من جهل[8] ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] بما يزيل عنك النزغ[9].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ[10] مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف:٢٠١].

---

(١) سقطت من (ق).

(٢) في (ق): عليه السلام.

(٣) في (ق): ثلاثة. وقد جمع أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٣٦) أكثر هذه المعاني فقال: (مجازه: وإما يستخفنك منه خفة وغضب وعجلة. ومنه قولهم: نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وحمل بعضهم على بعض).

(٤) نسبه المؤلف لابن زيد عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [فصلت:٣٦]، وانظر: المطبوعة (٣/ ٥٠٥).

(٥) ونسبه المؤلف لابن زياد. انظر: المطبوعة (٣/ ٥٠٥).

(٦) لم يرد القول الرابع والخامس في (ق).

(٧) وفي تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٠٩) عنه أن النزغ: الوسوسة وحديث النفس. وهو ما ذكره المؤلف (٣/ ٥٠٥).

(٨) خص المؤلف هذا بالذكر مراعاة لمعنىٰ السياق. والأولىٰ التعميم لكل المسموعات. ولذا قال الإمام الطبري (١٣/ ٣٣٣): (سميع لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفىٰ عليه منه شيء).

(٩) وغير ذلك من أمور خلقه.

(١٠) وردت الآية بهذه القراءة في جميع النسخ. ولهذا أثبتها.

قرأ نافع وعاصم وابـن عـامر وحمـزة: طـائف. وقـرأ البـاقون[١]: طيـف. واختلـف في تأويـل[٢]. القراءتين علىٰ قولين:

أحـدهما- أن معناهمـا واحـد، وإن اختلـف اللفظـان، فعلـىٰ هـذا اختلـف في تأويـل ذلـك علـىٰ أربعة تأويلات:

أحدها- أن الطيف اللمم وهو كالخيال[٣] يلم بالإنسان[٤].

الثاني- أنه الوسوسة، قاله أبو عمرو بن العلاء[٥].

الثالث- أنه الغضب، قاله[٦] سعيد بن جبير[٧].

الرابع، أنه النزغ[٨]، قاله ابن عباس[٩].

والقول الثاني- أن معنىٰ الطيف والطائف مختلف[١٠]، (وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما- أن الطيف الجنون. والطائف الغضب. قاله السدي[١١].

الثاني)[١٢]- الطيف اللمم، والطائف كل شيء طاف بالإنسان[١٣].

﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فيه وجهان:

---

(١) وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٣٠١)، وحجة القراءات لابن أبي زرعة (ص٣٠٥).

(٢) في (ق): هاتين.

(٣) في (ك): الخيال.

(٤) حكي عن الفراء كما في تفسير ابن الجوزي (ص٣٠٩)، وفي معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٢) قال: وهو اللمم والذنب.

(٥) كما في تفسير الطبري (١٣/ ٣٣٤)، وأبي حيان (٤/ ٤٥٠).

(٦) "جبير" سقطت من (ق).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٣٥).

(٨) في (ق): الفزع قاله سعيد بن جبير.

(٩) كما في تفسير أبي حيان (٣/ ٤٥٠)، وروي عنه التفريق بين اللفظتين وأن الطائف اللمّة مـن الشيطان. والطيف الغضب. كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣١٠).

(١٠) في (ق، ك): مختلفان.

(١١) انظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٤٥٠).

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(١٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٣٤) عن بعض الكوفيين. وانظر مزيداً من الأقوال في تفسير أبي حيان (٤/ ٤٥٠).

أحدهما- علموا فإذا هم منتهون.

الثاني- اعتبروا فإذا هم مهتدون[١].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف:٢٠٣] فيه أربعة أوجه[٢]:

أحدها- هلا أتيتنا بها من قبل نفسك، قاله مجاهد، وقتادة[٣].

الثاني- هلا اخترتها لنفسك[٤].

الثالث- هلا تقبلتها من ربك، قاله ابن عباس[٥].

الرابع[٦]- هلا طلبتها لنا قبل مسألتك[٧].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا[٨] لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف:٢٠٤].

أي لا تقابلوه بكلام ولا إعراض ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤][٩].

اختلفوا[١٠] في موضع هذا الإنصات على ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنها نزلت في المأموم خلف الإمام، ينصت ولا يقرأ، قاله مجاهد[١١].

الثاني- أنها نزلت في خطبة الجمعة، ينصت الحاضر لاستماعها ولا يتكلم، وهذا قول عائشة

---

(١) وفيها أقوال أخرى متقاربة المعنى انظرها في تفسير أبي حيان (٤/ ٤٥٠).

(٢) في (ك): أقاويل. وفي (ق): فيه ثلاثة أوجه.

(٣) كما في تفسير مجاهد (١/ ٢٥٤)، والطبري (١٣/ ٣٤١)، وزاد نسبته ابن الجوزي (٣/ ٣١٢) -بعد أن ذكره بمعناه- لابن عباس والسدي وابن زيد، والفراء والزجاج وابن قتيبة في آخرين. وذكر الطبري (١٣/ ٣٤٣) عن الفراء أن العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك، وفي معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٢) هلا افتعلتها.

(٤) ورد في تفسير الطبرسي (٩/ ٩٢) قوله: .. قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها -ثم نسبه- لابن عباس والجبائي وأبي مسلم.

(٥) وهو قول الضحاك، ورواية عن قتادة. تفسير الطبري (١٣/ ٣٤٢).

(٦) لم يرد هذا القول في (ق).

(٧) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٣١٢) نقلاً عن الماوردي ثم تعقبه بتصحيح القول الأول.

(٨) بعدها في (ق): أي لقراءته.

(٩) سقطت الآية من (ك).

(١٠) في (ق): واختلفوا. -بالواو-.

(١١) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٥٤) وهو قول عن ابن مسعود وأبي هريرة، والزهري وعطاء بن أبي رباح وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٤٥).

رضي الله عنهما، وعطاء[1].

الثالث- ما قاله ابن مسعود، قال: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة: سلام على فلان، سلام على فلان، فجاء القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .. الآية. (فحرم الكلام فيها [١٥٢/ ظ] بعد أن كان مباحًا)[2].[3].

قوله ﷻ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥][4].

وفي هذا الذكر ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه ذكر القرءاة في الصلاة خلف الإمام سراً في نفسه، قاله قتادة[5].

الثاني- أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته.

الثالث- ذكره باللسان إما رغبة[6] إليه في دعائه أو تعظيمًا له بآلائه[7].[8].

---

(١) وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد، وزيد بن أسلم ومسلم بن يسار وشهر بن حوشب وعمرو بن دينار، وعبدالله بن المبارك. وضعف هذا القول بأن ما يقرأ في الخطبة من القرآن قليل وبأن الآية مكية والخطبة لم تكن إلا بعد الهجرة من مكة. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣١٣)، وابن عطية (٧/ ٢٣٨)، وأبي حيان (٤/ ٤٥٢).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٤٥)، وذكره ابن كثير (١/ ٢٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣٦) ولم ينسبه لغير ابن جرير، وقد ذكروه مختصراً. وفي الآية أقوال أخرى، منها: ما قاله الزجاج وجماعة من أنه ليس المراد الصلاة ولا غيرها وأن معنى قوله: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف:٢٠٤] أي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه كقولك: سمع الله دعاءك، أي أجابك. وقال الحسن هي على عمومها ففي أي موضع قرئ القرآن وجب على كل حاضر استماعه والسكوت عند تلاوته. وقال ابن عطية في تفسيره (٧/ ٢٣٩): (... وحكم هذه الآية في غير الصلاة على الندب أعني في نفس الإنصات والاستماع إذا سمع الإنسان قراءة كتاب الله ﷻ، وأما ما تتضمنه الألفاظ وتعطيه من توقير القرآن وتعظيمه فواجب في كل حاله). ومن هذه الآية اختلف العلماء في حكم القراءة خلف الإمام، فمنعها بعضهم واجازها غيرهم وفصل الكلام فيها آخرون. فلينظر الخلاف في مظنه من تفاسير آيات الأحكام أو كتب الفقه. وانظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٥٢).

(٤) في (ك): (تضرعـًا وخيفة) في هذا ...

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣١٣).

(٦) عبارة (ق): إما تعظيماً له بآلائه أو رغبة إليه في دعائه.

(٧) رسمها يحتمل القراءة: بالآية.

(٨) ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣١٣) هذا القول والذي قبله مختصراً عن الماوردي. وجاء في تفسير أبي حيان (٤/ ٤٥٣) أن المعنى واذكر نعم ربك في نفسك حتى لا تنس نعمه الموجبة لدوام الشكر. أي فهو على حذف مضاف.

وفي المخاطب بهذا الذكر قولان:

أحدهما- أنه المستمع للقرآن إما في[1] الصلاة أو من الخطيب، قاله ابن زيد[2].

الثاني- أنه خطاب للنبي ﷺ ومعناه عام في جميع المكلفين[3].

[4]﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف:٢٠٥] أما التضرع فهو التواضع والخشوع، وأما الخيفة فمعناه مخافة منه.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف:٢٠٥] يعني أسرّ[5] القول إما بالقلب وإما[6] باللسان علىٰ ما تقدم من التأويلين[7].

ثم قال تعالىٰ: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ [الأعراف:٢٠٥] فيه وجهان[8]:

أحدهما- بالبُكَر والعشيات[9].

الثاني- أن الغدو آخر الفجر صلاة الصبح، والآصال آخر العشي صلاة العصر، قاله مجاهد، ونحوه عن قتادة[10].

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] يحتمل وجهين:

---

(١) في (ق): إما في صلاة أو الخطبة.

(٢) وهو قول الطبري، انظر: تفسيره (١٣/ ٣٥٣)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٣١٣).

(٣) وهو قول ابن عطية كما في تفسيره (٧/ ٢٣٩) حيث قاله: (الآية مخاطبة للنبي ﷺ تعم جميع أمته وهو أمر من الله ﷻ بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده...).

(٤) في (ق): ثم قال.

(٥) في (ق): أسرار.

(٦) في (ق، ك): أو باللسان.

(٧) قال أبو حيان في تفسيره (٤/ ٤٥٣): (.. الظاهر أن قوله ودون الجهر من القول حالة مغايرة لقوله في نفسك لعطفها عليها والعطف يقتضي المغايرة).

(٨) في الأصل: (وجهين) وهو لحن.

(٩) ذكره الطبري وهو قول ابن زيد، والطبري (١٣/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(١٠) تفسير الطبري (١٣/ ٣٥٦)، وأبي حيان (٤/ ٤٥٣). وقال ابن عطية عن الآية (٧/ ٢٤٠): معناه دأبًا وفي كل يوم وفي أطراف النهار..

أحدهما- عن الذكر.

الثاني- عن العمل.

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:٢٠٦] يعني الملائكة.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٢٠٦] فيه تأويلان[١]:

أحدهما- عن الصلاة له والخضوع فيها. قاله الحسن.

الثاني- عن طاعته في كل أوامره ونواهيه، وهو قول الجمهور[٢].

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦] وهذا[٣] أول سجدات التلاوة في القرآن[٤].

وسبب نزولها ما قاله كفار مكة: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان:٦٠] فأنزل[٥] الله تعالىٰ هذه الآية وأعلمهم أن الملائكة المقربين إذا كانوا علىٰ هذه الحالة[٦] في الخضوع والرغبة فأنتم بذلك أولىٰ[٧].

والله أعلم[٨].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ق): وجهان.

(٢) وهو الأولىٰ لعمومه فالصلاة جزء من طاعة الله سبحانه وتعالىٰ وعبادته.

(٣) في (ق): هذه.

(٤) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (١/ ٢٨٢): (... وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه عدها في سجدات القرآن). وانظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٦٣٩) فقد ذكر حديث أبي الدراء وزاد نسبته للبيهقي في سننه.

(٥) في (ق): وأنزل.

(٦) في (ق، ك): الحال.

(٧) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣١٥).

(٨) في (ق): زيادة: بالصواب. وعبارة (ك): (والله أعلم بالصواب. تم الثلث الأول من تفسير القاضي الماوردي بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم. تم).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال

مدنية في قول الحسن، وعكرمة، وجابر، وعطاء، وقال ابن عباس: هي مدنية إلا سبع آيات من قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلىٰ آخر سبع آيات[١].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال:١].

قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. وهذا الخطاب لرسول الله ﷺ حين سأله أصحابه يوم بدر عن الأنفال. وفي هذه الأنفال التي سألوه عنها خمسة أقاويل:

أحدها- أنها الغنائم. وهذا قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك[٢].

الثاني- أنها السرايا التي تتقدم الجيش[٣]. وهذا قول الحسن[٤].

الثالث- الأنفال ما شذ من المشركين إلىٰ المسلمين بغير قتال من دابة أو عبد وهذا أحد قولي

---

(١) حكىٰ الفيرور آبادي في بصائره (١/ ٢٢٢) الإجماع علىٰ مدنية هذه السورة وحكاه أيضًا ابن الجوزقي في تفسيره (٣/ ٣١٧) غير أنه أتبعه بنقل ما حكاه الماوردي هنا عن ابن عباس، ولكن ابن عطية في تفسيره (٨/ ٨) كان أدق عبارة حين قال: "هي مدنية كلها كذا قال أكثر الناس" ثم حكىٰ عن مقاتل أنها مدنية غير آية واحدة هي قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.. الآية.

تم جمع بين الأقوال بالقول بتكرار النزول.

وسورة الأنفال هي ثانية السور نزولاً بالمدينة بعد البقرة، وقيل هي الثالثة بعد البقرة وآل عمران. وصحح ابن عاشور في تفسيره (٩/ ٢٤٦) أنها ثانية السور نزولاً بالمدينة بعد سورة البقرة.

(٢) وبه قال أيضًا. مجاهد، وابن زيد وعطاء، كما ذكر الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٦١) وزاد ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣١٨) بأنه قول الحسن، وأبي عبيدة، والزجاج وابن قتيبة في آخرين.

(٣) في (ق) أمير الجيش.

(٤) وهو قول علي بن صالح بن حي- أيضًا- وقد ذكره ابن عطية (٨/ ٦) عن المهدوي. وأن المراد ما تجيء به السرايا خاصة، ثم ضعفه بأنه بعيد عن الاية غير ملتئم مع ما ورد من أسباب النزول، وأنه يجيء خارجًا عن يوم بدر. وقد وقع في طبعة المغرب من تفسير ابن عطية (٨/ ٦): علي بن صالح بن جي -بالجيم-. وهو تصحيف صوابه حي- - بالحاء- وهو كوفي ثقة مات سنة (١٥١هـ). انظر- تفسير الطبري (١٣/ ٣٦٢)، وابن الجوزي (٣/ ٣١٨)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٣٣٢)، والتقريب (٤٠٢).

ابن عباس[١].

والرابع- أن الأنفال الخمس من الفيء والغنائم الذي جعله[٢] الله تعالىٰ لأهـل الخمـس. وهـذا قول مجاهد[٣].

الخامس – أنها زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش لما يراه من الصلاح[٤].

(والأنفال جمع نَفَلٍ، وفي النَفَل قولان:

أحدهما- أنه العطية. ومنه قيل للرجل الكثير العطاء نَوْفَل. قال الشاعر:

بأبىٰ منه النوفل الزُّفَر[٥]

فالنوفل: الكثير العطاء، و الزفر الحمَّال للأثقال، ومنه سمي الرجل زفر.

والقول الثاني)[٦] أن النَفَل الزيادة من الخير، ومنه صلاة النافلة. قال لبيد:

إن تقـــوىٰ ربنـــا خيـــر نَفَـــل ** وبـــإذن الله ريثـــي وعجـــل[٧]

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية علىٰ أربعة أقاويل:

أحدها- ما رواه ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من صنع كذا وكذا فله كـذا وكذا، فسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله تعـالىٰ عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم رسـول الله ﷺ فقـال الشيـوخ: لا تستأثروا علينا فإنَّا كنـا ردءاً لكـم، فـأنزل الله تعـالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾.. الآية[٨].

(١) وهو قول لعطاء كما ذكر الطبري (١٣/ ٣٦٣)، وابن عطية (٨/ ٧).

(٢) في الأصل (التي جعلتهم)، وما أثبته من بقية النسخ.

(٣) ضعف هذا القول ابن عطية في تفسيره (٨/ ٧) بأنه قليل التناسب مع الآية.

(٤) ذكر ابن الجوزي هذا القول عن الماوردي، وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٦٥) موسعـًا مدلوله بما يحتمل دخول الأقوال السابقة فيه و مستدلاً له بالمعنىٰ اللغوي للنفل وهو الزيادة.

(٥) قائله أعشىٰ باهله وصدره: أخو رغائب يعطيها ويسألها. انظر: تاج العروس، مادة "نفل".

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٧) ديوانه (١٣٩)، وتفسير الطبري (١٣/ ٣٦٦)، وابن عطية (٨/ ٦) والبحر المحيط (٤/ ٤٥٥)، والدر المصون (٥/ ٥٥٦)

(٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد باب في النفل (٣/ ٧٧)، والطبري في تفسيره (١٣/ ٣٦٨)، والحاكم في المستدرك -بنحوه- (٢/ ١٣١) وصححه ووافقه الذهبي وقال بأنه علىٰ شرط البخاري، وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦) وزاد =

الثاني- ما رویٰ محمد بن عبيد[١] عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير[٢] وقتلت سعيد بن العاص [بن أمية][٣] وأخذت سيفه وكان يسمه ذا الكثيفة[٤] فجئت به إلىٰ النبي ﷺ فقلت هبه لي يا رسول الله. فقال: اطرحه في القَبَض[٥] قال: فطرحته ولي من الغم ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، من قتل أخي وأخذ سلبي. قال فما تجاوزتُ إلا قريبًا حتىٰ نزلت عليه سورة الأنفال، فقال: اذهب فخذ سيفك[٦].

=

نسبته للنسائي وابن حبان وابن مردويه واللفظ له. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦) وزاد نسبته إلىٰ ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ والبيهقي في الدلائل، وذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٢٧).

(١) كذا في النسخ جميعًا، و الصواب محمد بن عبيد الله بن سعيد أبو عون الثقفي الكوفي، ونقة ابن معين وأبو زرعة والنسائي وابن حبان، مات سنة (١١٦). انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٢٢)، والنقريب (٤٩٤)

(٢) هو عمير بن أبي وقاص القرشي الزهري أخو سعد، أسلم قديمًا وشهد بدرا وأستشهد بها في قول الجميع، وعمره ست عشرة سنة قتله عمرو بن عبد ود. انظر: الإصابة (٣/ ٣٥).

(٣) زيادة من (ق).

(٤) كذا في النسخ بالثاء المثلثة- وتحتمل في (ك) أن تكون تاء- وورد كذلك في تفسير ابن عطية (٨/ ٥)، وجاء في أسباب النزول للواحدي (٢٢٧): ذا الكيفة. وفي الدر المنثور (٤/ ٣) ذا الكتيعة والمشهور ذا الكتيفة وهي حديدة عريضة والكتيف السيف العريض.

(٥) القبض: بالتحريك المقبوض وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم. انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٦).

(٦) أخرجه أحمد في المسند، تحقيق: أحمد شاكر رقم (١٥٥٦)، والطبري في تفسيره (١٣/ ٣٧٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣)، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن مردويه. قال عنه أحمد شاكر في تخريجه له: إسناده ضعيف لانقطاعه، وقوله في الحديث: قتلت سعيد بن العاص مشكل. فإن أريد سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية. فهو متأخر ولم يشرك وقد قبض رسول الله ﷺ وله تسع سنين، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد عثمان وهو أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، وإن أريد جده سعيد بن العاص، فقد مات قبل بدر مشركًا. وقد جاء في آخر ترجمة عمير بن أبي وقاص عند ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٦) قوله عن سعد: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت أنا سعيد بن العاص كذا فيه ثم خطأ هذا، وقال: "والصواب العاص بن سعيد بن العاص" وقال بمثل هذا أبو عبيد القاسم بن سلام. ويشكل عليه أن المشهور في قاتل العاص بن سعيد هو علي بن أبي طالب.
قلت: ومن يعرف بهذا الاسم ثلاثة:
أ-سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية.
ب- سعيد بن العاص بن أمية وهو جد الأول.
ج- سعيد بن العاص. أبو أحيحة ذو العمامة حيت كان لا يعتم أحد بلون عمامته إعظامًا له.
انظر: المحبّر لابن حبيب ص (١٦٥)، و السيرة لابن هشام (١/ ٧٠٨)، والإصابة لابن حجر (٢/ ١٢٦).

الثالث- أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً فاختلفوا وكانوا أثلاثـًا فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾..الآية.

فملّكه الله تعالىٰ [رسوله][1] فقسمه، كما أراد الله تعالىٰ. وهذا قول عكرمة والضحاك وابن جريج [2].

الرابع- أنهم لم يعلموا حكمها وشكوا في إحلالها لهم مع تحريمها علىٰ من كان[3] قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، ثم اختلف أهل العلم في نسخ هذه الآية علىٰ قولين:

أحدهما- أنها منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، قاله عكرمة ومجاهد والسدي[4].

والقول الثاني- أنها ثابتة الحكم. ومعنىٰ ذلك: قل الأنفال لله. وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها، مع الآخرة. وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله تعالىٰ بوضعها فيه. قاله ابن زيد[5].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن يرد أهل القوة علىٰ أهل الضعف [6].

الثاني- أن يسلموا لله وللرسول ليحكما في الغنيمة ما شاءا.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ

---

(١) زيادة من (فوق).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٧٨) عن ابن جريج.

(٣) سقطت من (ك).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٠).

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٨١) ورجح عدم نسخها، وأن حكمها يشمل الأئمة من بعده ﷺ فعليهم أن يستنوا بسنته في ذلك، فينفّلوا علىٰ ما كان ينفّل إذا كان في ذلك صلاح للمسلمين، وقد خالف ابن المسيب فأنكر أن يكون التنفيل لأحد بعد الرسول ﷺ تأويلاً منه لقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ اقتصاراً علىٰ ظاهر النص.

(٦) نسبه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٢٠) لعطاء.

عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- خافت. الثاني- رقت

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر أو نهي.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- تصديقاً[1]. الثاني- خشية [2].

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما فيما يخافونه من السوء في الدنيا.

الثاني- فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال:٥].

قوله ﷻ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه قولان:

أحدهما- كما أخرجك ربك من مكة إلىٰ المدينة بالحق مع كراهة فريق من المؤمنين كذلك، ينجز وعدك في نصرك علىٰ أعدائك بالحق.

الثاني[3]- كما أخرجك ربك من بيتك من المدينة إلىٰ بدر بالحق كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق.

وفي قوله (بالحق) و جهان[4]:

(١) قاله ابن عباس، كما ذكره الطبري (١٣/ ٣٨٦) وابن الجوزي (٣/ ٣٢٠).

(٢) قاله الربيع بن أنس، كما عند الطبري، وابن الجوزي، وفيه قول ثالث- يقيناً، قاله الضحاك. والآية صريحة في دلالتها علىٰ زيادة الإيمان.

(٣) سقطت من الأصل، (ك) وإثباتها من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٤) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٢٢) دون نسبة.

أحدهما- أنك خرجت ومعك الحق.

الثاني- أنه أخرجك بالحق الذي وجب عليك.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ فيه وجهان[١]:

أحدهما- كارهون خروجك.

الثاني- كارهون صرف الغنيمة عنهم لأنهم لم يعلموا أن الله تعالىٰ قد جعلها لرسوله دونهم[٢].

قوله ﷻ: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾ يعني في القتال يوم بدر.

﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ يحتمل وجهين[٣]:

أحدهما: بعدما تبين لهم صوابه.

الثاني- بعدما تبين لهم فرضه.

وفي المجادل له قولان.

أحدهما- أنهم المشركون- قاله ابن زيد[٤].

الثاني[٥] أنهم طائفة من المؤمنين. وهو قول ابن عباس وابن إسحاق[٦] لأنهم خرجوا لأخذ العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فلما فاتهم ذلك أمروا بالقتال فجادلوا طلبـًا للرخصة وقالوا ما تأهبنا في الخروج لقتال العدو فأنزل الله تعالىٰ ذلك[٧].

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ يعني كأنهم في لقاء[٨] عدوهم [١٥٣/ ظ] يساقون إلىٰ الموت، رعبـًا

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٢٢) دون نسبة.

(٢) وهي كراهة طبع لمشقة السفر، وكرب القتال، وليست كراهة لأوامر الله.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٢٣) من غير نسبة وزاد ثالثـًا: تبين لهم إنك لا تفعل إلا ما أمرت به.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٦).

(٥) في الأصل،ك: الثالث. وما أثبته من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٦) ونسبه ابن الجوزي (٣/ ٣٢٣) للجمهور وهو اختيار الطبري (١٣/ ٣٩٦).

(٧) سقطت من (ك).

(٨) في (ك): قتال. وقد تكررت جملة: "يعني كأنهم في لقاء عدوهم يساقون إلىٰ الموت" في الأصل،ك.

وأسفًا لأنه أشد لحال من سيق إلىٰ الموت بأن يكون ناظراً له وعالمًا به.

قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾.. الآية.

وسبب نزول ذلك أن عير قريش لما أقبلت من الشام مع أبي سفيان همَّ رسول الله ﷺ بالخروج لأخذها وسار فبلغ ذلك قريشًا فخرجت للمنع عنها فلما علم النبي ﷺ بخروجهم شاور أصحابه فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك علىٰ ذلك عهودنا ومواثيقنا علىٰ السمع والطاعة فامضي يا رسول الله لما[1] أردت فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنَّه معك. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد وقال: سيروا علىٰ بركة الله و أبشروا فإن الله تعالىٰ قد وعدني إحدىٰ الطائفتين والله لكأني أنظر الآن إلىٰ مصارع القوم[2]. فذلك معنىٰ قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾. يعني العير مع أبي سفيان، أو الظفر بقريش الخارجين للمنع منها.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي[3] غير ذات الحرب، وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن، وهم إلىٰ ما فيها من الأموال أحوج.

وفي الشوكة التي كنىٰ بها عن الحرب وجهان:

أحدهما- أنها الشدة، فكنىٰ بها عن الحرب لما فيها من الشدة. وهذا قول قطرب.

الثاني- أنها السلاح وكنىٰ بها عن الحرب لما فيها من السلاح، من قولهم: رجل شاكٍ في السلاح. وهذا قول ابن[4] قتيبة.

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما- إظهار الحق بأعوان الدين في وقته علىٰ ما تقدم من وعده.

---

(١) في النسخ (ما). وما أثبته من تفسير الطبري (١٣/ ٤٠١)، وهو مقتضىٰ السياق.

(٢) رواه ابن جرير الطبري مطولاً (١٣/ ٣٩٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦): وزاد نسبته لابن إسحاق وابن المنذر.

(٣) في الأصل: أن.

(٤) (ابن) سقطت في (ك). والقول لابن قتيبة كما في غريب القرآن له (١٧٧).

الثاني- أن يحق في أمره لكم أن تجاهدوا عدوكم.

وفي وصفه ذلك وجهان لأصحاب الخواطر:

أحدهما- يحق الحق بالإقبال عليه، ويبطل الباطل بالإعراض عنه.

الثاني- يحق الحق بالقبول، ويبطل الباطل بالرد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ معناه ليظهر الحق يعني الإسلام[١].

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ أي يذهب بالباطل يعني الشرك.

قال الحسن: هذه الآية نزلت قبل قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهي في القراءة بعدها[٢].

روىٰ السماك عن عكرمة، قال: قيل لرسول الله ﷺ يوم بدر عليك بالعير ليس دونها شيء، فقال له العباس- وهو أسير في أيديهم-: ليس لك ذلك. فقال[٣]: لم، فقال: لأن الله تعالىٰ وعدك إحدىٰ الطائفتين. وقد أعطاك ما وعدك[٤].

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠].

---

(١) وهو قول لابن عباس في آخرين. كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٢٤).

(٢) ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٤٦٤): هذا القول المنسوب للحسن معللاً. ثم رده بأنه دعوىٰ لا دليل عليها حيث قال: وقال الحسن: "هاتان الآيتان متقدمتان في النزول علىٰ قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾. وفي القراءة بعدها لتقابل الحق بالحق والكراهة بالكراهة. انتهىٰ. وهذه دعوىٰ لا دليل عليها ولا حاجة تضطرنا إلىٰ تصحيحها".

(٣) وقع في (ك) تكرار نحو ستة أسطر مما سبق ذكره سهواً من الناسخ ثم نبه في الحاشية علىٰ أنه تكرار.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٢٩، ٣١٤، ٣٢٦) عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وأخرجه الترمذي في جامعة، كتاب التفسير حديث (٣٠٨٠) (٥/ ٢٦٩) وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٧) بزيادة في آخره: (قال: صدقت) وصححه ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨) بزيادته وزاد نسبته إلىٰ الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي يعلىٰ وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، وقال محمد السلفي محقق كتاب الفتح السماوي... (٢/ ٦٤٨): "قلت: قد تقدم مراراً أن سماك عن عكرمة مضطربة، ويستبعد هذا عن العباس، فإنه كان في الأسارىٰ فكيف عرف قول الله هذا). أ.هـ، قلت: لا يستبعد سماع العباس للآية، وكونه في الأسرىٰ عند المسلمين أحرىٰ بالسماع. والله أعلم.

قوله ﷻ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- تستنصرون. الثاني- تستجيرون.

والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر طالب الظفر. والمستجير طالب الخلاص.

والفرق بين المستغيث والمستعين أن المستغيث المسلوب القدرة، أما المستعين فهو الضعيف القدرة.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾، أي فأعانكم. والفرق بين الاستجابة والإجابة (وإن كانا بعد السؤال: أن الاستجابة ما يتقدمها امتناع، والإجابة) [1] ما لم يتقدمها امتناع.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- مع كل ملكٍ ملكٌ، وهو قول ابن عباس [2]. فتكون الألف ألفين. قال الشاعر [3]:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ❊❊ ظننت بآل فاطمة الظنونا[4]

والثاني- معناه [١٥٤/ و] متتابعين قاله السدي وقتادة [5].

الثالث- معنىٰ مردفين أي ممدين، والإرداف إمداد المسلمين بهم. قاله مجاهد [6].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن البشرى هي في مددهم بألف من الملائكة.

والثاني- أن الملائكة بشروهم بالنصر فكانت هي البشرىٰ التي ذكرها الله تعالىٰ.

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ك).

(٢) أخرجه الطبري عنه (١٣/ ٤١٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ، وفي رواية أخرىٰ عن ابن عباس: متتابعين.

(٣) البيت لخَزِيْمة بن نهد بن زيد القضاعي، وضبط اسمه من تاج العروس وقيل خزيمة بن نهد. ورجح محمود شاكر الأول في حاشيته علىٰ تفسير الطبري (١٣/ ٤١٥).

(٤) البيت في تفسير الطبري (١٣/ ٤١٥) وتاج العروس (ردف) والمحرر الوجيز (٨/ ٢٠) والدر المصون (٥/ ٥٧٠)، ومجمع الأمثال للميداني (١/ ٧٥) و معنىٰ البيت: أن الجوزاء تردف الثريا في اشتداد الحر فتصبح في كبد السماء آخر الليل وعند ذلك تنقطع المياه فيتفرق الناس لطلبها فتغيب عنه محبوبته فلا يدري أين مضت ولا أين نزلت.

(٥) ذكره الطبري (١٣/ ٤١٣).

(٦) ذكره الطبري (١٣/ ٤١٣).

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه [١] وجهان:

أحدهما – بالبشرىٰ الثاني – بالملائكة.

واختلفوا في قتال الملائكة معهم علىٰ قولين:

أحدهما – لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرىٰ لتطمئن به قلوبهم، وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط.

الثاني – أن الملائكة قاتلت [٢] مع النبي ﷺ كما روي عن ابن مسعود أنه سأله (أبو جهل من أين كان يأتينا الضرب ولا نرىٰ الشخص فقال)[٣] : من قبل الملائكة، فقال: هم غلبونا لا[٤] أنتم.

قوله ﷻ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله تعالىٰ.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال:١١-١٤].

قوله ﷻ: ﴿ إِذْ يَغْشَاكُمُ[٥] ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾.

وذلك أن النبي ﷺ وكثير من أصحابه غشيهم النعاس ببدر. قال سهل بن عبد الله: النعاس يحل في الرأس مع حياة القلب. والنوم يحل في القلب بعد نزوله من الرأس فهوَّم[٦] رسول الله ﷺ وكثير

---

(١) "فيه" سقطت من (ك).

(٢) في (ك): قابلت.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٤) في الأصل، ك: كنتم. وما أثبته من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٥) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمر. انظر: السبعة لاين مجاهد (٣٠٤).

(٦) هوم: هز رأسه من النعاس.

من أصحابه حتىٰ ناموا فبشر جبريل رسول الله ﷺ بالنصر فأخبر به أبا بكر.

وفي امتنان الله تعالىٰ عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما- قوَّاهم بالاستراحة علىٰ القتال من الغد.

الثاني- أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال: الأمن منيم والخوف مسهر[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾. يعنىٰ به الدعة وسكون النفس من الخوف.

وفيه وجهان:

أحدهما- أمنة من العدو.

الثاني- أمنة من الله سبحانه وتعالىٰ [2].

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ لأن الله تعالىٰ أنزل عليهم ماء السماء معونة لهم بثلاثة أمور:

أحدها- الشرب وإن كانوا علىٰ ماء.

الثاني- وهو أخص أحواله بهم في ذلك المكان وهو أن الرمل تلبّد بالماء حتىٰ أمكن المسلمون القتال عليه.

الثالث- ما وصفه الله تعالىٰ به من حال التطهير، وفي تطهيرهم به وجهان:

أحدهما- من وساوس الشيطان التي ألقىٰ بها إلىٰ قلوبهم؛ الرعب[3] قاله زيد بن أسلم.

الثاني من الأحداث والأنجاس [4] التي [5] نالتهم "قاله الجمهور".

---

(١) قولان يؤولان إلىٰ واحد. فحين يزول الرعب من القلوب ترتاح النفوس فتتحقق القوة لملاقاة الأعداء وذلك من فضل الله ومنّه. وانظر: تفسير أبي حيان (٤/ ٤٦٨).

(٢) القول لمجاهد كما عند الطبري (١٣/ ٤٢٠).

(٣) في رواية الطبري (١٣/ ٤٢٦) لقول ابن زيد أن الشيطان ألقىٰ في قلوبهم: أن ليس لكم بهؤلاء طاقة.

(٤) حيث شربوا، و سقوا، وتوضأوا، واغتسلوا من الجنابة، و أذهب الله عنهم وساوس الشيطان. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٢٣).

(٥) في الأصل: الذي..

قال ابن عطاء[(١)]: أنزل عليهم ماءاً طهر به ظواهر أبدانهم، وأنزل عليهم رحمة نوَّر بها سرائر قلوبهم. وإنما خصه الله تعالىٰ بهذه الصفة لأمرين:

أحدهما- أنها أخص صفاته.

الثاني- أنها ألزم صفاته.

ثم قال: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. فيه قولان:

أحدهما- وسوسته "أن المشركين قد[(٢)] غلبوهم علىٰ الماء. قاله ابن عباس[(٣)].

الثاني- كيده. وهو قوله[(٤)]: ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة. قاله ابن زيد[(٥)].

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما ثقة بالنصر.

[الثاني- باستيلائهم علىٰ الماء.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- بالصبر][(٦)] الذي أفرغه الله تعالىٰ عليهم حتىٰ ثبتوا لعدوهم، قاله أبو عبيدة والسدي[(٧)].

الثاني- بتلبيد الرمل بالمطر الذي لا يثبت عليه قدم. وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك.

قوله ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ معناه معينكم[(٨)].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سهل. سبقت ترجمته.

(٢) في (ك):لما.

(٣) وهو قول لمجاهد. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٢٥).

(٤) عبارة الأصل، ك: وهو قوله: (لكم ولي اليوم طاقة..)، وما أثبته من ف، ق.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٢٦).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ك. وإثباته من (ف، ق).

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٤٢):وذكره عنه الطبري بوصفه لا باسمه في تفسيره (١٣/ ٤٢٧) وضعفه لمخالفته أقوال أهل التأويل من الصحابة والتابعين.ثم رجح القول الثاني هنا.

(٨) وهي معية خاصة تعني العون والنصر والتأييد، وهي خاصة لرسوله وأوليائه من المؤمنين.

ويحتمل أن يكون معناه أني معكم في نصرة الرسول فتكون الملائكة لتثبيت المؤمنين والله تعالىٰ متولي النصر بما ألقاه من الرعب في قلوب المشركين.

﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- فثبتوهم بحضوركم معهم في الحرب.

الثاني- بقتالكم [١٥٤ظ] معهم يوم بدر، قاله الحسن.

الثالث- بإخبارهم أنهم لا بأس عليهم من عدوهم

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ يعني الخوف ويحتمل أحد وجهين:

أحدهما- إما أن يكون إلقاء الرعب بتخاذلهم، وإما أن يكون بتكثير المسلمين في أعينهم وفي ذلك وجهان:

أحدهما- أنه قال ذلك للملائكة معونة لهم.

الثاني- أنه قال ذلك لهم ليثبتوا به الذين آمنوا.

﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- فاضربوا الأعناق، وفوق صلة زائدة في الكلام. قاله عطية والضحاك [١]. وقد روىٰ المسعودي عن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله وإنما بعثت بضرب الرقاب وشد [٢] الوثاق [٣].

والثاني- معناه واضربوا الرؤوس فوق الأعناق. قاله عكرمة [٤].

الثالث- فاضربوا علىٰ الأعناق [٥].

---

(١) وهو قول الأخفش- أيضًا كما في معاني القرآن له (٢/ ٨)- وليس في قولهم تنصيص بالزيادة وإنما تفسير للمعنىٰ، وقد رده أبو حيان (٤/ ٤٧٠) بقوله: "هذا ليس بجيد لأن فوق اسم ظرف والأسماء لا تزاد".

(٢) في الأصل، ك: وشدة. وما أثبته من (ف) وتفسير الطبري.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٢٩).

(٤) وبهذا القول تكون فوق علىٰ بابها، قال المبرد: وفي هذا إباحة ضرب الكافر في الوجه. وقال ابن عطية (٨/ ٢٨) عن هذا التفسير: إنه أنبلها وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٣٠)، والبحر المحيط (٤/ ٤٧١).

(٥) وهو قول أبي عبيدة معمر بن المثنىٰ في مجازه (١/ ٢٤٢) وذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٣٠) ولم يسم قائله، وقد =

(الرابع- فاضربوا أعلىٰ الأعناق[١].

الخامس- فاضربوا جلدة الأعناق) [٢].

﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ يعني المفاصل من أطراف الأيدي والأرجل. والبنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾ [الأنفال:١٥-١٦].

قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا﴾. الزحف الدنو قليلاً قليلاً ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ يعني الهزيمة منهم والانصراف عنهم.

وفيه قولان:

أحدهما- أن هذا علىٰ العموم في تحريمه الهزيمة [٣] عند لقاء العدو.

الثاني- مخصوص وهو أن الله تعالىٰ أوجب في أول الإسلام علىٰ كل رجل من المسلمين أن يقف بإزاء عشرة من المشركين لا يحل له بعد اللقاء أن ينهزم عنهم وذلك بقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال:٦٥].

فيه وجهان:

أحدهما- لا يعلمون ما فرضه الله تعالىٰ عليهم من الإسلام.

=
حسن هذا القول أبو حيان (٤/ ٤٧٠) لإبقاء فوق علىٰ معناها من الظرفية.

(١) قال ابن عطيه في تفسيره (٨/ ٢٨): "ويحتمل عندي أن يريد بقوله (فوق الأعناق) وصف أبلغ ضربات العنق وأحكمها، وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الرأس في المفصل.."

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٣) في الأصل،ك: بالهزيمة. وما أثبته من (ف). ما بين القوسين ساقط من (ك).

الثاني- لا يعلمون ما فرضه الله تعالىٰ عليهم من القتال. ثم نسخ الله عنهم بعد كثرتهم واشتداد شوكتهم فأوجب الله تعالىٰ علىٰ كل رجل مسلم لاقىٰ المشركين محاربـًا أن يقف بإزاء رجلين بعد أن كان عليه أن [1] يقف بإزاء عشرة تخفيفـًا ورخصة، وذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾. قرئ بضم الضاد وفتحها[2] وفي اختلاف القراءتين وجهان:

أحدهما- أنهما لغتان ومعناهما واحد. قاله الفراء[3].

الثاني- معناهما مختلف.و في اختلافهما وجهان:

أحدهما- أنها بالفتح الضعف في الأموال، وبالضم في الأحوال.

الثاني- أنها بالفتح الضعف في النيات، وبالضم الضعف في الأبدان. وقيل: بعكس الوجهين في الوجهين [4].

ثم قال: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ (فيه تأويلان:

أحدهما- بمعونة الله. الثاني- بمشيئة الله.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [5] فيه تأويلان:

أحدهما- مع الصابرين علىٰ القتال في معونتهم علىٰ أعدائهم.

الثاني- مع الصابرين علىٰ الطاعة في قبول عملهم وإجزال ثوابهم.

فصار حتمـًا علىٰ من لاقىٰ عدوه من المشركين زحفـًا أن لا ينهزم مع القوة علىٰ المصابرة حتىٰ يقضي الله من أمره ما يشاء.

---

(١) في الأصل، ك: لم. وما أثبته من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٢) بالفتح "ضَعْفا" هي قراءة عاصم وحمزة، وبالضم "ضُعفا" قرأ الباقون. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٠٩)، وحجة القراءات لأبي زرعة (٣١٣).

(٣) وهو قول سيبويه والزجاج. وقال أبو عمرو بن العلاء: ضم الضاد لغة أهل الحجاز، وفتحها لغة تميم، ولا فرق بينهما في المعنىٰ. انظر: تفسير ابن عطيه (٨/ ١١١) وابن الجوزي (٣/ ٣٧٨).

(٤) وحكىٰ ابن عطية (٨/ ١١١) عن الثعالبي أن الضعف بفتح الضاد في العقل والرأي، والضعف بضمها في الجسم.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ك).

فأما الهزيمة مع العجز عن المصابرة فإن قاتله أكثر من مثليه جاز أن يولي عـنهم. منهزمـًا، وإن قاتله مثلاه فمن دون حرم عليه أن يولي عنهم منهزمـًا إلا علىٰ أحد صفتين: إمـا أن ينحـرف لقتـال. وهو أن يهرب ليَطْلُب، ويفر ليكر فإن الحرب [١٥٥/ و] كر وفر، وهرب وطلب. وإما [١] أن يتحيز إلىٰ فئة أخرىٰ ليقاتل معها قربت الفئة أو بعدت وذلك ظاهر في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، أي صـار بالمكـان الـذي استحق به غضب الله.

مأخوذ من المبوّأ وهو المكان. فذهب مالك و الشافعي وأصحابه وموافقـوهم [٢] أن هـذا علىٰ العموم محكوم به في كل مسلم لاقىٰ عدواً. وبه قال عبد الله بن عباس.

وحكي عن الحسن وقتادة والضحاك أن ذلك خاص في أهل بدر [٣] وبه قال أبوحنيفة.

قول ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- ولكن الله قتلهم بسوقهم[٤] إليكم حتىٰ أمكنكم منهم.

الثاني- قتلهم بمعونته لكم حين ألقىٰ في قلوبهم الرعب، وفي قلوبكم النصر.

وفيه وجه ثالث- قاله ابن بحر: ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم [٥].

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها- ما حكاه ابن عباس وعروة والسدي أن النبي ﷺ قبض يوم بدر قبضة مـن تـراب رمـاهم بها، وقال: شاهت الوجوه [٦] أي قبحت. ومنه قول الحطيئة.

---

(١) في (ك): فإما...

(٢) في الأصل، ك: ووافقوهم. وما أثبته من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٣) العبرة بعموم لفظها لا بخصوص من نزلت فيه يقول الطبري (١٣/ ٤٤٠): "حكمها محكم وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين....".

(٤) في الأصل: بسيوفهم. والصواب ما أثبته من (ف، ك).

(٥) جاء في (ق) قوله: "والثاني- فلم تقتلوهم بقوتكم وسلاحكم، ولكن الله قتلهم بخذلانهم وقبض أرواحهم" وثاني الأقوال هنا هو الأول في (ق) ولم ترد بقية الأقوال فيها.

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٤) مطولاً عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي.

أرىٰ ثَمّ وجهاً شوَّه الله خَلْقَهُ ** فقُبح مِنْ وَجْهٍ وقُبح حَامِلُهْ[١]

فألقىٰ الله تعالىٰ القبضة في أبصارهم حتىٰ شغلتهم بأنفسهم وأظفر الله تعالىٰ المسلمين بهم فهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

الثاني- معناه وما ظفرت إذ رميت ولكن الله أظفرك قاله أبو عبيدة[٢].

الثالث- وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ولكن الله ملأ قلوبهم رعباً.

والقول الرابع- أنه أراد رمي أصحابه بالسهام فأضاف[٣] رميهم إليه لأنهم رموا عنه، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، يعني بما أرسله من الريح المعينة لسهامهم حتي تسددت وأصابت. والمراد بالرمي الإصابة لأن مطلق الرمي محمول علىٰ الإصابة فإن لم يصب قيل رمي فأخطأ وإذا قيل مطلقاً: قد رمي فلان[٤] لم يعقل منه إلا الإصابة ألا ترىٰ إلىٰ قول امرئ القيس:

فرماها في فرائصها ** بإزاء الحوض[٥] أو عُقُره[٦]

فاستغنىٰ بذكر الرمي عن وصفه بالإصابة. وقال ذو الرمة في الرامي المخطئ:

رمىٰ فأخطأ والأقدار غالبة ** فانصاع والويل هُجَّيْراه والحرب[٧]

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾.

---

(١) ديوانه بتحقيق نعمان أمين طه، ط (١٣٧٨هـ) ص (٢٨٢): وقبله قوله في نفسه

أبت شفتاي اليوم ألا تكلما ** بشر فما أدري لمن أنا قائله

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٤٤).

(٣) في الأصل،ك: فأصاب. وما أثبته من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٤) في الأصل،ك: ولين. وما أثبته من (ف).

(٥) في الأصل ك: الخوض. وهو تصحيف.

(٦) ديوانه. بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ص (١٢٤). والفرائص: جمع فريصة وهي بضعة اللحم التي ترعد من الدابة عند موضع الكتف وهي مقتل، وعقر الحوض: مقام الشاربة- وهو موضع أخفاف الإبل عند ورود الماء، والمعنىٰ: أن هذا الرامي ترصد للوحش عند الماء حتىٰ إذا وردت رماها فأصاب مقاتلها.

(٧) ديوانه، بتحقيق د عبد القدوس أبو صالح (١/ ٧١) وفيه: فانصعن. وقوله: والويل هجيراه والحرب: أي أنه لما أخطأ أقبل من غضبه يهذي ويجر من الكلام ما لا يدري ما هو فيقول: الويل دأبه و الحرب.

قال أصحاب الخواطر: البلاء الحسن ما يورثك الرضاء به والصبر عليه والذي [(١)] عليه المفسرون: البلاء الحسن هاهنا النعمة بالظفر والغنيمة.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال:١٩].

قوله تعالىٰ: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن تستقضوا الله والفتح القضاء فقد جاءكم قضاء الله بنصرنا عليكم، حكاه ابن الأنباري [(٢)].

الثاني- معناه إن تستنصروا الله، والفتح النصر [(٣)] فقد جاء كم نصر الله لنا عليكم، وفي هذا الخطاب قولان:

أحدهما- أنه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا يوم بدر بأن قالوا: "اللهم أقطعنا للرحم، وأظلمنا لصاحبه فأنصر عليه فنصر الله ﷺ نبيه والمسلمين عليهم. ثم قال: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن الاستنصار كان عليهم لا لهم.

ثم قال: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما -وإن تعودوا إلىٰ مثل هذا التكذيب نعد إلىٰ مثل هذا التصديق.

الثاني- وإن تعودوا إلىٰ مثل هذا الاستفتاح نعد إلىٰ مثل هذا النصر.

القول الثاني- أنه خطاب للمؤمنين نصرهم الله تعالىٰ يوم بدر حين استنصروه ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني عما فعلتموه في الأسرىٰ [١٥٥/ ظ] والغنيمة.

﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما -وإن تعودوا إلىٰ الطمع نعد إلىٰ المؤاخذة.

(١) والذي عليه"ساقط من (ك).

(٢) وهو قول لابن عباس وعكرمة وغيرهما. تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٠).

(٣) قاله الزجاج (٢/ ٤٥١).

الثاني- وإن تعودوا إلىٰ مثل ما كان منكم في الأسرىٰ والغنيمة نعد إلىٰ الإنكار عليكم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٣].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ أما الدواب فاسم لكل ما دب علىٰ الأرض من حيوانها لدبيبه عليها مشياً وإن كان بالخيل أخص. والمراد شر الدواب الكفار لأنهم شر ما دب علىٰ الأرض من الحيوان، ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلصُّمُّ﴾ لأنهم لا يسمعون الوعظ.

﴿ٱلۡبُكۡمُ﴾ والأبكم هو المخلوق أخرس. وإنما وصفهم بالبكم لأنهم لا يقرون بالله تعالىٰ ولا بلوازم طاعته.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- لا يعقلون عن الله تعالىٰ أمره ونهيه.

الثاني- لا يعتبرون اعتبار العقلاء. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار[1].

قوله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- اهتداء.

الثاني- إصغاء.

﴿لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- لأسمعهم الحجج والمواعظ سماع تفهيم وتعليم، قاله ابن جريج وابن زيد[2].

والثاني- لأسمعهم كلام الذين طلبوا إحياءهم من قصي بن كلاب وغيره يشهدون بنبوتك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (فتح الباري ٨/ ٣٠٧) لكنه قال: هم نفر من بني عبد الدار، وأخرجه ابن جرير (١٣/ ٤٦٧٠) كرواية البخاري وزاد في آخرها: لا يتبعون الحق. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣) وزاد نسبته للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وقد رجحه الطبري لأن الآية في سياق الخبر عن المشركين. وقيل المراد بهم المنافقون.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٦٢) ورجحه.

قاله بعض المتأخرين [١].

الثالث- لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه. قاله الزجاج [٢].

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- لو أسمعهم الحجج والمواعظ لأعرضوا [٣] عن الإصغاء والتفهم.

الثاني- ولو أجابهم إلىٰ ما اقترحوه لأعرضوا عن التصديق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

قوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني أجيبوا الله والرسول. قال كعب ابن سعد الغنوي:

وداع دعا يا من يجيب إلىٰ الندىٰ ** فلم يستجبه عند ذلك مجيب [٤]

وإجابة الله تعالىٰ هي طاعة أمره. وإنما خرجت علىٰ [٥] هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء اليها فصارت إجابة لها.

﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها- إذا دعاكم للإيمان، قاله السدىٰ.

الثاني- إذا دعاكم إلىٰ الحق، قاله مجاهد.

الثالث- إلىٰ ما في القرآن، قاله قتادة.

(١) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٣٨٨) عن الماوردي. وذكره أبو حيان (٤/ ٤٨٠) عن ابن الجوزي.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٥٢).

(٣) في الأصل، ك: لا أعرضوا، وما أثبته من (ف) وهو مقتضىٰ السياق.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٧/ ٢٤٥) والأصمعيات (٩٦) والنوادر لأبي زيد (٢١٨). و البيت من قصيدته في رثاء أخيه قال عنها الأصمعي: ليس في الدنيا مثلها.

(٥) في (ك): عن.

الرابع- إلىٰ الحرب وجهاد العدو. قاله ابن إسحاق [١].

الخامس- إلىٰ ما فيه دوام حياتكم في الآخرة. ذكره علىٰ بن عيسىٰ.

السادس- إلىٰ ما فيه من إحياء أمر كم في الدنيا. قاله الفراء[٢].

السابع- أنه علىٰ عموم الدعاء. فيما أمرهم به. روىٰ العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: مر رسول الله ﷺ علىٰ أُبَيّ وهو قائم يصلي فصرخ [٣] به قال يا أُبَيّ قال فعجل في صلاته ثم جاء فقال رسول الله ﷺ ما منعك إذ دعوتك أن تجيني قال يا رسول الله (كنت أصلي، قال أفلم تجد فيما أوحي إلي: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، قال: بلىٰ يا رسول الله) [٤]، لا أعود[٥].[٦].

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ فيه لأهل التأويل سبعة أقاويل:

أحدها- يحول بين الكافر والإيمان، وبين المؤمن والكفر. قاله ابن عباس وسعيد ابن جبير والضحاك[٧].

الثاني- يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل قاله مجاهد[٨].

الثالث- يحول بين المرء وقلبه أن يقدر علىٰ إيمان أو كفر إلا بإذنه قاله السدىٰ[٩].

الرابع- معناه أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفىٰ عليه شئ من سره أو جهره فصار

---

(١) انظر: الأقوال الأربعة السابقة في تفسير الطبري (٣١/ ٤٦٤-٤٦٥). والثلاثة الأولىٰ ينتهي بعضها إلىٰ بعض وهي الأولىٰ لتناسبها مع السياق، وبها تحيا القلوب وتستقيم الحياة الدنيا ويحسن مآل الآخرة. والله أعلم.

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٧).

(٣) في الأصل.ك: فصرح. وهو تصحيف.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل، ك، وإثباته من (ف).

(٥) في الأصل ك، لاعود. و الصواب ما أثبته.

(٦) أخرجه أحمد (١/ ٤١٢) والطبري (١٣/ ٤٦٧) وأخرجه الترمذي بنحوه مطولاً في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل الفاتحة رقم ٢٨٧٥ (٥/ ١٥٥). وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح. وانظر: فتح الباري (٨/ ١٥٦-١٥٩، ٣٠٧).

(٧) تفسير الطبري (١٣/ ٤٦٧).

(٨) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٠).

(٩) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٠).

أقرب إليه من حبل الوريد وهذا تحذير شديد قاله قتادة [(١)].

الخامس- معناه يفرق بين المرء و قلبه بالموت فلا يقدر علىٰ استدراك فايت. ذكره علي ابن عيسىٰ.

السادس- يحول بين المرء وما يتمناه بقلبه من البقاء [١٥٦/ و] وطول العمر والظفر والنصر حكاه ابن الأنباري.

السابع يحول بين المرء وما يوقعه في قلبه من رعب وخوف، أو قوة وأمن، فيأمن المؤمن بعد خوفه ويخاف الكافر بعد أمنه [(٢)].

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال:٢٥].

قوله ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها- أنه المنكر، أمر الله تعالىٰ المؤمنين ألا يقروه بين أظهرهم فيعمهم العذاب. قاله ابن عباس [(٣)].

الثاني- أنها الفتنة بالأموال والأولاد، كما قال: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ قاله عبد الله ابن مسعود [(٤)].

الثالث- أن الفتنة هاهنا البلية التي يبلىٰ الإنسان بها قاله الحسن.

الرابع- أنها نزلت في النكاح بغير ولي. قاله بشر [(٥)] بن الحارث [(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٠).

(٢) انظر: الأقوال في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٣٩).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٤).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٥).

(٥) هو بشر بن الحارث المعروف بالحافي: زاهد ورع علىٰ مذهب الثوري في الفقه والورع. توفي سنة (٢٢٧) انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٤٤٤).

(٦) قول فيه تخصيص، ولا يساعد عليه لفظ الآية، وانظر: جملة الأقوال في الآية- وليس من بينها قول بشر- في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٤١) وأبي حيان (٤/ ٤٨٣). والأولىٰ ما قاله ابن عطية في تفسيره (٨/ ٤١) عن الآية حيث قال: هذه الآية تحتمل تأويلات أسبقها إلىٰ النفس أن يريد الله أن يحذر جميع المؤمنين من فتنة إن أصابت لم تخص الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم وبرئ..) فيكون ماذكر مسببات ينبغي توخيها والحذر منها حتىٰ لا تقع تلك الفتنة التي حذر الله منها.

ويحتمل خامساً- أنها إظهار البدع.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ وجهان:

أحدهما- لا تصيبن [الفتنة] [1] الذين ظلموا.

الثاني- لا يصيبن عقاب الفتنة فتكون لأهل الجرائم عقوبة ولأهل الصلاح ابتلاء.

وفيه وجه ثالث- أنه دعاء للمؤمن أن لا تصيبه فتنة، قاله الأخفش [2].

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال:٢٦].

قوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. يريد بذلك قلتهم إذ كانوا بمكة، وذلتهم باستضعاف قريش لهم وفي هذا القول وجهان:

أحدهما أن الله ذكرهم بذلك نعمه عليهم.

الثاني- الإخبار بصدق وعده هم.

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما- يعي بالناس كفار قريش. قاله عكرمة وقتادة [3].

الثاني- فارس والروم. قاله وهب بن منبه [4].

ثم بين ما أنعم به هنا [5] عليهم فقال: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما- أي جعل لكم مأوىٰ تسكنون فيه آمنين [6].

---

(١) زيادة من (ف) وقد سقطت من الأصل، ك.

(٢) انظر: توجيه قوله عند أبي حيان (٤/ ٤٨٥) وقد جعلها دعاءاً عاماً بعدم وقوع الفتنة علىٰ أحد. وفي معاني القرآن للأخفش (٢/ ٣٢١) آنها نهي بعد نهي.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٧).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٧٨) ورجح خلافه حيث رجح القول الأول لأن المسلمين لم يكونوا يخافون علىٰ أنفسهم قبل الهجرة من غير قريش لأنهم أدنىٰ الكفار إليهم وأشدهم عليهم.

(٥) ليست في رك، ف).

(٦) نقله ابن الجوزي (٣/ ٣٤٣) عن الماوردي.

الثاني- فآواكم إلىٰ المدينة بالهجرة إليها. قاله السدي.

﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ أي قواكم بنصره لكم علىٰ أعدائكم يوم بدر.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني من الحلال، وفيه قولان:

أحدهما- ما مكنهم فيه من الخيرات.

الثاني- ما[1] أباحهم من الغنائم. قاله السدیٰ.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في المهاجرين خاصة بعد بدر[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال:٢٧-٢٨].

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾. فيه قولان:

أحدهما- لا تخونوا الله سبحانه، والرسول -عليه السلام- كما صنع المنافقون في خيانتهم. قاله الحسن و السدیٰ.

الثاني[3] - لا تخونوا الله سبحانه والرسول- عليه السلام- فيما جعله لعباده في أموالكم.

ويحتمل ثالثًا- أن خيانة الله تعالىٰ معصية رسوله ﷺ وخيانة الرسول بمعصية خلفائه.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾، فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلىٰ المغنم.

الثاني[4] - فيما ائتمن الله تعالىٰ العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها[5] ولا تخونوها بتركها.

الثالث علىٰ العموم في كل أمانة أن تؤدیٰ ولا تخان.

---

(١) (ما) سقطت من الأصل، ك، وزيادتها من (ف).

(٢) ذكره أبو حيان (٤/ ٤٨٥) من غير نسبة. وزاد: وقيل الخطاب للرسول والصحابة وهي حالهم يوم بدر... وقال وهب ابن منبه وقتادة: الخطاب للعرب قاطبة..) وقد رد هذا ابن عطية في تفسيره (٨/ ٤).

(٣) في (ك): الثالث. وهو وهم.

(٤) الثاني. سقطت من الأصل، ك، وزيادتها من (ق).

(٥) في الأصل، ك. لا بدون واو.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة.

الثاني- وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف مَنْ جَهل.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في أبي لبابة بن عبد المنذر وقد أرسله رسول الله ﷺ إلىٰ بني قريظة لينزلوا علىٰ حكم سعد فاستشاروه وقد كان أحرز أمواله وأولاده عندهم فأشار عليهم أن لا يفعلوا، وأومأ بيده إلىٰ حلقه أنه الذبح، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية إلىٰ قوله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

يحتمل وجهين:

أحدهما- أن ما عند الله تعالىٰ من الأجر خير من الأموال والأولاد.

الثاني- أن ما عند الله تعالىٰ من أجر الحسنة التي يجازىٰ عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التي لا يجازىٰ عليها إلا بمثلها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال:٢٩].

قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- معنىٰ فرقانـًا، أي هداية في قلوبكم [١٥٦/ ظ] تفرقون بها بين الحق والباطل، قاله ابن زيد وابن إسحاق [2].

الثاني- مخرجـًا من الدنيا والآخرة. قاله مجاهد [3].

الثالث- يعن نجاة قاله السدىٰ [4].

---

(١) أخرج قصة السبب ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٤٨١) عن الزهري، وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٨). وأسباب النزول للواحدي (٢٣١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٩٠) وأبي حيان (٤/ ٤٨٦).

(٣) وهو قول ابن عباس والضحاك وعكرمة، انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٩).

(٤) وهو قول لقتادة، ورواية عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٩-) وابن الجوزي (٣/ ٣٤٦).

الرابع- فتحـًا و نصراً. قاله الفراء[(١)].

ويحتمل خامسـًا- يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة بالثواب والعقاب.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾ وذلك أن قريشـًا تـآمروا في دار الندوة علىٰ رسول الله ﷺ فقال عمرو بن هشام: قيدوه وأحبسوه في بيت نتربص به ريب المنون.

وقال [(٢)] أبو البختري [(٣)]: أخرجوه عنكم علىٰ بعير مطرود تستريحوا منه ومن أذاه لكم.

وقال أبو جهل: ما هذا رأي ولكن اقتلوه وليجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فترضىٰ بنو [(٤)] هاشم حينئذ بالدية.

فأوحىٰ الله ﷻ بذلك إلىٰ نبيه ﷺ فخرج إلىٰ الغار مع أبي بكر ﷺ تم هاجر منه إلىٰ المدينة.

قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة وهذا بيان قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- ليثبتوك في الوثاق. قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة[(٥)].

الثاني- ليثبتوك في الحبس. قاله عطاء، وعبد الله بن كثير والسدىٰ[(٦)].

الثالث- معنىٰ يثبتوك يخرجوك كما يقال: أثبته في الحرب إذا أخرجه. قاله بعض المتأخرين.

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- من مكة إلىٰ طرف من أطراف الأرض كالنفي.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٠٨).

(٢) في (ك) قال.

(٣) هو أبو البختري بن هشام. وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٨).

(٤) في ك): بني.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٩١) وابن الجوزي (٣/ ٣٤٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٩١) وابن الجوزي (٣/ ٣٤٨).

الثـاني علـىٰ بعيـر مطـرود حتـىٰ تهلـك. أو يأخـذك بعـض العـرب فتقتلـك فـتريحهم منـك. قاله الفراء[١].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣١-٣٣].

قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ﴾ (يحتمل وجهين:

أحدهما- قد سمعنا هذا منك ولا نطيعك.

الثانىٰ) [٢]- قد سمعنا قبل هذا مثله فماذا أغناك.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- مثل هذا في النظم والبيان معارضة له في الإعجاز.

الثاني- مثل هذا في الاحتجاج معارضة له في الاستدعاء إلىٰ [٣] الكفر.

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ "يعني أحاديث الأولين" [٤] ويحتمل وجهين:

أحدهما- أنه قصص من مضىٰ وأخبار من تقدم.

الثاني- أنه مأخوذ عمن تقدم وليس بوحي من الله سبحانه.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة. وقتله النبي ﷺصبراً في جملة ثلاثة من قريش: عقبة بن أبي معيط، والمطعم بن عدي [٥]، و النضر بن الحارث. وكان أسير المقداد فلما

---

(١) معاني القرآن للفراء: (١/ ٤٠٩).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٣) في (ك): علىٰ.

(٤) ساقط من (ك).

(٥) كذا ورد في نسخ "المطعم بن عدي"وقد حكاه الطبري كذلك في تفسيره عن سعيد بن جبير (١٣/ ٥٠٤) وهو وهم عظيم انتقده ابن عطية في تفسيره (٤/ ٥١) بعد أن ساقه حيث قال: "وهذا وهم عظيم في خبر المطعم، فقد كان مات قبل يوم بدر وفيه قال النبي ﷺ لو كان المطعم حياً وكلمني في هؤلاء النتنىٰ لتركتهم له يعني أسرىٰ بدر، لأنه كان أجار =

أمر رسول الله ﷺ بقتل النضر، قال المقداد: أسيري يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ اللهم أغن المقداد، فقال: هذا أردت.

وفيه أنزل الله تعالىٰ الآية التي بعدها ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وفي هذا القول وجهان:

أحدهما- أنهم قالوا ذلك عناداً للحق، و بغضاً للرسول ﷺ.

الثاني- أنهم قالوا ذلك اعتقاداً أنه ليس بحق. وفيهم نزل قوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]، وفيهم نزل: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٩]. قال عطاء لقد نزل في النضر بضع [(١)] عشرة آية من كتاب الله تعالىٰ.

قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه قال ذلك إكراماً لنبيه ﷺ وتعظيماً لقدره أن يعذب قوماً هو بينهم تعظيماً لحرمته.

الثاني- إرساله فيهم رحمة لهم، و نعمة عليهم، فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتىٰ يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- ما كان الله ليعذب مشركي أهل [١٥٧/ و] مكة وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون. وهذا قول الضحاك، وأبي مالك وعطية [(٢)].

الثاني- لا يعذبهم في الدنيا وهم يستغفرون فيها، يقولون غفرانك.

=

الرسول ﷺ لما رجع من الطائف. ويلاحظ أنالرواية السابقة علىٰ تلك عند الطبري وهي من رواية سعيد بن جبير – أيضاً – قد ورد فيها الاسم صحيحاً: طعيمة بن عدي. بدل المطعم بن عدي. وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٤) فقد نبه علىٰ ذلك.

(١) في بقية النسخ (بضعة..) وما أثبته من (ق) وهو الصواب.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٠).

قال ابن عباس: كان المشركون [(١)] بمكة يطوفون بالبيت ويقولـون لبيك لبيك لا شـريك لـك، فيقـول النبـي ﷺ: قـد قـد.. فيقولـون: إلا شـريك هـو[(٢)] لـك تملكـه ومـا ملـك. ويقولـون غفرانـك، فأنزل[(٣)] الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

قاله: أبو موسىٰ، ويزيد بن رومان، ومحمد بن قيس [(٤)].

الثالث- أن الاستغفار في هـذا الموضـع الإسـلام، ومعنـىٰ الكـلام: ومـا كـان الله معـذبهم وهـم يسلمون. قاله عكرمة ومجاهد[(٥)].

الرابع- وما كان الله معذبهم لو[(٦)] استغفروا. يعني أنهم لو استغفروا لـم يعـذبوا [(٧)] استـدعاء لهـم إلىٰ الإستغفار. قاله قتادة والسدي وابن زيد.

الخامس- وما كان الله معذبهم أي مهلكهم وقد علم أن لهم أولاداً وذرية يؤمنون ويستغفرون.

وفيه سادس- وما كان الله معذب من قد سبق له من الله الدخول [(٨)] في الإسلام. قاله ابن عباس.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال:٣٤-٣٥].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ في المكاء قولان:

أحدهما- أنه إدخال أصابعهم في أفواههم، قاله مجاهد[(٩)].

---

(١) في الأصل، ك: المشركين، وما أثبته من (ق) وهو الصواب.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) في (ك): و نزل.

(٤) أبو موسىٰ هو الأشعري. وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١١) والدر المنثور (٤/ ٥٥). فقـد كـان في هـذه الأمـة أمانـان مـن عذاب الله. النبي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي وبقي الاستغفار فليحافظ عليه.

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٥١٥).

(٦) في الأصل، ك: لوه. و الصواب ما أثبته، وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٤).

(٧) في (ك): لم يعذبهم.

(٨) عبارة الأصل،ك: من قد يسبق له الذكور في الإسلام. وما أثبته من (ق). وهذا القول فيها هو الرابع. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٦).

(٩) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٥). والمقصود ثم الصفير بها.

الثاني- هو أن يشبك بين أصابعه ويصفر في كفه بفمه فيكون المكاء هو الصفير.

ومنه قول عنترة.

وحليـــل غانيــةٍ تَرَكْــتُ مَجــدلا ** تمكــو فريصــته كشــدق الأعلــم[1]

أي تصفر بالريح لما طعنته.

وأما التصدية ففيها خمسة أقاويل:

أحدها- أنه التصفيق، قاله ابن عباس وابن عمر، والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومنه قول عمرو بن الأطنابة [2]:

وظلــوا جميعــاً لهــم ضــجة ** مكــاء لــدىٰ البيــت بالتصــدية[3]

الثاني- أنه الصد عن البيت الحرام. قاله سعيد بن جبير وابن زيد [4].

الثالـث- أنـه يتصدىٰ بعضـهم لـبعض ليفعـل مثـل فعلـه. ويصـفر لـه إن غفـل عنـه قالـه بعـض المتأخرين.

---

(١) في الأصل (ك): وخليل. بالخاء المعجمة وما أثبته من (ق). وهو الصواب والحليل الزوج، والأعلم: الجمل المشقوق الشفة العليا. وتمكو تصوت وتصفّر يصف سعة الطعنة وصوتها والبيت في ديوانه (٢٠٧) من معلقته، وتفسير الطبري (١٣/ ٥٢١) وابن عطية (٨/ ٥٧)، والدر المصون (٥/ ٦٠٠).

(٢) هو: عمرو بن الأطنابة الخزرجي، والأطنابة أمه وأبوه عامر بن زيد شاعر، فارس، جاهلي قديم كان من أشراف الخزرج، اعترف بشاعريته حسان بن ثابت من جميل شعره قوله:

أبــت لــي عفتــي وأبــىٰ بلائــي ** وأخــذ الحمــد بــالثمن الــربيح

واكراهــي علــىٰ المكــروه نفســي ** وضــربي هامــة البطــل المشــيح

وقــولي كلمــا جشــأت وجاشــت ** مكانــك تحمــدي أو تســتريحي

لأدفــع عــن مــآثر صــالحات ** وأحمي بعد عن عرض صحيحي

انظر: معجم الشعراء للمرزباني (٢٠٣) و معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د. عفيف عبد الرحمن. (٢٢١).

(٣) البيت في تفسير القرطبي (٤/ ٤٠١) وفي فتح القدير (٢/ ٣٠٦) وسمىٰ قائله عمر وهو وهم. والذي في النسخ الخطية (لذي البيت) بالذال، والظاهر "لدىٰ البيت" بالدال أي عند البيت، و كما في المراجع السابقة.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٢٧) وضعفه بقوله عنه: ((وذلك قول لا وجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل: صديت تصدية، وأما الصد فلا يقال منه: صديت إنما يقال منه صددت.. وقال الألوسي عنه (٩/ ٢٠٣) ((... وفيه بعد وأبعد من ذلك تفسير عكرمة لها بالطواف علىٰ الشمال بل لا يكاد يسلم)).

الرابع- أنها تفعله من صد يصد وهو الضجيج [(١)]. قاله أبو عبيدة ومنه قول تعالىٰ: ﴿إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزُّخرُف:٥٧] أي يضجون.

الخامس- أنه الصدىٰ الذي يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله. قاله ابن بحر [(٢)].

فإن قيل- لم سم الله تعالىٰ ما كانوا يفعلونه عند البيت بالمكاء والتصدية، صلاة وليس منها؟

قيل: عن [(٣)] ذلك جوابان:

أحدهما- أنهم كانوا يقيمون الصفير والتصفيق مقام الدعاء والتسبيح، فجعلوا ذلك صلاة، وإن لم يكن في حكم الشرع صلاة.

الثاني- أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة.

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- عذاب السيف يوم بدر. قاله الحسن والضحاك. وابن جريج وابن إسحاق [(٤)].

الثاني- أن يقال لهم في الآخرة: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما- فألقوا. الثاني- فجربوا.

وحكىٰ مقاتل بن سليمان [(٥)] في نزول هذه الآية أن النبي ﷺ كان إذا صلىٰ في المسجد الحرام [قام [(٦)]] من كفار بني عبد الدار بن قصىٰ رجلان عن يمين الرسول ﷺ يصفران كما يصفر المكاء.- و المكاء طائر- [(٧)] ورجلان منهم عن يساره. ويصفقان بأيديهما ليخلطوا عليه صلاته

(١) في (ك): "وهو الصحيح"، وهذا تصحيف. والذي في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٤٦) أن التصدية التصفيق، قال: التصفيق والتصفيح والتصدية شيء واحد.

(٢) ذكره أبو حيان (٤/ ٤٩٢) بقوله: وقال ابن بحر أن صلاتهم ودعاءهم غير رادين عليهم ثوابـًا إلا كما يجيب الصدىٰ الصائح. وقد استدل الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٤/ ٤٠٠) بالآية وأن فيها رد علىٰ الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون. وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت.

(٣) في (ك): من.

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٨).

(٥) "بن سليمان" من حاشية الأصل تصحيحـًا.

(٦) في الأصل، ك: فا. و الصواب ما أثبته.

(٧) المكاء: طائر نحو القنبرة في جناحيه بلق يجمع يديه ثم يصفر بهما. انظر: حاشية تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٦).

وقراءته فنزلت هذه الآية فيهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنفال:٣٦-٣٧].

قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنها نفقة قريش في قتال رسول الله ﷺ يوم بدر. قاله الضحاك[١].

الثاني- أنه أبو سفيان استأجر معه يوم أحد ألفين من الأحابيش من [٢] كنانة ليقاتل بهم رسول الله ﷺسوىٰ من إنجاش [٣] إليه من العرب. قاله سعيد ومجاهد، والحكم بن عيينة [٤] وفي ذلك يقول كعب بن مالك: [١٥٧/ ظ]:

وجينا إلىٰ موج من البحر وسطه ** أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن بصده ** ثلاث مئين إن كثرنا فأربع[٥]

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ ويحتمل الوجهين:

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٣).

(٢) في الأصل ك: "ومن" بالواو، والصواب ما أثبته من (ق) وتفسير الطبري (١٣/ ٥٣٠). والأحابيش هم: بنو الحارث ابن عبد مناف بن كنانة وعضل و الريش من بني الهون بن خزيمة، والمصطلق والحيا من خزاعة. انظر: المحبر لابن حبيب (٢٤٦-٢٦٧).

(٣) في تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٠) والدر المنثور (٤/ ٦٣): إستجاش. والمعنىٰ انحاز إلىٰ الجيش وانضم إليه.

(٤) كذا في النسخ ومثله في البحر المحيط (٤/ ٤٩٢) والصواب ما في تفسير الطبري (١٣/ ٥٣١) والدر المنثور (٤/ ٦٣): الحكم بن عتيبة.

(٥) البيتان في أسباب النزول للواحدي بتحقيق: السيد أحمد صقر ص (٢٢٤)، وتفسير الطبري (١٣/ ٥٣٠)، وقوله ((نحن بصده)) كذا في النسخ ما عدا (ق) ففيها ((نحن بقية)) وجاءت كذلك في تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٩٢). وعند ابن عطية (٨/ ٦١): ((قصية)) وفي روح المعاني (٩/ ٢٠٤) ((عصابة))، وفي سيرة ابن هشام (٣/ ١٤١)، و طبقات فحول الشعراء (١٨٣)، والدر المنثور ٤/ ٦٣) وتفسير الطبري، وأسباب النزول للواحدي: ((نصية))، وقال محمود شاكر في تعليقه: أي خيار أشراف: وخطّأ رواية ((إن كثرن فأربع)) علىٰ كثرتها بأن الصواب: ((إن كثرن وأربع)) أي أن عدة المسلمين سبعمائة. وذلك اعتماداً علىٰ رواية ابن إسحاق وابن سلام "وأربع"- بالواو- هي رواية ابن عطية في تفسيره.

أحدهما- يكون إنفاقها عليهم حسرة وأسفا عليها.

الثاني- تكون خيبتهم فيما أملوه من الظفر عليهم حسرة تحذرهم بعدها[١].

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ وعداً بالنصر فحقق وعده.

قوله ﷻ: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- الحلال من الحرام.

الثاني- الخبيث ما لم يُخرج منه حقوق الله تعالىٰ.

والطيب ما أخرجت منه حقوق الله تعالىٰ.

ويحتمل ثالثاً- أن الخبيت ما أنفق في المعاصي. والطيب ما أنفق في الطاعات.

﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي [٢] يجمعه في الآخرة وإن تفرق في الدنيا.

﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ أي يجعل بعضه فوق بعض ومنه قوله تعالىٰ ﴿يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ [النور:٤٣].

وفي قوله ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ - وإن كانت الأموال لا تعذب- وجهان:

أحدهما- أن يجعلها عذاباً في النار يعذبون بها كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾.. الآية [التوبة:٣٥].

الثاني- أنه يجعل أموالهم معهم في جهنم لأنهم استطالوا بها وتقووا علىٰ معاص الله فجعلها معهم في الذل والعذاب كما كانت لهم في الدنيا عزاً ونعيماً.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال:٣٨-٤٠].

قوله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما ينتهوا عن المحاربة إلىٰ الموادعة [٣]. يغفر لهم ما قد سلف من المؤاخذة والمعاقبة.

---

(١) وتحتمل: تخزوهم. فاللفظة غير واضحة.

(٢) في الأصل، ك: (أو)، والصواب ما أثبته حيث هو مقتضىٰ السياق.

(٣) في الأصل، ك: المواعدة. والصواب ما أثبته من (ق) وهو مقتضىٰ السياق.

الثاني- إن ينتهوا عن الكفر بالإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الآثام.

﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تأويله على احتمال الوجهين الأولين:

فعلى الوجه الأول تأويله- وإن يعودوا إلى المحاربة فقد مضت سنة الأولين فيمن قتل يوم بدر وأسر قاله الحسن، ومجاهد، والسدى.

وعلى الوجه الثاني- فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة فيما أخذهم الله في الدنيا من عذاب الاستئصال.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله ﷺ عام الفتح. وقال لهم: ما ظنكم فيّ؟ وما الذي ترون أني صانع بكم قالوا: ابن عم كريم، فإن تعف فذاك الظن بك، وإن تنتقم فقد أسأنا، فقال ﷺ: بل أقول كما قال يوسف لاخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢].

فأنزل الله تعالى هذه الآية. (فقال رسول الله ﷺ: اللهم كما أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً)[١].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال:٤١].

قوله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

ذكر الله تعالى الفيء في سورة الحشر، والغنيمة في هذه السورة. واختلفوا في الفيء والغنيمة[٢] على ثلاثة أقاويل:

أحدها- أن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين. والفيء ما ظهر عليه من الأرضين.

(١) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٢) في الأصل، ك: بالغنيمة.

قاله عطاء بن السائب [١].

الثاني- أن الغنيمة ما أخذتموه، والفيء ما أخذ عن صلح. قاله الشافعي، وسفيان الثوري [٢].

الثالث- أن الفيء والغنيمة [٣] سواء. وهو كل مال وصل من المشركين و آية الفيء التي هي في سورة الحشر منسوخة بآية الغنيمة في سورة الأنفال. قاله قتادة [٤].

وقوله تعالىٰ [٥]﴿مِّن شَيْءٍ﴾ يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح حواه المسلمون من أموال المشركين[٦].

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه استفتاح كلام بالله. ولله الدنيا والآخرة وما فيهما. ومعنىٰ الكلام: فإن للرسول خمسه. قاله الحسن، وعطاء وقتادة وإبراهيم [١٥٨/ و] والشافعي [٧].

وروىٰ نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذ بعث سرية فغنموا خُمِّس الغنيمة. فصرف ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ وإنما قوله: فإن لله خمسة مفتاح كلام الله، ولله ما في السموات وما في الأرض. فجعل سهم الله وسهم الرسول وحداً[٨].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٤٥).

(٢) انظر: آيات الأحكام للشافعيٰ (١٥٤). وتفسير الطبري (١٣/ ٥٤٥) ولم يرد قول الثوري في هذا الموضع في تفسيره برواية النهدي (١١٩).

(٣) في الأصل ك: الغنيمة- بدون واو.

(٤) رد هذا شيخ المفسرين: الطبري في تفسيره (١٣/ ٨٤٧) وأنه لا معنىٰ له لأنه لا تنافي بين الآيتين حتىٰ يصار إلىٰ النسخ. ولذا قال الإمام الشافعي في آيات الأحكام (١٥٦): "فاتفق الحكمان في سورة الحشر وسورة الأنفال- لقوم موصوفين- أن ما لهم من ذلك: الخمس لا غيره".

(٥) في الأصل،ك: وهو قوله تعالىٰ. والصواب ما أثبته من (ق).

(٦) لذا ورد عن مجاهد أن المخيط من الشيء. فتنبه إلىٰ أهمية الأمر وخطورته فمن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة.

(٧) انظر: آيات الأحكام للشافعيٰ (١٥٧) وتفسير الطبري (١٣/ ٥٤٨).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٤٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦) مطولاً وزاد نسبته إلىٰ الطبراني، وأبي الشيخ وابن مردويه وفيهما فضرب بدل: فصرف. وفي سنده نهشل بن سعيد بن وردان ضعيف، متروك الحديث قال عنه إسحاق بن إبراهيم: كان نهشل كذاباً.

الثاني- أن سهم الله مستحق لبيته [١]. ومعناه فإن لبيت الله خمسه وللرسول. وقد روىٰ الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي قال: كان رسول الله ﷺ يؤتىٰ بالغنيمة فيقسمها علىٰ خمسة تكون أربعة أجناس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم اسم الله تعالىٰ. ثم يقسم ما بقي علىٰ خمسة أسهم فيكون سهم للرسول ﷺ وسهم لذي القربىٰ، وسهم لليتامىٰ، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل [٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه مفتاح كلام اقترن بذكر الله وليس للرسول من ذلك شئ كما لم يكن لله تعالىٰ من ذلك شيء، وأن الخمس مقسوم علىٰ أربعة أسهم وهذا قول ابن عباس في رواية علي ابن أبي طلحة[٣].

الثاني- أن ذلك للرسول، وهو قول الجمهور.

واختلفوا في سهم رسول الله ﷺ بعده علىٰ خمسة أقاويل:

أحدها- أنه للخليفة بعده، قاله قتادة[٤].

الثاني- أنه لقرابة النبي ﷺ ميراثًا. وهذا قول من جعل النبي ﷺ موروثًا[٥].

الثالث- أن سهم[٦] الرسول ﷺ مردود علىٰ السهام الباقية ويقسم الخمس علىٰ أربعة[٧].

---

(١) في الأصل، ك: لنبيه، والصواب ما أثبته من (ق) وهو مقتضىٰ السياق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٥٠) ثم ضعفه لمخالفته قول الجمهور وما يلزم منه من قسمة الخمس علىٰ ستة أسهم. وهو قول انفرد به أبو العالية فيما يقال كما قال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٥٩) ولذا قال عنه ابن العربي (٢/ ٨٥٦)، أما قول أبي العالية "فليس من النظر في المرتبة العالية فإن الأرض كلها لله ملكًا وخلقًا وهي لعباده رزقًا وقسمًا...

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٥١) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) وهو قول علي ﷺ والحسن. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٨) والبحر المحيط (٤/ ٤٩٦).

(٥) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٨٥٦) غير منسوب ثم قال عنه: "إنه باطل بإجماع الصحابة، فإن فاطمة ﷺ أرسلت تطلب ميراثها من أبي بكر فقال لها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن لا نورث ما تركناه صدقة".

(٦) "سهم" سقطت من الأصل،ك.

(٧) اختاره الطبري (١٣/ ٥٥٩).

الرابـع- (أن ذلـك مصـروف في الكـراع [١] والسـلاح، روىٰ أن ذلـك فعـل أبـي بكـر وعمـر، رواه النخعي.

الخامس)- [٢] أن ذلك مصروف في مصالح المسلمين العامة. قاله الشافعي [٣].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ اختلف فيه علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنهم بنو هاشم، قاله مجاهد[٤].

الثاني- أنهم قريش كلها، روىٰ سعيد المقبري، قال: كتب نجدة إلىٰ ابن عباس يسأله عـن ذوي القربىٰ، قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس: كنا نقول إنّا هم فأبىٰ ذلك علينا قومنا، وقالوا: قـريش كلها ذوو قربىٰ [٥].

الثالث- أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، قاله الشافعي والطبري [٦].

واختلفوا في سهمهم اليوم علىٰ أربعة أقالويل:

أحدها- أنه لهم أبداً كما كان لهم من قبل، قاله الشافعي.

الثاني- أنه لقرابة الخليفة القيم بأمور الأمة [٧].

الثالث- أنه إلىٰ [٨] الإمام يضعه حيث يشاء.

الرابع- أن سهمهم وسهم رسول الله ﷺ مردود علىٰ باقي السهام وهي ثلاثة، قاله أبو حنيفة [٩].

وأما "اليتامىٰ" فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط [١٠].

---

(١) الكراع: جماعة الخيل. انظر: المصباح المنير (٢/ ٦٤٢).

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل،ك. وإثباته من (ق).

(٣) انظر: أحكام القرآن تنشافعىٰ (١٥٧). والأم (٤/ ٦٥).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٥٥). ورواه أبو عبيد في كتاب الأموال.

(٦) لحديث جبير بن مطعم. وفيه إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد"وبه قال الإمام أحمد. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٥-٥٥٦) و أحكام القرآن للشافعي (١٥٨). وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٣٦٠).

(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٥٦).

(٨) "إلىٰ" سقطت من الأصل، وفي (ك): أنه يضعه الإمام حيث يشاء.

(٩) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٩) و القرطبي (٨/ ١١).

(١٠) في الأصل،ك: أربع.

أحدها- موت الأب وإن كانت الأم باقية،لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات، ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء.

الثاني- الصغر، لقول رسول الله ﷺ: "لا يُتْمَ بعد حُلُم"[(١)].

الثالث- الإسلام لأنه مال المسلمين.

الرابع- الحاجة لأنه معد للمصالح [(٢)].

ثم فيهم قولان:

أحدهما- أنه لأيتام أهل الفيء خاصة.

والثاني- أنه لجميع الأيتام.

وأما المساكين فهم الذين لا يجدون ما يكفيهم.

وأما أبناء السبيل فهم المسافرون من ذوي الحاجات، والإسلام فيهم معتبر، وهل يختص بأهل الفيء؟ علىٰ القولين. وقال مالك: الخمس موقوف علىٰ رأي الإمام فيمن يراه أحق به. وإنما ذكرت هذه الأصناف لصدق حاجتها في وقتها[(٣)].

قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾..الآية. وهو يوم بدر فرق الله تعالىٰ فيه بين الحق والباطل.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ

(١) أخرجه أبو داوود (كتاب الوصايا، باب ما جاء متىٰ ينقطع اليتم (٣/ ١١٥) من حديث علي بن أبي طالب قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: (لا يتم بعد إحتلام، ولا صمات يوم إلىٰ الليل) قال عنه السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٦٩) رقم (١٣١٩) رواه أبو داود عن علي في حديث، وقد أعله غير واحد، وحسنه النووي بسكوت أبي داود عليه لا سيما وهو عند الطبراني في الصغير من وجه آخر عن علي. بل له شواهد عن جابر وأنس وغيرهما. وذكره ابن الأثير في جامع الأصول (١١/ ٦٤٢) رقم (٩٢٦٤). وقال محققه عبد القادر الأرناؤوط: فالحديث حسن بشواهده.

(٢) ذكر هذه الشروط ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١١).

لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال:٤١-٤٢].

قوله ﷻ: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني شفير الوادي ببدر، الأدنىٰ إلىٰ المدينة. [١٥٨/ ظ] ﴿وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ يعني شفير الوادي الأقصىٰ إلىٰ مكة. وقال الأخفش: عدوة الوادي هو ملطاط شفيره [1] الذي هو أعلىٰ من أسفله، وأسفل من أعلاه.

﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ يعني عير أبي سفيان أسفل الوادي. قاله الكلبي، علىٰ شاطئ البحر بثلاثة أميال [2].

﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ "فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- ولو تواعدتم أن تتفقوا مجتمعين لاختلفتم في الميعاد"[3] بالتقديم والتأخير والزيادة[4] أو النقصان من غير قصد لذلك.

والثاني- ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم مع قلة [5] عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، قاله ابن إسحاق. [6]

والثالث- ولو تواعدتم [7] من غير معونة الله تعالىٰ لكم لأخلفتم بالقواطع والعوائق في الميعاد[8].

---

(١) في الأصل، ك: ملطاط وشفيره- بالواو -وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦) قال: والملطاط والعدىٰ حافتا الوادي من جانبيه..

(٢) وهو قول قتادة ومجاهد و السدىٰ وغيرهم دون تحديد المسافة انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٣).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٤) والزيادة"سقطت من الأصل.

(٥) قوله "مع قلة عددكم"ساقط من الأصل،ك.

(٦) وهو قول الطبري- أيضًا- (١٣/ ٥٦٥).

(٧) في (ك) زيادة: ثم بلغكم كثرة عدوكم.

(٨) وهو قول المهدوي، ورجحه ابن عطية في تفسيره (٨/ ٧٦).

قوله ﷻ: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ﴾ فيه وجهان[١].

أحدهما- ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجة وليبقىٰ من بقىٰ عن قدرة.

الثاني ليكفر من قريش من كفر بعد الحجة ببيان ما وعدوا، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحة إيمانهم.

﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال:٤٣-٤٤].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن الله تعالىٰ أرىٰ نبيه ﷺ قلة المشركين عيانـًا، وقوله: ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ يريد في عينك التي هي محل النوم، قاله الحسن[٢].

والثاني- أنه ألقىٰ عليه النوم وأراه قلتهم [٣] في نومه، وهو الظاهر، وعليه الجمهور. وإنما أراه ذلك علىٰ خلاف ما هو به لطفا أنعم به عليه وعلىٰ أمته، ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم علىٰ عدوهم [٤] ولولا ذلك لما جازت هذه الحالة من الله تعالىٰ في نبيه ﷺ[٥].

﴿وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لاختلفتم في لقائهم أو الكف عنهم.

والثاني- لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم.

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٦٣) وأبي حيان (٤/ ٥٠١).

(٢) وهو قول أبي عبيدة في محاز القرآن (٢/ ٢٤٧) وذكره الطبري (١٣/ ٥٧٠) عنه بقوله: "زعم بعضهم" علىٰ عادته في تعمية أبي عبيدة وعدم تسميته وقال عن هذا ابن كثير (٢/ ٣١٥) وهذا القول غريب وقد صرح بالمنام ها هنا فلا حاجة إلىٰ التأويل الذي لا دليل عليه وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٦٣). وقد ضعفه ابن عطية (٨/ ٧٨).

(٣) في الأصل ك: "قتلهم" وفي (ق) فأراه قلتهم.

(٤) في (ق): علىٰ لقاء عدوهم.

(٥) لله الأمر كله، فلا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالىٰ، ولا يحكم علىٰ فعله.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما من الفشل.

الثاني من العدو [(١)].

وفيه ثالث- ولكن الله سلم أمره فيهم حتىٰ نفذ ما حكم فيهم به من هلاكهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ والفشل هو التقاعد عن القتال جبنًا.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- يريد بالريح القوة وَضَرَب الريح لها مثلاً [(٢)].

الثاني- يريد بالريح الدولة ومعناه فتذهب دولتكم، قاله أبو عبيدة [(٣)].

والثالث يريد ريح النصر التي يرسلها الله ﷻ لنصر أوليائه وهلاك أعدائه، قاله قتادة وابن زيد [(٤)].

ويحتمل رابعًا- أن الريح الهيبة، وريح القوم هيبتهم التي تتقدمهم كتقدم الريح، ويكون معنىٰ الكلام فتذهب ريحكم أي هيبتكم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن

---

(١) عبارة (ك): لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم ولكن الله سلم...

(٢) قاله الزجاج وبنحوه قال ابن عباس والسدىٰ. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٦٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٧).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٧) وابن الجوزي (٣/ ٣٦٥). واستدل له بحديث نصرت بالصبا. وأهلكت عاد بالدبور.

يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال:٤٧-٤٩].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ هم قريش حين خرجوا في حماية العير فنجا بها [(١)] أبو سفيان، فقال لهم أبو جهل: لا نرجع حتىٰ نرد بدراً وننحر جزوراً ونشرب خمراً وتعزف علينا القيان، فكان من أمر الله تعالىٰ فيهم ما كان.

قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال المفسرون: ظهر لهم في صورة سراقة [بن مالك][(٢)] بن جشعم من بني كنانة زيّن للمشركين أعمالهم.

يحتمل وجهين:

أحدهما- زين لهم شركهم.

والثاني- زين لهم قتال رسول الله ﷺ.

وفيه وجه ثالث- أنه زين [(٣)] لهم قوتهم حتىٰ اعتمدوها.

وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني أنكم الغالبون دون المؤمنين [(٤)].

﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- يعني أني معكم وفي جواركم ينالني ما نالكم.

الثاني- مجير لكم وناصر. فيكون علىٰ الوجه الأول من الجوار، وعلىٰ الوجه الثاني من الإجارة.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- فئة المسلمين وفئة المشركين.

والثاني- المسلمين [(٥)] ومن أمدوا به من الملائكة، فكانوا فئتين.

---

(١) في الأصل، ك: فنجاها. و المثبت من (ق) وهو أولىٰ.

(٢) زيادة من تفسير الطبري (١٤/ ٧).

(٣) عبارة الأصل، ك: "أنهم لهم" وهي مضطربة والصواب ما أثبته لمقتضىٰ السياق.

(٤) في الأصل، ك: المعاونين. ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) كذا في الأصل، ك: والمقصود فئة المسلمين وفئة الملائكة.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ والنكوص أن يهرب ذليلاً [١٥٩/ و] خازيـًا، قال الشاعر:

مـا ينفـع المسـتأخرين نكوصُـهم ** ولا ضـر أهـل السـابقات التقـدم[١]

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعنـي مـن الملائكـة الـذين أمـد الله بهـم رسوله والمؤمنين.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وإنما ذكر [٢] خوفه من الله تعالىٰ في هذا الموضع ولـم يـذكره في امتناعـه مـن السجود لآدم لأنه قد كان سأل الإنظار إلىٰ قيام الساعة فلما رأىٰ نـزول الملائكـة ببـدر تصـور قيـام الساعة فخاف فقال: "إني أخاف الله والله شديد العقاب".

قوله ﷻ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ وفي الـذين في قلـوبهم مرض [٣] ثلاثة أقاويل.

أحدها- أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة، قاله ابن عباس ومجاهد[٤].

والثاني- أنهم المشركون، قاله الحسن[٥].

الثالث- أنهم قوم مرتابون لـم يظهروا العداوة للنبي ﷺ بخلاف المنافقين [٦].

والمرض في القلب كله هو الشك، و هو مشهور في كلام العرب، قال الشاعر:

ولا مرضـا أبغيـه إني لصـائن ** لعرضـي ولـي في الأوليـة مفخـر[٧]

وقوله تعالىٰ: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني المسلمين.

﴿دِينُهُمْ﴾، يعني الإسلام، لأن الله تعـالىٰ قلـل المشـركين في أعـين المسـلمين ليقـدموا علـيهم،

(١) ذكره القرطبي من غير نسبة (٨/ ٢٧)، وفيه: وما ينفع والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣١٥).

(٢) في الأصل،ك: ذكرت.

(٣) ساقط من (ك).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٣)، وقد عدهم بأسمائهم مقاتل كما ذكر ذلك ابن الجوزي في تفسيره. (٣/ ٣٦٨).

(٥) تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٦٨).

(٦) نسبه ابن الجوزي للماوردي (٣/ ٣٦٨).

(٧) لم أقف علىٰ نسبته. وفي نسخة (ق): "الآلية"ويحتمل فيها "أتقية"بدل أبغيه.

وقلل المسلمين في أعين المشركين ليستهينوا بهم حتىٰ أظفر بهم المسلمين فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٥١﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١].

قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ فيه قولان:

أحدهما- يتوفاهم ملك الموت عند قبض أرواحهم، قاله مقاتل.

والثاني- قتل الملائكة لهم حين قاتلوهم يوم بدر [١].

﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ تأويله علىٰ الوجه الأول: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا واجهوهم، و أدبارهم إذا ساقوهم إلىٰ النار.

وتأويله علىٰ القول الثاني يحتمل وجهين:

أحدهما — يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا.

الثاني- أنهم جاءوهم من أمامهم وورائهم، فمن كان من أمامهم ضرب وجوههم، ومن كان من ورائهم ضرب أدبارهم.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٥٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝٥٤﴾ [الأنفال: ٥٢-٥٤].

قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (يحتمل خمسة أوجه:

أحدها- لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم علىٰ أعدائهم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم)[٢]،

(١) ذكرهما ابن الجوزي (٣/ ٣٦٨) ونسب آخرهما للماوردي وزاد إنهم ملائكة العذاب.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ك).

من الثقة به والتوكل عليه.

والثاني- لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته.

والثالث- لم يك مغيراً نعمته في الغنىٰ والسعة حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله تعالىٰ منه.

والرابع- لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.

الخامس- لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم من الإنقياد.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٥-٥٧].

(قوله ﷻ: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ ﴾... فيه وجهان:

أحدها- تصادفهم [(١)].

الثاني- تظفر بهم [(٢)].

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنذر بهم من خلفهم، قال الشاعر من هذيل:

أطـوّف في الأبـاطح كـل يـوم ** مخافـة أن يشـرد [(٣)] بـي حكـيم)[(٤)]

قوله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ يعني في نقض العهد.

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي فألق إليهم عهدك حتىٰ لا ينسبوك إلىٰ الغدر بهم والنبذ هو الإلقاء. قال الشاعر:

---

(١) ذكره القرطبي (٨/ ٣٠) عن بعض الناس.

(٢) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١٧٩).

(٣) في الأصل (ك): يشردني حكم. والبيت من غير نسبة في اللسان، مادة: شرد، و تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٨٠)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٧٢)، والقرطبي (٨/ ٣١) وحكيم رجل من بني سليم ولته قريش الأخذ علىٰ أيدي السفهاء..

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ق). ولم ترد بقية الأقوال في الأصل ك، ومنها: سمع بهم، أو نكل بهم.

فهـــن ينبـــذن مـــن قـــول يصـــبن بـــه ** مواقع الماء من ذي الغلة الصادي[(١)]

وفي قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ خمسة أوجه:

أحدها- علىٰ مهل، قاله الوليد بن مسلم [(٢)].

الثاني- [١٥٩/ ظ] علىٰ محاجرة [(٣)] بما يفعل بهم، قاله ابن بحر.

والثالث علىٰ استواء في العلم به [(٤)] حتىٰ لا يسبقوك إلىٰ فعل ما يريدونه بك..

الرابع علىٰ عدل من غير تحيف، واستشهد بقول الراجز:

فاضـــرب وجـــوه الغُـــدَّر الأعـــداء ** حتـــىٰ يجيبـــوك إلـــىٰ الســـواء[(٥)]

أي إلىٰ العدل.

والخامس- علىٰ الوسط واستشهد قائله بقول حسان:

يـــا ويـــح أنصـــار النبـــي ورهطـــه ** بعـــد المغيّـــب في ســـواء الملحـــد[(٦)]

يعني وسط اللحد.

وذكر مجاهد أنها نزلت في بني قريظة [(٧)].

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ

---

(١) ورد في اللسان مادة "صدىٰ" منسوبـًا للقطامي.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٦) ثم رده من جهة الدلالة اللغوية بقوله: "وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه "المهل" فما لا أعلم له وجها في كلام العرب.

(٣) كذا في الأصل، ك- بالراء- ولم يرد في (ق) وربما كان الصواب "محاجزة" يقال: حاجزوا عدوهم كافّوه، والمحاجزة قبل المناجزة.

(٤) (به) ساقطة من (ك)

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الطبري (١٤/ ٢٧)، والقرطبي (٨/ ٣٣) و ابن الجوزي (٣/ ٣٧٣) وصرح محقق تفسير الطبري الشيخ محمود شاكر بعدم معرفة قائله.

(٦) ديوانه ص (١٥٤).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٦).

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال:٥٩-٦٠].

قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- أن القوة ذكور الخيل، و رباط الخيل إناثها، وهذا قول عكرمة [(١)].

الثاني- القوة السلاح، قاله الكلبي [(٢)].

الثالث- القوة التصافي واتفاق الكلمة.

الرابع- القوة الثقة بالله تعالىٰ والرغبة إليه.

الخامس- أن القوة الرمي. روىٰ يزيد بن أبي حبيب عن أبي علي الهمداني عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ ألا إن القوة الرمي ثلاثـاً[(٣)].

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ علىٰ قول عكرمة إناثها خاصة [(٤)]. وعلىٰ قول الجمهور علىٰ العموم الذكور والإناث. وقد روىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لكم رسول الله ﷺ: (ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عز، وأجوافها لكم كنز).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٤)، وابن الجوزي (٣/ ٣٧٥) و البحر المحيط (٤/ ٥١٢) وروي عن مجاهد أيضـاً في الدر المنثور (٤/ ٨٤).

(٢) وهو قول السدىٰ. تفسير الطبري (١٤/ ٣٤).

(٣) في تفسير الطبري (١٤/ ٣٢): "يزيد بن أبي حبيب، وعبد الكريم بن الحارث. عن أبي علىٰ الهمداني". وهم ثقات. غير أن في سنده ابن لهيعة وقد ضعفوه كما ضعف الطبري (١٤/ ٣٧) سند هذه الرواية. لكن الحديث له طرق صحيحة أخرىٰ، فقد أخرجه مسلم- بشرح النووي (١٣/ ٦٤)، وأبو داود (٣/ ١٣) رقم (٢٥١٤). وابن ماجة رقم ٢٨١٣، والحاكم (٢/ ٣٢٨) وصححه ووافقه الذهبي،والطبري (١٤/ ٣٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٣) وزاد نسبته لأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي يعقوب القراب في كتاب فضل الرمي، والبيهقي في شعب الإيمان. قلت وينبغي ملاحظة إعجاز الآية في إيجازها مع شمولها لكل قوة مستطاعة مادية كانت أو معنوية أو تنظيمية يمكن إعدادها. وما ورد في الحديث فإنه لا يعني الحصر، وإنما هو ذكر لأبرز مظاهر القوة العسكرية المباشرة مع شموله لأنواع الرماية قديمها والجديد وما ذكره المفسرون إنما هو علىٰ سبيل التمثيل فعلىٰ المسلمين وقادتهم امتثال أمر الآية لرفع شأن الدين وحماية المسلمين، وإرهاب المعتدين.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٤)، وابن الجوزي (٣/ ٣٧٥) والبحر المحيط (٤/ ٥١٢) وروي عن مجاهد أيضـاً في الدر المنثور (٤/ ٨٤).

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- عدو الله بالكفر وعدوكم بالمباينة.

الثاني- عدو الله هو عدوكم لأن عدو الله عدو لأوليائه. والإرهاب التخويف.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- هم بنو قريظة، قاله مجاهد.

الثاني- أهل فارس، قاله السدي.

الثالث- المنافقون، قاله الحسن وابن زيد.

الرابع- الشياطين، قاله معاذ بن جبل.

الخامس- كل من لا تعرفون عداوته، قاله بعض المتأخرين [1].

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦١-٦٣].

قوله ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- وإن مالوا إلى الموادعة فمل إليها.

والثاني- وإن توقفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم.

والثالث- وإن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن [لم][2] تتحقق من باطن

(١) وقيل بأنهم اليهود قاله مقاتل، وقد رجح الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٧) أنهم الجن لأن من ذكر هنا يعلم المسلمون عداوتهم، والآية قالت: لا تعلمونهم. ورجح ابن كثير (٢/ ٣٢٢) و أبو حيان (٤/ ٥٢٣) أنهم المنافقون. ورده الطبري بان المنافقين لا تروعهم خيل المسلمين وسلاحهم وإنما يروعهم الإطلاع على سرائرهم. والأولى حمل الآية على العموم لتشمل كل من خفي على المؤمنين أمره ولم تظهر عداوته. راجع تفسير الطبري (١٤/ ٣٥) وابن الجوزي (٣/ ٣٧٥).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة على الأصل، ك يقتضيها السياق ولم يرد النص في (ق).

اعتقادهم، قاله الواقدي. وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنها عامة في موادعة كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥] قاله الحسن وقتادة وابن زيد.

الثاني- أنها في أهل الكتاب خاصة إذا بذلوا الجزية.

الثالث- أنها في قوم معينين سألوا الموادعة فأمر بإجابتهم [(١)].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال:٦٤-٦٦].

قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فيه وجهان:

أحدهما- حسبك و حسب من اتبعك من المؤمنين، الله، قاله الكلبي ومقاتل [(٢)].

الثاني- حسبك الله أن تتوكل عليه، والمؤمنون أن تقاتل بهم. قال الكلبي: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال:٦٧-٦٩].

قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ

---

(١) صحح الزمخشري (٢/ ١٦٦): "أن الأمر موقوف علىٰ ما يرىٰ فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلىٰ الهدنة أبداً. وقد رد الطبري القول بنسخ الآية (١٤/ ٤٢) وقال ابن كثير (٢/ ٣٢٣) إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة و كما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص". وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٧٦).

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٧٧).

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا﴾ يعني يقاتلوا ألفًا. قال مجاهد: و هذا يوم بدر جعل على كل رجل من [المسلمين] (١) قتال عشرة من المشركين، فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ (٢). وقال ابن بحر: معناه أن الله تعالىٰ ينصر كل رجل من المسلمين علىٰ عشرة من المشركين وقد مضىٰ تفسير هاتين الآيتين [١٦٠/ و] من قبل (٣).

قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهذا نزل في أسرىٰ بدر حين استقر رأي النبي ﷺ فيهم بعد مشاورة أصحابه علىٰ الفداء بالمال، كل أسير بأربعة آلاف درهم. فأنكر الله تعالىٰ ذلك عليه وأنه (٤) ما كان له أن يفادي الأسرىٰ (٥).

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- هو الغلبة والإستيلاء، قاله السدىٰ.

الثاني- هو كثرة القتل ليعتز به المسلمون ويذل به المشركون، قاله مجاهد.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني المال، سماه عرضًا لقلة بقائه.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعني العمل بما يوجب ثواب الآخرة(٦).

﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني ما أخذتموه من المال في فداء أسرىٰ بدر.

(وفي قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها- لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم فيما أخذوه من فداء أسرىٰ بدر عذاب عظيم، قاله مجاهد وسعيد بن جبير.

---

(١) زيادة من (ق).

(٢) بنحوه في تفسير الطبري (١٤/ ٥٤).

(٣) انظر: تفسير الآية (١٥) من سورة الأنفال.

(٤) في الأصل،ك: أنه بغير واو.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٦٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٢٨١) عن الماوردي.

والثاني- لولا كتاب من الله سبق في)[١] أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجلها[٢] من أهل بدر عذاب عظيم، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة[٣].

الثالث- لولا كتاب من الله سبق أي لا يعذب أحد بعمل أتاه علىٰ جهالة لمسكم[٤] فيما أخذتم عذاب عظيم، قاله ابن إسحاق[٥].

والرابع- لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن الذي آمنتم به المقتضي غفران الصغائر لمسكم[٦] فيما أخذتم عذاب عظيم[٧].

وكان النبي ﷺ شاور أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في أسرىٰ بدر، فقال أبو بكر: هم قومك وعشيرتك فاستبقهم لعل الله أن يهديهم، وقال عمر: هم أعداء الله وأعداء رسوله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم. فمال رسول الله ﷺ بعد انصرافه عنهم إلىٰ قول أبي بكر وأخذ فداء الأسرىٰ ليتقوىٰ به المسلمون، وقال: أنتم عالة- يعني المهاجرين- فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر لما نجا غيرك[٨].

ثم إن الله سبحانه بين تحليل الغنائم والفداء بقوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧٠-٧١].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٢) في الأصل ك: تعجيلها. و المثبت من (ق).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٦٦).

(٤) في الأصل ك: الآية.

(٥) في الأصل ك: الآية.

(٦) وهو قول مجاهد انظر: الطبري (١٤/ ٦٩-٧٠).

(٧) ذكره أبو حيان (٤/ ٥١٩) عن الماوردي.

(٨) انظر: الروايات في قصة المفاداة في تفسير الطبري (١٤/ ٦٣) والدر المنثور (٤/ ١٠٤) وأسباب النزول للواحدي (ص ٢٣٥)، وما عرضه المؤلف هنا إيجاز لبعضها.

قولـه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أجلّ مما أخذ منكم [١].

الثاني- أكثر مما أخذ منكم.

قيل إن هذه الآية نزلت لما أسر العباس بن عبد المطلب مع أسرىٰ بدر وأخذ منه رسول الله ﷺ فداء نفسه وابني أخويه عقيل ونوفل.

فقال: يا رسول الله كنت مسلمـًا وأخرجت مكرها ولقد تركتني فقيراً أتكفف الناس: قال: فأين الأواني التي دفعتها سراً لأم الفضل عند خروجك؟.

فقال: إن الله ليزيدنا ثقة بنبوتك. قال العباس: فصدق الله وعده فيما آتاني وإن لي لعشرين مملوكـًا كل مملوك يضرب بعشرين ألفـًا في التجارة فقد أعطاني الله ﷻ خيراً مما أخذ مني يوم بدر [٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾[الأنفال:٧٢].

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنىٰ با لله.

﴿وَهَاجَرُواْ﴾ يعني هاجروا وتركوا ديارهم في طاعة الله.

﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ والمجاهدة بالمال: النفقة والمجاهدة بالنفس: القتال. وهؤلاء هم المهاجرون مع النبي ﷺ إلىٰ المدينة. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ يعني

---

(١) كذا في الأصل، ك. ولم يرد النص في (ق). ولعلها تصحيف، وأن المراد "أحل" بالحاء. أي أجل وأطيب كما ورد ذلك في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٨٤)؛ لأنها بالجيم بمعنىٰ ما بعدها.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٣٨) من رواية الكلبي. بنحوه. وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١١٢) وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٨٥) وأبي حيان (٤/ ٥٢٠).

الأنصار الذين آووا المهاجرين في منازلهم ونصروا النبي ﷺ ونصروهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- أولئك بعضهم أعوان بعض، قاله الجمهور.

الثاني- أولئك بعضهم أولىٰ بميراث بعض. قال ابن عباس: جعل الله تعالي الميراث [١٦٠/ ظ] للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ يعني مالكم من ميراثهم من شيء حتىٰ يهاجروا فكانوا يعملون بذلك [١] حتىٰ أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ يعني في الميراث فنسخت التي قبلها وصار التوارث لذوي الأرحام، قاله مجاهد وعكرمة والحسن السدىٰ [٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال:٧٣].

قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بعضهم أنصار بعض، قاله قتادة وابن إسحاق.

والثاني- بعضهم وارث بعض، قاله ابن عباس وأبو مالك [٣].

﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.. (فيه تأويلان:

أحدهما- إلا تناصروا أيها المؤمنون تكن فتنة في الأرض)[٤] يعني بغلبة الكفار

---

(١) في (ك) يعلمون ذلك.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٧٨)، وابن الجوزي (٣/ ٣٨٥). و أبي حيان (٤/ ٥٢٠).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٨٤)، و ابن الجوزي (٣/ ٣٨٦).

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعف الإيمان، قاله ابن إسحاق وابن جريج [١].

والثاني- إلا تتوارتوا بالإسلام والهجرة ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ باختلاف الكلمة ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بتقوية الخارج على الجماعة، قاله ابن عباس وابن زيد[٢]. والله أعلم[٣].



(١) في (ك): وابن جرير و المثبت في الأصل، (ق). وتفسير الطبري (١٤/ ٨٦-٨٧).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٨٦).

(٣) لم ترد في (ك).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة

وهي سورة مدنية عند جميعهم [١] روي عن ابن عباس أن سورة براءة تسمىٰ علىٰ عهد رسول الله ﷺ الفاضحة يعني للمنافقين.

وحكىٰ محمد بن إسحاق أنها كانت تسمىٰ في زمن رسول الله ﷺ وبعده "المبعثرة"[٢] مما كشفته من سرائر الناس [٣]. وهي مدنية عند جميعهم.

قال مقاتل وحده: إلا آيتين من آخرها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.... [التوبة:١٢٨] نزلت بمكة.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة:١-٢].

قوله ﷻ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ في ترك افتتاح هذه السورة بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود لأن الأولىٰ في ذكر العهود، والثانية في رفع العهود، وهذا قول أبي بن كعب. قال ابن عباس: وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك وضعت في السبع الطول. وحكاه عن عثمان بن عفان ؓ [٤].

---

(١) حكىٰ ابن عاشور في تفسيره (١٠/ ٩٧) الاتفاق علىٰ ذلك. ولذا حكم بشذوذ ما روي عن مقاتل: أن آيتين من آخرها مكيتان. وقد استثنىٰ بعضهم قوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ وأنها نزلت حين قال النبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.

(٢) في الأصل وك: المبعثر، وهو تصحيف.

(٣) لهذه السورة الكريمة أربعة عشر اسماً أشهرها "براءة" تسمية لها بأول كلمة منها، والتوبة لأنه ورد فيها توبة الله تعالىٰ علىٰ الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك. ومن أسمائها: المنفرة، الحافرة، المخزية البحوث، المدمدمة، المقشقشة، وغيرها. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٨٩) وبصائر ذوي التمييز (١/ ٢٢٧) و تفسير ابن عاشور (١٠/ ٩٥).

(٤) أولي التعليلات ما ذكره ابن عطية في تفسيره (٨/ ١٢٤) فيما روي عن أبي بن كعب أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل سورة، ولم يأمرنا في هذا بشيء فلذلك لم نضعه نحن".

=

الثاني: أن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت برفع الأمان، وهو قول ابن العباس [(١)]، ونزلت سنة تسع وأنفذها رسول الله ﷺ مع علي بن أبي طالب ﷺ ليقرأها في الموسم مع [(٢)] توجه أبئ بكر ﷺ إلىٰ الحج. وكان أبو بكر صاحب الموسم، وقال النبي ﷺ : [(لا يبلغ عني إلا رجل مني[(٣)]) حكىٰ ذلك الحسن وقتادة وجاهد.

وحكىٰ الكلبي أن الذي أنفذه رسول الله ﷺ] [(٤)] من سورة براءة عشر آيات من أولها.

وحكىٰ مقاتل أنها تسع آيات تقرأ في الموسم، فقرأها علي ﷺ في يوم النحر علىٰ جمرة العقبة[(٥)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ وجهان:

أحدهما- أنها انقطاع العصمة منهما.

=

وأما ما أشار إليه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رواية ابن عباس عن عثمان بن عفان ولم يذكرها فهو يشير إلىٰ ما اشتهر من حديث ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم أن عمدتم إلىٰ الأنفال.... الحديث" فهو ضعيف متنًا وسنداً. فأما متنًا فإن جبريل عليه السلام- قد عارض الرسول ﷺ القرآن قبل وفاته مرتين فلن يخفىٰ الحال مع هذه المعارضة ثم إن فيها تشكيكًا في إثبات البسملة في أوائل السور كأن عثمان ﷺ يثبتها برأيه، وينفيها برأيه. وأما سنداً فهو ضعيف لجهالة يزيد الفارسي الذي رواه عن ابن عباس يقول أحمد شاكر في تعليقه علىٰ المسند (١/ ٣٩٩): "في إسناد هذا الحديث نظر كثير بل هو عندي ضعيف جداً بل هو حديث لا أصل له...". راجع: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٨٩)، و الطاهر بن عاشور (١٠/ ١٠١).

(١) كذا في الأصل،ك، وفي (ق) :"أبو العباس"، وقد نص ابن عطية في تفسيره (٨/ ١٢٤) علىٰ أنه قوله للمبرد وهو أبوالعباس. فلعله المرد وهو قول علي بن أبي طالب وسفيان بن عيينة. وأما ابن عباس فالمشهور عنه القول الأول. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٩٠)، والدر المنثور (٤/ ١٢٢).

(٢) في (ق): بعد.

(٣) أخرج هذا المعنىٰ الطبري في تفسيره (١٤/ ١٠٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٢) في جملة روايات. والمتقرر أن أبا بكر سار أميراً، وعليـاً مبلغـاً فلكل منهما ﷺ فعله وفضله. انظر: تفسير ابن الجوزي (١٣/ ٣٩١)، وابن عاشور (١٠/ ٩٨).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل،ك، وزيادته من (ق).

(٥) وقع الاختلاف في عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول براءة علىٰ خمسة أقوال، فقيل غير ما ذكر: سبع. قاله عطاء، و قيل ثلاثون قاله أبو هريرة، وأربعون قاله علي والسدئ. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٠٨)، وابن الجوزي (٣/ ٣٩١)، و السيوطي (٤/ ١٢٢).

الثاني- أنها انقضاء عهدهما.

[آثم قال][1] ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وهذا أمان.

وفي قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجهان:

أحدهما- تصرفوا فيها كيف شئتم.

الثاني- سافروا فيها حيث أردتم.

وفي السياحة وجهان:

أحدهما- أنها السير علىٰ مهل.

الثاني- أنها البعد علىٰ وجل.

واختلفوا فيمن جعل له أمان هذه الأربعة أشهر علىٰ أربعة أقاويل:

أحدها- أن الله تعالىٰ [جعلها][2] أجلاً لمن كان رسول الله ﷺ قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب، فأما من لا أمان له فهو حرب، قاله ابن إسحاق.

والثاني- أن الأربعة أشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها، ومن كان [١٦١/ و] عهده أقل منها رفع إليها، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلىٰ سلخ المحرم لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ قاله ابن عباس والضحاك وقتادة.

والثالث- أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة، المعاهد منهم، وغير المعاهد قاله الزهري ومحمد[3] بن كعب ومجاهد.

الرابع- أن الأربعة أشهر عهد وأمان [لمن][4] لم يكن له من رسول الله ﷺ عهد ولا أمان،

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ق).

(٢) زيادة من (ق).

(٣) في الأصل، ك: سعيد بن كعب. و الصواب ما أثبته من (ق). والمراد: محمد بن كعب القرظي.

(٤) زيادة من (ق).

فأما أصحاب العهد فهم علىٰ عهودهم إلىٰ انقضاء مدتهم، قاله الكبي[1].

واختلفوا في أول مدة الأربعة أشهر علىٰ ثلاثة أقاويل[2].

أحدها- أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر، قاله محمد[3] بن كعب ومجاهد والسدي.

الثاني- أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، قاله الزهري.

الثالث- أن أولها يوم العشرين من ذي القعدة وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول؛ لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة وفيها حجة الوداع، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من النسيء، فأقره النبي ﷺ فيه حتىٰ نزل تحريم النسيء وقال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض)[4].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي لا تعجزونه هرباً ولا تفوتونه طلباً.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما في الدنيا بالسيف لمن حارب، و الجزية لمن استأمن.

والثاني- في الآخرة بالنار.

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة:٣].

قوله ﷻ: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾.. الآية. في الأذان هاهنا ثلاثة أقاويل:

---

(١) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٩٣). وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٩٦-١٠٢). فقد رجح أن الآية لأهل العهد الذين نقضوا عهدهم قبل مدتهم، وأما من كان له عهد فعهده إلىٰ مدته.

(٢) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي (٣/ ٣٩٤) ثم ضعف قول الزهري لأنه لو كان كذلك لم يجز تأخير إعلامهم به إلىٰ ذي الحجة إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام ووقع عنده وهم في آخرها إذ جعل أوله العاشر من ذي القعدة وآخره العاشر من ربيع. ثم زاد قولاً رابعاً أنها الأشهر الحرم: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قاله ابن عباس.

(٣) في (ك): مجاهد. وهو وهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٤٥٩)، (٨/ ٢٤٤)، ومسلم رقم (١٦٧٩) وغيرها من حديث أبي بكرة ﷺ في حجة الوداع.

أحدها- أنه القصص، وهذا قول تفرد به سليمان بن موسىٰ الشامي [١].

الثاني- أنه النداء بالأمر الذي يسمع بالآذان [٢]، حكاه عليٰ بن عيسىٰ.

الثالث- أنه الإعلام، وهذا قول الكافة.

وفي ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها-: أنه يوم عرفة، وهذا قول عمر بن الخطاب ﷺ وقول ابن المسيب وعطاء. وروىٰ ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة وقال: (هذا يوم الحج الأكبر)[٣].

والثاني- أنه يوم النحر، قاله عبد الله بن أبي أوفىٰ، وقاله المغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي [٤].

وروىٰ مرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ عليٰ ناقته الحمراء فقال: (أتدرون أي يوم هذا[٥]؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر [٦].

والثالث- أنها أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، قاله مجاهد وسفيان. قال سفيان: كما يقال يوم الجمل، يوم صفين، أي أيامه كلها [٧].

واختلفوا في تسمية يوم الحج الأكبر عليٰ ثلاثة أقاويل [٨].

---

(١) في الأصل، ك: النشاي. و المثبت من (ق) وإن لم تنقط فيها الشين، وتفسير الطبري (١٤/ ١١٢) وهو سليمان بن موسىٰ الأموي الدمشقي فقيه الشام في زمنه. توفي سنة (١١٥) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٦).

(٢) في الأصل، ك: يسع به الأذن. و المثبت من (ق).

(٣) هذا الحديث من مرسلات التابعي الثقة: محمد بن قيس بن مخرمة أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١١٥/ ١١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٩) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١١٦)، وابن الجوزي (٣/ ٣٩٦). وهذا القول هو اختيار الطبري (١٤/ ١٢٧).

(٥) هذا" سقطت من الأصل، ك. وزيادتها من (ق).

(٦) أخرجه الطبري في تفسير (١٤/ ١٢٥) فذكر نحوه، و مرة هو: مرة الهمداني. والرجل من أصحاب النبي ﷺ لعله عبد الله بن مسعود. انظر: تعليق الشيخ محمود شاكر عليٰ تفسير الطبري (١٤/ ١٢٥).

(٧) سفيان هو الثوري كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٩٦) وفيه "وعن مجاهد كالأقوال الثلاثة".. وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٢٧) وقد رد هذا القول (١٤/ ١٢٨) بأنه ليس الأشهر الأعرف من كلام العرب..

(٨) ذكرها الطبري في تفسيره (١٤/ ١٢٨) ورجح آخرها. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٣٩٦).

أحدها- أنه سمي بذلك لأنه كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين، ووافق أيضـًا عيد اليهود والنصارىٰ، قاله الحسن.

والثاني- أن الحج الأكبر القِران، و الأصغر الإفراد، قاله مجاهد.

الثالث- أن الحج الأكبر هو الحج، والأصغر هو العمرة، قاله عطاء والشعبي.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٤-٥].

قوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾..الآية. في الأشهر الحرم قولان:

أحـدهما- أنـه رجـب وذو القعـدة وذو الحجـة والمحـرم، ثلاثـة سـرد وواحـد فـرد، و هـذا قول الجمهور.

والثاني- أنها الأربعة الأشهر التي جعلها الله تعالىٰ أن يسيحوا فيها آمنين وهـي عشـرون مـن ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر، قاله الحسن[1].

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما في حل أو حرم.

والثـاني- في الأشـهر الحـرم أو في غيرهـا والقتـل وإن كـان بلفـظ الأمـر فهـو علـىٰ وجـه التخيير لوروده بعد حظر اعتباراً بالأصلح.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ فيه وجهان [١٦١/ ظ]:

أحدهما- علىٰ التقديم والتأخير، وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم.

الثاني- أنه علىٰ سياقه من غير تقديم ولا تأخير، وتقديره: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم. ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ علىٰ وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين.

---

(١) وهو قول السدي، انظر: الطبري (١٤/ ١٣٦). وابن الجوزي (٣/ ٣٩٨).

وفي قوله: ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ وجهان:

أحدهما- أنه استرقاقهم.

والثاني- أنه الفداء بمال أو شراء.

﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن يطلبوا في كل مكان فيكون القتل إذا وجدوا، والطلب إذا بعدوا.

والثاني- أن يفعل بهم كل ما أرصده الله تعالىٰ لهم فيما حكم به تعالىٰ عليهم من قتل أو استرقاق أو مفاداة أو منّ ليعتبر فيها فعل الأصلح منها.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ أي أسلموا، لأن التوبة من الكفر تكون بالإسلام.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أي اعترفوا بإقامتها، وهو مقتضىٰ قول أبي حنيفة، لأنه لا يقتل تارك الصلاة إذا اعترف بها.

الثاني- أنه أراد فعل الصلاة، و هو مقتضىٰ قول مالك والشافعي، لأنهما يقتلان تارك الصلاة وإن اعترف بها.

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني اعترفوا بها علىٰ الوجهين معـًا، لأن تارك الزكاة لا يقتل مع الاعتراف بها وتؤخذ من ماله جبراً، و هذا إجماع.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [التوبة:٦].

قوله ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾.... الآية: فيه وجهان:

(أحدهما- استغاثك فأغثه.

الثاني- استأمنك فأمنه.

﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما) [١] – أنه عنىٰ سورة براءة خاصة ليعلم ما فيها من حكم المقيم علىٰ العهد وحكم الناقض له، والسيرة في المشركين، والفرق بينهم وبين المنافقين.

الثاني– يعني القرآن كله، ليهتدي به من ضلاله ويرجع به عن كفره [٢].

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ يعني إن أقام علىٰ الشرك وانقضت مدة الأمان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما– الرشد من الغي.

والثاني– استباحة دمائهم عند انقضاء مدة أمانهم.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة:٧].

قوله ﷻ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾... الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما إذا لم يعطوا أمانـًا.

الثاني– إذا غدروا وقاتلوا.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها– أنهم قوم من بني بكر من كنانة، قاله ابن إسحاق [٣].

والثاني– أنهم قريش، وهو قول ابن عباس [٤].

والثالث– خزاعة، قاله مجاهد [٥].

والرابع– بنو ضمرة، قاله الكلبي [٦].

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ك).

(٢) وهو قول مجاهد كما ذكر الطبري في (١٤/ ١٣٩).

(٣) ورجحه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٤٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٤٤).

(٦) نسبه ابن الجوزي لابن عباس (٣/ ٤٠٠) فلعله من رؤية الكلبي.

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ يعني فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا عليه، فدل على أنهم إذا نقضوا العهد سقط أمانهم وحلَّت دماؤهم.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة:٨].

قوله ﷻ ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يقووا حتى يقدروا على الظفر بكم، وفي الكلام محذوف وتقديره: كيف يكون لكم عهد.

﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لا يخافون، قاله السدي.

الثاني- لا يراعون[1].

﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ وفي الإل سبعة تأويلات.

أحدها- أنه العهد، وهو قول ابن زيد.

والثاني- أنه اسم الله تعالى، وهو قول مجاهد. ويكون معناه لا يرقبون الله فيكم.

والثالث- أنه اليمين، قاله قتادة وأبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل:

أفسد الناس خُلُوفٌ خلفوا ** قَطَعوا الإلَّ وأعراق الرحم[2]

الرابع- أنه الجوار، قاله الحسن.

الخامس- أنه القرابة، قاله ابن عباس والسدي، ومنه قول حسان:

وأقسم إن إلْكَ من قريش ** كإلِّ السقْبِ من رأْل النعام[3]

---

(١) ذكره ابن الجوزي (٣/ ١٠١) منسوباً لقطرب، وزاد ثالثاً: لا يحفظوا.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٨) منسوبا وأورده شاهداً على أن الإل يأتي بمعنى القرابة.

(٣) ديوانه (٤٠٧)، تفسير الطبري (١٤/ ١٤٩)، وابن الجوزي (٣/ ٤٠٢) وفيهما: لعمرك بدل "وأقسم". والقرطبي (٨/ ٧٩) والسقب ولد الناقة ساعة يولد، والرأل ولد النعام. و البيت في هجاء أبي سفيان قبل إسلامه، والمعنى: ما قرابتك من قريش إلا كقرابة الفصيل من ولد النعام، أي لست منهم وليسوا منك.

وفيه سادس- أن الإل العهد والعقد والميثاق واليمين، وأن الذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له، قاله بعض البصريين [١].

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ في الذمة ثلاثة أوجه:

أحدها- الجوار، قاله ابن بحر.

الثاني- أنه التذمم ممن لا عهد له، قاله بعض البصريين.

والثالث- أنه العهد وهو قول أبي عبيدة [٢].

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبىٰ قلوبهم إلا الغدر.

والثاني- يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبىٰ قلوبهم إلا المعصية.

والثالث- يرضونكم بأفواههم في الوعد بالإيمان [وتابىٰ قلوبهم إلا][٣] الشرك، [لأن النبي ﷺ لا][٤] يرضيه [١٦٢/ و] من المشركين إلا الإيمان.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما في نقض العهد وإن كان جميعهم بالشرك فاسقًا.

والثاني- أكثرهم فاسق في دينه وإن كان كل دينهم فسقًا.

﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة:٩-١١].

---

(١) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٥٣). وقد جاءت الأقوال في نسخة (ق) سبعة بإضافة قول أنه معنىٰ الحلف ونسب لقتادة وهو بمعنىٰ القول الثالث.

(٢) وهو قول ابن عباس، و ابن جبير، وقتادة والضحاك، والمشهور من قول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن (١/ ٢٥٣) وتفسير الطبري (١٤/ ١٤٩) والقرطبي (٨/ ٧٩) أنه التذمم ممن لا عهد له، وهو القول الثاني هنا. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٠٣).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ك. وزيادته من (ق).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ك. وزيادته من (ق).

قوله ﷻ: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ في آيات [الله] [١] تعالىٰ ها هنا وجهان:

أحدهما- حججه ودلائله.

والثاني- آيات التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ.

والثمن القليل: ما جعلوه من ذلك بدلاً.

وفي صفته بالقليل وجهان:

أحدهما- لأنه حرام، و الحرام قليل.

والثاني- لأنها من عروض الدنيا التي بقاؤها قليل.

وفيمن أريد بهذه الآية قولان:

أحدهما- أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان علىٰ طعامه، وهذا قول مجاهد[٢] ومن زعم أن الآيات حجج الله تعالىٰ.

والثاني- أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة[٣].

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- عن دين الله تعالىٰ في المنع منه.

والثاني عن طاعة الله تعالىٰ في الوفاء بالعهد.

والثالث عن قصد بيت الله حين أحصر بالحديبية.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة:١٢].

قوله ﷻ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾ أي نقضوا عهدهم [٤] الذي عقدوه بأيمانهم.

---

(١) زيادة علىٰ ما في الأصل، ك.

(٢) كما في تفسير الطبري (١٤/ ١٥١)، و ابن الجوزي (٣/ ٤٠٣).

(٣) قاله أبو صالح كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٠٣).

(٤) في الأصل، ك: عهودهم، والمثبت من (ق).

﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- إظهار الذم له.

والثاني- إظهار الفساد فيه [١].

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنهم رؤساء المشركين.

والثاني- انهم زعماء قريش، قاله ابن عباس.

والثالث- أنهم الذين كانوا قد هموا بإخراج رسول الله ﷺ. قاله قتادة.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ قراءة الجمهور بفتح الألف، من اليمين لنقضهم إياها، وقرأ ابن عامر[٢]: (إنهم لا إيمان لهم) بكسر الألف، وهي قراءة الحسن، وفيها إذا كسرت وجهان [٣]:

أحدهما- أنهم كفرة لا إيمان لهم.

والثاني- انهم لا يعطون أماناً.

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [التوبة:١٣-١٦].

قوله ﷻ: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنها الخيانة، قاله قتادة.

والثاني- أنهم البطانة، قاله قطرب ومقاتل، ومنه قول الشاعر:

---

(١) فالطعن في الدين أن يعاب قال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٠٤): "وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام لأن المأخوذ عليه ألا يطعن فيه".

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣١٢)، ومعجم القراءات القرآنية (٣/ ١٠).

(٣) ذكرهما الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٨٢) و ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٠٤).

وجعلت قومك دون ذاك وليجة ** ساقوا إليك الخير غير مشوب[(١)]

والثالث- أنه الدخول في ولاية المشركين، من قولهم ولج فلان في كذا إذا دخل فيه قال طرفة ابن العبد:

رأيت القوافي يتلجن موالجا ** تضايق عنها أن تولجها الإبر[(٢)]

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة:١٧-١٨].

قوله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ يعني المسجد الحرام. وفيه وجهان:

أحدهما ما كان لهم أن يعمروه[(٣)] بالكفر لأن مساجد الله تعالىٰ تعمر بالإيمان.

والثاني ما كان لهم أن يعمروه بالزيارة له والدخول إليه[(٤)].

﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- أن فيما يقولونه ويفعلونه دليل علىٰ كفرهم كما يدل عليه إقرارهم علىٰ ذلك منهم هو شهادتهم علىٰ أنفسهم، قاله الحسن.

والثاني- شاهدين علىٰ رسول الله ﷺ بالكفر لأنهم كذبوه وأكفروه وهو من أنفسهم، قاله الكلبي.

والثالث- أن النصراني إذا سئل ما أنت؟ قال: نصراني، واليهودي إذا سئل قال: يهودي، وعابد الوثن يقول: مشرك، وكان هؤلاء كفار وإن لم يقروا بالكفر، قاله السدي.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ في الآية. وفي هذه المساجد قولان:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ديوانه ص (٤٧) وفيه "تضيق" ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٥٤) واللسان مادة "ولج" وفيه "تضايق" ويتلجن: يدخلن، و الموالج: المداخل

(٣) في (ق) يعمروها.

(٤) و من العمارة بناؤه وإصلاحه.

أحدهما- أنها مواضع السجود من المصلىٰ، فعلىٰ هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- - بالمحافظة علىٰ إقامة الصلاة.

والثاني- بترك الرياء.

والثالث- بالخشوع والإعراض عما يلهي.

والقول الثاني: أنها بيوت الله تعالىٰ المتخذة لإقامة الصلوات، فعلىٰ هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- [1] إنما يعمرها بالإيمان من آمن بالله تعالىٰ.

والثاني- إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالىٰ.

والثالث- إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالىٰ[2].

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [١٦٢/ ظ] فيه وجهان:

أحدهما- أنه قال ذلك لهم تحذيراً من فعل ما يخالف هدايتهم.

والثاني- أن كل (عسىٰ) من الله واجبة وإن كانت من غيره ترجيـًا، قاله ابن عباس والسدي[3].

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة:١٩-٢٢].

قوله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني بعمارته السدانة والقيام به.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾..الآية. لأن قريشـًا فضلت ذلك علىٰ الإيمان بالله، فرد الله تعالىٰ ذلك عليهم

(١) زيادة من (ق).

(٢) هذه الأقوال تفسير بالمثال. فعمارة المساجد تشمل كا ذلك وما في معناه من نظاقتها و العناية بها، ومدارسة العلم فيها، وغير ذلك.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٦٨) وابن الجوزي (٣/ ٤٠٨) والإتقان للسيوطي (٢/ ٢٤١)، ولا يجب علىٰ الله تعالىٰ شيء، وإنما هو سبحانه المنعم المتفضل. والمقصود أنها متحققة.

وأعلمهم أنهما لا يستويان، وأن ذلك مع الكفر محبط، وحكىٰ مقاتل أن هذه الآية نزلت في العباس ابن عبد المطلب، وهو صاحب السقاية، وفي شيبة بن عثمان وهو صاحب السدانة وحاجب الكعبة أُسرا يوم بدر فعيرا بالمقام علىٰ الكفر بمكة وأغلظ لهما المهاجرون، فقالا نحن أفضل منكم أجراً نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فنزل فيهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة:٢٣-٢٤].

قوله ﷻ: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾..الآية.

قوله: ﴿ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا ﴾ يعني اكتسبتموها.

﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ فيها وجهان:

أحدهما- أنها أموال التجارات إذا نقص سعرها أو كسد سوقها.

الثاني- انهن البنات الأيامىٰ إذا كسدن عند آبائهن ولم يحظين[1].

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾ وهذا نزل في قوم أسلموا بمكة فأقاموا بها ولم يهاجروا إشفاقاً علىٰ فراق ما ذكره الله تعالىٰ ميلاً إليه وحباً له فذمهم الله تعالىٰ علىٰ ذلك وقال: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه فتح مكة، قاله مجاهد.

(١) كذا في (ق) وفي الأصل، ك: يحبطهن، فلعلها تحريف للفظة "يخطبن" وهو قول ابن المبارك، وهو قول بعيد تعقبه أبو حيان في تفسيره (٥/ ٢٢) بقوله: "وتفسير ابن المبارك بأن ذلك إشارة إلىٰ البنات اللواتي لا يتزوجن لقلة خطابهن تفسير غريب ينبو عنه اللفظ".

والثاني- بأمره من عقوبة عاجلة وآجلة، قاله الحسن(١).

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾.. الآية. وفي السكينة ثلاثة أقاويل:

أحدها-: أنها الرحمة، قاله علي بن عيسىٰ(٢).

والثاني- أنها الأمن والطمأنينة.

والثالث- أنها الوقار، قاله الحسن.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- الملائكة.

والثاني- أنه تكثيرهم في أعين أعدائهم، وهو محتمل(٣).

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بالخوف والحذر(٤).

والتانىٰ- بالقتل والسبي.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُوا۟

---

(١) تفسير أبي حيان (٣/ ٢٢)، وقد نبهت الآية الكريمة علىٰ أن هذه الأمور الأربعة حب الأقارب، والأموال، والتجارة، والمساكن، هي سبب مخالطة الكفار وعدم الهجرة وكان يجب أن تكون مراعاة أمر الله ورسوله هو المقدم علىٰ كل ذلك.

(٢) وهو قول الزمخشري في تفسيره (٢/ ١٨٢).

(٣) هذا التعبير إشارة إلىٰ أنه قول المؤلف.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤١٦) عن الماوردي.

ﭐلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٨-٢٩].

قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها- أنجاس الأبدان كنجاسة الكلب والخنزير، قاله عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الحسن مثله، وأوجب الوضوء علىٰ من صافحهم[١].

الثاني- أنه سماهم أنجاساً لأنهم يجنبون[٢] ولا يغتسلون فصاروا لوجوب الغسل عليهم كالأنجاس وإن لم تكن أبدانهم أنجاساً، قاله قتادة[٣].

الثالث- أنه لما كان علينا أن نتجتنبهم كما نجتنب الأنجاس ونمنعهم من مساجدنا كما نمنعها من الأنجاس صاروا بالاجتناب في حكم الأنجاس، وهذا قول كثير من أهل العلم[٤].

الرابع- أن النجس هاهنا الأخباث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة، قاله مقاتل.

﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ فيه قولان:

أحدهما- سنة تسع من الهجرة وهو العام الذي حج بالناس فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٥].

الثاني- سنة عشر[٦] وهي حجة الوداع. قاله قتادة[٧].

ثم في منع المشركين منه قولان:

أحدهما- أن جميعهم ممنوع منه من حربي وذمي. قاله الجمهور.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤١٧) عن الماوردي.

(٢) في الأصل، ك: يجيبون. وهو تصحيف.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٩١)، و ابن الجوزي (٣/ ٤١٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤١٧). وصححه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٩٢)..

(٦) في الأصل، ك: ستة عشر. والصواب ما أثبته.

(٧) ذكره أبو حيان في تفسيره (٥/ ٢٨).

الثاني- أنهم ممنوعون منه إلا الذمي والعبد المملوك للمسلم. قاله جابر بن عبد الله وقتادة[(١)].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ضَيْعة من تقوتونه من العيال.

الثاني- يعني بالعيلة الفقر والفاقة بمنع المشركين من الحرم. قال الشاعر [(٢)]:

ومـــا يـــدري الفقيـــر متـــىٰ غنـــاه ** ومـــا يـــدري الغنـــي متـــي يعيـــل [(٣)]

وفي قراءة ابن مسعود "عائلة"[(٤)] يعني خصلة شاقة [١٩٣/ و] يقال تعالىٰ الأمر إذا شق واشتد.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها- - بالمطر والنبات [(٥)].

الثاني- بالجزية المأخوذة منهم [(٦)]. قاله مجاهد وقتادة.

الثالث- أنه علىٰ العموم في كل ما يغني[(٧)].

وقوله سبحانه: ﴿إِن شَآءَ﴾ يعلمهم أن الغنىٰ لا يكون بالاجتهاد والسعي وإنما هو من الله سبحانة في إغناء من شاء حثاً علىٰ طاعته وتحذيراً من معصيته [(٨)].

---

(١) ذكره أبو حيان في تفسيره (٥/ ٢٨). وللعلماء خلاف في المسألة مبناه الاقتصار علىٰ النص أو القياس عليه وتوسيع دلالته فمن قال إن النهي خاص بالمشركين وبالمسجد الحرام أباح دخوله لليهود والنصارىٰ وكذا دخول المشركين سائر المساجد. وهو مذهب أبي حنيفة. ومن قاس علىٰ المشركين غيرهم وعلىٰ المسجد الحرام غيره من المساجد منع الجميع من دخول جميع المساجد وهو قول مالك. وذهب الشافعي إلىٰ أنها عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارىٰ والمشركين سائر المسجد.

(٢) هو أحيحة بن الجلاح الأوسي الجاهلي.

(٣) ديوانه. دراسة وجمع وتحقيق/ د. حسن محمد با جودة ص(٧٤). والبيت من غير نسبة في تفسير الطبري (١٤/ ١٩٢)، و مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٥٥).وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٤١٨).

(٤) قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في كتابه مختصر في شواذ القراءات (٥٢) وانظر: معجم القراءات القرآنية (٣/ ١٤).

(٥) في الأصل: بالمطر في النبات. والمثبت من (ك).

(٦) أي من أهل الكتاب. وانظر: في تفسير الطبري (١٤/ ١٩٥) وابن الجوزي (٣/ ٤١٨).

(٧) في الأصل: وكل ما يغني. والمثبت من (ك). وهو الأولىٰ في المعنىٰ ويكون ما ذكر من باب التفسير بالمثال لا الحصر

(٨) يشهد له قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ق سورة الطلاق (٢-٣).

قوله ﷻ: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾..الآية. فإن قيل: فأهل الكتاب قد آمنوا بالله واليوم الآخر، فكيف قال ذلك فيهم؟

فعنه جوابان:

أحدهما- أن إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بجميع حقوقه فكانوا لترك الإقرار بحقوقه كمن لم يقر به [١].

الثاني- أنه ذمهم ذم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته وهم في الذم بالكفر كغيرهم.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه ما أمر الله سبحانه وتعالىٰ بنسخة من شرائعهم.

الثاني ما أحله الله لهم وحرمه عليهم.

ولا يدينون دين الحق

والحق هاهنا هو الله تعالىٰ [٢] وفي المراد بدينه في هذا الموضع وجهان: أحدهما العمل بما في التوراة من إتباع الرسول، قاله الكلبي.

الثاني- الدخول في دين الإسلام لأنه ناسخ لما سواه من الأديان، وهو قول الجمهور.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني من أبناء [٣] الذين أوتوا الكتاب.

الثاني- من الذين أوتوا الكتاب بين أظهرهم لأنهم في اتباعه كآبائهم.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- حتىٰ يضمنوا الجزية وهو قول الشافعي لأنه يرىٰ الجزية تجب بانقضاء الحول وتؤخذ "بعده.

---

(١) نقله ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤١٩) عن الماوردي.

(٢) قاله قتادة كما في تفسير أبي حيان (٥/ ٢٩) و ابن الجوزي (٣/ ٤١٩).

(٣) في النسخ "آباء" وقد وردت في نسخة الأصل في الحاشية مصححة إلىٰ أبناء. وهو الصواب.

الثانى- حتىٰ يدفعوا الجزية. قاله أبو حنيفة لأنه يرىٰ أن الجزية تجب بأول الحول وتؤخذ"[١] معه [٢] وفي الجزية وجهان:

أحدهما- أنها من الأسماء المجملة لا يوقف علىٰ علمها[٣] إلا بالبيان.

الثاني- أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها علىٰ عمومها إلا ما خص بالدليل.

ثم قال تعالىٰ: ﴿عَن يَدٍ﴾ وفيه أربعة تأويلات:

أحدها- عن غنىٰ وقدرة.

والثاني- أنها من عطاء لا يقابله جزاء، قاله أبو عبيدة [٤].

الثالث- أن يروا أن لنا في أخذها منهم يداً عليهم بحقن دمائهم بها.

والرابع- يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم كما يفعله المتكبرون[٥].

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها- أن يكونوا قياماً والآخذ لهم جالساً، قاله عكرمة[٦].

والثاني- أن يمشوا بها وهم كارهون، قاله ابن عباس [٧].

والثالث- أن يكونوا أذلاء مقهورين، قاله الطبري [٨].

والرابع- أن دفعها هو الصغار بعينه [٩].

والخامس- أن الصغار أن تجري عليهم أحكام الإسلام قاله الشافعي[١٠].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ك).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٠٠)، و تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٢٢) وأبي حيان (٥/ ٣٠).

(٣) في الأصل، ك: "عملها" والمثبت من (ق) وهو الصواب.

(٤) بل يقابلها أمانهم ورد أعدائهم. والذي في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٥٦) أنها الإعطاء عن قهر ومن غير طيب نفس.

(٥) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٢٠) عن الماوردي.

(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٠).

(٧) ضعفه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٠١) بقوله: "وذلك قول روي عن ابن عباس من وجه فيه نظر".

(٨) تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٠).

(٩) ذكره الطبري (١٤/ ٢٠١) من غير نسبة لقائل.

(١٠) انظر: أحكام القران الإمام الشافعىٰ ص (٦٠) وقد علله بقوله: لامتناعهم من الإسلام فإذا جرىٰ عليهم حكمه فقد شعروا بما يجري عليهم منه.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾.. الآية. أما قول اليهود ذلك فسببه أن بختنصر لما أخرب بيت المقدس أحرق التوراة حتىٰ لم يبق بأيديهم شيء منها، ولم يكونوا يحفظونها بقلوبهم. فحزنوا [(١)] لفقدها وسألوا الله تعالىٰ ردها عليهم، فقذفها الله في قلب عزير، فحفظها وقرأها عليهم فعرفوها فلأجل ذلك قالوا إنه ابن الله.

واختلف فيمن قال ذلك علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- أن ذلك كان قول جميعهم، وهو مروي عن ابن عباس.

والثاني- أنه قول طائفة من سلفهم [(٢)].

والثالث- أنه قول جماعة كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ واختلف فيهم علىٰ قولين:

أحدهما- أنه فنحاص [(٣)] وحده، ذكر ذلك عبيد بن عمير [(٤)] وابن جريج.

الثاني- أنهم جماعة، وهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفىٰ [(٥)] وشاش [(٦)] بن قيس ومالك

---

(١) في الأصل. ك: يخونوا.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٢٤) عن الماوردي.

(٣) في الأصل، ك: فيحاص.

(٤) كذا هنا وفي تفسير الطبري (١٤/ ٢٠١) عبد الله بن عبيد بن عمير، فعبد الله مكي ثقة، وأبوه عبيد قاضي مكة مجمع علىٰ ثقته. انظر: تقريب التهذيب (٣١٢، ٣٧٧).

(٥) كذا هنا وتفسير الطبري (١٤/ ٢٠٢) وابن عطية (٨/ ١٦٢) والدر المنثور (٤/ ١٧١). وفي نسخة (ق): ونعمان بن أبي أوفى. وقد سبق التعريف به (٢/ ٨٢٤) وبسلام ابن مشكم (١/ ٣٥٨).

(٦) كذا هنا وفي تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٢) شأس بالهمز وفي تفسير ابن عطية (٨/ ١٦٢)، والدر المنثور (٤/ ١٧١) بدون همز: شاس وهو أحد رؤساء يهود بني قريظة وسفيرهم في محاولة الصلح مع رسول الله ﷺ. راجع حاشية سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٦).

ابن الصيف [١]. وهذا مروي عن ابن عباس.

فإن قيل: فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلىٰ جميعهم؟ [١٦٣/ ظ]

قيل: لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم [٢].

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وهذا قول جميعهم واختلف في سبب قولهم لذلك علىٰ قولين:

أحدهما- أنه لما خلق من غير ذكر من البشر قالوا إنه ابن الله تعالىٰ الله عن ذلك.

الثاني- أنهم قالوا ذلك لأجل من أحياه من الموتىٰ وأبرأه من المرضىٰ.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ معنىٰ ذلك -وإن كانت الأقوال كلها من الأفواه- أنه لا يقترن به دليل ولا يعضده برهان، فصار قولاً[٣] لا يتجاوز الفم فلذلك خص به.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ يضاهئون [٤] أي يشابهون، مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء إذ لم تحض تشبيهاً بالرجال ومنه ما جاء في الحديث: (أجرأ الناس علىٰ الله تعالىٰ الذين يضاهئون خلقه)[٥] أي يشبهون به.

وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها- أن قولهم ذلك يضاهي قول عبدة الأوثان في اللات والعزىٰ ومناة وأن الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني- قول النصارىٰ المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود عزير ابن الله، قاله الطبري[٦].

(١) في الأصل، ك: الضيف. والمثبت من (ق) والمراجع في الحاشية السابقة.

(٢) فهو قولهم بلسان المقال أو بلسان الحال. وأجيب أيضاً أن إيقاع اسم الجماعة علىٰ الواحد معروف في اللغة تقول: جئت علىٰ البغال، و أنت لم تركب إلا واحداً.

(٣) في الأصل،ك: قول. و المثبت من (ق).

(٤) يضاهئون – بالهمز قراءة عاصم وحده. وقرأ الباقون يضاهون بغير همز. السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣١٤).

(٥) أخرجه البخاري بنحوه من حديث عائشة، كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير (١٠/ ٣٨٧).

(٦) انظر: تفسيره (٤/ ٢٠٧) وهو قول السدي وابن جريج.

والثالث- أنهم في تقليد أسلافهم يضاهون قول من تقدمهم، قاله الزجاج.

﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها-: معناه لعنهم الله، قاله ابن عباس [1] ومنه قول عبيد بن الأبرص:

قاتلهـــا الله تلحـــاني وقـــد علمـــت ** أني لنفســـي إفســـادي وإصـــلاحي[2]

والثاني- معناه قتلهم الله، قاله بعض أهل العربية [3].

والثالث- أن الله تعالىٰ فيما أعده لعذابهم وبينه من عداوتهم التي هي [في][4] مقابلة عصيانهم وكفرهم كأنه مقاتل [5] لهم.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ معناه كيف يصرفون عن الحق إلىٰ الإفك وهو الكذب.

قوله ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أما الأحبار فهم العلماء، واحدهم حبر سمي بذلك لأنه يحبر المعاني أي يحسنها بالبيان عنها.

وأما الرهبان فجمع راهب، مأخوذ من رهبة الله تعالىٰ وخشيته، غير أنه صار لكثرة الاستعمال يتناول نساك النصارىٰ.

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنىٰ آلهة، لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم، وتحليل ما يحللونه لهم، فلذلك صاروا لهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب، وقد روي مثل ذلك عن النبي ﷺ [6].

---

(١) ذكره الطبري (٤/ ٢٠٧) وذكر عنه أن كل شئ في القرآن قتل، فهو لعن.

(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٥٣) منسوبـًا لأبان بن تغلب.

(٣) وهو قول أبي عبيدة في محاز القرآن (١/ ٢٥٦). وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢١٧) وقد عده الطبري بهذا المعنىٰ من نادر الكلام الذي جاء علىٰ غير القياس لأن فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلاً إلا من اثنين.

(٤) زيادة من (ق).

(٥) في الأصل، ك. "مقابل كذا" بالباء وما أثبته أصوب فلعله تصحيف وفي (ق): كالمقاتل لهم. وقد ذكر ابن الجوزي (٣/ ٤٢٥) أن القول الثالث: عاداهم الله.

(٦) كما في حديث عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا
=

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].

قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ وفي نوره قولان:

أحدهما- أنه القرآن والإسلام، قاله الحسن وقتادة.

والثاني- أنه أياته ودلائله لأنه يهتدىٰ بها كما يهتدىٰ بالأنوار.

وإنما خص ذلك بأفواههم لما ذكرنا من قبل أنه ليس يقترن بقولهم دليل [(١)].

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ وليس يريد تمامه من نقصان لأن نوره لم يزل تامـًا. ويحتمل المراد به وجهين.

أحدهما – إظهار دلائله.

والثاني- معونة أنصاره[(٢)].

قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ يعني محمداً ﷺ أرسله الله إلىٰ خلقه بالهدىٰ [ودين الحق][(٣)].

وفيهما أربعة تأويلات:

أحدها- أن الهذي البيان، ودين الحق الإسلام، قاله الضحاك.

= ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قلت يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم: فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال: قلت: بلىٰ، قال: فتلك عبادتهم. قلت: فدلت الآية ودل الحديث علىٰ أن الطاعة في المعصية عبادة، وكما قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح القدير (٢/ ٣٥٣): في هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله (وإيثار) ما يقوله الأسلاف علىٰ ما في الكتاب والسنة المطهرة فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه، ونطقت به كتبه وأنبياؤه هو كاتخاذ اليهود والنصارىٰ للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله.

(١) راجع تفسير آية / ٣٠.

(٢) وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٢١٤) أي يعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسونه.

(٣) زيادة من (ق).

الثاني- أن الهدىٰ الدليل، ودين الحق المدلول عليه.

والثالث- معناه بالهدىٰ إلىٰ دين الحق.

والرابع- أن معناهما واحد وإنما جمع بينهما تأكيداً لتغاير اللفظين.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها- [يعنىٰ][1] عند نزول عيسىٰ ﷺ فإنه لا يعبد الله تعالىٰ إلا بالإسلام، قاله أبو هريرة.

والثاني معناه أن يعلمه [2] شرائع الدين كلها ويطلعه عليها قاله ابن عباس.

والثالث- ليظهر [3] دلائله وحججه، وقد فعل الله تعالىٰ ذلك، وهذا قول كثير من العلماء.

الرابع- ليظهره [١٦٤/ و] برغم المشركين من أهله.

الخامس- أنه وارد علىٰ سبب، وهو أنه كان لقريش رحلتان: رحلة الصيف إلىٰ الشام ورحلة الشتاء إلىٰ اليمن والعراق، فلما أسلموا انقطعت عنهم الرحلتان للمباينة في الدين فذكروا، ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يعني في بلاد الرحلتين، وقد أظهره الله تعالىٰ فيهما.

السادس- أن الظهور الاستعلاء، ودين الإسلام أعلىٰ الأديان كلها وأكثرها أهلاً، قد نصره الله بالبر والفاجر والمسلم والكافر. فروىٰ الربيع بن أنس عن الحسن أن النبي ﷺ قال: (إن الله بؤيد دينه بأقوام مالهم في الآخرة من خلاق)[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

(١) زيادة من (ق).

(٢) أي الرسول -عليه الصلاة والسلام- فالمعنىٰ ليظهر الله رسوله علىٰ الدين كله ويطلعه عليه ويعلمه إياه.

(٣) في الأصل، ك: ليظهره والمثبت من (ق).

(٤) من مراسيل الحسن، ولم يرد في تفسيره المجموع المطبوع للدكتور: محمد عبد الرحيم. وقد أخرج البخاري في كتاب الجهاد من حديث أبي هريرة (٦/ ١٧٩): (... إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) في حديث طويل.

وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

قولــه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.. الآية. فيه قولان:

أحدهما- أنه أخذ الرشا[1] في الحكم، قاله الحسن.

الثاني- أنه علىٰ العموم في أخذه بكل وجه محرم [2].

وإنما عبر عن الأخذ بالأكل لأن ما يأخذونه من هذه الأموال هي أثمان ما يأكلون، وقد يطلق علىٰ أثمان المأكول إسم الأكل، قال الشاعر:

ذري الآكلين الماء لؤماً فما أرىٰ ** ينالون خيراً بعد أكلهم الماء[3]

أي: ثمن الماء [4].

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه منعهم من الحق في الحكم بقبول الرشا.

الثاني- أنه منعهم أهل دينهم من الدخول في الإسلام بإدخال الشبهة عليهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

وفي هذا الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقاويل:

أحدها- أن الكنز كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته، سواء كان مدفوناً أو غير مدفون، قاله ابن عمر والسدي والشافعي والطبري [5].

والثاني- الكنز ما زاد علىٰ أربعة آلاف درهم، أديت منه الزكاة أم لم تؤد. قاله علي بن أبي

(١) الرشا بضم الراء وكسرها جمع رشوة.

(٢) وهو في معنىٰ قول القاضي أبي يعلىٰ كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٢٨).

(٣) ورد في تاج العروس مادة أكل (٧/ ٢٠٩) غير منسوب. وصدره: من الأكلين الماء ظلماً فما أرىٰ... يريد قوماً كانوا يبيعون الماء فيشترون بثمنه ما يأكلونه فاكتفىٰ بذكر الماء الذي هو سبب المأكول عن ذكر المأكول نفسه.

(٤) في الأصل،ك: أي من الماء.

(٥) كما في تفسير الطبري (١٤/ ٢١٧، ٢٢٣) ورجحه الشوكاني (٢/ ٣٥٦).

طالب ﷺ قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز[(١)].

والثالث- أن الكنز ما فضل [(٢)] من المال عن الحاجة إليه. وروىٰ عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال: لما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾... الآية. قال النبي ﷺ: (تبـاً للذهب والفضة)، قال: فشق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: فأي المال نتخذ؟ فقال عمر ابن الخطاب: أنا أعلم لكم ذلك، فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم، وقالوا: فأي المال نتخذ؟ فقال: (لسانا ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم علىٰ دينه)[(٣)].

وروىٰ قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال: مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ: (كية) ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي ﷺ: (كيتان)[(٤)].

والكنز في اللغة هو كل شئ مجموع بعضه إلىٰ بعض سواء كان ظاهراً علىٰ الأرض أو مدفونـاً فيها، ومنه كنز البر، قال الشاعر:

لا دَرَّ دَرىٰ إن أطعمتُ نازلهم ** قِرْفَ الحَتِي وعندي البر مكنوز[(٥)]

الحتي: سويق المقل. يعني وعندي البر مجموع.

فإن قيل: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، فذكر جنسين ثم قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ والهاء كناية ترجع إلىٰ جنس واحد، ولم يقل: ولا ينفقونهما لترجع الكناية إليهما.

---

(١) كما في تفسير الطبري (١٤/ ٢١٩) وقال عنه الزمخشري (٢/ ١٥٠) أنه كلام في الأفضل. وقال عنه القرطبي (٨/ ١٢٥): لا يصح.

(٢) في الأصل، ك: كلما فضل عن المال.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٢١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٨) من حدين ثوبان. ونسبه لأحمد والترمذي وحسنه و ابن ماجه وابن أبي حاتم وابن شاهين في الترغيب في الذكر وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية. وفي سنده انقطاع بين سالم بن أبي الجعد وثوبان. فلم يسمع سالم من ثوبان لأنه لم يلقه، وتحسين الترمذي له لشواهده.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٢٢) وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٢) وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٥٣).

(٥) البيت للمتنخل الهذلي في تاج العروس مادة "كنز" (٤/ ٧٥). ومن غير نسبة في تفسير القرطبي (٨/ ١٢٣). والزاهر لابن الأنباري (١/ ٤٩٦).

فعن ذلك جوابان:

أحدهما- أن الكناية راجعة إلىٰ الكنوز، وتقديره: ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله تعالىٰ.

والثاني- أنه قال ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام علىٰ اشتراكهما فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١]، ولم يقل إليهما، وكقول الشاعر [(١)]:

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ ** ـود ما لم يعاص كان جنونا

ولم يقل يعاصيا.

ثم إن الله تعالىٰ غلظ حال الوعيد [١٦٤/ ظ] بما ذكره بعد هذا من قوله:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ وإنما غلظه بهذا الوعيد [لما][(٢)] [١٦٤/ ظ] في طباع النفوس من الشح بالأموال ليسهل لهم تغليظ الوعيد إخراجها في الحقوق.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾.. الآية. يعني شهور السنة، وإنما كانت إثني عشر [(٣)] شهراً لموافقة الأهلة ولنزول الشمس والقمر في إثني عشر [(٤)] برجـًا يجريان فيها بحساب [(٥)] متفق كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(١) قائله حسان بن ثابت، انظر: ديوانه (٤١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٢٥٨) وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٣٠)، والقرطبي (٨/ ١٢٨).

(٢) "لما زيادة من (ق).

(٣) في الأصل، ك: إثنا عشر. والمثبت من (ق).

(٤) في الأصل، ك: في الإثنا عشر.. و المثبت من (ق).

(٥) في (ق): علىٰ حساب.

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ يعني أن من الإثني عشر شهراً أربعة حرم، يعني بالحرم تعظيم انتهاك المحارم فيها، وهو ما رواه صدقة بن يسار عن ابن عمر قال: "خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنىٰ في وسط أيام التشريق فقال: (أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، أولهن رجب مضر بين جمادىٰ وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم) [١].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستقيم [٢]، قاله ابن قتيبة.

والثاني- يعي القضاء الحق المستقيم، قاله الكلبي [٣].

﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- فلا تظلموها بالمعاصي لله تعالىٰ في الشهور الإثني عشر كلها، قاله ابن عباس.

والثاني- فلا تظلموها بمعاصي الله في الأربعة الأشهر، قاله قتادة.

والثالث- فلا تظلموا أنفسكم في الأربعة الأشهر الحرم بإحلالها بعد تحريم الله تعالىٰ لها، قاله الحسن[٤] و ابن إسحاق.

والرابع- فلا تظلموا فيها أنفسكم أن [٥] تتركوا فيها قتال عدو كم، قاله ابن بحر [٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٣٤) وفي سنده هذا موسىٰ بن عبيدة الربذي، وهو منكر الحديث، ضعيف جداً. لكن الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها عند تفسير الآية (٨/ ٣٢٤) من رواية أبي بكرة. وأخرجه مسلم في صحيحه (١١/ ١٦٧)- بشرح النووي.

(٢) في (ق): المستوفى، وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٨٥): المستوىٰ.

(٣) وفي تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٣٣): "قاله ابن عباس" فهو من رواية الكلبي عنه.

(٤) الحسن: هو الحسن بن محمد بن علىٰ كما في تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٩).

(٥) في (ك): أي.

(٦) ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا هو عن نوع الظلم، وعن مرجع الضمير في قوله "فيهن" وقد رجح الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٤/ ٢٤٠) أن الكناية عائدة إلىٰ الأربعة الأشهر، إذ لو أريد الإثنا عشر شهراً لكان ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهَا أَنفُسَكُمْۚ﴾. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٣٥).

فإن قيل: فلم جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض؟ [١]

قيل: ليكون كفهم فيها عن المعاصي، ذريعة إلىٰ استدامة الكف في غيرها، توطئة للنفس علىٰ فواتها[٢] مصلحة منه في عباده ولطفاً بهم

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة:٣٧].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾. أما النسيئ في الأشهر فهو تأخيرها، مأخوذ من بيع النسيئة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ أي نؤخرها.

وفي نسيء الأشهر قولان:

أحدهما- أنهم كانوا يؤخرون السنة أحد عشر يوماً حتىٰ يجعلوا المحرم صفراً، قاله ابن عباس.

والثاني- أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل سنتين شهراً.

قال مجاهد[٣]: فحج المسلمون في ذي الحجة عامين [ثم حجوا في المحرم عامين][٤] ثم حجوا في صفر عامين، ثم في ذي القعدة عامين الثاني منهما حجة أبي بكرﷺ قبل حجة النبي ﷺ ثم حج النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض)[٥] وكان المنادي بالنسئ في الموسم: من[٦] بني كنانة علىٰ ما حكاه أبو عبيدة، وقال شاعرهم عمير بن قيس[٧]:

(١) في الأصل، ك: من بعد. و المثبت من (ق).

(٢) في (ق): فراقها.

(٣) في (ق): قاله مجاهد.

(٤) زيادة من (ق).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٤٩).

(٦) في (ق): بنو كنانة. وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٥٨) أنهم بنو نقيم من كنانة.

(٧) هو عمير بن قيس بن جذل الطعان الكناني، ذكره المرزباني في معجم الشعراء (٢٤٣) وقال عنه أنه كان يفخر بالنسئ =

ألســـنا الناســـئين علـــىٰ معـــد ** شـــهور الحـــل نجعلهـــا حرامـــا

واختلف في أول من نسأ الشهور منهم، فقال الزبير بن بكار: أول من نسأ الشهور نعيم[١] ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

وقال أيوب بن عمر الغفاري: أول من نسأ الشهور القلمس[٢] الأكبر وهو عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، وآخر من نسأ الشهور إلىٰ أن نزل هذا التحريم سنة عشر أبو ثمامة جنادة بن عوف وينادي إذا نسأ الشهور في كل عام، ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب[٣] فحرم الله سبحانه بهذه الآية النسئ وجعله زيادة في الكفر.

ثم قال تعالىٰ: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا فيحرموا أربعة أشهر كما حرم الله تعالىٰ [١٦٥/ و] أربعة أشهر.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن الله تعالىٰ زينها بالشهرة لها والعلامة المتميزة بها لتجتنب.

الثاني- أن أنفسهم والشيطان زين لهم ذلك بالتحسين والترغيب ليواقعوها، وهو معنىٰ قول الحسن.

= للشهور الحرم وكان ذلك إليهم في الجاهلية ثم أورد الشاهد هنا، وقبله:

لقـــد علمـــت معـــد أن قـــومي ** كـــرام النـــاس إن لهـــم كرامـــا

فـــأي النـــاس لـــم نســـبق بـــوتر ** وأي النـــاس لـــم نعلـــك لجامـــا

والأبيات في تفسير ابن عطية (٨/ ١٨٠) لجذل الطعان. والبيت في تفسير القرطبي (٨/ ١٣٨) منسوب للكميت.

(١) ساقط من الأصل، ك: حيث ورد فيها القول الثاني مكرراً، وغير واضح في (ق) وقد ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٣٥) عن الفراء، وهو قول الكلبي.

(٢) القلمس وصف لكل ناسئ للشهور، قال ابن حبيب في كتابه المحبر (١٥٦): نسأة الشهور من كنانة وهم القلامسة واحدهم قلمس، وكانوا فقهاء العرب والمفتين لهم في دينهم ثم ذكر أن أول من نسأ الشهور: حذيفة بن عبد بن نهم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم أبنائه فكان آخرهم: جنادة بن عوف بن أمية بن قلع وهو الذي ذكره الماوردي هنا، واتصل بالإسلام.

(٣) في تفسير الطبري- بتحقيق محمود شاكر- (١٤/ ٢٤٥) لا يحاب بالحاء وهو الأظهر من الحوب: الأثم، أي لا ينسب إلىٰ الإثم وهي كذلك عند ابن حبيب في المحبر (١٥٧) وأنه كان يقول قائلهم: أنا الذي لا أعاب ولا أحاب ولا يرد قضاء قضاه.

وفي ﴿سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ هاهنا وجهان:

أحدهما- أنه ما قدمه من إحلالهم ما حرم الله تعالىٰ وتحريمهم ما أحله الله.

الثاني- أنه الرياء، قاله جعفر بن محمد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قال [1] الحسن ومجاهد: دُعوا إلىٰ غزوة تبوك فتثاقلوا فنزل ذلك فيهم.

﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- إلىٰ الإقامة بأرضكم ووطنكم.

والثاني- إلىٰ الأرض حين أخرجت الثمر والزرع. قال مجاهد: دعوا إلىٰ ذلك أيام إدراك النخل ومحبة القعود في الظل.

الثالث- اطمأننتم إلىٰ الدنيا، فسماها أرضـًا لأنها فيها، وهذا قول الضحاك[2].

وقد بينه بقوله تعالىٰ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ يعني بمنافع الدنيا بدلاً من ثواب الآخرة.

والفرق بين الرضا والإرادة أن الرضا لما مضىٰ، والإرادة لما يأتي.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ لانقطاع هذا ودوام ذاك.

قوله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ يعني في الجهاد.

﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ قال ابن عباس: احتباس القطر عنهم هو العذاب الأليم الذي

(١) في الأصل، ك: قاله... و المثبت من (ق). وهو مقتضىٰ السياق. وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٣).

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٣٧).

أوعدهم [(١)] ويحتمل أن يريد بالعذاب الأليم أن يظفر بهم أعداؤهم.

﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يعني ممن ينفر إذا دعي، ويجيب إذا أمر.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تضروا الله تعالىٰ بترك النفير، قاله الحسن.

الثاني- ولا تضروا الرسول، [(٢)] لما تكفل الله تعالىٰ به من نصرته، قاله الزجاج[(٣)].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني إلا تنصروا أيها الناس النبي ﷺ بالنفير معه وذلك حين استنفرهم إلىٰ تبوك فتقاعدوا فقد نصره الله.

﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني من مكة ولم يكن معه من يحمي عنه ويمنع [منه][(٤)] إلا الله تعالىٰ، ليعلمهم بذلك أن نصرة نبيه ليست بهم فيضره انقطاعهم وقعودهم، وإنما هي من قبل الله تعالىٰ فلم يضره قعودهم عنه.

وفي قوله: ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ وجهان:

أحدهما- بإرشاده إلىٰ الهجرة حتىٰ أغناه عن معونتهم.

الثاني بما تكفل به من إمداده بملائكته.

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي أحد اثنين، وللعرب في هذا مذهب أن تقول خامس خمسة أي أحد خمسة.

---

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في سننه رقم (٢٥٠٩) (٣/ ١١)، والطبري (١٤/ ٢٥٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٣) وزاد في نسبته ابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي.

(٢) في الأصل، ك: بما، والمثبت من (ق) وهو أولىٰ.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٩٦)، وابن الجوزي (٣/ ٤٣٨).

(٤) زيادة من (ق).

﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يعني النبي ﷺ وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غاراً في جبل ثور [١] ليخفيا علىٰ من خرج من قريش في طلبهم والغار عمق في الجبل يدخل إليه. قال مجاهد: مكث رسول الله ﷺ في الغار مع أبي بكر ثلاثـاً[٢].

قال الحسن: جعل الله علىٰ باب الغار [ثمامة وهي شجرة صغيرة، وقال غيره: ألهمت العنكبوت فنسجَت علىٰ باب الغار][٣].

وذهب بعض المتعمقة في غوامض المعاني إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ أي في غيرة علىٰ ما كانوا يرونه من ظهور الكفر فغار علىٰ دين ربه. وهو خلاف ما عليه الجمهور.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ يريد أن النبي ﷺ قال لصاحبه أبي بكر ﷺ: (لا تحزن) فاحتمل قوله ذلك له وجهين:

أحدهما- أن يكون قال ذلك تبشيراً لأبي بكر بالنصر من غير أن يظهر منه حزن.

والثاني- أن يكون ظهر منه حزن فقال له ذلك تخفيفـاً وتسلية. وليس الحزن خوفـاً وإنما هو تألم القلب بما تخيله من وهن الدين بعد الرسول ﷺ [فقال له النبي ﷺ][٤] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي ناصرنا علىٰ أعدائنا.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ فيها قولان:

أحدهما علىٰ النبي ﷺ، قاله الزجاج[٥].

والثاني- علىٰ أبي بكر الصديق ﷺ لأن الله قد أعلم نبيه ﷺ [١٦٥/ ظ] بالنصر[٦].

(١) في الأصل،ك: أبي ثور. والمثبت من (ق).

(٢) في الأصل،ك: وأبا بكر. والمثبت من (ق).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، ك، وإثباته من (ق).

(٤) زيادة من (ق).

(٥) أجاز الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٩٧) الوجهين.

(٦) قاله علي بن أبي طالب، و ابن عباس، و حبيب بن أبي ثابت وقيل أن الهاء هنا في معنىٰ التثنية والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، وهو قول ابن الأنباري. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٤٠).

وفي السكينة أربعة أقاويل:

أحدها- أنها الرحمة، قاله ابن عباس.

والثاني- أنها الطمأنينة، قاله الضحاك[١] .

والثالث- الوقار، قاله قتادة.

والرابع- أنها شيء يسكن الله تعالىٰ به قلوبهم، قاله الحسن وعطاء.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما – بالملائكة [٢].

والثاني- بالثقة بوعده، واليقين بنصره.

وفي تأييده وجهان:

أحدهما- إخفاء أثره في الغار حين طلب.

والثاني- المنع من التعرض له حين هاجر.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- انقطاع [٣] الحجة وكلمة الله هي العليا بظهور الحجة.

والثاني- [جعل][٤] كلمة الذين كفروا السفلىٰ بذُل الخوف، و كلمة الله العليا بعز الظفر.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة:٤١].

قوله ﷻ: انفروا خفافا وثقالا} فيه عشرة تأويلات:

أحدها- يعي شباباً وشيوخاً، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد.

(١) وقاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٨٦)، وصححه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٤٠).

(٢) وهو الأظهر واختلف في وقته فقيل لما كان في الغار حيث صرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم، قال الزجاج. وقيل يوم بدر والأحزاب وحنين. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٩٧)، وابن الجوزي (٣/ ٤٤١).

(٣) في (ق): بانقطاع.

(٤) زيادة من (ق).

والثاني- في اليسر والعسر فقراء وأغنياء، قاله الحسن وأبو صالح.

والثالث- مشاغيل وغير مشاغيل، قاله الحكم.

والرابع- نشاطـًا وغير نشاط، قاله ابن عباس وقتادة.

والخامس- ركبانا ومشاة، قاله أبو عمرو الأوزاعي.

والسادس- ذا صنعة وغير ذي صنعة(١)، قاله ابن زيد.

والسابع- ذا عيال وغير [ذي](٢) عيال، قاله زيد بن أسلم.

والثامن- أصحاء وغير أصحاء و مرضىٰ، قاله جويبر.

والتاسع- علىٰ خفة البعير وثقله، قاله علي بن عيسىٰ والطبري.

والعاشر- خفافـًا إلىٰ الطاعة وثقالاً عن المخالفة.

ويحتمل حادي عشر- خفافـًا إلىٰ المبارزة وثقالاً في المصابرة (٣).

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أما الجهاد بالنفس فمن فروض الكفايات إلا عند هجوم العدو فيصير متعينـًا.

وأما بالمال فبزاده وراحلته إذا قدر علىٰ الجهاد بنفسه، فإن عجز عنه بنفسه فقد ذهب [قوم إلىٰ أن بذل المال يلزم بدلاً عن نفسه، وقال جمهورهم: لا يجب لأن المال في الجهاد](٤) تبع النفس إلا سهم سبيل الله في الزكاة.

﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ فيه وجهان:

---

(١) كذا هنا وفي تفسير الطبري (١٤/ ٢٦٦)، وابن الجوزي (٣/ ٤٤٢)، وابن عطية (٨/ ١٨٨): ذا ضيعة وغير ذي ضيعة.

(٢) زيادة من (ق). ونسب هذا القول فيها إلىٰ الفراء وجملة الأقوال فيها ثمانية ثامنها التاسع هنا.

(٣) انظر: الأقوال في تفسير الطبري (١٤/ ٢٦٢) وابن عطية (٨/ ١٨٨) وابن الجوزي (٣/ ٤٤٢) والأظهر أن ما ذكر من باب التمثيل للخفة و الثقل ولذا قال الطبري (١٤/ ٢٦٩): وأولىٰ الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال إن الله تعالىٰ ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافـًا وثقالاً وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه علىٰ ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا يسر بمال، وفراغ من الاشتغال وقادر علىٰ الظهر والركاب ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال و مشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال..... الخ والأخير منها هو قول الماوردي.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ق). وقد سقطت من الأصل، ك.

أحدهما- أن الجهاد خير لكم من تركه إلىٰ ما أبيح من القعود عنه.

والثاني معناه أن الخير في الجهاد لا في تركه [١].

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- إن كنتم تعلمون أن الخير في الجهاد.

الثاني- إن كنتم تعلمون صدق الله تعالىٰ فيما وعد به من ثوابه وجنته.

ويحتمل وجهاً ثالثاً- إن كنتم تعلمون أن الله سبحانه يريد بكم [٢] الخير.

﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾ [التوبة:٤٢].

قوله ﷻ: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾ أي لو كان الذي دعيتم إليه عرضاً قريباً، وفيه وجهان:

أحدهما- يعني بالعرض ما يعرض من الأمور السهلة، قاله ابن بحر.

الثاني- يعني الغنيمة.

﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ أي سهلاً مقتصداً.

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ يعني في الخروج معك.

﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ والشقة هي القطعة من الأرض التي يشق ركوبها علىٰ صاحبها لبعدها.

﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- لو استطعنا فراق أوطاننا وترك ثمارنا.

الثاني- لو استطعنا مالاً نستمده، ونفقة نخرج بها لخرجنا معكم في السفر الذي دعوا إليه فتأخروا عنه وهو غزوة تبوك.

ثم جاءوا بعد ذلك يحلفون بما أخبر الله تعالىٰ عنهم من أنهم لو استطاعوا لخرجوا تصديقاً

(١) أي ليست هناك مفاضلة.

(٢) في (ق): لكم.

لقوله تعالىٰ وتصحيحـًا لرسالة نبيه ﷺ.

﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- يهلكون أنفسهم باليمين الكاذبة.

الثاني- يهلكون أنفسهم بالتأخر عن الإجابة.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة:٤٣-٤٧].

قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما- صحة العزم ونشاط النفس.

الثاني- الزاد والراحلة في السفر، ونفقة الأهل في الحضر.

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ وإنما كره انبعاثهم لوقوع الفشل [١٦٦/ و] بتخاذهم كعبد الله بن أبي بن سلول، و الجد بن قيس.

﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- مع القاعدين بغير عذر، قاله الكلبي.

والثاني- مع القاعدين بعذر من [(١)] النساء والصبيان، حكاه علي بن عيسىٰ[(٢)].

وفي قائل ذلك قولان:

---

(١) في الأصل، ك: مع، والمثبت من (ق) وهو أظهر.

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٤٧).

أحدهما- أنه النبي ﷺ غضباً عليهم لعلمه بذلك منهم [١].

والثاني- أنه قول بعضهم لبعض.

قوله ﷻ : ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- فساداً، قاله ابن عباس.

الثاني- إضطراباً حكاه ابن عيسىٰ.

فإن قيل: فَلِمَ يكونوا في خبال فيزدادوا بهؤلاء الخارجين خبالا!

قيل: هذا من الاستثناء المنقطع، وتقديره: ما زادوكم قوة، ولكن أوقعوا بينكم خبالا[٢].

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ أما الإيضاع فهو إسراع السير، ومنه قول الراجز:

يا ليتني فيها جذع ** أخب فيها وأضع[٣]

وأما الخلال فهو من تخلل الصفوف وهي الفرج تكون فيها، ومنه قول النبي ﷺ : (تراصوا في الصفوف لا يتخللكم كأولاد الحذف)[٤] يعني الشياطين.

والخلال هو الفساد، وفيه ها هنا وجهان:

أحدهما- لأسرعوا في إضلالكم.

الثاني- لأوقعوا الخلف بينكم.

وفي الفتنة التي يبغونها وجهان:

أحدهما- الكفر [٥].

---

(١) أو يكون هو الإذن الذي تقدم ذكره في الآية.

(٢) وقيل: المعنىٰ لا يزيدونكم فيما يترددون فيه من الرأي إلا خبالاً، فلا يكون الاستثناء منقطعاً. انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٥٦).

(٣) قائله دريد بن الصمة في يوم غزوة حنين وهو يومئذ شيخ كبير حين خرج مع هوازن وقال: هذا يوم لم أشهده و لم يفتني. والبيت في ديوانه (٩٣) وفي اللسان "وضع" وتفسير الطبري، (١٤/ ٢٧٨)، و القرطبي (٨/ ١٥٧).

(٤) أخرجه بنحوه أبو داود (١/ ١٧٩) رقم (٦٦٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٩٧) وذكره الطبري بلا سند (١٤/ ٢٧٩). والحذف: غنم صفار سود يمانية.

(٥) قاله ابن قتيبة، والضحاك ومقاتل. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٨٧) و تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٤٧).

والثاني- اختلاف الكلمة وتفريق الجماعة [١].

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها- وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة وابن إسحاق [٢].

الثاني- وفيكم عيون منكم ينقلون أخباركم إليهم، قاله مجاهد وابن زيد[٣].

الثالث- وفيكم عيون منهم ينقلون إلىٰ المشركين أخبار كم، قاله الحسن.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة:٤٨].

قوله ﷻ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ يعني إيقاع [٤] الخلاف و تفريق الكلمة.

﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها- معاونتهم في الظاهر وممالأة المشركين في الباطن.

الثاني- قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

الثالث- توقع الدوائر وانتظار الفرص.

الرابع- حلفهم با لله لو استطعنا لخرجنا معكم [٥].

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني النصر.

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعين الدين.

﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ يعني النصر وظهور الدين.

---

(١) قاله الحسن: انظر: ابن الجوزي (٣/ ٤٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٨١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٨١)، وابن الجوزي (٣/ ٤٤٨)، وقد رجحه الطبري علىٰ ما قبله لأن سمّاع تعني سماع الكلام ونقله، وأما سماع الكلام وطاعته فوصف صاحبه سامع مطيع.

(٤) في الأصل، ك: انقطاع الاختلاف. و المثبت من (ق) وهو الصواب.

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٤٨).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة:٤٩].

قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ يعني في التأخر عن الجهاد.

﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أي ولا تكسبني الإثم بالعصيان [1] في المخالفة، قاله الحسن وقتادة وأبو عبيدة والزجاج [2].

والثاني- لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر [3].

والثالث- أنها نزلت في الجد بن قيس قال: إئذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر [4] فإني مشتهر بالنساء، قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد.

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ فيها وجهان:

أحدهما في عذاب جهنم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

والثاني- في محنة النفاق وفتنة الشقاق.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥٠-٥١].

قوله ﷻ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ يعني بالحسنة النصر.

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي أخذنا حذرنا فسلمنا.

(١) في الأصل، ك: بالباطل. والمثبت من (ق).

(٢) أي لا تؤمن نقل از القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٦١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٠٠) و ابن الجوزي (٣/ ٤٤٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٤٤٩).

(٤) هم الروم وليس في النسخ لفظة "بني" وترد الرويات بها و بدونها، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٨٧) و معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٠٠) و بن الجوزي (٣/ ٤٤٩).

﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ أي بمصيبتك وسلامتهم.

قال [1] الكلبي: عنىٰ بالحسنة النصر يوم بدر، وبالمصيبة النكبة يوم أحد.

قوله ﷻ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أنه كان يصيبنا من خير أو شر، لا أن[2] ذلك بأفعالنا فنذم أو نحمد، وهو معنىٰ قول الحسن.

والثاني- إلا ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا.

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- مالكنا.

والثاني- حافظنا [١٦٦/ ظ] وناصرنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي علىٰ معونته وتدبيره.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة:٥٢-٥٤].

قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني النصر أو الشهادة[3] وكلاهما حسنىٰ [4] لأن في النصر ظهور الدين، وفي الشهادة الجنة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما عذاب الاستئصال في الدنيا.

---

(١) في النسخ: قاله الكلبي، والقول في تفسير البحر المحيط (٥/ ٥١) عن ابن عباس وقال عنه أبو حيان: "وينبغي أن يحمل قوله علىٰ التمثيل واللفظ عام في كل محبوب ومكروه..".

(٢) في الأصل: لأن. والمثبت من (ق).

(٣) في الأصل: والشهادة- بالواو- والمثبت من (ق).

(٤) في (ق): حسنة.

الثاني- عقاب العصيان في الآخرة.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني بقتل الكافر عند الظفر والمنافق مع الإذن فيه.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة:٥٥-٥٧].

قوله ﷻ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، قاله ابن عباس وقتادة ويكون فيه تقديم و تأخير [١].

والثاني- إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم، يعني المنافقين وهذا قول الحسن [٢].

والثالث- ليعذبهم بمصائبهم في أموالهم وأولادهم، قاله ابن زيد[٣].

والرابع- يعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم، يعني المشركين، قاله بعض المتأخرين[٤].

والخامس- يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها، وكل هذا عذاب.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي [تهلك] [٥] بشدة من قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ﴾ [الإسراء:٨١].

قوله ﷻ: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾..الآية. أما الملجأ ففيه أربعة أوجه:

---

(١) وهو قول السدي ومجاهد وابن قتيبة، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٥) وابن الجوزي (٣/ ٤٥٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٦)، وابن الجوزي (٣/ ٤٥٣). وعلىٰ قول الحسن هذا يرجع الضمير إلىٰ الأموال وحدها دون الأولاد. وقد رجحه الطبري لأنه ظاهر التنزيل.

(٣) انظر: المصدرين السابقين.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٥٣) عن الماوردي.

(٥) زيادة من (ق).

أحدها- أنه الحرز، قاله ابن عباس.

والثاني- الحصن، قاله قتادة.

والثالث- الموضع الحريز من الجبل، قاله الطبري [(١)].

والرابع- المهرب، قاله السدي. ومعاني هذه كلها متقاربة.

وأما المغارات ففيها وجهان:

أحدهما- أنها الغيران في الجبال، قاله ابن عباس.

والثاني- المدخل الساتر لمن دخل فيه، قاله علي بن عيسىٰ.

وأما المدخل ففيه وجهان:

أحدهما- أنه السرب في الأرض، قاله الطبري [(٢)].

الثاني- أنه المدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة.

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ يعني هرباً من القتال وخذلاناً للمؤمنين.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي يسرعون، قال مهلهل [(٣)]:

لقد جمحتُ جِمَاحاً في دمائهم ** حتىٰ رأيت ذوي أحسابهم خمدوا[(٤)]

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة:٥٨-٥٩].

قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾... الآية، فيه قولان:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٨).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٨).

(٣) هو مهلهل بن ربيعة التغلبي شاعر جاهلي مشهور. قيل اسمه امرؤ القيس، وقيل عدي، ورجح ابن المرزبان أن عدياً أخوه، انظر: المؤتلف والمختلف للآمدي (١١)، و معجم الشعراء (٢٤٨، ٢٧٥، ٣٣١).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٩). وجعله شاهداً علىٰ أن الجماح مشي بين المشيين. وعلق عليه الأستاذ محمود شاكر بأنه نص نادر لا يوجد في كتب اللغة ثم قال: فليقيد فيها هو وشاهده.

أحدهما- أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء، ويتكلم بالنفاق، فإن أعطي رضىٰ، وإن منع سخط، فنزلت فيه الآية [(١)].

الثاني- ما روىٰ الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال: بينا[(٢)] رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال: إعدل يا رسول الله، فقال: ويلك [(٣)] ومن يعدل إن لم أعدل؟! فقال عمر ﷺ: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، فقال: دعه. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾..الآية [(٤)].

وفي معنىٰ يلمزك ثلاثة أوجه:

أحدها- يزورك[(٥)] ويسألك [(٦)]، قاله مجاهد.

والثاني- يغتابك، قاله ابن قتيبة [(٧)].

والثالث- يعيبك، قال رؤبة:

قاربت بين عنقي وجمزي ** في ظل عصري باطلي ولمزي [(٨)]

---

(١) تابع ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٥٤)، الماوردي في جعل ثعلبة ابن حاطب سبباً في نزول هذه الآية والذي يذكره بعض المفسرين أن ثعلبة كان سبباً في نزول: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾.. الآيات.

(٢) في (ق)، بينما.

(٣) في الأصل، ك: "ولا حك"، وفي (ف) ويحك. والمثبت من (ق).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٠٣) مطولاً، والواحدي في أسباب النزول (٢٤٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٩) وزاد نسبته للبخاري والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه. وذو الخويصرة هو حرقوص بن زهير أصل الخوارج. وانظر: الإصابة (١/ ٤٨٥).

(٥) كذا في النسخ، وفي تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٢) عن مجاهد: يروزك ويسألك.

(٦) في (ق): يزورك يسألك- بغير واو بينهما.

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٨٨) حيث قال: يعيبك ويطعن عليك يقال: (همزت فلاناً ولمزته إذا غبته وعبته) ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾.

(٨) ديوانه (٦٤) وروايته:

فإن تريني اليوم أم حمز ** قاربت بين عنقي وجمز

من بعد تقماص الشباب الأبز ** في ظل عصري باطلي ولمزي

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ اختلف أهل العلم فيهما علىٰ ستة أقاويل:

أحدها- أن الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة. والمسكين: المحتاج السائل، قاله ابن عباس والحسن وجابر وزيد[(١)] والزهري ومجاهد وابن زيد.

والثاني- أن الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة، [١٩٧/ و] والمسكين: هو الصحيح الجسم منهم، قاله قتادة[(٢)].

والثالث- أن الفقراء هم المهاجرون، والمساكين غير المهاجرين، قاله الضحاك بن مزاحم وإبراهيم.

والرابع- أن الفقير من المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة[(٣)].

والخامس- أن الفقير الذي لا شيء له لأن الحاجة قد كسرت فقاره، والمسكين الذي له ما لا يكفيه لكن يسكن إليه، قاله الشافعيُ[(٤)].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ليس المسكين الذي لا مال له ولكن المسكين الأَخْلَقُ الكَسْبِ.

---

(١) كذا في الأصل، ك، ف. فيكون زيد بن أسلم. وفي (ق): جابر بن زيد. وهو كذلك في تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٥) وابن الجوزي (٣/ ٤٥٥) وقد صوب هذا المعنىٰ الطبري فهناك فقير لم تذله المسأله. وهناك فقير جمع إلىٰ فقره ذل المسألة وهو المسكين. وفائدة الخلاف هل هما صنفان أو صنف واحد فيما لو أوصىٰ بثلثه إلىٰ فلان وفقير ومسكين.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٦)، وابن الجوزي (٣/ ٤٥٥).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٨) و ابن الجوزي (٣/ ٤٥٦).

(٤) وهو أحد قولي الشافعي ومذهب الإمام أحمد، قال الأصمعي: المسكين أحسن حالاً من الفقير. ومن الحجة لهذا القول: قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الكهف: ٧٩]، فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً. كما استدل بقوله: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [البلد: ١٩] علىٰ ذلك حيث جاء موصوفاً مما يدل علىٰ أنه خرج عن غالب حال المساكين، والقول الثاني للشافعي أنهما سواء، وهو قول ابن القاسم وأبي يوسف، وأصحاب مالك. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٥٦)، والقرطبي (٨/ ١٦٩) و الزاهر لابن الأنباري (١/ ٢٢٦).

قال ابن عطية: الأخلق المتحارف [١] عندنا، وقال الشاعر[٢]:

لمـــا رأىٰ لُبَـــد النســـور تطـــايرت ** دفـــع القـــوادم كـــالفقير الأعـــزل

والسادس- أن الفقير الذي له ما لايكفيه، والمسكين: الذي ليس له شيء يسكن إليه قاله أبو حنيفة [٣].

﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم السعاة المختصون بجبايتها وتفريقها قال الشاعر:

إن الســـعاة عصـــوك حـــين بعثـــتهم ** لـــم يفعلـــوا ممـــا أمـــرت فتـــيلا[٤]

وليس الإمام من العاملين عليها ولا والي الإقليم.

وفي قدر نصيبهم منها قولان:

أحدهما- الثمن، لأنهم أحد الأصناف الثمانية، قاله مجاهد والضحاك.

والثاني- قدر أجور أمثالهم، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص [٥].

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهـــم قـــوم كـــان رســـول الله ﷺ يتـــألفهم بالعطيـــة وهـــم صـــنفان: مسلمون وكافرون[٦].

فأما المسلمون فصنفان: صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم، كعتبة بن زيد، وأبي سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس. وصنف آخر منهم نياتهم في

---

(١) في (ق): المحارف. وهي كذلك في تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٨). ووردت عن عمر بلفظ الفقير، والمسكين، في روايتين ومراده هنا أن الفقر والمسكنة ليس بفقد المال. وإنما هو فقر الآخرة، وأما فقر الدنيا فهو أهون الفقرين. والمحارف منقوص الحظ غير مبارك. وانظر: حاشية الطبري.

(٢) هو لبيد: انظر: ديوانه (٢٧٤)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٥٧)، والقرطبي (٨/ ١٦٩) والزاهر لابن الأنباري (١/ ٢٢٦) وفيها: رفع، بدل دفع.

(٣) وهو قول يونس بن حبيب، ويعقوب بن السكيت، وابن قتيبة. انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٦٨)، وابن الجوزي (٣/ ٤٥٦)، و تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٨٨).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٥٩) غير منسوب.

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٣١١).

(٦) في (ق): ومشركون.

الإسلام حسنة فأعطوا تألفـًا لعشائرهـم من المشركين مثل عدي بن حاتم فيعطىٰ كـلا [١] الصـنفين من سهـم المؤلفة قلوبهم.

وأما المشركون فصنفان: صنف يقصدون المسلمين بالأذىٰ فيتـألفهم دفعـًا لأذاهـم مثـل عـامر ابن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلىٰ الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا مثل صفوان بن أمية.

وفي تألفهم بعد رسول الله ﷺ بالسهم المسمىٰ لهم من الصدقات قولان:

أحدهما- يعطونه ويتألفون به، قاله الحسن وطائفة [٢].

والثاني يمنعون منه ولا يعطونه لإعزاز الله دينه عن تألفهم، قاله جابر، وكلا القولين محكي عـن الشافعي [٣].

وقد روىٰ حسان بن عطية قال: قال عمر ﷺ وقد أتاه عيينة بن حصـن يطلـب مـن سـهم المؤلفـة قلـوبهم: فقـال: قـد أغنـىٰ الله عنـك وعـن ضـربائك ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩] أي ليس اليوم مؤلفة [٤].

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ فيهم قولان:

أحدهما- أنهم المكاتبون، قاله علي بن أبي طالب ﷺ والشافعي [٥].

الثاني- أنهم عبيد يشترون بهذا السهم، قاله ابن عباس ومالك [٦].

---

(١) في الأصل، ك: كل.

(٢) وهو قول أحمد في رواية، وصوبه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣١٦) لأن مـن يعطـون علىٰ نـوعين مـن يعطىٰ لحاجتـه وسـد خلته ومن يعطىٰ لمعونة الإسلام وتقويته. وقد أعطىٰ النبي ﷺ المؤلفـة قلـوبهم بعـد أن فـتح الله عليـه الفتـوح؛ ولـذا قـال الزهري: لا أعلم شيئًا نسخ حكم المؤلفة قلوبهم ويرىٰ ابن العربي أنه سهم يدور مع قـوة الإسـلام وضـعف المسـلمين. انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٨١)) وابن الجوزي (٣/ ٤٥٧).

(٣) وهـو رأي عمـر بـن الخطـاب والحسـن والشـعبي، وغيـرهم. انظـر: الطـبري (١٤/ ٣١٥)، والقرطبـي (٨/ ١٨١)، وابن الجوزي (٣/ ٤٥٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٣١٦).

(٥) نسبة الطبري (١٤/ ٣١٦) للجمهور الأعظم، ورجحه.

(٦) من يخرج المكاتب من هذا الصنف يجعله داخلاً في صنف الغارمين بمـا عليـه مـن ديـن المكاتبـة. انظـر: تفسـير القرطبـي (٨/ ١٨٢).]

﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ وهم الذين عليهم الدين يلزمهم غرمه، فإن ادَّانوا في مصالح أنفسهم لم يعطوا إلا مع الفقر، وإن أدانوا في المصالح العامة أعطوا مع الغنىٰ والفقر.

واختلف فيمن أدّان في معصية علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- لا يعطىٰ لئلا يعان علىٰ معصية.

والثاني- يعطىٰ لأن الغرم قد وجب، والمعصية قد تقضّت.

والثالث- يعطىٰ إن تاب منها ولا يعطىٰ إن أصر عليها.

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله يعطون سهمهم من الزكاة مع الغنىٰ والفقر [١].

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه قولان:

أحدهما- هو المسافر لا يجد نفقة سفره، يعطىٰ منها، وإن كان غنيًا في بلده، وهو قول الجمهور.

والثاني- أنه الضيف، حكاه ابن الأنباري [٢].

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٦١].

[١٦٧/ ظ] قوله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ﴾ أي يصغي إلىٰ كل أحد، فيسمع منه، قال عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل بددَن ** إن همي في سماع وأذَن [٣]

معنىٰ ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي يسمع الخير ويعمل به، لا أذن شر يفعله إذا سمعه.

---

(١) قاله الشافعي، وهو مذهب الحنابلة، وقال أبو حنيفة: لا يعطىٰ إلا الفقير منهم، قال ابن المنذر عن هذا القول: وهذا خلاف القرآن وحديث رسول الله ﷺ. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٥٨)، وابن عطية (٨/ ٢١٦).

(٢) وهو قول قتادة. كما في تفسير أبي حيان (٥/ ٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٥)، وآمالي الشريف للمرتضىٰ (١/ ٣٣)، والددن اللهو، والأذن السماع.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يعيبون النبي ﷺ ويقولون فيه ما لا يجوز، فنزلت هذه الآية فيهم[(١)].

وفي تأويلها وجهان:

أحدهما- أنهم كانوا يعيبونه بأنه أذن يسمع جميع ما يقال له، فجعلوا ذلك عيباً فيه.

والثاني- أنهم عابوه فقال أحدهم: كفوا فإني أخاف أن يبلغه فيعاقبنا، فقالوا هو أذن إذا جئناه وحلفنا له صدقنا، فنسبوه إلىٰ قبول العذر في الحق والباطل، قاله الكلبي ومقاتل.

وقيل: إن قائل هذا نفيل بن الحارث[(٢)].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة:٦٢-٦٣].

قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- من يخالف الله ورسوله، قاله الكلبي.

والثاني- مجاوزة حدودهما، قاله علي بن عيسىٰ.

والثالث- أنها معاداتهما مأخوذ من حديد السلاح لاستعماله في المعاداة، قاله ابن بحر[(٣)].

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا وعيد، وإنما سميت النار جهنم من قول العرب بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر، فسميت نار الآخرة جهنم لبعد قعرها، قاله ابن بحر.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة:٦٤].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (٢٤٨).

(٢) كذا في النسخ عدا (ق) حيث سقط منها، وفي تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٤)، وأسباب النزول للواحدي (٢٤٨)، والإصابة لابن حجر (٣/ ٥٤٩) والدر المنثور (٤/ ٢٢٧) ونسبه إلىٰ ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، أن اسمه: نبتل ابن الحارث.

(٣) انظر: تفسير أبي حيان (٥/ ٦٥) حيث ذكرها وقال عنها: هذه أقوال متقاربة.]

﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾.. الآية فيه وجهان:

أحدهما- أنه إخبار من الله تعالىٰ عن حذرهم، قاله الحسن وقتادة [(١)].

والثاني- أنه أمر من الله تعالىٰ لهم بالحذر، وتقديره ليحذر المنافقون، قاله الزجاج[(٢)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ وجهان:

أحدهما- ما أسروه من النفاق.

والثاني- قولهم في غزوة تبوك: أيرجو هذه الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات. فأطلع الله تعالىٰ نبيه ﷺ علىٰ ما قالوه، قاله الحسن وقتادة [(٣)].

﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديداً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- مظهر ما تسرون.

والثاني- ناصر من تخذلون[(٤)].

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٨].

---

(١) وجُعل دليل له قوله بعد: ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٠٨)، وتفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٦٣).

(٢) أي لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر. وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٥٠٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٤) وذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٥٠).

(٤) ذكر ابن الجوزي (٣/ ٤٦٤) هذين القولين عن الماوردي. ولذا كانت تسمىٰ هذه السورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وأخرجت ما في قلوبهم.

قوله ﷻ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أن بعضهم يجتمع مع بعض علىٰ النفاق.

والثاني- أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعض. وقال الكلبي: بعضهم علىٰ دين بعض[١].

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ في المنكر والمعروف قولان:

أحدهما- أن المنكر كل ما أنكره العقل من الشر، والمعروف: كل ما عرفه العقل من الخير[٢].

والثاني- أن المعروف في كتاب الله تعالىٰ كله الإيمان، والمنكر في كتاب الله تعالىٰ كله الشرك قاله أبو العالية.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها- يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالىٰ، قاله الحسن و مجاهد.

والثاني- يقبضونها عن كل خير، قاله قتادة.

والثالث- يقبضونها عن الجهاد مع النبي ﷺ قاله بعض المتأخرين.

والرابع- يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلىٰ الله تعالىٰ[٣].

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا أمره فترك رحمتهم[٤].

قال ابن عباس: كان المنافقون[٥] بالمدينة من الرجال ثلاثمائة، ومن[٦] النساء سبعين ومائة امرأة[٧].

وروىٰ مكحول عن أبي الدرداء أنه سأل رسول الله ﷺ عن صفة المنافق: فقال: (إذا حدث

---

(١) وهو قول ابن عباس. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٦٧).

(٢) جاء في حاشية نسخة (ق) قوله: "قلت وهذا اعتقاد المعتزلة، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن المنكر ما أنكره الشرع من الشر، والمعروف كل ماعرفه الشرع. انتهىٰ. اللهم إلا أن يكون مطابقـًا وأما علىٰ إطلاقه فلا".

(٣) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٦٧)، و نسب الأخيرين منهما للماوردي

(٤) قاله الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥١٠).

(٥) في الأصل، ك: المنافقين. والمثبت هو مقتضىٰ اللغة.

(٦) في الأصل، ك: من بدون واو

(٧) في الأصل، ك: لا امرأة. و المثبت هو الصواب من (ف).

كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد نقض، لا يأتي الصلاة إلا دُبْراً، ولا يذكر الله إلا هجراً).

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة:٦٩].

قوله ﷻ: ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾.

[١٦٨/ و] قيل بنصيبهم من خيرات الدنيا. ويحتمل استمتاعهم باتباع شهواتهم.

وفيه وجه ثالث- أنه استمتاعهم بدينهم الذي أصروا عليه [(١)].

﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- في شهوات الدنيا.

والثاني- في قول الكفر.

وفيهم قولان:

أحدهما- أنهم فارس والروم [(٢)].

والثاني [(٣)]- أنهم بنوا إسرائيل [(٤)].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ

(١) قاله الحسن. تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٣) وانظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٥١٠).

(٢) ورد من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وفيه:.. قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم؟ قال فهل الناس إلا هم. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٢).

(٣) في الأصل، ك: والثالث. وهو وهم.

(٤) روي عن ابن عباس، تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٢).

ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٠-٧٢].

قوله ﷻ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن المساكن الطيبة قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر. قاله الحسن [١]

الثاني- المساكن التي يطيب العيش فيها، وهو محتمل [٢].

وأما جنات عدن فيها خمسة أوجه:

أحدها- أنها جنات خلود وإقامة ومنه سمي المعدن لإقامة جوهره فيه، و منه قول الأعشىٰ:

فإن تستضيفوا إلىٰ حِلْمه ** تُضافوا إلىٰ راجح قد عدن [٣]

يعني ثابت الحلم. وهذا مروي عن ابن عباس.

والثاني- أن جنات عدن هي جنات كروم وأعناب بالسريانية، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً [٤].

والثالث- عدن اسم لبطنان الجنة ووسطها، قاله عبد الله بن مسعود [٥].

والرابع- أن عدن اسم قصر في الجنة، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن [٦].

والخامس- [٧] أن جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد، أو إمام

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٩).

(٢) قوله وهو مختمل إشارة إلىٰ أنه قول الماوردي.

(٣) ديوانه ص (١٧) وفيه: إلىٰ حكمه، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٥٢). وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم إحدىٰ عشرة مرة، أولها في هذه السورة. وقد أكد هذه الدلالة بالسريانية محقق كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، د. التهامي الراجحي الهاشمي ص ١١٧.

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٢).

(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٢).

(٧) في (ق) "والخامس أنه اسم نهر في الجنة" وقد ورد عن عطاء.

عدل، أو محكّم في نفسه [(١)].

وجنة المأوىٰ في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين، رواه معاذ بن جبل مرفوعـًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة:٧٣-٧٤].

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ، أما جهاد الكفار فبالسيف، وأما جهاد المنافقين ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وقلبه، فإن لم يستطع فليكفهر في وجوههم، قاله ابن مسعود [(٢)].

والثاني- جهادهم باللسان، وجهاد الكفار بالسيف، قاله ابن عباس [(٣)].

والثالث- أن جهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، وجهاد الكفار بالسيف، قاله الحسن وقتادة. و كانوا أكثر من يصيب الحدود [(٤)].

﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- تعجيل الانتقام منهم.

والثاني- ألا يصدق لهم قولاً، ولا يبر لهم قسمـًا.

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبه عن كعب وفيه: قيل لكعب: وما المحكم في نفسه قال: الرجل يأخذه العدو فيحكمونه بين أن يكفر أو يلزم الإسلام فيقتل فيختار أن يلزم الإسلام. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٣٨) وتفسير الطبري (١٤/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٥٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه إلىٰ ابن أبي شيبة، و ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه. ورجحه الطبري (١٤/ ٣٥٩).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٩).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٩).

قوله ﷻ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾ فيهم ثلاثة أوجه [(١)]:

أحدها- أنه الجلاس [(٢)] بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير، ثم حلف بالله أنه ما قال، وهذا قول عروة ومجاهد وابن إسحاق[(٣)].

والثاني- أنه عبد الله بن أبي [بن][(٤)] سلول. قال: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قاله قتادة [(٥)].

والثالث- أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك، قاله الحسن [(٦)].

﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني ما أنكروه مما قدمنا ذكره تحقيقاً لتكذيبه فيما أنكروه، وقيل بل هو قولهم: إن محمداً ليس بنبي.

﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- كفروا بقلوبهم بعد أن آمنوا بأفواههم.

والثاني- جرىٰ عليهم حكم الكفر بعد أن جرىٰ عليهم حكم الإيمان.

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ فيه ثلاثة أقاويل [(٧)]

أحدها- أن المنافقين همّوا بقتل الذي أنكر عليهم، قاله مجاهد.

والثاني- أنهم همّوا بما قالوه ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ ، وهذا قول قتادة.

---

(١) في (ف، ق): (أقاويل).

(٢) الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته. انظر: الإصابة لابن حجر (١/ ٢٤١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٠) ونسبة إلىٰ ابن إسحاق وابن أبي حاتم.

(٤) "بن"زيادة من "ف".

(٥) و من مقالته: سمن كلبك يأكلك. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٤).

(٦) رجح الطبري (١٤/ ٣٦٤) عدم التحديد.

(٧) ذكرها الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦٥)، وابن الجوزي (٣/ ٤٧١).

والثالث- أنهم همّوا بقتل النبي ﷺ وهذا مروي عن مجاهد أيضاً، وقيل إنه كان ذلك في غزوة تبوك.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة:٧٥-٧٨].

قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾.. الآية والتي بعدها نزلت في ثعلبة ابن حاطب الأنصاري (١)، وفي سبب نزولها قولان:

أحدهما- أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه، فلما قدم عليه بخل به، قاله الكلبي.

والثاني- أن مولىٰ لعمر قتل حميماً لثعلبة فوعد إن [١٦٨/ ظ] أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالىٰ منها، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالىٰ أن يخرجه، قاله مقاتل، وقيل إن ثعلبة لما بلغه ما نزل فيه أتىٰ رسول الله ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: (إن الله تعالىٰ منعني أن أقبل منك صدقتك) فجعل يحثي علىٰ رأسه التراب. وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً. ثم أتىٰ أبا بكر ﷺ فلم يقبلها منه، ثم أتىٰ عمر ﷺ فلم يقبلها منه، ثم أتىٰ عثمان ﷺ ولم يقبلها منه.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة:٧٩].

---

(١) ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأنصاري أحد الصحابة البدريين، روي أنه قتل بأحد، وعليه فلا يصح ما نسب إليه، فقد قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية). وقال ﷺ عن ربه -جل وعلا- لأهل بدر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)، يقول ابن حجر في الإصابة (١/ ١٩٨): "فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره، والله أعلم". وهناك ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الأنصاري عد فيمن بنىٰ مسجد الضرار فربما كان هو المراد. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٧٠)، وابن الجوزي (٣/ ٤٧٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٦)، وكتاب: الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلبة بن حاطب. وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٠).

قولـــــه ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴾ قرئ بضم الجيم [وفتحها] [١] وفيه وجهان:

أحدهما- أنهما يختلف لفظهما ويتفق معناهما، قاله البصريون [٢].

والثـاني- أن معناهمـا مختلـف، فالجُهـد- بالضـم- الطاقـة، وبـالفتح- المشـقة، قالـه بعض الكوفيين [٣].

وقيل: كان ذلك في غزاة تبوك نزلت في عبد الرحمن [٤] بن عوف وعاصم بن عدي وأبي عقيل الأراشي [٥] وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ حث علىٰ الصدقة ليتجهز للجهاد، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال هذا شطر مالي صدقة، وجاء عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل بصاع [من تمر] [٦] وقال: إني أجرت نفسي بصاعين فذهبت بأحدهما إلىٰ عيالي وجئت بالآخر صدقة، فقال قوم من المنافقين حضروه: أما عبد الرحمن وعاصم فما أعطيا إلا رياء وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه، فنزلت فيهم هذه الآية.

﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أنهم أظهروا حمدهم واستبطنوا ذمهم.

---

(١) زيادة من "ف" وقد سقطت من بقية النسخ. وهي قراءة شاذة قرأ بها الأعرج وعطاء ومحاهد كما في مختصر ابن خالويه (٥٤).

(٢) قاله أبو عبيدة في محاز القرآن (١/ ٢٦٤)، قال: "... ومجازه: طاقتهم، ويقال: جهد المقل وجهده.

(٣) وهو قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١٩٠).

(٤) عبد الرحمن بن عوف- تقدم التعريف به. وعاصم: هو عاصم بن عدي العجلاني، أبو عمر، ويقال أبا عبد الله، معدود في البدريين، كان قد خرج مع المسلمين فكسر فرده الرسول ﷺ من الروحاء واستخلفه علىٰ العالية، وهو الذي ورد له ذكر في قصة المتلاعنين. انظر: الإصابة (٢/ ٢٤٦) برقم (٤٣٥٣).

(٥) كذا في (ق) وفي الأصل، ك: الأاشي، وفي (ف): الأواشي. وفي طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٣) أن اسمه عبد الرحمن الإراشي الأنيفي ولم يذكر في ترجمته خبر الصاع. وترجم له ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٣٦) رقم (٧٧٦): أبو عقيل الأنصاري صاحب الصاع وقد استوفى ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٣٣١) الخلاف في صاحب الصاع. فذكر سبعة أقوال. ثم قال: فهذا يدل علىٰ تعدد من جاء بالصاع. وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٨٢)، وابن الجوزي (٣/ ٤٧٦)، والسيوطي (٤/ ٢٤٩).

(٦) زيادة من (ق).

والثاني- أنهم نسبوهم إلىٰ الرياء و أعلنوا الاستهزاء.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه ما أوجبه عليهم من جزاء الساخرين.

والثاني- بما أمهلهم من المؤاخذة[1].

قال ابن عباس: وكان هذا في الخروج إلىٰ غزاة تبوك.

﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٨٠﴾ [التوبة:٨٠].

قوله ﷻ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾.

وهذا علىٰ وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان علىٰ صيغة الأمر، ومعناه أنك لو طلبتها لهم طلب المأمور بها أو تركتها ترك المنهي عنها لكان سواء في أن الله تعالىٰ لا يغفر لهم.

قوله: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً﴾ فليس بحد لوقوع المغفرة بعدها، وإنما هو علىٰ وجه المبالغة بذكر هذا العدد لأن العرب تبالغ بالسبع والسبعين [2] لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان الأدنىٰ المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان الأقصىٰ المبالغة، ولذلك قالوا للأسد سبْع أي قد ضوعفت قوته سبع مرات، وهذا ذكره علىٰ بن عيسىٰ. وحكىٰ مجاهد وقتادة أن النبي ﷺ قال: (سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين مرة) فأنزل الله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون:٦] فكف[3].

قوله ﷻ: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ أي المتروكون.

---

(١) ينبغي إثبات صفة السحرية لله تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق به سبحانه، من غير اشتقاق اسم مستقل منها، وهي إنما جاءت في القرآن الكريم علىٰ وجه المقابلة لما صدر عن المنافقين.

(٢) فالسبعة للكثرة في الآحاد، والسبعين للكثرة في العشرات. والسبعمائة للكثرة في المئات. فالعدد لا مفهوم له، و المراد نفي المغفرة لهم ولو كثر الاستغفار.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٩٦)، وانظر: فتح الباري (٨/ ٣٣٣).

﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني مخالفة رسول الله ﷺ وهذا قول الأكثرين.

والثاني- معناه بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة وأنشد:

عَقَب الربيع خِلافهم فكأنما ** بسط الشواطبُ بينهن حصيرا[1]

أي بعدهم.

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- هذا قول بعضهم لبعض حين قعدوا[2].

والثاني- أنهم قالوه للمؤمنين [١٦٩/ و] ليقعدوا معهم. وهؤلاء المخلفون عن النبي ﷺ في غزاة تبوك وكانوا أربعة وثمانين نفساً.

قوله ﷻ: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ ، وهذا تهديد وإن خرج مخرج الأمر، وفي قلة ضحكهم وجهان [3]:

أحدهما- أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد.

الثاني- أن الضحك في الدنيا وإن دام إلىٰ الموت قليل، لأن الفاني قليل.

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهم فيه يبكون، فصار بكاؤهم كثيراً، وهذا معنىٰ قول الربيع بن خثيم [4].

الثاني- في النار علىٰ التأبيد لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه، وهذا قول السدي.

---

(١) قائله: الحارث بن خالد المخزومي. والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٦٤)، وتفسير الطبري (١٤/ ٣٩٨) والبحر المحيط (٥/ ٧٩). والشواطب: النساء اللاتي يشطين لحاء جريد النخل لصناعة الحصر.

(٢) قاله ابن إسحاق ومقاتل كما ذكر ابن الجوزي (٣/ ٤٧٨).

(٣) ذكرهما ابن الجوزي (٣/ ٤٧٩) بلا نسبة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٠١).

ويحتمل [1] أن يريد بالضحك السرور، و بالبكاء الغم.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة:٨٣].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ فيه قولان [2]:

أحدهما- أول مرة دعيتم.

الثاني- يعني قبل استئذانكم.

﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ فيهم قولان [3]:

أحدهما- أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن وقتادة.

الثاني- هم الرجال الذين تخلفوا بأعذار وأمراض، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثالثاً- أنهم الذين خالفوه من المنافقين [4].

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:٨٤].

قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا ﴾ لما احتضر عبدا لله بن أبي بن سلول أتىٰ ابنه النبي ﷺ فسأله أن يصلي عليه وأن يعطيه قميصه ليكفن فيه فأعطاه إياه وهو عرق فكفنه فيه وحضره، فقيل إنه أدركه حياً، فقال النبي ﷺ: (أهلكك حب اليهود فقال: يا رسول الله لا تؤنبني واستغفر لي، فلما مات ألبسه قميصه وأراد الصلاة عليه فجذبه عمر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله أليس الله قد نهاك عن الصلاة عليهم فقال: يا عمر إنما خيرني ربي فقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ لأزيدن علىٰ السبعين"[5] فصلىٰ عليه. فنزلت ﴿ وَلَا تُصَلِّ

(١) التعبير بالاحتمال دالة علىٰ أنه قول المؤلف كما صرح بذلك في مقدمته.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي (٣/ ٤٨٠) عن الماوردي.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي (٣/ ٤٨٠) عن الماوردي.

(٤) هو قول المؤلف.

(٥) في الأصل زيادة: والسبعين.

عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾..الآية، فما صلىٰ بعدها علىٰ منافق، و هذا قول ابن عباس وابن عمر وجابر وقتادة [(١)].

وقال أنس بن مالك: أراد أن يصلي [عليه] [(٢)] فأخذ جبريل بثوبه وقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ [(٣)].

﴿وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ يعني قيام زائر و مستغفر.

﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة:٨٥-٨٧].

قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه[(٤)]:

أحدها- يعذبهم بحفظها في الدنيا والإشفاق عليها.

والثاني- يعذبهم بما يلحقهم فيها من النوائب والمصائب.

والثالث- يعذبهم في الآخرة بما صنعوا بها في الدنيا عند كسبها وعند إنفاقها.

وحكىٰ ابن الأنباري وجهاً رابعاً: أنه علىٰ التقديم والتأخير، وتقديره: ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة.

قوله ﷻ ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه [(٥)].

أحدها- استديموا الإيمان با الله تعالىٰ.

والثاني- افعلوا فعل من آمن بالله.

(١) انظر: رواياتهم في تفسير ابن جرير (١٤/ ٤٠٦). والدر المنتور (٤/ ٢٥٨).

(٢) زيادة من (ق).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٠٧). وفي سنده يزيد الرقاشي، وهو ضعيف متروك، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٩). وزاد نسبته لأبي يعلىٰ وابن مردويه من حديث أنس.

(٤) راجع تفسير آية ٥٥ من هذه السورة.

(٥) ذكرها ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٨٢) من غير نسبة.

والثالث- آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بأفواهكم، ويكون خطابـًا للمنافقين.

﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ فيه وجهان[١].

أحدهما- أهل الغنىٰ، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني- أهل القدرة. وقال محمد بن إسحاق: نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول والجد ابن قيس.

قوله ﷻ: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- مع المنافقين، قاله مقاتل.

والثانيٰ [١٦٩/ ظ]- أنهم خساس الناس وأدنياؤهم مأخوذ من قولهم فلان خالفة أهله إذا كان دونهم، قاله ابن قتيبه[٢].

والثالث- أنهم النساء، قاله قتادة والكلبي [٣].

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

قوله ﷻ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾، وهو جمع خيرة، وفيها أربعة أوجه:

أحدها- أنها غنائم الدنيا و منافع الجهاد[٤].

والثاني فواضل العطايا[٥].

والثالث ثواب الآخرة.

---

(١) ذكرهما الطبري في تفسيره (٤/ ٤١٢).

(٢) في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩١): واحدهم خالف، وهو من يخلف الرجل في ماله وبيته، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٨٢).

(٣) وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك، و الحسن وابن زيد وشمر بن عطية. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤١٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٤٨٢) عن الماوردي.

(٥) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٦٧) وعبارته أشمل، قال: وهي جمع خيرة، و معناها الفاضلة في كل شئ.

والرابع- حور الجنان [١]، من قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩٠-٩٣].

قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فيها وجهان:

أحدهما- أنهم المعتذرون بحق فيما اعتذروا به فعذروا، قاله ابن عباس، وتأويل قراءة من قرأها بالتخفيف[٢].

والثاني- هم المقصرون المعتذرون بالكذب، قاله الحسن، وتأويل من قرأها بالتشديد، لأنه إذا خفف مأخوذ من العذر، وإذا شدد مأخوذ من التعذير، والفرق بينهما: أن العذر حق والعذير كذب.

(وقيل إنهم بنو أسد وغطفان[٣].

قوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾.. الآية.

وفي الضعفاء ها هنا ثلاثة أوجه:

أحدها- أنهم الصغار لضعف أبدانهم.

الثاني- المجانين لضعف عقولهم.

---

(١) وهو في معنىٰ قول المبرد حيث قال: من الجواري الفاضلات كما عند ابن الجوزي (٣/ ٤٨٢).

(٢) أي "المُعْذِرُون" وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، وابن معمر ويعقوب، انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤١٦)، وابن الجوزي (٣/ ٤٨٣).

(٣) قالوا إن لنا عيالًا، وبنا جهداً فأذن لهم في التخلف، وقيل من بني غفار. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤١٨) والبحر المحيط (٥/ ٨٤).

الثالث- العميان لضعف تصرفهم، كما قيل في تأويل قوله تعالىٰ في شعيب: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود:٩١] أي ضريراً[(1)].

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- إذا برئوا من النفاق.

الثاني- إذا قاموا بحفظ المخلفين من الذراري والمنازل.

فإن قيل بالتأويل الأول كان راجعًا إلىٰ جميع من تقدم ذكره من الضعفاء والمرضىٰ الذين لا يجدون ما ينفقون.

وإن قيل بالتأويل الثاني كان راجعًا إلىٰ الذين لا يجدون ما ينفقون خاصة)[(2)].

وقيل إنها نزلت في عائذ بن عمرو وعبد الله بن مغفل[(3)].

قوله ﷻ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فيه وجهان[(4)]:

أحدهما- أنه لم يجد لهم زاداً لأنهم طلبوا ما يتزودون به، قاله أنس بن مالك.

الثاني- أنه لم يجد لهم نعالاً لأنهم طلبوا نعالا، قاله الحسن.

روىٰ أبو هريرة أن النبي ﷺ قال في هذه الغزاة وهي تبوك: (أكثروا من النعال فإن الرجل لا يزال راكبًا ما كان منتعلاً)[(5)].

---

(١) ذكر القولين الأولين ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٨٤) عن الماوردي ثم صحح فعمم وقال إنهم الذين يضعفون لزمانة، أو عمىٰ، أو سن، أو ضعف في الجسم. فالتعميم أولىٰ ويكون ما ذكر من باب التفسير بالمثال.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٣) ذكرهما الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٢٠)، ولو صح نزولها فيهما فإن حكمها لا يقتصر عليهما إذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وعائذ هو عائذ بن عمرو بن هلال المزني ممن بايع تحت الشجرة، مات بالبصرة، انظر: الإصابة (٢/ ٢٦٢). وعبد الله بن مغفل بن عبد غنم، من مشاهير الصحابة شهد بيعة الشجرة وكان أحد البكائين في غزوه تبوك، بعثه عمر ليفقه الناس بالبصرة ومات بها نحو سنة ستين. انظر: الإصابة (٢/ ٣٧٢).

(٤) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٨٦) وزاد قول ابن عباس أنها الدواب وهو الأنسب للحمل.

(٥) أخرجه مسلم لكن من حديث جابر، كتاب اللباس والزينة، (١٨) باب استحباب لبس النعال وما في معناها (٣/ ١٦٦٠)، وأخرجه أبو داود كتاب اللباس، باب في الانتعال رقم (٤١٣٣) (٤/ ٦٩) وأحمد في المسند (٣/ ٣٣٧) كلاهما من حديث جابر أيضًا. ومعناه أن المنتعل شبيه بالراكب في خفة المشقة وسلامة الرجل وقلة التعب.

وفيمن نزلت فيه خمسة أقاويل:

أحدها- في العرباض بن سارية، قاله يحيىٰ بن أبي المطاع[١].

والثاني- في عبد الله بن الأزرق وأبي ليلىٰ [٢]، قاله السدي.

والثالث- في بني مقرّن من مزينة، قاله مجاهد[٣].

والرابع في سبعة من قبائل شتىٰ، قاله محمد بن كعب [٤].

والخامس في أبي موسىٰ وأصحابه، قاله الحسن [٥].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)﴾ [التوبة: ٩٤-٩٦].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ في السبيل ها هنا وجهان [٦]:

أحدهما- الإنكار.

الثاني- المأثم [٧].

---

(١) العرباض: هو عرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفة نزل حمص، وتوفي نحو سنة ٧٠. انظر: الإصابة (٢/ ٤٧٣) رقم (٥٥٠١). ويحي بن أبي المطاع القرشي الأردني ابن أخت بلال، صدوق من الرابعة. قيل إن روايته عن العرباض مرسلة. انظر: تهذيب التهذيب (١١، ٢٧٩)، وتقريب التهذيب (٧٦٤٩) (٥٩٧).

(٢) أبو ليلىٰ هو: عبد الرحمن بن كعب بن عمرو الأنصاري المازني أبو ليلىٰ، شهد أُحداً والخندق وما بعدها، أحد البكائين، مات في آخر زمن عمر. انظر: الإصابة (٢/ ٤٢٠) رقم: (٥١٨٩).

(٣) عدهم ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٨٦). وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٢١).

(٤) ذكرهم الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٢٢).

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٨٦).]

(٦) في الأصل.ك: وجهين. وهو وهم.

(٧) انظر: تفسير أبي حيان (٥/ ٨٨) وقد نبه فيه إلىٰ أن "إنما" ليست للحصر وإنما هي للمبالغة والتوكيد في أن اللائمة والعقوبة والإثم علىٰ هؤلاء. وانظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٠).

وقولـه تعـالىٰ: ﴿يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ يعنـي في التخلـف عـن الجهـاد. ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ يعنـي بالمال والقدرة.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنهم الذراري من النساء والأطفال.

الثاني- أنهم المتخلفون بالنفاق [١].

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة:٩٧-٩٩].

قوله ﷻ: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ فيه وجهان:

أحـدهما أن يكـون الكفـر والنفـاق فـيهم أكثـر منـه في غيـرهم لقلـة تلاوتهـم للقـرآن وسماعهم للسنن [٢].

الثاني- أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم لأنهم أجفىٰ طباعـًا وأغلظ قلوبـًا.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ومعنىٰ أجدر أي أقرب، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين.

وفي المراد بحدود ما أنزل الله وجهان:

أحدهما- فروض العبادات المشروعة.

الثاني- الوعد والوعيد في مخالفة الرسول ﷺ والتخلف عن الجهاد [٣].

---

(١) راجع. تفسير آية/ ٨٧.

(٢) قاله قتادة كما في تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٩)، و القرطبي (٨/ ٢٣١). فشدة كفر بعضهم ونفاقهم سببه جهلهم وجفاء طبعهم وليس بين الأمرين تعارض، فجفاء الطبع له تعلق بالجهل وهو ما يؤيده قوله بعد: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

(٣) انظر: تفسير أبي حيان (٥/ ٩٠).

قوله ﷻ [١٦٩/ ظ]: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ما يدفع من الصدقات.

الثاني- ما ينفق في الجهاد مع الرسول ﷺ مغرماً [١].

والمغرم التزام ما لا يلزم [٢]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥] أي لازماً، قال الشاعر:

فمـا لـك مسـلوب العـزاء كأنما ** ترىٰ هجر ليلىٰ مغرما أنت غارمه

قوله ﷻ: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ والدوائر جمع دائرة وهي انقلاب النعمة إلىٰ غيرها [٣]، مأخوذة من الدور ويحتمل تربصهم الدوائر وجهين:

أحدهما- في إعلان الكفر والعصيان.

والثاني- في انتهاز الفرصة بالانتقام.

﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ رد لما أضمروا وجزاء لما مكروا.

قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ قال مجاهد: هم قوم [٤] من مزينة [٥].

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أنها تقربه من طاعة الله ورضاه.

الثاني- أن ثوابها مذخور لهم عند الله تعالىٰ، فصارت قربات عند الله.

---

(١) وقيل أيضاً ما يخرجه من الزكاة. والأولىٰ حمل الآية علىٰ عمومها، ويكون ما ذكر من باب التفسير بالمثال.

(٢) وقال ابن قتيبة المغرم: الغرم والخسران، وعند ابن فارس: الغرم: ما يلزم أداؤه. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩١)، و ابن الجوزي (٣/ ٤٨٨).

(٣) في (ق): إلىٰ ضدها. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (ق): هم بنو مقرن من مزينة.

(٥) قاله مجاهد، كما في تفسير الطبري (١٤/ ٤٣٣) وهم سبعة إخوة ذكرهم ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٨٦)، وقيل عشرة. وقال الضحاك أن الآية نزلت في عبد الله ذي النجادين ورهطه، وقال الكلبي في أسلم وغفار وجهينة. انظر: تفسير أبي حيان (٥/ ٩١).

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ فيها وجهان:

أحدهما- أنه استغفاره لهم، قاله ابن عباس.

الثاني- دعاؤه لهم، قاله قتادة [1].

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ فيه وجهان [2]:

أحدهما- أن يكون راجعًا إلىٰ إيمانهم ونفقتهم أنها قربة لهم.

الثاني- إلىٰ صلوات الرسول أنها قربة لهم [3].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها- [4] أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان في العقبة قاله الشعبي [5] وابن سيرين [6].

الثاني- أنهم الذين صلوا إلىٰ القبلتين مع رسول الله ﷺ قاله أبو [7] موسىٰ الأشعري وسعيد ابن المسيب [8].

---

(١) وهو قول ابن قتيبة والزجاج. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥١٦)، وابن الجوزي (٣/ ٤٨٩)، وأبي حيان (٥، ٩١).

(٢) في الأصل: فيه وجهين. وهو وهم، وفي (ف) يحتمل وجهين.

(٣) يقول ابن عطية في تفسيره (٨/ ٢٥٨): "والضمير في قوله (إنها) يحتمل أن يعود علىٰ النفقة وهذا في انعطاف الصلوات علىٰ القربات. ويحتمل أن يعود علىٰ الصلوات وهذا في انعطافه علىٰ ما ينفق". فعلىٰ القول الأول يكون المعنىٰ أنه يتخذ ما ينفق للقربات و الصلوات. وعلىٰ القول الثاني يكون المعنىٰ أنه يتخذ الإنفاق و الصلوات قربات.

(٤) سقط هذا القول من (ك). وفي (ق) ذكر الأول و الثاني فقط.

(٥) في الأصل: "قاله الشافعي وابن سيرين"، والمثبت من (ف، ق) وهو الصواب.

(٦) المشهور عن ابن سيرين أنه يقول بأنهم الذين صلوا القبلتين كما عند الطبري (١٤/ ٤٣٧)، وابن الجوزي (٣/ ٤٩٠)، وابن عطية (٨/ ٢٥٩) وأبي حيان (٥/ ٩٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦٩) كذلك وزاد عنه: أنهم أهل بدر ونسبه لابن المنذر وأبي نعيم.

(٧) "أبو" سقطت من الأصل، ك.

(٨) وهو قول قتادة وابن سيرين كما تقدم.

الثالث- أنهم أهل بدر، قاله عطاء[١].

الرابع- أنهم السابقون بالموت والشهادة من المهاجرين والأنصار سبقوا إلىٰ ثواب الله تعالىٰ وحسن جزائه [٢].

ويحتمل خامسًا- أن يكون السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين آمنوا بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ عنهم، والسابقون الأولون من الأنصار هم الذين آمنوا برسول الله ورسوله قبل هجرته إليهم [٣]

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما في الإيمان.

الثاني- بالأفعال الحسنة[٤].

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- رضي الله عنهم بالإيمان، ورضوا عنه بالثواب، قاله ابن بحر.

الثاني- رضي الله عنهم في العبادة، ورضوا عنه بالجزاء، حكاه علي بن عيسىٰ [٥].

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح كما عند ابن الجوزي (٣/ ٤٩٠)، وعطاء بن يسار كما عند القرطبي (٨/ ٢٣٦)، فلعله قول لكليهما، وهو قول لمحمد بن كعب، وروي عن ابن سيرين.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٩٠) عن الماوردي، وهو قول ابن بحر كما في البحر المحيط (٥/ ٩٢).

(٣) هذا قول المؤلف، وهو بمعنىٰ قول أبي يعلىٰ القاضي كما في زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٩١) وقال الفخر الرازي (١٦/ ١٦٨): والصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة والنصرة، وعلل ذلك بأنه ذكرهم ثم وصفهم بالسبق في الهجرة والنصر، وقال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون علىٰ أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون إلىٰ تمام العشرة، ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية. انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٦).

(٤) قال عطاء: إتباعهم إياهم باحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحمون عليهم. وقال الفخر الرازي في كلمة قيمة: واعلم أن الآية دلت علىٰ أن من اتبعهم إنما يستحقون الرضوان والثواب بشرط كونهم متبعين لهم بإحسان وفسرنا هذا الإحسان بإحسان القول فيهم والحكم المشروط بشرط ينتفي عند انتفاء ذلك الشرط فوجب أن من لم يحسن القول في المهاجرين والأنصار لا يكون مستحقًا للرضوان من الله تعالىٰ وأن لا يكون من أهل الثواب لهذا السبب فإن أهل الدين يبالغون في تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ ولا يطلقون ألسنتهم في اغتيابهم وذكرهم ما لا ينبغي". انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩١) والفخر الرازي (١٦/ ١٧٢).

(٥) وهو بمعنىٰ قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥١٧).

الثالث- رضي الله عنهم بطاعة الرسول ﷺ، ورضوا عنه بالقبول.

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة:١٠١].

قوله ﷻ: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ يعني حول المدينة، قال ابن عباس [(١)]: مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون كما كان من الأنصار لدخول جميعهم تحت القدرة فتميزوا بالنفاق وإن عمتهم الطاعة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ ، فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أقاموا عليه ولم يتوبوا منه، قاله عبد الرحمن بن زيد [(٢)].

الثاني- مردوا عليه، أي عتوا فيه، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧].

الثالث- تجردوا فيه وتظاهروا به، مأخوذ منه تجرد خد الأمرد لظهوره وهو محتمل [(٣)].

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لا تعلمهم حتىٰ نعلمك بهم.

الثاني- لا تعلم أنت عاقبة أمورهم، وإنما نختص نحن بعلمها، وهذا يمنع أن يحكم علىٰ أحد بجنة أو نار.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه أربعة أوجه [(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩١). والقرطبي (٨/ ٢٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٠).

(٣) وهو قول المؤلف. وانظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٤١).

(٤) ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٩٢) عشرة أقوال في ذلك، وأشار أبو حيان في تفسيره (٥/ ٩٤) إلىٰ احتمال إرادة التكثير أي مرة بعد مرة كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ ، أي كرة بعد كرة، وإن كان رجح إرادة التثنية. وظاهر الآية أن مواطن العذاب ثلاثة: فالعذاب العظيم الذي يردون إليه هو عذاب الآخرة بلا خلاف، وأكثر الناس علىٰ أن العذاب المتوسط هو عذاب القبر، وبقي الخلاف في عذاب المرة الأولىٰ عذاب الدنيا. وليس في تحديده نص.

أحدها- أن أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والجزع من المسلمين، والآخر عذاب القبر، قاله ابن عباس [(١)].

والثاني- أن أحدهما عذاب الدنيا والآخر عذاب الآخرة، قاله قتادة [(٢)].

والثالث- أن أحدهما الأسر والآخر القتل، قاله ابن قتيبة [(٣)].

والرابع- أن أحدهما الزكاة التي تؤخذ منهم والأخر الجهاد الذي يؤمرون به لأنهم بالنفاق يرون ذلك عذابًا، قاله الحسن [(٤)].

[١٧٠/ ظ] ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه [(٥)].

أحدها- أنه عذاب النار في الآخرة.

الثاني- أنه إقامة الحدود في الدنيا.

الثالث- أنه أخذ الزكاة منهم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٢].

قوله ﷻ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فيهم قولان:

---

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٨/ ٢٦٢) وقال عنه أنه الأشهر عن ابن عباس ونقل ذلك أبو حيان في البحر الميحط (٥/ ٩٤). وأخرجه الطبري مطولاً في تفسيره (١٤/ ٤٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣) وقال عنه: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي وهو ضعيف، وذكر الطبري في تفسيره في موطن آخر (١٤/ ٤٤٤) عن ابن عباس أنه قال إحدى المرتين: الحدود، والأخرىٰ عذاب القبر لكنه قال عنه أنه ذكر عن ابن عباس من وجه غير مرضي.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٤٣)، وليس في هذا القول تعيين لعذاب الدنيا إلا أن يراد شموله لعذابات الحياة.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩٢)، وهي رواية عن مجاهد كما في تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٢).

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩٣).

(٥) المشهور أن العذاب العظيم الذي يردون إليه هو عذاب الآخرة كما عند الطبري (١٤/ ٤٤٥) وابن الجوزي (٣/ ٤٩٣). وقد نص ابن عطية (٨/ ٢٦٢)، وأبو حيان (٥/ ٩٤) إلىٰ عدم الخلاف في ذلك. وانظر: تفسير الفخر الرازي (١٦/ ١٧٤).

أحدهما- أنهم سبعة من الأنصار منهم أبو لبابة بن عبد المنذر[(١)]، و أوس بـن ثعلبـة[(٢)]، ووديعـة ابن حزام [(٣)]، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، فربطوا أنفسهم لما ندموا علىٰ تأخرهم إلىٰ سواري المسجد ليطلقهم رسول الله ﷺ إن عفا عنهم، فلما عاد رسـول الله ﷺ مر بهم وكانوا علىٰ طريقه فسأل عنهم فـأخبر بحـالهم فقـال: (لا أعـذرهم ولا أطلقهـم حتـىٰ يكـون الله تعـالىٰ هـو الـذي يعـذرهم ويطلقهـم) فنزلـت هـذه الآيـة فـيهم فـأطلقهم، وهـذا قـول ابن عباس[(٤)].

الثاني- أنه أبو لبابة وحده قال لبني قريظة حين أرادوا النزول علىٰ حكم النبي ﷺ إنه ذابحكم إن نزلتم علىٰ حكمه، قاله مجاهد [(٥)].

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أن الصالح: الجهاد، والسيئ: التأخر عنه، قاله السدي[(٦)].

الثاني- أن السيئ: الذنب، و الصالح: التوبة، قاله بعض التابعين[(٧)].

الثالث- ما قاله الحسن: ذنبـًا وسوطـًا لا ذاهبـًا فروطـًا[(٨)]، ولا ساقطـًا سقوطـًا[(٩)].

---

(١) تقدم التعريف به عند تفسير آية ٥١ من المائدة (٣/ ١١٧٥).

(٢) هو أوس بن ثعلبة الأنصاري ذكر ابن حجر في ترجمته في الإصابة أنه أحد الذين خلفوا عن يحي بن سعيد، وعبد بن حميد وابن جرير انظر: الإصابة (١/ ٨١).

(٣) كذا في (ك، ف). وفي الأصل: خزام، وفي تفسير ابن جوزي (٣/ ٤٩٤): وديعة بن خدام الأنصاري.

(٤) أخرجه الطبري بنحوه (٤/ ٤٤٧) وليس فيه تسمية أصحاب أبي لبابة. وانظر: تفسير الدر المنثور (٤/ ٢٧٥)

(٥) تفسير مجاهد (١/ ٢٨٦). وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٦) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٦) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩٥).

(٧) وهو قول الطبري (١٤/ ٤٤٦)، والفراء (١/ ٤٥٠)، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩٥)، والبحر المحيط (٥/ ٩٤).

(٨) في الأصل، ك: قروطـًا. و اللفظة مطموسة في نسخة (ف). وليست في (ق). ولعلها تصحيف.

(٩) وعن الحسن أن عملهم الصالح خروجهم إلىٰ الجهاد قبل، والسيئ تخلفهم عن غزاة تبوك. كما في تفسير البحر المحيط (٥/ ٩٥) وفي أساس البلاغة للزمخشري (٧١٠)، يقال: "اللهم اغفر لي فرطاتي ولا تؤاخذني بسقطاتي "أي ما فرط مني" والآية وإن نزلت في أناس بأعيانهم فهي عامة في أمثالهم وهم كثير- فالعبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها عمنا الله جميعـًا برحمته. والواو في قوله- وآخر سيئا- بمعنىٰ الباء، وقيل بمعنىٰ مع.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ [التوبة:١٠٣-١٠٥].

قوله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس: لما نزل في أبي لبابة وأصحابه ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾.. الآية. ثم تاب عليهم قالوا يا رسول الله خذ منا صدقة أموالنا لتطهرنا وتزكينا، قال: لا أفعل حتىٰ أؤمر، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [١] وفيها وجهان:

أحدهما- أنها الصدقة التي بذلوها من أموالهم تطوعـًا، قاله ابن زيد [٢].

والثاني- أنها الزكاة التي أوجبها الله تعالىٰ في أموالهم فرضـًا، قاله عكرمة [٣] ولذلك قال: ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما تجب في بعضها.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي تطهر ذنوبهم وتزكي أعمالهم.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ فيه وجهان [٤].

أحدهما- استغفر لهم: قاله ابن عباس.

الثاني- ادع لهم، قاله السدي.

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها- يعني قربة لهم، قاله ابن عباس في رواية الضحاك [٥].

الثاني- رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضـًا [٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٤)، وابن الجوزي (٣/ ٤٩٥).

(٢) ونسبه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٤٩٦) للجمهور.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي، و القرطبي (٨/ ٢٤٤).

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩٦). وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩١).

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٤٩٦) وأبي حيان (٥/ ٩٥).

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٤٥٧)، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ. عن ابن عباس كما عند السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨١).

الثالث- وقار لهم، قاله قتادة [١].

الرابع- تثبيت لهم، قاله ابن قتيبة[٢].

الخامس- أمن لهم[٣]، ومنه قول الشاعر:

يـا جـارةَ الحـيِّ كُنـتِ لـي سـكنًا ** إذ لـيس بعـضُ الجيـرانِ بالسـكن [٤]

وفي الصلاة عليهم والدعاء لهم عند أخذ الصدقة منهم ستة أقاويل [٥]:

أحدها- يجب علىٰ الآخذ الدعاء للمعطي اعتباراً بظاهر الأمر[٦].

الثاني- لا يجب ولكن يستحب لأن جزاءها علىٰ الله تعالىٰ لا علىٰ الآخذ.

والثالث- إن كانت تطوعـًا وجب علىٰ الآخذ الدعاء، وإن كانت فرضـًا استحب ولم يجب.

والرابع: إن كان آخذها الوالي استحب له الدعاء ولم يجب عليه، وإن كان آخذها الفقير وجب عليه الدعاء له، لأن الحق في دفعها إلىٰ الوالي معيّن، وإلىٰ الفقير غير معيّن.

والخامس- إن كان آخذها الوالي وجب، وإن كان الفقير استحب ولم يجب؛ لأنه دفعها إلىٰ الوالي إظهار طاعة فقوبل عليها بالشكر وليس كذلك الفقير.

والسادس- إن سأل الدافع الدعاء وجب، وإن لم يسأل استحب ولم يجب، روىٰ عبد الله بن أبي أوفىٰ [٧] قال: أتيت النبي ﷺ بصدقات قومي، فقلت: يا رسول الله صلّ عليّ، فقال: (اللهم صلّ

---

(١) كما عند الطبري، وابن الجوزي. وأبي حيان.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩٢) وهو قول أبي عبيدة في غريب القرآن (١/ ٢٦٨).

(٣) وهو قول لابن عباس -أيضـًا- أخرجه عنه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨١).

(٤) ذكره من غير نسبة- أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٩٥)، و السمين الحلبي في الدر المنثور (٦/ ١١٧).

(٥) في (ق) أوجه. وقد سقط أول القول الأول من (ك).

(٦) قال القرطبي (٨/ ٢٤٩) عن هذه الآية: "أصل في فعل كل إمام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة" وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والسنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت". انظر: تفسير الفخر الرازي (١٦/ ١٨٠).

(٧) هو عبد الله بن أبي أوفي- واسمه علقمه- بن خالد الأسلمي، له ولأبيه صحبة شهد الحديبية وروىٰ أحاديث شهيرة. نزل الكوفة وكان آخر من مات من الصحابة بها نحو سنة ثمانين. انظر: الإصابة (٢/ ٢٨٠) رقم ٤٥٥٥.

علىٰ آل أبي أوفي)[١].

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [التوبة:١٠٦].

قوله ﷻ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله [١٧١/ و] ﷺ في غزاة تبوك ولم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، وهم هلال بن أمية [٢]، و مرارة بن الربيع [٣]، وكعب بن مالك [٤].

﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالىٰ فيهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يميتهم علىٰ حالهم، قاله السدي.

الثاني- يأمر بعذابهم إذا لم يعلم صحة توبتهم.

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أن يعلم صدق توبتهم فيظهرها فيهم.

الثاني- أن يعفو عنهم ويصفح عن ذنوبهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم فيما فعله من إرجائهم.

---

(١) أخرجه بنحوه- البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب (٦٤) صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة... (٢/ ١٣٦) ومسلم كتاب الزكاة، باب (٥٤) الدعاء لمن أتىٰ بصدقة رقم (١٠٧٨) (٢/ ٧٥٦) وأبو داود كتاب الزكاة رقم (١٥٩٠) وأخرجه ابن أبي شيبة، والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه كما عند السيوطي في الدر المنتور (٤/ ٢٨١).

(٢) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي، شهد بدراً وما بعدها وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا في غزاة تبوك وتاب الله عليهم، و كان سبباً في نزول آيات اللعان، وله ذكر في الصحيحين. انظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٦٠٧) رقم (٨٩٧٨).

(٣) في الأصل،ك، ف: فزارة. والمثبت من (ق)، وهو: مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي صحابي مشهور شهد بدراً وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا و تاب الله عليهم. انظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٣٩٦) رقم (٧٨٦٥).

(٤) تقدم التعريف به. وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٦٧). وابن الجوزي (٣/ ٤٩٧). والدر المنثور (٤/ ٢٨٤). وأسباب النزول للواحدي (٢٦٠)، والبحر المحيط (٥/ ٩٧). و القول بأن الآية نزلت في هؤلاء الثلاثة قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن إسحاق.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة:١٠٧-١٠٨].

قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ هؤلاء [هم] (١) بنو عمرو بن عوف (٢) وهم إثنا عشر رجلاً من الأنصار المنافقين، وقيل: هم خذام (٣) بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق، و ثعلبة (٤) بن حاطب، ومعتب (٥) بن قشير، وأبو حُبيبة (٦) بن الأزعر، وعباد بن (٧) حنيف أخو سهل بن حنيف، وجارية (٨) بن عامر، وابناه محمع وزيد ابنا جارية، ونبتل بن الحارث (٩)،

---

(١) زيادة من (ق).

(٢) كذا هنا وبنو عمرو بن عوف هم الذين بنو مسجد قباء، أما الذين بنوا مسجد الضرار فهم. بنوا غنم بن عوف. انظر: تفسير ابن جرير (١٤/ ٤٧٩)، وابن الجوزي (٣/ ٤٩٩)، والقرطبي (٨/ ٢٥٣) وأسباب النزول للواحدي.

(٣) في الأصل،ك: خدام، وفي (ق): جذام، وفي (ف): حزام وهي تصحيفات. وهو: خذام بن خالد بن بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف وهو الذي أخرج أرض المسجد من داره. انظر: المحبر لابن حبيب (٤٦٩)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠)، و تفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٩). وابن الجوزي (٣/ ٤٩٩).

(٤) هو: ثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد، وهو من بناة مسجد الضرار والذي نزل فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾... وهو غير ثعلبة الصحابي البدري. انظر: المصادر السابقة والمحبر (٤٦٨)، والإصابة (١/ ١٩٨) وراجع (ص ٣٨٤).

(٥) هو: معتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد قيل إنه كان منافقـًا ثم تاب. وأنه ممن شهد بيعة العقبة وغزوة بدر. انظر: المحبر (٤٦٨)، وسيرة- ابن هشام (٢/ ٥٣٠)، والإصابة (٣/ ٤٤٣) وتفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٩).

(٦) هو أبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد ذكر أنه شهد أحداً. انظر: المصادر السابقة. والإصابة (٤/ ٤١).

(٧) هو عباد بن حنيف بن واهب بن العكيم الأنصاري والأوسي. انظر: المحبر (٤٦٨) والإصابة (٢/ ٢٦٤/ ٨٧) وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠) وابن جرير (١٤/ ٤٦٩).

(٨) في الأصل، ك: حارثة. وهو تصحيف والمثبت من (ق). وهو جارية بن عامر بن العطاف من ضبيعة بن زيد الأوسي وابنه مجمع كان صغيراً قد جمع القرآن وكان يصلي بهم في مسجد الضرار. وقد أذن له عمر بن الخطاب في إمامة قومه بعد أن قال: إنه لم يكن يعلم من أمرهم شيئـًا، وقد أضاف ابن حبيب في كتابه المحبر (٤٦٨) ابنه يزيد مع بناة مسجد الضرار. انظر: الإصابة (٣/ ٣٦٦). وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠) وغاية النهاية (٢/ ٤٢) رقم (٢٦٦٠) وتفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٩).

(٩) هو: نبتل بن الحارث بن قيس الأوسي من بني ضبيعة بن زيد. انظر: الإصابة (٣/ ٥٤٩)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠). وتفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٩).

وبجاد بن عثمان [١]، و وديعة بن ثابت [٢] وبحزج [٣] وهو جد عبد الله بن حنيف، وله قال النبي ﷺ: (ويلك[٤] يا بحزج ما أردت بما أرئ).

فقال يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب، فصدقه، فبنى هؤلاء مسجد الشقاق والنفاق قريباً من مسجد قباء.

﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ضراراً برسول الله وكفراً با لله، و تفريقاً بين المؤمنين أن لا يجتمعوا كلهم في مسجد قباء فتجتمع كلمتهم، ويتفرقوا فتتفرق كلمتهم، ويختلفوا بعد ائتلافهم.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وفي الإرصاد وجهان:

أحدهما: أنه انتظار سوء يتوقع.

الثاني- الحفظ. المكروه بفعل[٥].

وفي محاربة الله تعالىٰ ورسوله وجهان:

أحدهما: مخالفتهما[٦].

الثاني: عداوتهما. والمراد بهذا الخطاب أبو عامر الراهب والد حنظلة[٧] بن الراهب كان قد

---

(١) في الأصل، ك: بجاد بن غنم. والمثبت من (ق). وهو: بجاد بن عثمان بن عامر من بني ضبيعة. انظر: المحبر (٤٦٧)، وسيرة، ابن هشام (٢/ ٥٣٠)، و تفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٩). وابن الجوزي (٣/ ٤٩٩).

(٢) هو وديعة بن ثابت من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠)، و المحبر (٤٦٨) و تفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٩).

(٣) يحزج كذا في الأصل، ق. وتفسير الطبري (١٤/ ٤٦٩، ٤٧١). وفي (ك):خرج. واللفظة مطموسة في نسخة (ف). وفي المحبر لابن حبيب (٤٧٠) و الدر المنثور (٤/ ٢٨٥): بخدج- بالباء: وهو من بني ضبيعة وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٠).

(٤) في الأصل، ك: ومالك...، والخبر- بطوله- في تفسير الطبري (١٤/ ٤٧١)، وابن الجوزي (٣/ ٤٩٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٤) وزاد نسبته إلىٰ ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

(٥) كذا في (ك)، وفي الأصل: (..لمكروه..) و العبارة غير مقروءة في (ف) والأقوال ليست في (ق). ولم أتبين المعنىٰ المراد. وفي المطبوعة: "الحفظ المقرون بفعل"وهو تصرف من المحقق. ومعنىٰ الآية إعداداً وانتظاراً لمجيء أبي عامر الراهب ليصلي فيه.

(٦) في الأصل ك، مخالفوهما. واللفظة مطموسة في (ف) والنص ساقط من (ق).

(٧) كذا في (ق)، و في الأصل، ك: حملة. والصواب: حنظلة بن أبي عامر الراهب. وحنظلة هو غسيل الملائكة حيث خرج =

حزب علىٰ رسول الله ﷺ [ثم خاف فهرب إلىٰ الروم وتنصر واستنجد هرقل علىٰ رسول الله ﷺ][1] فبنوا هذا المسجد له حتىٰ إذا عاد من هرقل صلىٰ فيه، و كانوا يعتقدون أنه إذا صل فيه نصر، وكانوا ابتدأوا بنيانه ورسول الله ﷺ خارج [2] إلىٰ تبوك، فسألوه أن يصلي لهم فيه فقال: (إنا علىٰ سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم وصلينا لكم فيه). فلما قدم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد، وقالوا قد فرغنا منه، فأتاه خبر المسجد وأنزل الله تعال فيه ما أنزل[3].

وحكىٰ مقاتل أن الذي أمهم فيه مجمع بن جارية [4] و كان قارئـًا، ثم حس إسلامه بعد ذلك فبعثه عمر بن الخطاب ﷺ إلىٰ الكوفة يعلمهم القرآن وهو علم ابن مسعود بقية القرآن.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- طاعة الله تعالىٰ.

والثاني- الجنة.

والثالث- فعل التي هي أحسن، من إقامة الدين والجماعة للصلاة، وهي يمين تحرُّج.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم، حانثون في أيمانهم.

والثاني- والله يعلمك إنهم لكاذبون حانثون. فصار إعلامه له كالشهادة منه عليهم.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أي لا تصل فيه أبداً، يعني مسجد الشقاق والنفاق فعند ذلك أنفذ رسول

=

من أهله جنبًا لما سمع الهيعة لغزوة أحد. وأبوه: عمرو، ويقال عبد عمرو بن صيفي بن مالك الأوسي، كان في الجاهلية يعرف بالراهب حيث كان يذكر البعث ودين الحنيفية فلما بعث الرسول ﷺ عانده وحسده وخرج إلىٰ الروم. فمات بها سنة تسع أو عشر. انظر: الإصابة لابن حجر في ترجمة حنظلة (١/ ٣٦٠) رقم ١٨٦٣

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. ك، وإثباته من (ف، ق).

(٢) في الأصل،ك: خارجًا.

(٣) انظر: الخبر مطولاً في تفسير ابن جرير (١٤/ ٤٦٨) والدر المنثور (٤/ ٢٨٥) وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٤٩٩).

(٤) في الأصل،ك: حارثة. والصواب ما أثبته من (ق).

الله ﷺ مالك[١] بن الدخشم وعاصم بن [٢]عدي فقال: انطلقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه[٣]. فذهبا إليه وأخذا سعفًا وحرقاه [٤]. وقال ابن جريج: بل انهار المسجد في يوم الاثنين ولم يحرق [٥].

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، قاله أبو سعيد الخدري ورواه مرفوعًا[٦].

الثاني- أنه مسجد قباء، قاله الضحاك وهو أول مسجد بني في الإسلام، قاله ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك [٧].

الثالث- [١٧١/ ظ] أنه كل مسجد بني في المدينة أسس علىٰ التقوىٰ، قاله محمد بن كعب [٨].

---

(١) هو: مالك بن الدخشم الأوسي الأنصاري من بني عوف بن عمرو. شهد بدراً وأسر سهيل بن عمرو وقام بإحراق مسجد الضرار. انظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٣٤٣).

(٢) هو: عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان العجلاني حليف الأنصار، كان سيد بني عجلان، يذكر في البدريين، استخلفه الرسول ﷺ علىٰ العالية من المدينة وله ذكر في قصة المتلاعنين. وقد قيل أن الذي أحرق المسجد أخوه معن بن عدي. ولم يرد ذكر ذلك في ترجمتيهما عند ابن حجر في الإصابة. وعند أبي حيان أن عاصمًا ومعنًا كانا جميعا في ذلك. انظر: الإصابة (٢/ ٢٤٦) رقم ٤٣٥٣، (٣/ ٤٩٩) وتفسير أبي حيان (٥/ ٩٨). وراجع علىٰ تفسير آية/ ٧٩.

(٣) في الأصل، كاف: واهدماه.

(٤) أخرجه- بطوله- الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٦٨)، وابن الجوزي (٤/ ٤٩٨) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٦).

(٥) ذكره أبو حيان في البحر الميحط (٥/ ٩٨).

(٦) أخرج ذلك ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلىٰ وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من حديث أبي سعيد الخدري وفيه أنه تمارىٰ رجلان في ذلك فسألا النبي ﷺ فقال: هو مسجدي هذا. وهو قول ابن عمر، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب وسهل ابن سعد. ورجحه ابن جرير الطبري (١٤/ ٤٧٩) معللاً ذلك بصحة الخبر بذلك عن رسول الله، واختاره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٤٠٥). وقال ابن عطية (٨/ ٢٧٤):لا نظر مع الحديث. انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٧٦)، وابن الجوزي (٣/ ٥٠٠)، والدر المنثور (٤/ ٢٨٦).

(٧) اختاره أبو حيان (٥/ ٩٩) وقال: وهو أولىٰ لأن الموازنة بين مسجد قباء ومسجد الضرار أوقع منها بين مسجد الرسول ومسجد الضرار وذلك لائق بالقصة وقال القرطبي (٨/ ٢٥٩) أن مسجد قباء أليق بالقصة ثم قال بعد ذلك... إلا أن حديث أبي سعيد الخدري نص فيه رسول الله ﷺ علىٰ أنه مسجده فلا نظر معه. وقال نحو ذلك- أيضًا- أبو حيان حيث قال... وإذا صح هذا النقل لم يتمكن خلافه وراجع تفسير آية/ ١٠٩.

(٨) تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠١).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- في المسجد الذي أسس على التقوى رجال يحبون أن يتطهروا من الذنوب والله يحب المتطهرين منها بالتوبة، قاله أبو العالية (١).

والثاني فيه رجال يحبون أن يتطهروا من الغائط والبول بالاستنجاء بالماء، والله يحب المتطهرين بذلك (٢).

روى أبو أيوب الأنصاري [وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن النبي ﷺ قال للأنصار عند نزول هذه الآية: (يا معشر الأنصار] (٣)، إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهور كم هذا) قالوا: يا رسول الله نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ: (فهل مع هذا غيره قالوا: لا، غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجي بالماء فقال: هو ذلك فعليكموه) (٤).

الثالث- أنه عنى المتطهرين عن إتيان النساء في أدبارهن، وهو مجهول، قاله مجاهد(٥).

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١٠٩-١١٠].

قوله ﷻ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾ يعني مسجد قباء(٦) والألف من ﴿أفمن﴾ ألف إنكار.

(ويحتمل قوله: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ وجهين:

أحدهما- أن التقوى اجتناب معاصيه، والرضوان فعل طاعته.

---

(١) وقال به الحسن. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠١) وأبي حيان (٥/ ٩٩).

(٢) وهو المشهور كما في تفسير الطبري (١٤/ ٤٨٢) وغيره.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل، ك. وزيادته من: (ف)، (ق).

(٤) أخرجه ابن ماجه. وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الجارود في المنتقى والدار قطني وابن مردويه وابن عساكر، وقد صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٦٣) ٣٥٥. وانظر: الدر المنثور (٤/ ٢٨٩).

(٥) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ١٠١٥) من غير نسبة.

(٦) تقدم قريبًا الخلاف في ذلك.

الثاني- أن التقوىٰ اتقاء عذابه، و الرضوان طلب ثوابه.

وكان عمر بن شبّة [(١)] يحمل [(٢)] قوله تعالىٰ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ علىٰ مسجد المدينة، ويحمل: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ علىٰ مسجد قباء، فيفرق بين المراد بهما في الموضعين). [(٣)]

﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ يعني شفير جرف وهو حرف الوادي الذي لا يثبت عليه البناء لرخاوته وأكل الماء له ﴿هار﴾ يعني هائر، والهائر: الساقط.

وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ لمسجد الضرار.

ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين:

أحدهما- أنه لم يبق بناؤهم الذي أسس علىٰ غير طاعة الله حتىٰ سقط كما يسقط ما بني علىٰ حرف الوادي.

الثاني- أنه لم يخف ما أسروه من بنائه حتىٰ ظهر كما يظهر فساد ما بني علىٰ حرف الوادي بالسقوط.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنهم ببنيانهم له سقطوا في نار جهنم.

الثاني- أن بقعة المسجد مع بنائها وبانيها سقطت في نار جهنم، قاله قتادة والسدي.

قال قتادة: وذكر لنا أنه حفرت فيه بقعة فرئي فيها الدخان[(٤)]، وقال جابر بن عبدالله: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار [(٥)].

---

(١) تقدم عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ..﴾ [النساء: ٢٠٠].

(٢) في الأصل، ك: يحتمل. والمثبت من ف، وهو الصواب.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٩٢)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ. انظر: الدر المنثور (٤/ ٢٩٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٩٢، ٤٩٣)، ومسدد في مسنده، وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٤/ ٢٩٢).

قوله ﷻ: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا ﴾ يعني مسجد الضرار.

﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما أن الريبة فيها عند بنائه.

الثاني أن الريبة عند هدمه.

فإن قيل بالأول: أن الريبة عند بنائه، ففي الريبة التي في قلوبهم وجهان:

أحدهما- أنها غطاء علىٰ قلوبهم، قاله حبيب بن أبي ثابت [١].

الثاني- أنه شك في قلوبهم، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك، ومنه قول النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ** وليس وراء الله للمرء مذهب[٢]

ويحتمل وجها ثالثـًا- أن تكون الريبة ما أضمروه من الإضرار [٣] برسول الله ﷺ والمؤمنين [٤].

وإن قيل بالثاني أن الريبة بعد هدمه ففيها وجهان:

أحدهما- أنها حزازة في قلوبهم، قاله السدي [٥].

الثاني- ندامة في قلوبهم، قاله حمزة [٦].

ويحتمل وجها ثالثـًا- أن تكون الريبة الخوف من رسول الله ﷺ ومن [٧] المؤمنين[٨].

﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

---

(١) هو: حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي أبو يحيىٰ الكوفي، ثقة فقيه كثير الإرسال، مات سنة ١١٩هـ.. تهذيب التهذيب (٢/ ١٧٨). وتقريب التهذيب (١٥٠) رقم ١٠٨٤. والذي في تفسير الطبري (١٤/ ٤٩٦) وأبي حيان (٥/ ١٠١) والسيوطي (٤/ ٢٩٣) عن حبيب بن أبي ثابت:﴿غيظـًا في قلوبهم﴾. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٣).

(٢) ديوانه بتحقيق الطاهر بن عاشور (٥٥).

(٣) في الأصل،ك: الأنصار. وهو وهم.

(٤) وهو قول المؤلف.

(٥) وهو قول المبرد، انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٣)، وأبي حيان (٥/ ١٠١).

(٦) وهو قول ابن السائب ومقاتل. انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٣) وأبي حيان (٥/ ١٠١).

(٧) في الأصل،ك: من- بسقوط الواو وهو وهم.

(٨) وهو قول المؤلف.

أحدها- إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك [(١)].

الثاني- إلا أن يتوبوا [١٧٢/ و]، قاله سفيان [(٢)].

والثالث- إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم، قاله عكرمة [(٣)]. وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقرأونها: ﴿ريبة في قلوبهم ولو تقطعت قلوبهم﴾ [(٤)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة:١١١].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ اشترىٰ أنفسهم بالجهاد، ﴿وأموالهم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- نفقاتهم في الجهاد.

والثاني- صدقاتهم علىٰ الفقراء.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني بالجنة[(٥)]. وهذا الكلام مجاز ومعناه أن الله تعالىٰ أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة، فعبر عنه بالشراء لما فيه من عوض ومعوض فصار في معناه، ولأن حقيقة الشراء لا يكون إلا[(٦)] لما لا يملكه المشتري.

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٣)، وأبي حيان (٥/ ١٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان كما في الدر المنثور (٤/ ٢٩٣) وهو قول للزجاج (٢/ ٥٢٢) وقد قال ابن عطية بعد أن ذكر هذا القول غير منسوب (٨/ ٢٨١): وليس هذا بظاهر إلا أن يتأول، و يتوبوا توبة نصوحًا يكون معها من الندم والحسرة علىٰ الذنب ما يقطع القلوب هما وفكرة. وانظر: البحر المحيط (٥/ ١٠١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٠١). و تفسير القرطبي (٨/ ٢٦٦).

(٤) أخرجها ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/ ٢٩٣)، وذكرها القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٦٦). وأخرج الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٩٧) أن قراءة عبد الله: "ولو قطعت قلوبهم" وهو كذلك في كتاب المصاحف لابن أبي داود (٦٢)، والبحر المحيط (٥/ ١٠١).

(٥) في (ق): الجنة والمثبت من بقية النسخ وهو الصواب.

(٦) قوله: "لا يكون إلا" ساقط من الأصل، ك. وإثباته من (ف) وجملة التعليل بكاملها ساقطة من (ق).

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأن الثواب على الجهاد إنما يستحق إذا كان في طاعته ولوجهه.

﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قَتلوا أو قُتلوا. فروى جابر بن عبد الله الأنصاري أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فكبر الناس، فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية فقال: نعم، فقال الأنصاري: بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل [1]. فقال بعض الزهاد: لأنه اشترى الأنفس الفانية بالجنة الباقية.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

قوله ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ يعني من الذنوب.

يحتمل أن يراد بهم الراجعون إلى الله تعالى في فعل ما أمر واجتناب ما حظر، لأنها صفة مبالغة في المدح، والتائب هو الراجع، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه ما بين الأمرين.

﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه [2]:

أحدها- العابدون بتوحيد الله تعالى، قاله سعيد بن جبير.

الثاني- العابدون بطول الصلاة، قاله الحسن.

الثالث- العابدون بطاعة الله تعالى، قاله الضحاك

﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- الحامدون لله تعالى على دين الإسلام، قاله الحسن.

الثاني- الحامدون لله تعالى على السراء والضراء، رواه أبو سهل بن كثير [3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث جابر كما في الدر المنثور (٤/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٥).

(٣) كذا في الأصل، ك، ف. وقد ورد هذا القول في تفسير ابن جرير عن ثعلبة بن سهيل عن الحسن (١٤/ ٥٠١). وقد جاء في كتاب الكنى والأسماء للدولابي (١٩٧) "أبو سهل كثير بن زياد عن الحسن" وهو ثقة من السادسة كما في تقريب التهذيب (٤٥٩) رقم (٥٦١٠).

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- المجاهدون، روىٰ أبو أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله ﷺ في السياحة فقال: (إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله تعالىٰ)[1].

والثاني- الصائمون، وهو قول ابن مسعود وابن عباس، ورواه أبو هريرة مرفوعـًا عن النبي ﷺ أنه قال: (سياحة أمتي الصوم)[2].

الثالث- المهاجرون، قاله عبد الرحمن بن زيد [3].

الرابع- هم طلبة العلم، قاله عكرمة [4].

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ يعني في الصلاة.

﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بالتوحيد، قاله سعيد بن جبير.

الثاني- بالإسلام.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما عن الشرك، قاله سعيد بن جبير.

الثاني- أنهم الذين لم ينهوا عنه حتىٰ انتهوا [5] عنه، قاله الحسن [6].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٧٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٤/ ٢٩٨) لابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان. وهو قول لعطاء. انظر: البحر المحيط (٥/ ١٠٤) و ابن الجوزي (٣/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٠٣) بلفظ: السائحون هم الصائمون. وزاد نسبته السيوطي في الدر المنشور (٤/ ٢٩٨) إلىٰ أبي الشيخ وابن مردويه وابن النجار وهو قول: الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة في آخرين. وانظر: ابن الجوزي (٣/ ٥٠٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما ذكر السيوطي في الدر المنتور (٤/ ٢٩٨)، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٦)، والقرطبي (٨/ ٢٧٠).

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٠٦)، والقرطبي (٨/ ٢٧٠).

(٥) قوله: "حتىٰ انتهوا عنه" سقط من الأصل، ك: وعبارة (ق): "... حتىٰ انتهوا قبلهم عنه"، و المثبت من (ف): والمعنىٰ الانتهاء عن المنكر قبل نهي الغير عنه.

(٦) الأولىٰ حمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ العموم دون تخصيص. وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٠٧) وغيره.

﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- يعني القائمين بأمر الله تعالىٰ [١].

والثاني- [الحافظون][٢] لفرائض الله تعالىٰ من حلاله وحرامه، قاله قتادة [٣].

والثالث- الحافظون لشرط الله في الجهاد، قاله مقاتل بن حيان [٤].

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما يعني المصدقين بما وعد الله تعالىٰ في هذه الآيات، قاله سعيد بن جبير.

والثاني- العالمين [٥] كما ندب الله إليه من هذه الآيات، قاله الحسن [٦].

وسبب نزول هذه الآية ما روىٰ ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾..الآية أتىٰ رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله وإن زنىٰ [١٧٢/ ظ] وإن سرق وإن شرب الخمر؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾.. الآية [٧].

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:١١٣-١١٤].

قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾.. الآية. اختلف في سبب نزولها علىٰ ثلاثة أقاويل:

---

(١) قاله الحسن، تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٨).

(٢) زيادة من (ق).

(٣) وهو قول للحسن - أيضاً - تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٨).

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وهو قول لابن عباس. تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٧).

(٥) في (ق): "العاملين"، والمثبت من بقية النسخ. والعمل هو ثمرة العلم وفائدته، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٨).

(٦) في (ق): وهذا شبه قول الحسن.

(٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٥) عن ابن عباس.

أحدها- ما روىٰ مسروق عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ إلىٰ المقابر فاتبعناه فجاء حتىٰ [(١)] جلس إلىٰ قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكىٰ فبكينا لبكائه، ثم قام، فقام إليه عمر بن الخطاب ﷺ، فدعاه ثم دعانا فقال: (ما أبكاكم)"[(٢)] قلنا: بكينا لبكائك، قال: (إن القبر الذي جلست إليه قبر آمنة وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، وأنزل الله علـــي: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾.. الآيـــة، فأخذني ما يأخذ الولد للوالد[(٣)]،

وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة [(٤)].

والثاني- أنها نزلت في أبي طالب روىٰ سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل [(٥)] و عبد الله بن أبي أمية، فقال ﷺ: (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال له أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، فكان آخر شيء كلمهم به أن قال: أنا علىٰ ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)، فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾..الآية [(٦)].

والثالث- أنها نزلت فيما رواه أبو الخليل [(٧)] عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رجلاً

---

(١) في الأصل: فجاء حتىٰ أتىٰ إلىٰ قبر منها فجلس... و المثبت من (ق.ف).

(٢) في الأصل. ك: يا أبا بكر. وهو وهم.

(٣) في بعض روايات الخديث: ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك- بنحوه، وليس فيه الإذن بزيارة القبور (٢/ ٣٣٦) ثم قال: "صحيح علىٰ شرطهما و لم يخرجاه هكذا بهذه السياقة إنما أخرج مسلم حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة فيه مختصراً"وقد تعقبه الذهبي بقوله: قلت: أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين، وانظر: صحيح مسلم (٢/ ٦٧١) وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٢) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود

(٥) قوله "أبو جهل"ساقط من الأصل، ك: وإثباته من (ف، ق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (الفتح ٨/ ٣٤١) والطبري بطوله (١٤/ ٥١٠). وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٤/ ٢٩٩) لابن أبي شيبة وأحمد ومسلم والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل

(٧) هو عبد الله بن أبي الخليل الحضرمي الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ١٩٩)، و تقريب التهذيب (٣٠١).

يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان قال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبويه؟ فذكرته لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

قوله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾..الآية.

عذر الله تعالىٰ إبراهيم ﷺ في استغفاره لأبيه مع شركه لسالف موعده، ورجاء إيمانه.

وفي موعده الذي كان يستغفر له من أجله قولان:

أحدهما- أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن.

والثاني- أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له ما كان يرجوه أن[2] يؤمن.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾، وذلك بموته علىٰ شركه وإياسه من إيمانه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ أي من أفعاله ومن استغفاره له، فلم يستغفر له بعد موته.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها- أن الأواه: الدعاء، أي الذي يكثر الدعاء، قاله ابن مسعود[3].

الثاني- أنه الرحيم، قاله الحسن[4].

الثالث- أنه الموقن، قاله عطاء وعكرمة[5].

الرابع- أنه المؤمن. بلغة الحبشة، قاله ابن عباس[6].

الخامس- أنه المسبح، قاله سعيد بن المسيب[7].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥١٤)، و الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٣٥) وصححه، ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٤/ ٣٠٠) للطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والترمذي، والنسائي وأبو يعلىٰ وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء في المختارة عن علي.

(٢) في (ق): أنه.

(٣) وهو قول عبيد بن عمير.

(٤) وهو قول لابن مسعود والأول أصح عنه إسناداً، و قاله قتادة وأبو ميسرة.

(٥) وهو قول مجاهد، والضحاك.

(٦) وهو قول لابن جريج.

(٧) وقاله ابن جبير.

السادس- أنه الذي يكثر تلاوة القرآن، وهذا مروي عن ابن عباس أيضـًا.

السابع- أنه المتأوه، قاله أبو ذر[١].

الثامن- أنه الفقيه، قاله مجاهد[٢].

التاسع- أنه المتضرع الخاشع، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي ﷺ[٣].

العاشر- أنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها، قاله أبو أيوب[٤].

وأصل الأواه التأوه وهو التوجع، ومنه قول المثقب العبدي:

إذا مـــا قمـــت أرحلهـــا بليـــل ** تـــأوه آهـــة الرجـــل الحـــزين[٥]

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١١٦﴾ [التوبة: ١١٥-١١٦].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾.. الآية [١٧٣/ و].

سبب نزولها أن قومـًا من الأعراب أسلموا وعادوا إلىٰ بلادهم فعملوا بما شاهدوا رسول الله ﷺ [يعمله][٦] من الصلاة إلىٰ بيت المقدس وصيام الأيام البيض، ثم قدموا بعد ذلك علىٰ رسول

(١) وقاله الشعبي، وأبو عبيدة، قال في مجاز القرآن (١/ ٢٧٠): "مجازه مجاز فعال من التأوه ومعناه متضرع شفقـًا وفرقـًا ولزومـًا لطاعة ربه..".

(٢) و قاله النخعي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٣٢). وهو خبر مرسل. وفيه شهر بن حوشب وهو كثير الإرسال والأوهام (التقريب: ٢٦٩).

(٤) انظر: هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٤/ ٥٢٣)، وابن الجوزي (٣/ ٥٠٩) وقد زاد عليها أبو حيان في البحر (٥/ ١٠٦) خمسة أقوال وذكرها من غير نسبة، كما ذكرها القرطبي جميعـًا منسوبة في تفسيره (٨/ ٢٧٥) وقد رجح الطبري (١٤/ ٥٣٢) القول الأول وأنه: الدعاء. بدلالة سياق وسباق الآيات.

(٥) ديوانه: ٢٩، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٧٠)، و تفسير الطبري (١٤/ ٥٣٤) و ابن الجوزي (٣/ ٥١٠) والقرطبي (٨/ ٢٧٦) و المفضليات (٥٨٦). والشاعر هنا يخاطب ناقته، وهو من قصيدته المشهورة:

أفـــاطم قبـــل بينـــك متعينـــي ** ومنعـك مـا سـألت كـأن تبينـي

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

الله ﷺ فوجدوه يصلي إلىٰ الكعبة ويصوم شهر [(١)] رمضان: فقالوا: يا رسول الله دِنّا الله بعدك بالصلاة [(٢)]، إنك علىٰ أمر وإنا علىٰ غيره فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة:١١٧].

قوله ﷻ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾.. الآية، هي غزوة تبوك قبل الشام، كانوا في عسرة من الشهر، كان الرجلان والثلاثة علىٰ بعير، وفي عسرة من الزاد، قال قتادة حتىٰ لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها أحدهم ثم يشرب عليها من الماء، ثم يمصها الآخر [(٣)]، وكانوا في لهبان الحر وشدته.

قال عبد الله [(٤)] بن محمد بن عقيل: وأصابهم يوماً عطش شديد فجعلوا ينحرون إبلهم ويعصرون أكراشها فيشربون ماءها. قال عمر بن الخطاب فأمطر [(٥)] الله السماء بدعاء النبي ﷺ فعشنا[(٦)].

وفي هذه التوبة من الله علىٰ النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار و جهان محتملان:

أحدهما- استنقاذهم من شدة العسر.

الثاني- أنها خلاصهم من نكاية العدو. وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنىٰ التوبة فيه وهو الرجوع إلىٰ الحالة الأولىٰ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

---

(١) في الأصل، ك: شهور معين.

(٢) ورد في حاشية (ف) قوله: "وفي أخرىٰ بالضلالة" أي في رواية أخرىٰ أو نسخة أخرىٰ، وكأنها أظهر معنىٰ، وقد ذكر أبو حيان هذا السبب، في البحر المحيط (٥/ ١٠٦) عن الكرماني، وفيه: دِنّا بعدك بالضلال.

(٣) في (ق) زيادة: وفي عسرة من الماء.

(٤) هو: عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب صدوق، في حديثه لين، مات بعد الأربعين، انظر: تقريب التهذيب (٣٢١).

(٥) في الأصل، ك: فامس. وهو تحريف.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٠)، وابن الجوزي (٣/ ٥١١)، و السيوطي (٤/ ٣٠٨).

أحدهما- تتلف بالجهد والشدة [(١)].

والثاني- تعدل عن الحق في المتابعة والنصرة، قاله ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ وهذه التوبة غير الأولىٰ، وفيها قولان:

أحدهما- أن التوبة الأولىٰ في الذهاب، والتوبة الثانية في الرجوع.

والقول الثاني- أن الأولىٰ في السفر، والثانية بعد العود إلىٰ المدينة.

فإن قيل بالأول، أن التوبة الثانية في الرجوع، احتملت وجهين:

أحدهما- أنها الإذن لهم بالرجوع إلىٰ المدينة.

الثاني- أنها بالمعونة لهم في إمطار السماء عليهم حتىٰ حيوا، وتكون التوبة علىٰ هذين الوجهين عامة.

وإن قيل: إن التوبة الثانية بعد عودهم إلىٰ المدينة احتملت وجهين:

أحدهما- أنها العفو عنهم من ممالأة من تخلف عن الخروج معهم.

الثاني- غفران ما همَّ به فريق منهم من العدول عن الحق، وتكون التوبة علىٰ هذين الوجهين خاصة[(٢)].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٨-١١٩].

قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ يعني وتاب علىٰ الثلاثة الذين خلفوا وفيه وجهان:

أحدهما- خلفوا عن التوبة وأخرت عنهم حين تاب الله عليهم، أي علىٰ الذين ربطوا أنفسهم مع أبي لبابة [(٣)]. قاله الضحاك وأبو مالك [(٤)].

---

(١) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٥١٢) عن الماوردي.

(٢) ورد تفسير الآية مختصراً في (ق).

(٣) في الأصل، ك: مع أوليائه.

(٤) وهو قول مجاهد. وهو الأظهر. انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٨٠).

الثاني- خلفوا عن بعث رسول الله ﷺ، قاله عكرمة [(١)].

وهؤلاء الثلاثة هم- هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك [(٢)].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ لأن المسلمين امتنعوا من كلامهم.

﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ بما لقوه من الجفوة لهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه.

ثم ﴿تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال كعب بن مالك: [بعد خمسين ليلة] [(٣)] من مقدم رسول الله ﷺ من غزاة تبوك.

﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ قال ابن عباس ليستقيموا لأنه قد تقدمت توبتهم وإنما امتحنهم بذلك استصلاحًا لهم ولغيرهم.

قوله ﷻ [١٧٣/ ظ]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في هذه الآية قولان:

أحدهما- أنها في أهل الكتاب، و تأويلها: يا أيها الذين آمنوا من اليهود بموسىٰ، ومن النصارىٰ بعيسىٰ اتقوا الله في إيمانكم بمحمد ﷺ فآمنوا به، وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي ﷺ وأصحابه في جهاد المشركين، قاله مقاتل بن حيان.

الثاني- أنها في المسلمين، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا [من المسلمين] [(٤)] اتقوا الله. وفي المراد بهذه التقوىٰ وجهان:

أحدهما- اتقوا الله في الكذب، قاله ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، اقرأوا إن

---

(١) أي عن غزوة تبوك، وهو قول قتادة وقد ضعفه ابن عطية بقوله: وهذا ضعيف، وقد رده كعب بن مالك نفسه وقال: معنىٰ خلفوا تركوا عن قبول العذر وليس بتخلفنا عن الغزو. انظر: تفسير ابن عطية (٨/ ٢٩٥).

(٢) أخرج القصة بطولها البخارىٰ (٨/ ٨٦- الفتح)، وابن جرير الطبري (١٤/ ٥٤٨) وغيرهما، وشهرتها تغني عن ذكرها.

(٣) بياض في الأصل، ك: وزيادته من (ق).

(٤) زيادة من (ق).

شئتم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من[1] الصادقين﴾.

هي قراءة ابن مسعود هكذا: من الصادقين [2].

والثاني- اتقوا الله في طاعة رسوله إذا أمركم بجهاد عدوه.

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها- مع أبي بكر وعمر، قاله الضحاك [3].

الثاني- مع الثلاثة الذين خلفوا حين صدقوا النبي ﷺ عن تأخرهم ولم يكذبوا، قاله السدي [4].

والثالث مع من صدق في قوله ونيته وعمله وسره وعلانيته، قاله قتادة.

والرابع- مع المهاجرين لأنهم لم يتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ قاله ابن بحر [5].

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢٢].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- وما كان عليهم أن ينفروا جميعـًا لأن فرضه صار على الكفاية وهذا ناسخ لقوله

(١) في (ق): "مع" كما في المصحف، و"المثبت من الأصل، ك. وذكرها المؤلف قصداً لكونها قراءة لابن مسعود.

(٢) قرأ بها ابن عباس كما ذكر أبو حيان، وقد ذكر الطبري هذه القراءة عن ابن مسعود ثم قال: "…. وتأويل عبد الله (يعني ابن مسعود رحمة الله عليه في ذلك على قراءته، تأويل صحيح. غير أن القراءة بخلافها". انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٦١)، وأبي حيان (٥/ ١١)، وابن الجوزي (٣/ ٥١٤)، و معجم القراءات القرآنية (٣/ ٥١).

(٣) وهو قول لسعيد بن جبير، وقد يشهد له قراءة ابن السميفع وأبي المتوكل: "مع الصادقَيْن" على التثنية. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥١٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦).

(٥) في (ق): ابن جريج، والمثبت من الأصل، ك. وقد ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٤) هذا القول ونسبه لابن جريج.

تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قاله ابن عباس [١].

والثاني- معناه وما كان للمؤمنين إذا بعث رسول الله ﷺ سرية أن يخرجوا جميعًا فيها ويتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة حتىٰ يقيم معه بعضهم، قاله عبد الله بن عبيد بن عمير [٢].

قال الكلبي: وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عُيروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا علىٰ الخروج في سرايا رسول الله ﷺ وتركوه وحده بالمدينة، فنزل ذلك فيهم [٣].

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ فيه قولان:

أحدهما- لتتفقه الطائفة الباقية، إما مع رسول الله ﷺ في جهاده، وإما مهاجرة إليه في إقامته، قاله الحسن.

الثاني- لتتفقه الطائفة [٤] المتأخرة مع رسول الله عن النفور في السرايا، ويكون معنىٰ الكلام: فهلا إذا نفروا أن تقيم من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا مع رسول الله ﷺ في الدين، قاله مجاهد.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- ليتفقهوا [٥] في أحكام الدين ومعالم الشرع ويتحملوا عنه ما يقع به البلاغ وينذروا به قومهم به إذا رجعوا إليهم.

الثاني- ليتفقهوا فيما يشاهدونه من نصر الله لرسوله، وتأييده لدينه وتصديقه وعده، و مشاهدة

---

(١) اختلفت الرواية عن ابن عباس، فروي عنه مرة أنها ناسخة ومرة منسوخة، قال أبو سليمان الدمشقي: "لكل آية وجهها وليس للنسخ علىٰ إحدىٰ الآيتين طريق"، وقال الدكتور مصطفىٰ زيد: وهكذا تضطرب الرواية عن ابن عباس فمرة يروىٰ عنه أن الآية منسوخة، ومرة يروىٰ عنه أنها ناسخة، والحقيقة أنها محكمة ليست بناسخة ولا منسوحة لما أسمعنا... ثم قال وهكذا يخلص لنا أن آيات النفير في سورة براءة محكمات كلهن فليس فيهن ناسخ و منسوخ".
انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥١٦)، والنسخ في القران د مصطفىٰ زيد (٢/ ٧٤٤-٧٤٥).

(٢) هو عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي، ثقة من الثالثة، استشهد غازيًا سنة ثلاث عشرة. انظر: تقريب التهذيب (٣١٢) رقم ٣٤٥٥.

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٢٦٦). وهناك روايات أخرىٰ انظرها: في تفسير الطبري (١٤/ ٥٦٦) والدر المنثور (٤/ ٣٢٢) و تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥١٦).

(٤) في الأصل،ك: ليتفقه المتأخرين. وهو لحن.

(٥) سقطت من الأصل،ك.

معجزاته ليقوىٰ إيمانهم ويخبروا به قومهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣].

[قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها-: أنهم الروم] (١) قاله ابن عمر (٢).

الثاني- أنهم الديلم، قاله الحسن (٣).

الثالث- انهم العرب، قاله ابن زيد(٤).

الرابع- أنه علىٰ العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنىٰ فالأدني، قاله قتادة (٥).

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ﴾ هؤلاء هم المنافقون.

وفي قولهم ذلك عند نزول السورة وجهان:

أحدهما- أنه قول بعضهم لبعض علىٰ وجه الإنكار، قاله الحسن.

الثاني- أنهم يقولون ذلك لضعفاء المسلمين علىٰ وجه الاستهزاء.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فيه قولان:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل،ك. وإثباته من (ق).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٥)، وابن الجوزي (٣/ ٥١٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٥)، وابن الجوزي (٣/ ٥١٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن زيد كما في الدر المنثور (٤/ ٣٢٤).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة، وأخرج أبو الشيخ مثله عن الضحاك. قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ".... فأما بعد أن فتح الله علىٰ المؤمنين البلاد فإن الفرض علىٰ أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم. ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرىٰ من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطروا لزمهم عونهم ونصرهم لأن المسلمين يد علىٰ من سواهم". انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٤). و الدر المنثور (٤/ ٣٢٤).

أحدهما- فزادتهم خشية، قاله الربيع بن أنس [(١)]. الثاني [١٧٣/ ظ]- فزادتهم السورة إيمانا لأنهم قبل نزولها لم يكونوا مؤمنين بها، قاله الطبري [(٢)].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- إثماً إلىٰ إثمهم، قاله مقاتل [(٣)].

الثاني- شكاً إلىٰ شكهم، قاله الكلبي [(٤)].

الثالث- كفراً إلىٰ كفرهم، قاله قطرب [(٥)].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة:١٢٦-١٢٧].

قوله ﷻ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾.. الآية.

وفي معنىٰ الافتتان ها هنا ثلاثة أوجه:

أحدها- يبتلون، قاله ابن عباس [(٦)].

الثاني- يضلون [(٧)]، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث- يختبرون، قاله أبو جعفر الطبري [(٨)].

وفي الذي يفتنون به أربعة أقاويل:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٧).

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥١٩)، وأبي حيان (٥/ ١١٦).

(٤) وقاله ابن عباس والسدي، كما في تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥١٩)، وأبي حيان (٥/ ١١٦).

(٥) وهو قول الزجاج. انظر معاني القرآن الكريم وإعرابه (٢/ ٥٢٩).

(٦) وهو قول الحسن وقتادة، انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥١٩).

(٧) في الأصل، ك: يبكون.

(٨) تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٩).

أحدها- أنه الجوع والقحط، قاله مجاهد[١].

الثاني- أنه الغزو والجهاد في سبيل الله، قاله قتادة [٢].

الثالث- ما يلقونه من الكذب علىٰ رسول الله ﷺ، قاله حذيفة ابن اليمان[٣].

الرابع- أنه ما يظهره الله تعالىٰ من هتك أستارهم وسوء نياتهم، حكاه علىٰ بن عيسىٰ.

وهي في قراءة ابن مسعود[٤]: ﴿أو لا ترىٰ أنهم يفتنون﴾ خطاباً لرسول الله ﷺ.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما- بفتح الفاء من أنفَسِكم [٥]، ويحتمل تأولها ثلاثة أوجه [٦].

أحدها- من أكثركم طاعة لله تعالىٰ.

الثاني- من أفضلكم خلقاً.

الثالث- من أشرفكم نسباً.

والقراءة الثانية- بضم الفاء من أنفُسكم، وفي تأويلها أربعة أوجه:

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٨٠)، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ انظر: الدر المنثور (٤/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٨٠). وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة وأخرجه الطبري و ابن أبي حاتم - أيضاً- عن الحسن. انظر: الدر المنثور (٤/ ٣٢٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٨١)، وأخرجه ابن مردويه عن أبي سعيد كما في الدر المنثور (٤/ ٣٢٦). وذكره ابن عطية في تفسيره (٨/ ٣٠٥) وأبو حيان (٥/ ١١٦) ثم قال عنه: وهو غريب من المعنىٰ.

(٤) وهي قراءة أُبَيّ والأعمش وطلحة بن مصرف. انظر: البحر المحيط (٥/ ١١٦)، و الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٩٩) ومعجم القراءات القرآنية (٣/ ٥٣).

(٥) أي من أنفسكم من النفاسة- وهي قراءة ابن عباس وأبي العالية والضحاك وابن محيصن وعبد الله بن قسيط المكي، وفاطمة، وعائشة وغيرهم. انظر: البحر المحيط (٥/ ١١٨)، وزاد المسير (٣/ ٥٢٠) والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٠١) ومعجم القراءات القرآنية (٣/ ٥٤).

(٦) انظر: زاد المسير (٣/ ٥٢١).

أحدها- يعني من المؤمنين لم يصبه شئ من شرك، قاله محمد بن علي [١].

الثاني- يعني من نكاح، لم يصبه من ولادة الجاهلية، قاله جعفر بن محمد ﷺ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح)[٢].

الثالث- ممن تعرفونه بينكم، قاله قتادة [٣].

الرابع- يعني من جميع العرب؛ لأنه لم يبق بطن من بطون العرب إلا وقد ولدوه، قاله الكلبي [٤].

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- شديد عليه ما شق عليكم، قاله ابن عباس [٥].

الثاني- شديد عليه ما ضللتم، قاله سعيد بن أبي عروبة [٦].

الثالث- عزيز عليه عنت مؤمنكم، قاله قتادة [٧].

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بما يأمرهم به من الهداية، ويؤثره لهم من الصلاح.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (١٤/ ٥٨٥) عن جعفر بن محمد عن أبيه. وهو: محمد بن علىٰ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، مات سنة خمسين. انظر: التقريب (٤٩٧) رقم (٦١٥١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٨٥)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢/ ٢٩١)، وفي المصنف و ابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه، وأبو الشيخ عن جعفر بن محمد. وقد جعله الشيخ الألباني من قسم الحسن لغيره، وانظر: كامل تخريجه له في إرواء الغليل (٦/ ٣٢٩/ ٣٣٤) رقم (١٩١٤).

(٣) تفسير ابن الجوزي (٣/ ٥٢٠).

(٤) أخرجه- بنحوه- عبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن المنذر وابن مردويه، وأبو نعيم في دلائل النبوة وابن عساكر عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور (٤/ ٣٢٧) وزاد المسير (٣/ ٥٢٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور (٤/ ٣٣٣) وانظر: زاد المسير (٣/ ٥٢١).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير (١٤/ ٥٨٥) فهو قول لابن عباس. وسعيد بن أبي عروبة: مهران اليشكري أبو النضر البصري. ثقة حافظ اختلط بأخره توفي سنة ١٥٥، تقريب التهذيب (٢٣٩) رقم (٢٣٦٥). والتهذيب (٤/ ٦٣).

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٨٦).

الثاني- بما يضعه عنهم من المشاق، ويعفو عنهم من الهفوات، وهو محتمل.

قوله ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- عن طاعة الله. قاله الحسن.

الثاني- عنك، ذكره علي بن عيسىٰ.

﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- حسبي الله معيناً عليكم.

الثاني- حسبي الله هادياً لكم.

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- لسعته.

الثاني- لجلالته.

روىٰ يوسف بن مهران عن ابن عباس أن آخر ما أنزل من القرآن هاتان الآيتان: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ وهذه الآية [1]، وقال أبي بن كعب: هما أحدث القرآن عهداً بالله تعالىٰ، وقال مقاتل: تقدم نزولهما بمكة. والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٨٨)، وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه، وابن منيع في مسنده، وابن المنذر، وأبوالشيخ وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبي بن كعب. وأخرج أثر أبي ابن كعب ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٣) وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه. والصحيح أن آخر القرآن نزولاً هي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة:٢٨١]، لكثرة الآثار في ذلك، ومناسبة الآية للختام. وانظر: الدر المنثور (٤/ ٣٣٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

هي مكية كلها[١] عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات من قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ إلىٰ آخرهن [الآيات: ٩٤ - ٩٦].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ١-٢].

قوله عز وجل: ﴿الٓرۚ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- معناه أنا الله أرىٰ [١٧٤/ ب] قاله ابن عباس والضحاك[٢].

والثاني- هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن، قاله سعيد بن جبير والشعبي. وقال سالم ابن عبدالله: ﴿الر﴾ و ﴿حم﴾ و ﴿ن﴾ اسم للرحمن مقطع[٣].

الثالث- هو اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة[٤].

الرابع- أنها فواتح افتتح الله بها القرآن، قاله ابن جريج[٥].

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ يعني بقوله: ﴿تِلۡكَ﴾ أي هذه آيات الكتاب كما الأعشىٰ:

تلك خيلي منه[٦] وتلك ركابي ** هن صفر أولادها كالزبيب[٧]

---

(١) وقد حكىٰ الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (١/ ٢٣٨) الاتفاق علىٰ مكيتها، وانظر: الإتقان (١/ ٤٧)، وزاد المسير (٤/ ٣).

(٢) أخرجه عن ابن عباس ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١) من رواية الضحاك وأبي الضحىٰ مسلم ابن صبيح.

(٣) رواه عنهم ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١) وهو كذلك قول لابن عباس من رواية عكرمة.

(٤) أخرجه عن قتادة ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢١) من رواية ابن جريج عن مجاهد. وزاد قوله "ألم تكن تقل اسمًا؟ قال: لا".

(٦) في الأصل: منها.

(٧) ديوان الأعشىٰ (٢٢٥) من قصيدته في مدح قيس معدي كرب الكندي، والبيت في تفسير الطبري (٢/ ٢٠٠)، وابن عطية =

أي هذه خيلي.

وفي ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها- التوراة والإنجيل قاله مجاهد[١].

الثاني- الزبور، قاله مطر[٢].

الثالث- القرآن، قاله قتادة[٣].

وفي قوله ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ تأويلان:

أحدهما- أنه بمعنىٰ محكم، قاله أبو عبيدة[٤].

الثاني- لأنه[٥] كالناطق بالحكمة، ذكره علىٰ بن عيسىٰ.

قوله عز وجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس: سبب نزولها أن الله تعالىٰ لما بعث محمداً رسولاً أنكر العرب ذلك، أو من أنكر منهم فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشر مثل محمد، فنزلت هذه الآية[٦].

=

(١/ ٢٢٧) والقرطبي (١/ ٢٥٠). وروايته فيها: "تلك خيلي منه"، وقد ذكره المؤلف عند قوله تعالىٰ: ﴿صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ [البقرة:٦٩].

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١١).

(٢) رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢٢). وهو مطر بن دهمان الوراق، وهو من رجال مسلم في المتابعات دون الأصول وقد حسن حديثه الذهبي. انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ١٢٦).

(٣) الذي رواه ابن جرير (١٥/ ١١) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٢) عن قتادة أنه قال: "الكتب التي كانت قبل القرآن" فجعل "تلك" علىٰ أصلها. وأما من قال بأن المراد: القرآن فجعل "تلك" بمعنىٰ: هذه. وهو الراجح، فقد رجحه ابن جرير في تفسيره. وقال الألوسي (١١/ ٥٩): وأما من حمل الكتاب علىٰ الكتب التي خلت قبل القرآن التوراة والإنجيل وغيرهما.. فهو في غاية البعد فتأمل.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٧٢). وهو قول الطبري (١٥/ ١٢). وغيره. فتكون فعيل بمعنىٰ مفعول. وأما قول ابن عيسىٰ - بعده - فتبقىٰ علىٰ بابها.

(٥) في (ق): أنه.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣) وابن أبن حاتم (٦/ ١٩٢٢) كلاهما من رواية الضحاك عن ابن عباس. وهو إسناد منقطع لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس، ولم يره. وذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٠). وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه.

وهذا لفظه الاستفهام ومعناه معنىٰ الإنكار والتعجب من كفر من كفر بالنبي ﷺ؛ لأنه جاءهم رسول منهم، وقد أرسل الله إلىٰ سائر الأمم رسلاً منهم.

ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها- أن لهم ثوابًا حسنًا لما[1] قدموا من صالح الأعمال، قاله ابن عباس[2].

الثاني- سابق صدق عند ربهم أي سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضًا[3].

الثالث- أن لهم شفيع صدق يعني محمداً ﷺ يشفع لهم، قاله مقاتل[4] بن حيان[5].

الرابع- أن لهم سلف صدق تقدموهم بالإيمان، قاله مجاهد وقتادة[6].

الخامس- أن لهم السابقة بإخلاص الطاعة، قال حسان بن ثابت[7]:

لنا القدم العليا إليك وخلفنا ** لأولنا في طاعة الله تابع

ويحتمل سادسًا: أن قدم الصدق أن يوافق الطاعة صدق الجزاء، ويكون القدم عبارة عن التقدم، والصدق عبارة عن الحق[8].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ

(١) في (ق): بها.

(٢) أخرجه ورجحه الطبرىٰ (١٥/ ١٤، ١٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥). وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٢). وانظر صحيفة علىٰ بن أبي طلحة عن ابن عباس في التفسير (٢٧٨)

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢٢) وهو قول زيد بن أسلم كما عند الطبري (١٥/ ١٦).

(٥) في الأصل، (ك) زيادة: ورواه ابن عمر مرفوعًا.

(٦) رواه عنهما ابن أبي حاتم -في أقوال أخرىٰ- في تفسيره (٦/ ١٩٢٣) وهو بمعنىٰ ما قبله إلا أنه أعم منه.

(٧) ديوانه (٢٥٤)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٦).

(٨) وهو قول المؤلف لتعبيره عنه بالاحتمال كما ذكر ذلك في مقدمته.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس:٣-٦].

قوله عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يقضيه وحده، قاله مجاهد[١].

الثاني- يأمر به ويمضيه[٢].

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- ما من شفيع إلا من بعد أن يأذن له الله تعالىٰ في الشفاعة[٣].

الثاني- ما من أحد يتكلم عنده إلا بإذنه، قاله سعيد بن جبير[٤].

الثالث- معناه لا ثاني معه، مأخوذ من الشفع الذي هو الزوج لأنه خلق السموات والأرض وهو واحد فرد لا حي معه، ثم خلق الملائكة والبشر[٥].

وقوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ يعني من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، قاله ابن بحر[٦].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه ينشئه ثم يفنيه.

الثاني- ما قاله مجاهد: يحييه ثم يميته ثم يبيده ثم يحييه[٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير من غير نسبة (٤/ ٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس (٤/ ٧).

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢٦)

(٥) ذكره ابن الجوزي (٤/ ٧) عن الماردي.

(٦) ذكره ابن الجوزي عن المارودي (٤/ ٧).

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٠) من رواية ابن أبي نجيح وفيها (ثم يبدؤه) بدلاً من يبيده ومثلها في مختصر العز بن عبد السلام لتفسير المارودي (٢/ ٦٣). ويبيده أي يفنيه أظهر في المعني.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس:٧-٨].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- لا يخافون عقابنا. ومنه قول الشاعر[١]:

إذا لسعته النحل لم يرجُ لسعها ** وخالفها في بيت نوبٍ عواملُ

الثاني- لا يطمعون في ثوابنا[٢]، ومنه قول الشاعر:

أيرجة بنو مروان سمعي وطاعتي ** وقومي تميم والفلاة ورائيا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾[يونس:٩-١٠].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- يجعل لهم نوراً يمشون به، قاله مجاهد[٣].

الثاني- يجعل عملهم هادياً لهم إلىٰ الجنة، وهذا معنىٰ قول ابن جريج[٤].

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يتلقىٰ المؤمن عمله في أحسن صورة فيؤنسه ويهديه، ويتلقىٰ الكافر عمله في أقبح صورة فيوحشه ويضله»[٥].

الثالث- أن الله يهديهم إلىٰ طريق الجنة.

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي، انظر: شرح ديوان الهذليين (١/ ١٤٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٦). وهو قول ابن عباس، واختيار الطبري، وأبي عبيدة، وابن قتيبة.

(٢) وعلىٰ هذا القول يكون الرجاء في الآية علىٰ بابه وهو قول ابن عطية. انظر تفسيره (٩/ ١٣).

(٣) أخرجه عنه الطبري (١٥/ ٢٨) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٩).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٢٨)

(٥) أخرجه عن قتادة الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٩) كلاهما بنحوه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٤) وزاد نسبته لابن المنذر.

الرابع- أنه وصفهم بالهداية علىٰ طريق المدح لهم.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- من تحت منازلهم، قاله أبو مالك[١].

الثاني- تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾[الزخرف: ٥١] يعني بين يدي[٢].

وحكىٰ أبو عبيدة عن مسروق: أنهار الجنة تجري في غير أخدود.

قوله عز وجل: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس:١٠] فيه وجهان:

أحدهما- أن أهل الجنة إذا اشتهوا الشيء أو أرادوا أن يدعو بالشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم، ذلك الشيء، قاله الربيع وسفيان[٣].

الثاني- أنهم إذا أرادوا الرغبة إلىٰ الله في دعاء يدعونه به كان دعاؤهم[٤]: سبحانك اللهم: قاله قتادة[٥].

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- معناه وملكهم فيها سالم. والتحية الملك، ومنه قول زهير بن جناب[٦] الكلبي:

من كل ما نال الفتىٰ ** قد نلته إلا التحية[٧]

الثاني- أن تحية بعضهم لبعض فيها سلام. أي سلمت وأمنت مما بلي به أهل النار، قاله ابن جرير الطبري[٨].

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢٩) من طريق السدي، وأبو مالك هو غزوان أبو مالك الغفاري.
(٢) وهو قول الطبري (١٥/ ٢٩).
(٣) أخرجه الطبري عن سفيان (١٥/ ٢٠)، وابن أبي حاتم عنهما (٦/ ١٩٢٩).
(٤) في (ق): دعاؤهم له.
(٥) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٢٠) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٠) وابن الجوزي (٤/ ١١).
(٦) في (ق): جنان وهو تصحيف.
(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٣٣) وابن عطية (٩/ ١٥)، وطبقات فحول الشعراء (٣٠).
(٨) تفسير الطبري (١٥/ ٣٢) وانظر: زاد المسير (٤/ ١١).

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن آخر دعائهم: الحمد لله رب العالمين، كما كان أول دعائهم: سبحانك اللهم، ويشبه أن يكون هذا قول قتادة.

الثاني- أنهم إذا أجابهم فيما دعوه وآتاهم ما اشتهوا حين طلبوه بالتسبيح قالوا بعده شكراً لله: الحمد لله رب العالمين.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس:١١].

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ولو يعجل الله للكافر العذاب علىٰ كفره، كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة، قاله ابن إسحاق[(١)] .

الثاني- معناه أن الرجل إذا غضب علىٰ نفسه أو ماله أو ولده فيدعو بالشر فيقول: لا بارك الله فيه، أو أهلكه الله، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب منه الخير لقضي إليهم أجلهم أي لهلكوا[(٢)].

فيكون تأويلها علىٰ الوجه الأول خاصاً في الكافر، وعلىٰ الوجه الثاني عامًا في المسلم والكافر.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قال قتادة: يعني مشركي أهل مكة.

وقيل[(٣)]: بل هو علىٰ عمومه في كل كافر .

﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- في شركهم، قاله ابن عباس.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٢) عن الماوردي دون نسبة ثم قال عنه: "ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها".

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. انظر: الطبري (١٥/ ٣٤)، وابن الجوزي (٤/ ١١).

(٣) سقط هذا القول من: (ق) والمطبوعة.

الثاني- في ضلالهم، قاله الربيع بن أنس[1].

الثالث- في ظلمهم، قاله علي بن عيسىٰ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- يترددون، قاله ابن عباس وأبو مالك وأبو العالية.

الثاني- يتمادون، قاله السدي.

الثالث- يلعبون، قاله الأعمش.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس:١٢].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ فيه وجهان[2]:

أحدهما- أنه إذا مسه الضر دعا ربه في هذه الأحوال.

[الثاني][3] - دعا ربه فيكون محمولاً علىٰ عموم الدعاء في أحواله.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس:١٣-١٧].

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (٦/ ١٩٣٢). وانظر: تفسير ابن الجوزي (١/ ٢٦) عند قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥] فقد نسب للجمهور أنه الكفر.

(٢) سقط الوجهان من (ق).

(٣) ساقط من الأصل و (ك) وإثباته تقديراً ليستقيم الكلام، فالأول في عموم الأحوال والثاني في عموم الدعاء.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني آيات القرآن التي هي تبيان كل شيء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني مشركي أهل مكة.

﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون [١٧٥/ ب] معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه [١].

وفي قولهم ذلك ثلاثة[٢] أوجه:

أحدها- أنهم سألوه أن يحول الوعد وعيداً، والوعيد وعداً، والحلال حراماً، والحرام حلالاً، قاله ابن جرير الطبري[٣].

الثاني- سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم[٤]، قاله ابن عيسىٰ.

الثالث- أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور، قاله الزجاج[٥].

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ﴾ أي ليس لي أن أتلقاه بالتبديل والتغيير كما ليس لي أن أتلقاه بالرد والتكذيب.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ فيما أتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل وتحريم أو أمر أو نهي.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ في تبديله وتغييره.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن.

﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ فيه وجهان[٦]:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٤).

(٢) في (ق) وجهان بسقوط الوجه الثالث.

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤٠).

(٤) في (ك): أسلافهم.

(٥) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٤) عنه، وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ١١).

(٦) في (ق) ثلاثة أوجه - مع جعل الثالث ثانياً-.

أحدها- ولا أعلمكم به، قاله ابن عباس[١].

الثاني- أنذركم به، قاله شهر بن حوشب[٢].

وفيه ثالثـاً: ولا أشعر كم، قاله قتادة[٣].

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه أراد ما تقدم من ذكر عمره قبل الوحي إليه لأن عمر الإنسان مدة حياته طالت أو قصرت.

الثاني- أنه أربعون سنة، لأن النبي ﷺ بعث بعد أربعين سنة وهو المطلق من عمر الإنسان، قاله قتادة[٤].

[٥] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أني لم أدع ذلك بعد أن لبثت فيكم عمراً حتىٰ أوحي إلي، ولو كنت افتريته لقدمته.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٨-١٩].

قوله عز وجل: ﴿..قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أتخبرونه بعبادة من لا يعلم ما في السموات ولا ما في الأرض.

الثاني- أتخبرونه بعبادة غيره وليس يعلم له شريكـاً في السموات ولا في الأرض[٦].

---

(١) وقاله ابن زيد، والحسن البصري. تفسير الطبري (١٥/ ٤٢).

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٥).

(٣) وهو قول الضحاك، ولفظه كما عند الطبري (١٥/ ٤٢): ولا أشعركم الله به. وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٥).

(٤) وقاله ابن عباس. انظر ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٥). وابن الجوزي (٤/ ١٥).

(٥) من هنا إلىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ساقط من (ق).

(٦) قاله الضحاك والسدي. انظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٦)، وابن الجوزي (٤/ ١٦).

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ في الناس هاهنا أربعة[(١)] أقاويل:

أحدها- أنه آدم عليه السلام، قاله مجاهد والسدي[(٢)].

الثاني- أنهم أهل السفينة، قاله الضحاك.

الثالث- أنهم من كان علىٰ[(٣)] عهد إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي.

الرابع- أنهم بنو آدم، قاله أبي بن كعب.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها- علىٰ الإسلام حتىٰ اختلفوا، قاله ابن عباس وأبي بن كعب.

الثاني- علىٰ الكفر حتىٰ بعث الله تعالىٰ الرسل، وهذا قول قد روي عن ابن عباس أيضـاً.

الثالث- علىٰ دين واحد، قاله الضحاك.

﴿فَٱخْتَلَفُواْ ﴾ فيه وجهان[(٤)]:

أحدهما- فاختلفوا في الدين فمؤمن وكافر، قاله أبي بن كعب.

الثاني- هو اختلاف بني آدم حين قتل قابيل أخاه هابيل، قاله مجاهد.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني لولا كلمة سبقت من ربك في تأجيلهم إلىٰ يوم القيامة لقضي بينهم في تعجيل العقاب، أي العذاب في الدنيا، قاله السدي[(٥)].

الثاني- لولا كلمة سبقت من ربك في أن لا يعاجل العصاة إنعامـاً منه يبتليهم بـه لقضـي بيـنهم فيما فيه يختلفون بأن يضطرهم إلىٰ معرفة المحق من المبطل، قاله علي بن عيسىٰ.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ

---

(١) في (ق): قولان بسقوط الثاني والثالث.

(٢) وهو قول الثوري كما ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٦)، وراجع ما تقدم في سورة البقرة آية ٢١٣.

(٣) في الأصل (ك): عما.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٧).

(٥) كما في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٧).

ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٠-٢٣].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ فيه أربعة [(١)] أوجه:

أحدها- رخاء بعد شدة.

الثاني- عافية بعد سقم.

الثالث- خصباً بعد جدب، وهذا قول الضحاك.

الرابع- إسلاماً[(٢)] بعد كفر وهو المنافق، قاله الحسن[(٣)].

﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن المكر هاهنا [١٧٦/ أ] الكفر والجحود[(٤)]، قاله ابن بحر[(٥)].

الثاني- أنه الاستهزاء والتكذيب. قاله مجاهد[(٦)].

ويحتمل ثالثاً: أن يكون المكر هاهنا النفاق لأنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ يعني أسرع جزاء[(٧)] على المكر. وقيل إن سبب نزولها أن رسول الله ﷺ

(١) في (ق) ثلاثة بسقوط القول الثالث.

(٢) في الأصل (ك): إسلام - بالرفع -.

(٣) كما في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٧).

(٤) في الأصل (ك): والحجة. والمثبت من (ق) و مختصر ابن عبد السلام (٢/ ٦٦) وهو الصواب.

(٥) في (ق): ابن إسحاق والمثبت من الأصل و (ك): وهو الصواب، وهو قول أبي عبيدة (١/ ٢٧٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٨).

(٧) قيل إن تسمية ذلك مكراً من باب المقابلة. كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]. والصواب أن هذه من صفات الأفعال تثبت لله كما يليق بجلاله وعظمته. ولا يشتق منها اسم، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء.. =

لما دعا علىٰ أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين كسني يوسف إجابة لدعوته، أتاه أبو سفيان فقال يا محمد قد كنت دعوت بالجدب فأجدبنا فادع الله لنا بالخصب فإن أجابك وأخصبنا صدقناك وآمنا بك، فدعا لهم واستسقىٰ فسقوا وأخصبوا، فنقضوا ما قالوه وأقاموا علىٰ كفرهم، وهو معنىٰ قوله: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٤-٢٥].

قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ذاهباً.

الثاني- يابساً.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- كأن لم تعمر بالأمس، قاله الكلبي[1].

الثاني- كأنه لم تعش بالأمس، قاله قتادة، ومنه قول لبيد[2]:

وغنيت دهراً بعد مجرىٰ داحس ** لو كان للنفس اللجوج خلود

الثالث- كأن لم تقم بالأمس، من قولهم غني فلان بالمكان إذا أقام فيه، قاله علي بن عيسىٰ[3].

الرابع- كأن لم تنعم بالأمس، قاله قتادة[4].

=

وانظر: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد بن فياض (١١٤).

(١) وهو قول الزجاج كما في معاني القرآن (٣/ ١٥).

(٢) شرح ديوانه (٣٤)، وصدره: وغنيت سبتاً قبل مجرىٰ داحس. وغنيت: عشت، وسبتاً: دهرا.

(٣) وهو بمعنىٰ قول الطبري (١٥/ ٥٦).

(٤) أخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٢). رقم (١٠٣١٩) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٣). ومعاني الأقوال متقاربة.

قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها دار السلام وجهان:

أحدهما- لأن السلام هو الله، والجنة داره، قاله الحسن وقتادة(١).

الثاني- لأنها دار السلامة من كل آفة، قاله الزجاج(٢).

﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ في هدايته وجهان:

أحدهما- بالتوفيق والمعونة(٣).

الثاني- بإظهار الأدلة وإقامة البراهين.

وفي الصراط المستقيم أربعة تأويلات(٤):

أحدها- أنه كتاب الله تعالىٰ، روىٰ علي بن أبي طالب ﷺ، قال: سمعت رسول الله يقول: «الصراط المستقيم كتاب الله تعالىٰ».

الثاني- أنه الإسلام، رواه النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول الله ﷺ.

الثالث- أنه رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر ﷺ، قاله الحسن و أبو العالية.

الرابع- أنه الحق، قاله مجاهد وقتادة.

روىٰ جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله يوما فقال: «إِنِّي رأيْتُ في المنامِ كأنَ جبريلَ عند رأسِي ، وميكائيلَ عندَ رِجْلَيَّ ، يقولُ أحدُهما لصاحِبِهِ : اضربْ لَهُ مَثَلًا، فقال : اسمعْ سمعَتْ أذنُكَ ، واعقلْ عقِلَ قلبُكَ(٥) ؛ إِنَّما مَثَلُكَ ومَثَلُ أمتِكَ كمَثَلِ مَلِكٍ اتخذَ دارًا ، ثُمَّ بنىٰ فيها بيتًا ، ثُمَّ جعل فيها مائدةً ، ثُمَّ بعثَ رسولًا يدعو الناسَ إلىٰ طعامِهِ ، فمنهم مَنْ أجابَ الرسولَ ، ومنهم مَنْ تَرَكَهُ ، فاللهُ هُوَ الملِكُ ، والدارُ الإسلامُ ، والبيتُ الجنةَ ، وأنتَ يا محمدُ رسولٌ ، مَنْ أجابَكَ دَخَلَ الإِسْلامَ ، وَمَنْ دخلَ الإسلامَ دخلَ الجنةَ ، ومَنْ دخلَ الجنةَ أكلَ ما فيها».

(١) أخرج الطبري (١٥/ ٥٦) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٢) وعبد الرزاق (٢/ ٢٩٣) عن قتادة. وبمعناه عن الحسن عند ابن أبي حاتم.

(٢) قاله الزجاج على سبيل الجواز في معاني القرآن (٣/ ١٥) وقد ذكر القول الأول مقدماً ذكره.

(٣) قال الألوسي في روح المعاني (١١/ ١٠٢) (وفي الآية دلالة علىٰ أن الهداية غير الدعوة).

(٤) راجع هذه الأقوال في تفسير سورة الفاتحة عند قول تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

(٥) زيادة من (ق) والطبري.

ثم تلا قتادة ومجاهد: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[(١)].

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس:٢٦-٢٧].

قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ يعني عبادة ربهم.

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ فيها خمسة[(٢)] تأويلات:

أحدها- أن الحسنىٰ الجنة، والزيادة النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ، وهذا قول أبي بكر الصديق ﷺ وحذيفة بن اليمان وأبي موسىٰ الأشعري[(٣)].

والثاني- أن الحسنىٰ واحدة من الحسنات، والزيادة مضاعفتها إلىٰ عشر أمثالها، قاله ابن عباس.

الثالث- أن الحسنىٰ حسنة مثل حسنة. والزيادة مغفرة ورضوان، قاله، مجاهد.

والرابع- أن الحسنىٰ الجزاء في الآخرة، والزيادة ما أعطوا في الدنيا، قاله ابن زيد.

الخامس- أن الحسنىٰ الثواب، والزيادة الدوام، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أن الحسني ما يستحقونه، والزيادة ما يشتهونه[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦١) وهو خبر مرسل عن جابر وصله الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٨) وصححه ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٥) وزاد نسبته لابن مردويه والبيهقي.

(٢) في (ق): أربعة، بسقط الأخير.

(٣) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٣). وهو الصواب قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤١٤): "وروي تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبدالرحمن ابن أبي ليلي وعبدالرحمن بن سابط، ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف وقد وردت فيه أحاديث كثيرة من السلف الخلف..). وانظر الباب الخامس والستين من حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن القيم (٣٢٦-٣٨٠).

(٤) قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٥/ ٧) : "وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره" وأولاها وأعلاها النظر إلىٰ وجهه الكريم.

﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ﴾ في معنىٰ يرهق وجهان:

أحدهما- يعلو.

الثاني- يلحق، ومنه قيل غلام مراهق إذا لحق بالرجال.

وفي قول تعالىٰ: ﴿قَتَرٞ﴾ أربعة[١] أوجه:

أحدها- أنه سواد الوجوه، قاله ابن عباس[٢].

الثاني- أنه الحزن، قاله مجاهد[٣].

الثالث- أنه الدخان، ومنه قتار اللحم وقتار العود وهو دخانه، قاله ابن بحر [٤].

الرابع- أنه الغبار في محشرهم إلىٰ الله تعالىٰ[٥]، ومنه قول الشاعر[٦]:

متـــوج بـــرداء الملـــك يتبعـــه ** مـــوج تـرىٰ فوقـه الرايـات والقـترا

ولا ذلة فيها ها هنا وجهان:

أحدهما- الهوان[٧].

الثاني- الخيبة.

﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ

---

(١) في (ق): ثلاثة، بسقط الثالث.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٣) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٦) وقال وروي عن السدي نحو ذلك.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٦) عن مجاهد أنه قال: الخزي. ومثله عن ابن الجوزي (٤/ ٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٠).

(٤) ذكر ابن الجوزي (٤/ ٢٥) عن عطاء أنه دخان جهنم. وانظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٣٧٩) .

(٥) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٧٧).

(٦) هو الفرزدق كما في ديوانه (٢٩٠) وتفسير الطبري (١٥/ ٧٢) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٧٧).

(٧) ذكره ابن الجوزي (٤/ ٢٥) عن أبي سليمان - الدمشقي - وزاد عن ابن عباس أنها: الكآبة.

أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس:٢٨-٣٣].

قوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: تتلو[١] بتاءين قرأ بها حمزة والكسائي، وفي تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها تتبع[٢] كل نفس ما قدمت في الدنيا، قاله السدي[٣]، ومنه قول الشاعر:

إن المريب يتبع المريبا ** كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

الثاني- تتلو كتاب حسناتها وكتاب سيئاتها، من التلاوة.

والثالث- تعاين كل نفس جزاء ما عملت[٤].

والقراءة الثانية، وهي قراءة الباقين: تبلو بالباء[٥]، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما- تسلم كل نفس، قاله الحسن[٦].

الثاني- تختبر كل نفس، قاله مجاهد[٧].

﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي مالكهم، ووصف تعالىٰ نفسه بالحق، لأن الحق منه، كما وصف نفسه بالعدل، لأن العدل منه.

فإن قيل فقد قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١] [محمد:١١] فكيف صار هاهنا

---

(١) في الأصل: تبلو. والمثبت من (ق) وهو مقتضىٰ السياق. وانظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٢٥)، وتفسير الطبري (١٥/ ٨١).

(٢) في الأصل (ك): يتبع، والمثبت من (ق).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في المخطوطة. نسخة المحمودية المجلد الرابع، ص١٢٨. أما المطبوع (٦/ ١٩٤٨) فالمثبت فيها: "مبتغ كل نفس" وهو تحريف. انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٨١)، وابن الجوزي (٤/ ٢٨).

(٤) أخرجه الطبري عن ابن زيد(١٥/ ٨٢).

(٥) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم. وابن عامر. وغيرهم. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد(٣٢٥). وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٧).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٩) بسنده عن الحسن. وفي الأصل (ك): تسل وفي (ق) لتسلم. والصواب ما أثبته. وانظر: مختصر تفسير الماوردي للعز ابن عبد السلام (٢/ ٦٨).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٩).

مولىٰ لهم؟ قيل ليس بمولىٰ لهم في النصرة والمعنونة، وهو مولىٰ لهم في الملكية.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي بطل عنهم ما كانوا يكذبون.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٣٤-٣٥].

[1] قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ وهو ثعلبة هم رؤساؤهم.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ في الظن وجهان:

أحدهما- أنه منزلة بين اليقين والشك، ليست يقيناً ولا شكاً.

الثاني- إن الظن ما تردد بين الشك واليقين فكان مرة شكاً ومرة يقيناً[2].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس: ٣٧-٤٠].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني أن يختلق ويكذب.

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- شاهد بصدق ما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور[3].

الثاني- ما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب[4].

---

(١) من هنا إلىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ ساقط من (ق).

(٢) في (ك):.. مرة يقيناً ومرة شكاً.

(٣) وهو قول ابن عباس. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٢)، وابن الجوزي (٤/ ٣٢).

(٤) قاله الزجاج. انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠)، وابن الجوزي (٤/ ٣٢). فعلىٰ القول الأول يكون الذي بين يديه بمعنىٰ =

(1) ويحتمل ثالثـًا- أن يكون معناه ولكن يصدقه الذي بين يديه من الكتب السالفة بما فيها من ذكره فيزول عنه الافتراء.

قوله عز وجل: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لم يحيطوا بعلم التكذيب لشكهم فيه.

الثاني- لم يحيطوا بعلم ما فيه من وعد ووعيد لإعراضهم عنه[2].

﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- علم ما فيه من البرهان[3].

الثاني- ما يؤول إليه من أمورهم من العقاب.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس:٤١-٤٤].

قوله عز وجل: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ يحتمل وجهين[4]:

أحدهما- يستمعون الكذب عليك فلا ينكرونه.

الثاني- يستمعون الحق منك ولا يعونه.

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أن من لا يعي ما يسمع فهو كمن لا يعقل.

=

المتقدم عليه، وعلىٰ الثاني يكون بمعنىٰ المستقبل له.

(١) من هنا إلىٰ قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ﴾ ساقط من (ق)، وهو قول الماوردي.

(٢) وفي الآية دلالة علىٰ عداوة الإنسان لما يجهل، ورده لما لا يهوىٰ.

(٣) قال الزجاج: " أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل علىٰ أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه..." معاني القرآن (٣/ ٢١).

(٤) في (ك): يحتمل وجهان.

الثاني- معناه أنه كما لا يعي من لا يسمع كذلك لا يفهم من لا يعقل. والألف التي في قوله تعالىٰ: ﴿أفأنت﴾ لفظها لفظ الاستفهام ومعناها معنىٰ النفي.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس:٤٥].

قوله عز وجل: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [١٧٧/ أ] فيه وجهان:

أحدهما- كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار لفواته[١].

الثاني- كأن لن يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار لقربه.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعرف بعضهم بعضاً[٢]. قال[٣] الكلبي: يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة.

الثاني- يعرفون أن ما كانوا عليه باطلاً.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس:٤٦-٤٩].

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يعني نبيا يدعوهم إلىٰ الهدىٰ ويأمرهم بالإيمان.

﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- فإذا جاء يوم القيامة قضي بينهم ليكون رسولهم شاهداً عليهم، قاله مجاهد[٤].

---

(١) وهو معنىٰ قول مقاتل. والقول الثاني قاله ابن عباس. وقال الضحاك: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم فصار كالساعة من النهار لهول ما استقبلوا من القيامة. انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٣٦).

(٢) قاله الزجاج (٣/ ٢٢).

(٣) في الأصل (ك): قاله الكلبي. والقول في زاد المسير (٤/ ٣٦) لابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٠).

الثاني- فإذا جاء رسولهم يوم القيامة وقد كذبوه في الدنيا قضىٰ الله تعالىٰ بينهم وبين رسولهم في الآخرة، قاله الكلبي[١].

الثالث- فإذا جاء في الدنيا داعياً بعد الإذن له في الدعاء عليهم قضىٰ الله بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن[٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ أي يستخبرونك، وهو طلب النبأ.

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ فيه وجهان[٣]:

أحدهما- البعث، قاله الكلبي.

الثاني- العذاب في الآخرة.

﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ فأقسم مع إخباره أنه لحق تأكيداً.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بممتنعين.

الثاني- بسابقين، قاله ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ فيه وجهان:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٣٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٣٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي من غير نسبة (٤/ ٣٨)، وانظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٥٥٠).

أحدهما- أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم، وقيل بل كتمها الرؤساء عن أتباعهم.

الثاني- أظهروها وكشفوها لهم[١].

وذكر المبرد فيه وجها ثالثـًا- أنه بدت بالندامة أسِرّةُ وجوههم، وهي تكاسير الجبهة[٢].

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما- قضي بينهم وبين رؤسائهم، قاله الكلبي.

الثاني- قضىٰ عليهم بما يستحقونه من عذابهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس:٥٧-٦١].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ فيه ثلاثة[٣] أوجه:

أحدها- أن فضل الله معرفته، ورحمته توفيقه.

الثاني- أن فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك.

الثالث- أن فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، قاله الحسن ومجاهد وقتادة.

---

(١) فالإسرار من الأضداد يأتي بمعنىٰ الإخفاء والإظهار. قال الفرزدق:

ولمـا رأىٰ الحجـاجَ جـرّد سـيفه ** أسـر الحـروريُّ مـا كـان أضـمرا

والأول أظهر. انظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٥٥٠)، وابن الجوزي (٤/ ٣٩).

(٢) وهذا عائد إلىٰ المعنىٰ الثاني وهو الأظهار قال ابن عطية: وأسروا لفظة تجيء بمعنىٰ أخفوا وهي حينئذ من السر، وتجيء بمعنىٰ أظهروا وهي حينئذ من أسارير الوجه " المحرر (٩/ ٥٥).

(٣) في (ق): وجهان. بسقوط الوجه الأول، كما سقط من الأصل (ك) الوجه الثالث، وإثباته من (ق). وقد ذكر ابن الجوزي (٢/ ٤٠) في ذلك ثمانية أقوال، والأولىٰ الحمل علىٰ العموم. وانظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٠٥-١٠٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٨).

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ يعني بالمغفرة والتوفيق على الوجه الأول، وبالإسلام على الوجهين الآخرين.

وفيه ثالث: فلتفرح قريش بأن محمداً منهم، قاله ابن عباس.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني في الدنيا.

روى أبان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه»، ثم تلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٢-٧٠].

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هاهنا خمسة أقاويل:

أحدها- أنهم أهل ولايته والمستحقين[2] لكرامته، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٨) عن أبي القاسم بن بشران في أماليه، وآخره: "... هو ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من عرض الدنيا من الأموال". وهو ضعيف لضعف أبان بن أبي عياش. انظر: التقريب (٨٧).

(٢) في (ق): والمستحقون.

الثاني- هم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[١].

الثالث- هم الراضون بالقضاء والقدر، والصابرون علىٰ البلاء، والشاكرون علىٰ النعماء.

الرابع- هم من توالت أفعالهم علىٰ موافقة الحق.

الخامس- هم المتحابون في الله تعالىٰ[٢].

روىٰ جرير عن[٣] عمارة عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله»، قالوا: يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فإنا نحبهم لذلك، قال: «هم قوم تحابوا بروح الله علىٰ غير أرحام بينهم يتواصلون بها، ولا أموال يتعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلىٰ منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»، وقرأ: [١٧٧/ ب] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وفيه وجهان:

أحدهما- لا يخافون علىٰ ذريتهم لأن الله تعالىٰ يتولاهم، ولا هم يحزنون علىٰ دنياهم لأن الله يعوضهم، وهو محتمل[٤].

الثاني- لا خوف عليهم في الآخرة ولا يحزنون عند الموت.

قوله عز وجل: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ و فيه تأويلان:

أحدهما- أن البشرىٰ في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو من قبل أن

---

(١) فهو من تفسير القرآن بالقرآن.

(٢) هذه أوصاف لا تعارض بينها، فلا مانع من دخول جميعها في صفات أولياء الله.

(٣) في الأصل: جرير بن عمارة. وهو وهم. وعمارة هو ابن القعقاع الضبي، ثقة روىٰ له الجماعة، وأبو زرعة هو ابن عمرو ابن جرير بن عبدالله البجلي، تابعي ثقة، قال محمود شاكر في تعليقه: "إسناده جيد إلا أنه منقطع فأبو زرعة لم يرو عن عمر إلا مرسلاً" (تفسير الطبري (١٥/ ١٢١) وهو كلام ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٢٣). وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٢) وزاد نسبته لأبي داود وهناد وابن مردويه وابن نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب.

(٤) هذه العبارة تعني أنه قول المؤلف.

يموت، وفي الآخرة الجنة، قاله قتادة والضحاك[١]. وروىٰ علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لخديجة بنت خويلد بيتاً من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[٢].

الثاني- أن البشري في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترىٰ له، وفي الآخرة الجنة، روىٰ ذلك "نصاً "[٣] عن رسول الله ﷺ أبو الدرداء وأبو هريرة وعبادة بن الصامت[٤].

ويحتمل - إن لم يثبت هذا النص - تأويلا ثالثاً: أن البشرىٰ في الحياة الدنيا الثناء الصالح، وفي الآخرة إعطاء كتابه بيمينه.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لا خلف لوعده.

الثاني- لا نسخ لخبره.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:٧١-٧٣].

قوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لنصرتكم، قاله الفراء[٥].

الثاني- فأجمعوا أمركم مع شركائكم علىٰ تناصركم، قاله الزجاج[٦].

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٥) وهو قول الزهري. انظر الوسيط(٢/ ٥٥٣).

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن أبي أوفي.

(٣) زيادة من (ق).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عنهم (١٥/ ١٢٤) وفي سند رواية أبي الدرداء رجل مجهول. وانظر: ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٤).

(٥) أي أن شركاءكم منصوبة بفعل مضمر، معاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٣).

(٦) في معاني القرآن (١/ ٢٧) وقد خطأ قول الفراء لأن الكلام لا فائدة فيه. وكلام الفراء علىٰ معنىٰ: أجمعوا أمركم وادعوا =

وفي هذا الإجماع وجهان:

أحدهما- أنه الإعداد.

الثاني- أنه العزم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- أن الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الغم.

الثاني- أنه المغطىٰ، من قولهم: قدغم الهلال إذا استتر.

[وفي المراد بالأمر هاهنا وجهان:

أحدهما- من يدعونه إلهـًا من دون الله تعالىٰ.

الثاني- ما هم عليه من عزم][1].

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- ثم انهضوا، قاله ابن عباس[2].

الثاني- ثم اقضوا إلي ما أنتم قاضون، قاله قتادة[3].

الثالث- اقضوا إلي ما في أنفسكم، قاله مجاهد[4].

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ قال ابن عباس. ولا تؤخروني[5].

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يعني عن الإيمان.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ يحتمل وجهان:

أحدهما- فما سألتكم من أجر تستثقلونه فتمتنعون من الإجابة لأجله، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

=

شركاءكم ليجمعوا أمرهم.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٠) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (١٠/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٠).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (١٠/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٠) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

والثاني- فما سألتكم من أجر إن انقطع عني ثقُل علي.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقد خص الأجر بالدعاء لكم إن أجبتم أو أبيتم

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من المستسلمين لأمر الله بطاعته.

قوله عز وجل: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ قال ابن عباس: كان في سفينة نوح ﷺ ثمانون رجلاً أحدهم جرهم وكان لسانه عربيًا، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، قال ابن عباس فكان أول ما حمل الذرة وآخر ما حمل الحمار ودخل معه إبليس يتعلق بذيله[١].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ أي خلفًا لمن هلك بالغرق.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ حكىٰ أبو زهير أن قوم نوح عاشوا في الطوفان أربعين يومًا[٢]. وذكر محمد بن إسحاق أن الماء بقي بعد الغرق مائة وخمسين يومًا، فكان بين أن أرسل الله الطوفان إلىٰ أن غاض الماء ستة أشهر وعشرة أيام وذلك مائة وتسعين[٣] يومًا.

قال محمد بن إسحاق لما مضت لنوح[٤] أربعون ليلة فتح كوة السفينة ثم أرسل[٥] الغراب لينظر ما فعل الماء فلم يعد، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ولم تجد لرجلها موضعًا، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فرجعت حين أمست وفي فيها ورقة زيتونة فعلم أن الماء قد قل عن[٦] الأرض، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فلم تعد فعلم أن الأرض قد برزت [١٧٨/ أ]، وكان استواء السفينة علىٰ الجودي لسبع عشرة ليلة من الشهر السابع فيما ذكر، والله أعلم[٧].

---

(١) في (ك، ق): بذنبه. والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٠) عن ابن عباس بسندين. وفي آخره زيادة، وهذه التفصيلات من الإسرائيليات.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧١)، وأبو زهير هو عبدالرحمن بن سلمة.

(٣) في (ق): وسبعون يومًا. وهو خطأ.

(٤) في (ق): علىٰ نوح.

(٥) في (ق): أرسل منها.

(٦) في (ق): من.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده (٦/ ١٩١٧) وجعلها ابن إسحاق من مزاعم أهل التوراة. فهي من الإسرائيليات، وهذه التفصيلات ليس لها دليل يعتمد عليه، ويستند إليه، وقد حشرها المفسرون هنا - غفر الله لنا ولهم - وموضعها كتب القصص والتاريخ.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يونس:٧٥-٧٨].

قوله عز وجل: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- لتلوينا، قاله قتادة[١].

الثاني- تصدنا، قاله السدي[٢].

الثالث- لتصرفنا، من قولهم لفته لفتاً إذا صرفه ومنه لفت عنقه أي لواها، قاله علي ابن عيسى[٣].

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه[٤]:

أحدها- الملك، قاله مجاهد.

الثاني- العظمة، حكاه الأعمش.

الثالث- العلو، قاله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

الرابع- الطاعة، قاله الضحاك.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس:٧٩-٨٣].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٣).

(٣) وهو قول ابن قتيبة كما في زاد المسير (٤/ ٥٠)، والفراء كما في معاني القرآن (١/ ٤٧٥٠)، ومعاني الأقوال هنا متقاربة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٣)، وابن الجوزي (٤/ ٥٠). قال الطبري: " وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني... ".

قوله عز وجل: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- أن الذرية القليل، قاله ابن عباس[١].

الثاني- أنهم الغلمان من بني إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلىٰ الإيمان لموسىٰ[٢]، قاله زيد بن أسلم[٣].

الثالث- أنهم أولاد الزمنىٰ[٤]، قاله مجاهد.

الرابع- أنهم قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط[٥].

ويحتمل خامسـًا: أنهم ذرية قوم موسىٰ نساؤهم وولدانهم[٦].

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يعني وعظمائهم وأشرافهم.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن يقتلهم[٧]، قاله ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٦٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٥) كلاهما عن ابن عباس، وهو قول الضحاك كما عند الطبري، وقاله الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٧٦) وعلله بالقول الرابع هنا.

(٢) في (ق): بموسىٰ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم مطولاً (٦/ ١٩٧٠)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٥٢).

(٤) (الزمنىٰ) كذا في النسخ الخطية، وفي اختصار العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي (٤/ ٧٤). ولكن قول مجاهد الذي في تفسيره (١/ ٢٩٥) ورواه عنه الطبري (١٥/ ١٦٤): "أنهم أولاد الذين أرسل إليهم موسىٰ من طول الزمان ومات آباؤهم"، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٢) وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر وأبي الشيخ عن مجاهد. وقد أخطأ السيد عبد المقصود في تحقيقه لتفسير الماوردي العبارة هنا وعدلها إلىٰ: " أولاد الزمن " دون الإشارة إلىٰ ما في النسخ الخطية. وقد نسب ابن عطية في تفسيره (٦/ ٧٧) قول مجاهد للأعمش - أيضـًا -. ثم ضعفه فقال: "وهذا قول غير واضح وإذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا معنىٰ لتخصيصهم باسم الذرية، وأيضـًا فيما روي من أخبار بني إسرائيل لا يعطي هذا، ثم رجح أن المعنىٰ الإشارة إلىٰ قلة المؤمنين بموسىٰ من قوم فرعون، فيكون آمن بموسىٰ بنو إسرائيل، وقلة من قوم فرعون. أما الطبري فقد رجح قول مجاهد (١٥/ ١٦٥) وأن المعنىٰ: فما آمن لموسىٰ إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل وهم خائفون من فرعون ملأهم أن يفتنهم. وأصل سبب الخلاف هنا هو الخلاف في مرجع الضمير في " قومه" هل هو عائد إلىٰ موسىٰ؟ أو إلىٰ فرعون؟

(٥) ينسب هذا القول للفراء، ولكنه حسب عبارته في معاني القرآن (١/ ٤٧٦) هو تعليل لتسمية القليل ذرية، حيث قال: "فسر المفسرون الذرية: القليل... وإنما سموا ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم كن من بني إسرائيل....".

(٦) هو قول الماوردي لتعبيره عنه بالاحتمال كما ذكر في مقدمة تفسيره.

(٧) في (ق): يعذبهم. وهو قول ابن جرير الطبري (١٥/ ١٦٧)، والمثبت من بقية النسخ، وانظر ابن الجوزي (٤/ ٥٣).

الثاني- أن يكرههم علىٰ استدامة ما هم عليه.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أي متجبر، قاله السدي[١].

الثاني- باغ طاغ، قاله ابن إسحاق[٢].

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يعني في بغيه وطغيانه.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٤-٨٦].

قوله عز وجل: ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ يحتمل وجهين[٣]:

أحدهما- في الاستسلام إليه.

الثاني- في الثقة به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه وجهان[٤]:

أحدهما- لا تسلطهم علينا فيفتنونا، قاله مجاهد.

الثاني- لا تسلطهم علينا فيفتتنون بنا لظنهم أنهم علىٰ حق، قاله أبو الضحىٰ وأبو مجلز.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ معنىٰ تبوءا يعني تخيرا واتخذا لهم بيوتـًا يسكنونها، ومنه قول الراجز:

نحن بنو عدنان ليس شك ** تبوأ المجدُ بنا والملك[٥]

وفي قوله: ﴿بمصر﴾ قولان:

---

(١) نسبه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٠) لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) في (ق): ابن شجرة. (وهو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت ٣٥٠هـ).

(٣) سقط الوجهان من (ق).

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (١٥/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٦)، وابن الجوزي(٤/ ٥٣-٥٤). وقد أحسن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله إن القوم استعاذوا بالله من كل معنىٰ يكون صاداً لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم.

(٥) ذكره من غير نسبة أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٢/ ٤٠٠)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٤٦٧)

أحدهما- أنها الإسكندرية، وهو قول مجاهد[١].

الثاني- البلد المسمىٰ بمصر، قاله الضحاك[٢].

وفي قوله: ﴿بيوتـًا﴾ وجهان[٣]:

أحدهما- قصوراً، قاله مجاهد.

الثاني- مساجد، قاله الضحاك.

﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فيه أربعة أقاويل[٤]:

أحدها- واجعلوها مساجد تصلون فيها، لأنهم كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم، قاله الضحاك وابن زيد والنخعي.

الثاني- واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثالث- واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلىٰ اليوم قاله ابن بحر.

الرابع- واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضـًا، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فيه وجهان[٥]:

أحدهما- في بيوتكم لتأمنوا فرعون.

الثاني- إلىٰ قبلتكم لتصح صلاتكم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال سعيد بن جبير: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٦).

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٥٤).

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٥٤).

(٤) ذكرها كما هنا ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٥٤)، وانظر الطبري (١٥/ ١٧٢) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٧)

(٥) في (ق): يعني فيها.

عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس:٨٧-٨٩].

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي أهلكها، قاله قتادة(١). فذكر لنا أن زروعهم وأموالهم صارت حجارة منقوشة، قاله الضحاك(٢).

﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- بالضلالة ليهلكوا كفاراً فينالهم عذاب الآخرة، قاله مجاهد(٣).

الثاني- بإعمائها عن الرشد.

الثالث- بالموت، قاله ابن بحر.

الرابع- اجعلها قاسية(٤).

﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ قال ابن عباس هو الغرق(٥).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية [والربيع](٦).

دعا موسى وأمَّن هارون [فسمي هارون وقد أمّن على الدعاء داعيـًا، والتأمين على الدعاء أن يقول آمين.

واختلف في معنى آمين بعد الدعاء [١٧٨/ ب] وبعد فاتحة الكتاب في الصلاة على ثلاثة أقاويل:

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨١) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي (٤/ ٥٧) عن ابن عباس وأبي عبيدة وابن قتيبة. والذي عند الطبري (١٥/ ١٨٠) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٩) أن قول قتادة: أن زروعهم وأموالهم تحولت حجارة.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٩)، والطبري (١٠/ ١٨٢).

(٤) قاله ابن قتيبة في تفسر غريب القرآن (١٩٨)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٥٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره كما في المخطوطة (١٤٢) وقد جاء في المطبوعة (٦/ ١٩٨٠) قوله:....... وهو الفرق. وهو تصحيف. وذكر ابن الجوزي قول ابن عباس (٤/ ٥٧) وأنه الغرق.

(٦) زيادة من (ق). والقول لهما كما في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٠)، والطبري (١٥/ ١٨٦).

أحدها- معناه اللهم استجب، قاله الحسن.

الثاني- آمين اسم من أسماء الله تعالىٰ، قاله مجاهد[١]، قال ابن قتيبة وفيه حرف النداء[٢] مضمر وتقديره يا آمين استجب لنا.

الثالث[٣]- ما رواه سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين علىٰ عباده المؤمنين»[٤] يعني أنها تمنع من وصول الأذىٰ والضرر كما يمنع الختم من الوصول إلىٰ المختوم عليه.

وفرق ابن عباس في معنىٰ آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال: معناه بعد الدعاء: اللهم استجب، ومعناه بعد الفاتحة: كذلك أمنه يكون][٥].

وقال محمد بن علي وابن جريج: وأخر فرعون بعد إجابة دعوتهما أربعين عاماً[٦].

﴿فاستقيما﴾ فيه وجهان:

أحدهما- فامضيا لأمري فخرجا في قومهم، قاله السدي[٧].

الثاني- فاستقيما في دعوتكا علىٰ فرعون وقومه، وحكاه علي بن عيسىٰ[٨].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٣٨٥) عن أبي هريرة، وقاله ابن قتيبة في غريب القرآن (١٢)، وقال أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن (١/ ٦): قيل إنها اسم من أسماء الله تعالىٰ، ولا يصح نقله ولا ثبت قوله. وقال القرطبي عنه (١٠/ ١٢٨): ولم يصح.

(٢) في الأصل (ك): "حرف الله أو مضمر" والمثبت هو مقتضىٰ السياق، وانظر: مختصر تفسير الماوردي (٢/ ٧٥)، وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٢).

(٣) في الأصل (ك): " الرابع " وهو وهم.

(٤) رواه الطبراني في كتاب الدعاء ص (٨٩) رقم ٢١٩ بلفظه. وذكره ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٤٣٢) في ترجمة مؤمل بن عبد الرحمن. ومؤمل هذا ضعيف. وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٤) وعزاه لابن مردويه بسند ضعيف.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٦) في (ق): " يوماً " وجاء فوقها دون طمس لها: عاماً. وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٠) رواية محمد بن علي ابن حسين وذكر المدة أربعين يوماً. وأخرج الطبري (١٥/ ١٨٧) قول ابن جريج وذكر المدة أربعين سنة، ونقلها السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٥) وزاد رواية عن ابن عباس من إخراج ابن المنذر ورواية عن مجاهد من إخراج الحكيم الترمذي وفيها أربعين سنة، ومثل هذه المدة عند ابن عطية (٩/ ٨٥) عن ابن جريج والضحاك، ومحمد بن علي.

(٧) وقاله ابن عباس. انظر: الطبري (١٥/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٠).

(٨) وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤٥٨) عن أبي سليمان الدمشقي. وقد قال ابن جرير الطبري (١٥/ ١٨٧) أن المعنىٰ =

وقيل: إنه لا يجوز أن يدعو نبي علىٰ قومه إلا بإذن لأن دعاءه موجب لحلول الانتقام وقد يجوز أن يكون فيهم من يتوب.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

قوله عز وجل: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ معنىٰ[(١)] ننجيك نلقيك علىٰ نجوة [من الأرض][(٢)] والنجوة المكان المرتفع، وقوله تعالىٰ ﴿ببدنك﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني بجسدك من غير روح، قاله مجاهد[(٣)].

الثاني- بدرعك، وكان له درع من حديد يعرف بها، قاله أبو صخر[(٤)]. وكان من تخلف من قوم فرعون ينكر غرقه.

وقرأ يزيد اليزيدي[(٥)]: (نُنَحِّيك) بالحاء غير المعجمة وحكاها علقمة عن ابن مسعود. أن يكون علىٰ ناحية من البحر حتىٰ يراه بنو إسرائيل، وكان قصيراً أحمر كأنه ثور.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ يعني لمن بعدك عبرة وعظة.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ

=

استقيما علىٰ دعوة فرعون وقومه إلىٰ طاعة الله.

(١) في الأصل (ك): حتىٰ.

(٢) زيادة من (ق).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٣).

(٤) هو: حميد بن زياد المدني - مختلف فيه - ت ١٨٩هـ. والقول أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٥) كذا هنا وفي المحتسب (١/ ٣١٦)، وتفسير الألوسي (١١/ ١٨٤) أنه: يزيد البربري وعند ابن عطية في تفسيره (٩/ ٨٩): يزيد البريدي، ولم أقف له علىٰ تعريف. وهي قراءة شاذة قرأها: أبي بن كعب، ومحمد بن السميفع. انظر مع ما سبق: مختصر ابن خالويه (٥٨)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (١/ ٦٥٣).

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس:٩٣].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه الشام و بيت المقدس، قاله قتادة[(١)] .

[الثاني- أنه مصر والشام: قاله الضحاك[(٢)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ تأويلان:

أحدهما- أنه كالصدق في الفضل][(٣)].

والثاني- أنه تصدق به عليهم.

ويحتمل تأويلا ثالثًا- أنه وعدهم إياه فكان وعده وعد صدق.

﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني وأحللنا[(٤)] لهم من الخيرات الطيبة[(٥)].

﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ يعني أن بني إسرائيل ما اختلفوا أن محمد ﷺ نبي.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- حتىٰ جاءهم محمد ﷺ الذي كانوا يعلمون أنه نبي، وتقديره حتىٰ جاءهم المعلوم، قاله ابن بحر وابن جرير الطبري[(٦)].

والثاني- حتىٰ جاءهم القرآن، قاله ابن زيد[(٧)].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم(٦/ ١٩٨٥).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل (ك)، وإثباته من (ق).

(٤) في الأصل (ك): " وأحللناهم ".

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٥) عن مقاتل بن سليمان.

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ١٩٩).

(٧) تفسير الطبري(١٥/ ١٩٩).

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٤-٩٧].

قوله عز وجل: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ هذا خطاب من الله تعالىٰ لنبيه ﷺ، يقول: إن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك، وفيه وجهان[١]:

أحدهما- في شك أنك رسول.

الثاني- في شك أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه أراد مَنْ آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، قاله ابن زيد[٢].

الثاني- أنه عنىٰ أهل الصدق والتقوىٰ منهم، وهذا قول الضحاك[٣].

فإن قيل: فهل كان النبي ﷺ شاكًا؟ قيل قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أشك ولا أسأل»[٤].

وفي معنىٰ الكلام وجهان:

أحدهما- أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من أمته، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ .. الآية [الطلاق: ١].

والثاني- أنه خطاب ورد علىٰ عادة العرب في توكيد القبول والتنبيه علىٰ أسباب الطاعة. كقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فبرّني، ولعبده إن كنت عبدي[٥] فامتثل أمري، [١٧٩/ أ] ولا يدل ذلك علىٰ شك الولد في أنه ابن أبيه ولا أن العبد شاك في أنه ملك لسيده.

---

(١) تفسير ابن الجوزي (٤/ ٦٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٠١).

(٣) المصدر السابق، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٦٤).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٨)، وابن جرير الطبري (١٥/ ٢٠٢) كلاهما عن قتادة. وهو من قول ابن عباس كما عند ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٦)، وسعيد بن جبير والحسن كما عند الطبري.

(٥) في (ق): مملوكي.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي من المشككين[١].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- [إن الذين][٢] وجبت عليهم كلمة ربك بالوعيد والغضب لا يؤمنون أبداً.

الثاني- إن الذين وقعت كلمته عليهم بنزول العذاب بهم لا يؤمنون أبداً.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس:٩٨].

قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ والمراد بالقرية: أهل القرية.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ وهم أهل نينوىٰ من بلاد الموصل فإن يونس ﷺ وعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، فقالوا: انظروا يونس فإن خرج عنا فوعيده حق، فلما خرج عنهم تحققوه ففزعوا إلىٰ شيخ منهم فقال: توبوا وادعوا يا حي حين لا حي، ويا حي يا محيي الموتىٰ، ويا حي لا إله إلا أنت، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل والدة[٣] وولدها، وخرجوا من قريتهم تائبين داعين فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالىٰ[٤]: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وفيه وجهان:

أحدهما- أنهم رأوا دلائل العذاب فلذلك قبل توبتهم، ولو رأوه لم يقبلها كما لم يقبل من فرعون إيمانه لما أدركه الغرق.

الثاني- أنه خصهم بقبول التوبة بعد رؤية العذاب، قال قتادة: كشف عنهم العذاب بعد أن تدلىٰ عليهم ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل[٥].

﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فيه تأويلان:

---

(١) في الأصل (ك): المشكين.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل (ك): واحدة لدة.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن قتادة (٦/ ١٩٨٩).

أحدهما- إلىٰ أجلهم، قاله السدي[(١)].

الثاني- إلىٰ أن يصيروا إلىٰ الجنة أو النار، قاله ابن عباس[(٢)].

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: إن الحذر لا يرد القدر، وإن الدعاء يرد القدر، وذلك أن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾[(٣)] قال علي ﷺ وذلك يوم عاشوراء[(٤)].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس:٩٩-١٠٣].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- معناه إلا بأمر الله تعالىٰ، قاله الحسن[(٥)].

الثاني- إلا بمعونة الله.

الثالث- إلا بإعلام الله لها سبل الهدىٰ والضلالات.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه خمس تأويلات:

أحدها- أن الرجس السخط، قاله ابن عباس[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٩٠) بسنده عن السدي. وهو قول ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٢١١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٧) بلفظه، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٦٥-٦٦٦) بلفظ: إن القدر لا يرد القضاء ولكن الدعاء يرد القضاء، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٢) بلفظه هنا، ولم ينسبه لغيرهما.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٦٧) ونسبه لابن عباس، وزاد ثلاثة أقوال أخرىٰ، والمعنىٰ: أن عليك البلاغ وأما الهداية فلله. وانظر تفسير الطبري (١٥/ ٢١٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٠) كلاهما من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وانظر: صحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير (٢٨٢).

الثاني- أنه العذاب، قاله الفراء(١).

الثالث- أنه الإثم، قاله سعيد بن جبير(٢).

الرابع- أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد(٣).

الخامس- أنه الشيطان، قاله قتادة.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني لا يعقلون عن الله تعالىٰ أمره ونهيه ويحتمل أنهم الذين لا يعتبرون بحججه ودلائله(٤).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس:١٠٤-١٠٧].

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي استقم بإقبال وجهك علىٰ ما أمرت به من الدين حنيفـًا، وقيل أنه أراد بالوجه النفس.

و ﴿حنيفـًا﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها- أي حاجـًا، قاله ابن عباس والحسن والضحاك وعطية والسدي(٥).

الثاني- متبعـًا، قاله مجاهد(٦).

الثالث- مستقيمـًا، قاله محمد بن كعب [وعيسىٰ بن خارجة](٧).

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٨٠) وفيه: العذاب والغضب..

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٠)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٠)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٦٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٦٨).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٧٣) عند قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران:٦٧، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وذكره مرويـًا عن هؤلاء الذين ذكرهم الماوردي هنا.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٧٣)، وزاد روايته عن الربيع بن أنس.

الرابع- مخلصـًا، قاله عطاء[١].

الخامس- مؤمنـًا بالرسل كلهم[٢] قاله أبو قلابة[٣]. قال حمزة بن عبدالمطلب:

حمـــدت الله حـــين هـــدىٰ فـــؤادي ** مـــن الإشـــراك للـــدين الحنيـــف

الســـادس- ســـابقـًا[٤] إلـــىٰ الطاعـــة، مـــأخوذ مـــن الحنـــف في الـــرجلين وهـــو أن تســـبق إحداهما الأخرىٰ.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس:١٠٨-١٠٩].

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾ فيه قولان[٥]:

أحدهما- القرآن[٦].

الثاني- الرسول[٧].

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ فيه وجهان محتملان:

أحدهما- فمن اهتدىٰ إلىٰ معرفة الحق فإنما يهتدي بعقله.

الثاني- فمن اهتدىٰ لقبول الحق فإنما يهتدي بخلاص نفسه[٨].

❁ ❁ ❁

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ق) وقوله: خارجة تحريف جارية. فقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٧٣) عنهما فقال: عيسىٰ بن جارية. وهو أنصاري مدني فيه لين كما في التقريب ٤٣٨٤) رقم: ٥٢٨٨، وانظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٣١٠) رقم (٦٥٥٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٧٤) وزاد روايته عن مقاتل بن حيان، وخصيف. وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٧٠) عن عطاء.

(٣) زيادة من (ق).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٧٦٣)، قال: الحنيف الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلىٰ آخرهم.

(٥) في (ك): وجهان، وقد سقط القولان من (ق).

(٦) قاله ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٢٠)، لأن الخطاب في الآية للرسول ﷺ.

(٧) ذكره والذي قبله ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٧١) من غير نسبة.

(٨) هذا القول هو الأول في (ك)، وقد سقط القولان من (ق)، وهما للماوردي حيث عبر عنهما بالاحتمال.

سورة هود

مكية عند الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر[(١)].

وقال ابن عباس وقتادة إلا آية وهي قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [هود: ١١٤][(٢)].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هود: ١-٤].

قوله عز وجل: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾ يعني القرآن.

﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها- أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب، قاله الحسن[(٣)].

الثاني- أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية، وهذا قول قتادة[(٤)].

الثالث- أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت، وهذا معنىٰ قول مجاهد[(٥)].

الرابع- أحكمت آياته للمعتبرين، وفصلت آياته للمتقين.

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس، وعبدالله بن الزبير، ونسب الألوسي هذا القول للجمهور. انظر: تفسير الألوسي (١١/ ٢٠٢)، وابن الجوزي (٤/ ٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٦).

(٢) قال الألوسي (١١/ ٢٠٢) قال الجلال السيوطي: "ودليله ما صح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر".

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٦) وروىٰ عنه عكسه أي أحكمت بالثواب والعقاب. وفصلت بالأمر والنهي. وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٥). ورجح الطبري معناه في تفسيره (١٥/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٥).

الخامس- أحكمت آياته في القلوب، وفصلت أحكامه على الأبدان[١].

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- من عند حكيم في أفعاله، خبير بمصالح عباده.

الثاني- حكيم بما أنزل، خبير بمن يتقبل.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن كتبت في الكتاب ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

والثاني- أنه أمر رسوله أن يقول للناس ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ قال ابن عباس: نذير من النار، وبشير بالجنة[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- واستغفروه من سالف ذنوبكم ثم توبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم[٣].

قال بعض العلماء: الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

الثاني- أنه قدم ذكر الاستغفار؛ لأن المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها، فالمغفرة أول الطلب وآخر السبب[٤].

ويحتمل ثالثاً: استغفروه من الصغائر، وتوبوا إليه من الكبائر [٥].

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ يعني في الدنيا، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه طيب النفس، وسعة الرزق[٦].

---

(١) ذكره والذي قبله أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٢/ ٤١١) من غير نسبة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥/ ١٩٩٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٧٥) من غير نسبة، وذكر عن الفراء أن "ثم" هاهنا بمعنى الواو. وانظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٤١٢).

(٤) في (ق): أول في الطلب، وآخر في السبب.

(٥) وهو قول المؤلف.

(٦) ذكره السمعاني في تفسيره (٢/ ٤١٢) من غير نسبة.

الثاني- أنه الرضا بالميسور، والصبر علىٰ المقدور[(١)].

الثالث- أنه ترك الخلق، والإقبال علىٰ الحق، قال سهل بن عبدالله، ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه الحلال الكافي[(٢)].

الثاني- أنه الذي لا كد فيه ولا طلب.

الثالث- أنه المقترن بالصحة والعافية.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- إلىٰ يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير[(٣)].

الثاني- إلىٰ الموت، قاله الحسن[(٤)].

الثالث- إلىٰ وقت لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، قاله ابن عباس[(٥)].

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ فيه وجهان[(٦)]:

أحدهما- يهديه إلىٰ العمل الصالح، قاله ابن عباس.

الثاني- يجازيه عليه في الآخرة، علىٰ قول قتادة. ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا، قول مجاهد.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يعني عما أمرتهم به.

﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وفيه إضمار وتقديره: فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ

---

(١) ذكره السمعاني في تفسيره (٢/ ٤١٢) من غير نسبة.

(٢) ذكره السمعاني في تفسيره (٢/ ٤١٢) من غير نسبة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٩٧)، وهو مروي عن عكرمة، وعطية العوفي، وعطاء الخرساني، والسدي، والربيع بن أنس.

(٤) وبه قال قتادة وابن عباس. انظر تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٠)، وابن الجوزي (٤/ ٧٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٩٧)، من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) هذا علىٰ أن هاء الكناية في قوله: ﴿فضله﴾ عائدة إلىٰ الله تعالىٰ. وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٧)، والطبري (١٥/ ٢٣١)، وابن الجوزي (٤/ ٧٥).

بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [هود: ٥].

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- يثنون صدروهم علىٰ الكفر ليستخفوا من الله تعالىٰ، قاله مجاهد[١].

الثاني- يثنونها علىٰ عداوة النبي ﷺ ليخفوها عنه، قاله الفراء والزجاج[٢].

الثالث- يثنونها علىٰ ما أضمروه [من حديث النفس][٣] ليخفوه عن الناس، قاله الحسن[٤].

الرابع- أن المنافقين كانوا إذا مروا بالنبي ﷺ غطوا رؤوسهم وحَنَوا صدر وهم ليستخفوا منه فلا يراهم[٥]، قاله أبو رزين[٦].

الخامس[٧]- أن رجلاً قال: إذا أغلقت بابي وأرخيت[٨] ستري وتغشيت ثوبي وأثنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلمهم الله تعالىٰ أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون.

﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ يعني يلبسون ثيابهم، ويتغطون بها، ومنه قول الخنساء[٩]:

أرعىٰ النجوم وما كُلّفتُ رِعْيتَها ** وتارةً أتغشّي فضل أطماري

وفي المراد به ﴿حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها- الليل يقصدون فيه إخفاء أسرارهم فيها يثنون صدروهم عليه. والله تعالىٰ لا يخفىٰ عليه ما يسرونه في الليل ولا ما يخفونه في صدورهم، فكنىٰ عن الليل باستغشاء ثيابهم لأنهم

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٤)، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٧٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٨).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ق). وقوله: ليخفوه عن الناس، ساقط منها.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٩٩) مختصراً.

(٥) في (ق): فلا يعرفهم.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٠٠)، وأبو رزين هو مسعود بن مالك، ثقة فاضل مات سنة ٨٥هـ.

(٧) هذا القول ساقط من (ق). وجاء بدلاً منه قوله: "وفي قوله: ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ علىٰ هذا التأويل وجهان: أحدها- يستخفوا من الله، قاله مجاهد. والثاني- من النبي ﷺ، قاله عبدالله بن شداد.

(٨) في الأصل (ك): وأخريت. وهو تحريف. وانظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (١٣/ ٤١٣)، وفعلهم هذا جهلاً بالله تعالىٰ الذي يعلم السر وأخفىٰ.

(٩) ديوانها: ١٠٩، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٣٨)، وأبي المظفر السمعاني(٢/ ٤١٣).

يتغطون بظلمته كما يتغطون إذا استغشوا ثيابهم.

الثاني- أن قومـًا مـن الكفـار كـانوا لشـدة بغضـتهم لرسـول الله ﷺ يستغشـون ثيـابهم يغطـون بهـا وجوههم ويصمون بها آذانهم حتىٰ لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه، وهو معنىٰ قول قتادة[١].

الثالث- أن قومـًا من المنافقين كانوا يظهرون لرسول الله ﷺ بألسنتهم أنهم علىٰ طاعته ومحبته، وتشتمل قلوبهم علىٰ بغضه ومعصيته، فجعل ما تشتمل عليه قلوبهم كالمستغشي بثيابه.

الرابع- أن قومـًا من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفوها تحت السـماء، فبـين الله تعالىٰ أن التنسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد وما أظهروه من قول وعمل[٢].

ثم بين ذلك فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم.

الثاني- ما يسرون من الإيمان وما يعلنون من العبادات.

الثالث- ما يسرون من عمل الليل وما يعلنون من عمل النهار، قاله ابن عباس.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ قيل بأسرار الصدور.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي[٣].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود:٦].

قوله عز وجل: ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- مستقرها حيث تأوي، ومستودعها حيث تموت[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٥).

(٢) وهو بمعنىٰ ما روي عن ابن عباس كما عند الطبري (١٥/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٦)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٠٠).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٦٨)، وابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٧٦) من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) قاله ابن عباس، وهو اختيار الطبري. انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٤١، ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠١)، وعبدالرزاق (٢/ ٣٠٢).

الثاني- مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب، قاله سعيد بن جبير[(١)].

الثالث- مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة.

ويحتمل رابعاً [(٢)]- أن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود:٧-٨].

قوله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- يعني أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة[(٣)].

الثاني- أيكم أزهد في الدنيا، وهو قول سفيان[(٤)].

الثالث- أيكم أكثر شكراً، قال الضحاك.

الرابع- ما روى كليب بن وائل عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: « ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله تعالى، وأسرع في طاعة الله»[(٥)].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ فيه وجهان:

---

(١) وهو قول مجاهد وقتادة. انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٤٢)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٠١).

(٢) وهو قول الماوردي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في المخطوطة ص (١٥٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٤) ولم ينسبه لغير ابن أبي حاتم. وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٧٩) عن قتادة. وقد جاء في المطبوعة (٦/ ٢٠٠٦): أيكم أتم عملاً.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٠٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٤) ولم ينسبه لغير ابن أبي حاتم، وذكره ابن الجوزي (٤/ ٧٩) وزاد نسبته للحسن.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٠) بصيغة: حُدثنا... وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٠٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٤) وزاد نسبته لداود بن المحبر في كتاب العقل، والحاكم في التاريخ وابن مردويه. وقال عنه محمود شاكر في تخريجه لتفسير الطبري: "... فهذا حديث ضعيف بمرة، ولا أصل

أحدهما- يعني إلىٰ فناء أمة معلومة، ذكره علي بن عيسىٰ.

الثاني- إلىٰ أجل معدود، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين، وتكون الأمة عبارة عن المدة، وأصلها الجماعة فعبر بها عن المدة لحلولها في مدة[1] .

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ يعني العذاب. وفي قولهم ذلك وجهان:

أحدهما- أنهم قالوا ذلك تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم.

الثاني- أنهم قالوا ذلك استعجالاً للعذاب واستهزاء، بمعنىٰ ما[2] الذي يحبسه عنا؟

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٠-١٧].

قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه القرآن، قاله عبدالرحمن بن زيد[3].

الثاني- محمد ﷺ، قاله مجاهد وعكرمة وأبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي والضحاك[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٥٣).

(٢) "ما" ساقطة من الأصل.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٣)، وزاد نسبته لابن عباس، ومحمد بن علي بن الحنفيه، وإبراهيم النخعي، و خصيف، وابن عيينة.

الثالث- الحجج الدالة علىٰ توحيد الله تعالىٰ ووجوب طاعته، قاله ابن بحر.

وذكر بعض المتصوفة قولاً رابعاً- أن البينة هي الإشراف علىٰ القلوب والحكمة علىٰ الغيوب.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها- أنه لسانه يشهد له بتلاوة القرآن، قاله الحسن وقتادة(١)، ومنه قول الأعشىٰ(٢):

فلا تحسبنّي كافراً لك نعمةً ** علي شاهدي يا شاهد الله فاشهد

الثاني- أنه محمد ﷺ شاهد من الله تعالىٰ، قاله علي بن الحسين(٣).

الثالث- أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس والنخعي وعكرمة والضحاك(٤).

الرابع- أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روىٰ المنهال عن عباد بن عبدالله قال: قال علي: ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(٥).

الخامس- أنه ملك يحفظه، قاله مجاهد وأبو العالية(٦).

ويحتمل قولاً سادساً: ويتلوه شاهد من نفسه بمعرفة حججه ودلائله وهو عقله ووحدته، قاله ابن بحر.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧١).

(٢) ديوانه (٢٢٩)، وعجزه: عليّ شهيدٌ شاهد الله فاشهد.

(٣) كذا هنا. وفي تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤) أنه قول الحسين بن علي وكذا في تفسير ابن الجوزي (٤/ ٨٦))، وعند الطبري (١٥/ ٢٧١) في أكثر من أثر: الحسن بن علي.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٣) ورجحه، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤) وزاد نسبته لأبي العالية وعطاء الخرساني ومجاهد وخصيف. وذكره السمعاني في تفسيره (٢/ ٤١٨) وجعله قول أكثر أهل التفسير.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٥) بسنده. وأخرج نحوه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٢). وفي سنده جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف، قال الألوسي عن هذا الخبر في روح المعاني (١٢/ ٢٨): "وأنت تعلم أن الخبر مما لا يكاد يصح وفيما سيأتي في الآية إن شاء الله تعالىٰ إباء عنه، ويكذبه ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط عن محمد بن الحنفية قال: قال: قلت لأبي [كرم الله وجهه] إن الناس يزعمون في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أنك أنت التالي؟ قال: وددت أني هو ولكنه لسان محمد ﷺ. علىٰ أن في تقرير الاستدلال ضعفاً وركاكة بلغت الغاية القصوىٰ كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ فطنة ".أهـ.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤) عن مجاهد.

﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فيه وجهان[١]:

أحدهما- ومن قبل القرآن كتاب موسىٰ وهو التوراة، قاله ابن زيد.

الثاني- ومن قبل محمد كتاب موسىٰ، قاله مجاهد.

﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني متقدماً علينا ورحمة لهم.

الثاني- إماماً متقدماً لاقتدائهم بما فيه ورحمة لهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ يعني من كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما- أنهم أهل الأديان كلها لأنهم يتحزبون: قاله سعيد بن جبير[٢].

الثاني- هم المتحزبون علىٰ رسول الله ﷺ و المجتمعون علىٰ محاربته.

وفي المراد بهم ثلاثة أوجه:

أحدها- قريش، قاله السدي[٣].

الثاني- اليهود والنصارىٰ، قاله سعيد بن جبير[٤].

الثالث- أهل الملل كلها.

﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ أي إليها مصيره، قال حسان بن ثابت[٥]:

أوردتموها حياض الموت ضاحية ** فالنار موعِدُها والموت لاقيها

قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ وفيه وجهان[٦]:

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٨٦)، وزاد قولاً ثالثاً: ومن قبل الإنجيل كتاب موسىٰ...

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٥) بلفظ: أهل الملل كلها.

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٨٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٦) عن قتادة.

(٥) ديوانه: (٤٧٧).

(٦) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٨٩).

أحدهما- في مرية من القرآن، قاله مقاتل.

الثاني- في مرية من أن النار موعد الكفار، قاله الكلبي، وهذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود:١٨-٢٢].

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ﴾ معناه ومن أظلم لنفسه ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً بأن يدعي إنزال ما لم ينزل عليه أو ينفي ما أنزل عليه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهو حشرهم إلىٰ موقف الحساب كعرض الأمير لجيشه، إلا أن الأمير يعرضهم ليراهم وهذا لا يجوز علىٰ الله تعالىٰ لرؤيته لهم قبل الحشر.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ والأشهاد جمع، وفيما هو جمع له وجهان:

أحدهما- أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب.

والثاني- جمع شهيد مثل شريف وأشراف.

وفي الأشهاد أربعة أقاويل:

أحدها- أنهم الأنبياء، قاله الضحاك [(١)].

الثاني- أنهم الملائكة، قاله مجاهد [(٢)].

الثالث- الخلائق، قاله قتادة [(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٧) وزاد:... والرسل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٣) عن مجاهد بأكثر من رواية.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٣).

الرابع- أن الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء والمؤمنون [١] والأجساد، قاله زيد بن أسلم[٢].

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنىٰ قريشاً.

وفي السبيل الذي صدوا الناس عنه وجهان[٣]:

أحدهما- أنه محمد ﷺ صدت عنه قريش الناس، قاله السدي.

والثاني- دين الله تعالىٰ، قاله ابن عباس.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- يرجون بمكة [٤] غير الإسلام دينا [٥]، قال أبو مالك.

الثاني- يبتغون بمحمد هلاكاً، قاله السدي[٦].

الثالث- أن يتأولوا[٧] القرآن تأويلاً باطلاً، قاله علي بن عيسىٰ.

قوله عز وجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أن معنىٰ لا جرم: لا بد [٨].

الثاني- أن ﴿لا﴾ عائد إلىٰ الكفار، أي لا دافع لعذابهم، ثم استأنف فقال: جرم، أي كسب بكفره استحقاق النار، ويكون معنىٰ جرم: كسب، كما قال الشاعر:

نَصَبنا رأسه في رأس جذع ** بما جَرَمت يداه وما اعتدينا [٩]

أي بما كسبت يداه.

---

(١) في الأصل و (ك): والمؤمنين. والمثبت من (ق) وتفسير ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٦).

(٣) ذكر هما ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٧).

(٤) في الأصل و (ك): بملة. والمثبت من (ق)، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٨) بلفظه، وأبو مالك هو غزوان الغفاري.

(٥) في الأصل و (ك): بنا. وهو تحريف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٨).

(٧) في الأصل: أن يتأولون. في (ك): أن يتألون.

(٨) قاله الفراء (٢/ ٨)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٩١).

(٩) ذكره أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٢/ ٤٢٢) من غير نسبة.

الثالث- أن ﴿لا﴾ زائدة دخلت توكيداً، يعني حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قال الشاعر[١]:

وقــد طعنــتَ أبــا عبيــدة طعنــة ** جرمــت فــزارةُ بعــدها أن يغضــبوا

أي أحقتهم الطعنة بالغضب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٣-٢٤].

قوله عز وجل: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات[٢].

أحدها- يعني خافوا لربهم، قاله ابن عباس.

الثاني- يعني اطمأنوا، قاله مجاهد.

الثالث- يعني أنابوا، قاله قتادة.

الرابع- خشعوا وتواضعوا لربهم، رواه معمر[٣].

الخامس- أخلصوا إلىٰ ربهم، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود:٢٥-٢٧].

---

(١) هو أبو أسماء أمية بن الضريبة، وقيل هو لعطية بن عفيف. والبيت في تفسير الطبري (٩/ ٤٨٣)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٣٧٦)، والفاخر للمفضل (٢٦١)، وقد ذكره المؤلف عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [المائدة:٢] فراجعه.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٩)، وابن الجوزي (٤/ ٩٢)، قال الطبري: "وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها...".

(٣) رواه معمر عن قتادة. كما في تفسير الطبري، وابن أبي حاتم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ الأراذل جمع أرذل، وأرذل جمع رذل، والرذل الحقير، وعنوا بأراذلهم الفقراء وأصحاب المهن المتضعة.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أي ظاهر الرأي، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنك تعمل بأول الرأي من غير فكر، قاله الزجاج[1].

الثاني- أن ما هو في نفسك من الرأي ظاهر، تعجيزاً له، قاله ابن شجرة.

الثالث- يعني أن أراذلنا اتبعوك بأقل الرأي وهم إذا فكروا رجعوا عن اتباعك، حكاه ابن الأنباري.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- من تفضلون به علينا من دنياكم.

والثاني- فضل تفضلون به علينا في أنفسكم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود:٢٨].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني علىٰ ثقة من ربي، قاله أبو عمران الجوني[2].

والثاني- علىٰ حجة من ربي، قاله عليّ بن عيسىٰ.

﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فيها وجهان:

أحدهما- الإيمان[3].

والثاني- النبوة، قاله ابن عباس[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٧)، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٩٦). فالمعنىٰ مرتبط هنا بالقراءة فعلىٰ قراءة الجمهور بادي من غير همز يكون بمعنىٰ الظهور من البدو، وعلىٰ قراءة أبي عمرو بالهمز: بادئ يكون من الابتداء.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي بمعناه في تفسيره (٤/ ٩٧) عن مقاتل، حيث قال: الهداية، والمعنىٰ الهداية إلىٰ الإيمان.

(٤) تفسير ابن الجوزي (٤/ ٩٧).

﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني البينة في قوله: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾.

وإنما قال: ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ هم الـذين عمـوا عنهـا، لأنهـا خفيـت علـيهم بـترك النظـر فأعمـاهم الله عنها.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (فعُمِّت عليكم) بضم العين وتشديد الميم [1]، وفي قراءة أبي [2] (فعمّاها) وهي موافقة لقراءة من قرأ بالضم علىٰ من لم يسم فاعله.

وفي الذي عماها علىٰ هاتين القراءتين وجهان:

أحدهما- أن الله تعالىٰ عمّىٰ عليهم.

الثاني- بوسوسة الشيطان. وما يزينه لهم من الباطل حتىٰ انصرفوا عن الحق.

وإنما قصد نبي الله نوح بهذا القول لقومه أن يرد عليهم قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ ليظهر فضله عليهم بأنه علىٰ بينة من ربه وآتـاه رحمـة مـن عنده وهـم قـد سـلبوا ذلـك، فـأي فضـل أعظم منه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ فيها وجهان [3]:

أحدها- أنلزمكم الرحمة، قاله مقاتل.

الثاني- أنلزمكم البينة وأنتم لها كارهون، وقبولكم لا يصح مع الكراهة عليها.

قال [4] قتادة: والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [هود:٢٩-٣٠].

---

(١) والقراءة السبعية الأخرىٰ: فَعَمِيَتْ، بتخفيف الميم وفتح العين. انظر: السبعة لابن مجاهد (٣٣٢).

(٢) ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القراءات (٥٩)، وابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٩٧). وزاد نسبتها للأعمش.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٩٧) من غير نسبة.

(٤) في الأصـل (ك): قالـه قتـادة، والمثبـت هـو الصـواب، وقـد أخرجـه ابـن أبـي حـاتم في تفسـيره (٦/ ٢٠٢٣) والطـبري (١٥/ ٢٩٩) كلاهما عن قتادة.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ لأنهم سألوه طرد من اتبعه من أراذلهم، فقال جواباً لهم ورداً لسؤالهم: وما أنا بطارد الذين آمنوا.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل[1] وجهين:

أحدهما- أن يكون قال ذلك علىٰ وجه الإعظام لهم بلقاء الله تعالىٰ.

الثاني- علىٰ وجه الاختصام، بأني لو فعلت ذلك [١٨١/ ب] لاختصموني عند الله.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم.

الثاني- تجهلون في أنهم خير منكم لإيمانهم وكفركم.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود:٣١-٣٤].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ احتمل هذا القول من نوح عليه السلام وجهين:

أحدهما- أن يكون جواباً لقومه علىٰ قولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ .

الثاني- أن يكون جواباً لهم علىٰ قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فقال الله تعالىٰ له قل: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ .

وفيها وجهان:

أحدهما- أنها الرحمة أي ليس بيدي الرحمة فأسوقها إليكم، قاله ابن عباس.

---

(١) ساقط من الأصل و (ك).

الثاني- أنها الأموال، أي ليس بيدي أموال فأعطيكم منها علىٰ إيمانكم.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ يعني فأخبركم بها في أنفسكم. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ يعني فأباين جنسكم.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ والازدراء الإحتقار، يقال: ازدريت عليه إذا عبته، وزريت عليه إذا حقرته.

وأنشد المبرد:

يباعـــده الصـــديق وتزدريـــه ** حليلتـــه وينهـــره الصـــغير [1]

﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ أي ليس لاحتقاركم لهم يبطل أجرهم وينقص ثوابهم، وكذلك لستم لعلوكم في الدنيا تزادون علىٰ أجوركم.

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ في أنه يجازيهم عليه، ويؤاخذهم به.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني إن قلت هذا الذي تقدم ذكره.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود:٣٥].

قوله عز وجل: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ يعني النبي ﷺ، افترىٰ افتعل من قبل نفسه ما أخبر به عن نوح وقومه.

﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ وفي الإجرام وجهان:

أحدهما- أنها الذنوب المكتسبة. حكاه ابن عيسىٰ.

الثاني- أنها الجنايات المقصودة، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر [2]:

رهـــين عشـــيرةٍ ورهـــين جـــرم ** بمـــا جرمـــت يـــدي وجنـــىٰ لســـاني

ومعناه: فعليّ عقاب إجرامي.

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٦٩١)، وقال: وأنشد الفراء.. ولم أجده في معاني القرآن للفراء في مظنه.

(٢) هو الهيرودان السعدي. أحد لصوص بني سعد. والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٨٨) منسوبة لقائله، وفي تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٦) من غير نسبة، وصدره فيهما: طريد عشيرة ورهين ذنب .... وانظر تفسير ابن عطية (٦/ ١٤١).

﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ أي وعليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ما أنا بريء منه.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾ [هود:٣٦-٣٩].

قوله عز وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ حقق الله تعالىٰ استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم، قال الضحاك: فدعا عليهم لما أخبر بهذا فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ [نوح:٢٦-٢٧].

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- فلا تأسف ومنه قول [1] يزيد بن عبدالمدان:

فارس الخيل إذا ما ولولت ** ربّةُ الخِدر بصوتٍ مبتئس

الثاني- فلا تحزن، منه قول الشاعر:

وكم من خليل أو حميم رُزئته ** فلم أبتئس والرزءُ فيه جليل[2]

والابتئاس: الحزن في استكانة، وأصله من البؤس، وفي ذلك وجهان:

أحدهما- فلا تحزن لهلاكهم.

الثاني- فلا تحزن لكفرهم المفضي إلىٰ هلاكهم.

قوله عز وجل: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(١) ساقطة من الأصل (ك). وفيها: يزيد بن عبدالمنال. ولعله تصحيف، وهو يزيد بن عبدالمدان، من أشراف اليمن وشجعانها، وفد علىٰ النبي ﷺ مع خالد بن الوليد في السنة العاشرة مع وفد بني الحارث. انظر الإصابة (٣/ ٦٦٠) رقم (٩٢٨٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٩٣)، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د. عفيف عبدالرحمن (٣٧٥).

(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٦٩٤) من غير نسبة.

أحدها- بحيث نراك، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن بها تكون الرؤية.

الثاني- بحفظنا إياك حفظ من يراك[١].

الثالث- بأعين أوليائنا الملائكة.

ويحتمل وجهة رابعـًا: بمعونتنا لك علىٰ صنعها.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- وأمرنا لك بأن تصنعها.

الثاني- وتعليمنا لك كيف تصنعها.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ نهاه الله عن المراجعة فيهم فاحتمل نهيه أمرين:

أحدهما- ليصرفه عن سؤال ما لا يجاب إليه.

الثاني- ليصرف عنه مأثم الممالأة للطغاة.

قوله عز وجل: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ قال زيد بن أسلم: مكث نوح ﷺ مائة سنة يغرس النخل ويقطعها وييبسها، ومائة سنة يعملها[٢]، واختلف[٣] في طولها علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- ما قاله الحسن كان طولها ألف ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت مطبقة[٤].

الثاني- [ما][٥]، قاله ابن عباس: كان طولها أربعمائة ذراعـًا، وعلوها ثلاثون ذراعـًا[٦]. وقال خصيف: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعـًا وعلوها ثلاثون ذراعـًا، وكان في أعلاها[٧] الطير، وفي وسطها الناس وفي أسفلها السباع. ودفعت من عين

---

(١) هذا القول وما بعده تأويل، والحق إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات علىٰ الوجه اللائق بجلاله سبحانه وتعالىٰ دون تشبيه أو تمثيل.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢١). ونسبه لابن جرير، ولعله وهم في ذلك، وأن مراده ابن أبي حاتم فقد ذكره بلفظ ابن أبي حاتم: عن زيد بن أسلم أن نوح ﷺ مكث يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ثم مائة يعملها. وهو نص ما في مخطوطة تفسير ابن أبي حاتم، وفي العبارة سقط ذكر المائة الأولىٰ.

(٣) في الأصل (ك): فاختلف.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥) وفيه:... ألف ومائة ذراع...

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥).

(٧) كذا في الأصل (ك) وفي مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي (١/ ٨٨) القول الثالث- "... وطولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها مائة وخمسين ذراعـًا، وعلوها ثلاثين ذراعا...".

وردة [١] في يوم الجمعة لعشر مضين من رجب ورست بباقَرْدَىٰ[٢]، علىٰ الجودي [٣] يوم عاشوراء. قال قتادة وكان بابها في عرضها[٤].

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ وفي سخريتهم منه قولان:

أحدهما- أنهم كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً.

الثاني- لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا: يانوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشي علىٰ الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه.

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- إن تسخروا من قولنا فسنسخر من غفلتكم.

الثاني- إن تسخروا من فعلنا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غداً عند الغرق.

والمراد بالسخرية هاهنا الاستجهال. ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم[٥].

قال ابن عباس: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه. قال: ومياه البحر هي بقية الطوفان[٦].

فإن قيل: فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية؟ قيل: لأنه ذمٌ جعله مجازاة علىٰ السخرية فجاء به علىٰ مزاوجه الكلام، وكان الزجاج[٧] لأجل هذا الاعتراض يتأوله علىٰ معنىٰ إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلونا.

---

(١) عين وردة، مكان قرب الكوفة، وقيل هي التنور الذي فاض منه الطوفان. انظر: معجم ما استعجم (٢/ ١٣٧٦).

(٢) باقَرْدَىٰ: موضع بالجزيرة. معجم ما استعجم (١/ ٢٢٢، ٤٠٣).

(٣) الجودي: جبل بالموصل، أو الجزيرة. معجم ما استعجم (١/ ٤٠٣).

(٤) هذه التفصيلات من فضول القول التي لا يتعلق بها فائدة ولم يدل عليها دليل من كتاب أو سنة. وانظر: تفسير الفخر الرازي (١٧/ ٢٢٣)، والألوسي (١٢/ ٤٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٢٨).

(٧) معاني القرآن للفراء(٣/ ٥٠).

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾ [هود: ٤٠].

قوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها- أنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تَنُّوراً، قاله ابن عباس، وقيل لنوح ﵇: إذا رأيت الماء علىٰ وجه الأرض فاركب أنت ومن اتبعك [١].

الثاني- أن التنور العين التي بالجزيرة "عين الوردة"، رواه عكرمة [٢].

الثالث- أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة، قاله علي بن أبي طالب ﵁ [٣].

الرابع- أن التنور ما زاد علىٰ وجه الأرض فأشرف منها، قاله قتادة [٤].

الخامس- أنه التنور الذي يخبز فيه، قيل له: إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك، قاله مجاهد [٥].

قال الحسن: كان تنوراً من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح [٦]، [وقال مقاتل: فارَ من أقصىٰ دار نوح بعين وردة من أرض الشام، قال أمية بن الصلت[٧]:

فـار تنـورهم وجـاش مـاطرهم ** فـوق الجبـال حتـىٰ علاهـا

السادس- أن التنور هو تنوير الصبح، من قولهم: نور الصبح تنويراً،][٨].

وهو مروي عن علي -أيضاً- ﵁ [٩].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٠٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩) عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٨) وزاد نسبته لحذيفة، والشعبي، ومجاهد.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩) بزيادة: أنه علم بين نوح وربه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٠) ورجحه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لا يوجه إلا إلىٰ الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب.

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٢٩).

(٧) ديوانه (٨٧).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٧١٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٨).

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني من الآدميين ومن البهائم ذكر وأنثي.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي احمل أهلك.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ من الله تعالىٰ أنه يهلكهم وهو ابنه كنعان، وامرأته كانا كافرين، قاله الضحاك وابن جريج [١].

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي احمل من آمن.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ واختلف في عددهم علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- ثمانون رجلاً منهم جرهم، قاله ابن عباس.

الثاني- ثمانية، قاله ابن جريج.

الثالث- سبعة، قاله الأعمش ومطر، وكان فيهم ثلاثة بنوه[٢]: سام، وحام، ويافث، وثلاث كنّات له ونوح معهم صاروا سبعة [٣].

وعلىٰ القول الثاني- كانت فيهم امرأة نوح. صاروا ثمانية.

قال محمد بن عباد بن جعفر: فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح أن يغير الله نطفته فجاء السودان[٤].

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤١-٤٣].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ قال قتادة:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عنهما (١٥/ ٣٢٤).

(٢) في (ق): بنيه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣١). وهذا التحديد من فضول القول الذي لا فائدة فيه، ولا دليل عليه. والحق فيه أنهم قليل كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ دون تحديد بعدد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٢) مطولاً.

ركب نوح عليه السلام في السفينة في اليوم العاشر من رجب، ونزل منها في اليوم العاشر من المحرم، وهو يوم عاشوراء، فقال لمن كان معه: من كان صائماً فليتم صومه، ومن لم يكن صائماً فليصمه.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ أي مسيرها، ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [أي مثبتها، فكان إذا أراد السير، قال: بسم الله مجريها، فتجري، وإذا أراد الوقوف قال:](١) بسم الله مرساها. فتثبت واقفة.

[١٨٢/ ب] قوله عز وجل: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ قال ذلك لبقائه على كفره تكذيباً لأبيه، وقيل إن الجبل الذي أوى إليه طور زيتا.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

قوله: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ يعني لا معصوم أي لا ناج من أمر الله تعالى يعني الغرق.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- إلا من رحم الله وهم أهل السفينة، قاله عكرمة (٢).

الثاني- إلا من رحم نوح فحمله في سفينته.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

قوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ (٣) جعل نزول الماء فيها بمنزلة البلع، ومعناه ابلعي الماء الذي عليك، فروى عن الحسن والحسين -عليهما السلام- أن بعض البقاع استعصى أن يبلع ماؤه فصار ماؤه مراً وترابه سبخاً. فابتلعت الأرض ما خرج منها.

واختلف في ابتلاعها ما نزل من السماء على قولين:

أحدهما- أنها ابتلعت جميع مائها، وماء السماء.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و (ك)، وإثباته من (ق).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٥).

(٣) أبدع الألوسي في بيان بلاغة هذه الآيات ووجوه إعجازها في تفسيره (١٢٦٣ -٦٨) ثم قال: وما ذكر في شرح مزايا هذه الآية بالنسبة إلى ما فيها قطرة من حياض، وزهرة من رياض، وأشار إلى أن شيخه ألقى فيها رسالة ذكر فيها مائة وخمسين مزية. فراجع كلامه.

[الثاني- أنها ابتلعت ماءها وحده، وصار ماء السماء بحاراً وأنهاراً؛ لقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾][(١)].

[﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أي لا تمطري، من قولهم أقلع عن الشيء إذا تركه][(٢)].

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ أي نقص حتىٰ ذهبت زيادته عن الأرض.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ يعني بهلاك من غرق من قوم نوح.

﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ يعني السفينة.

﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه جبل بالموصل، قاله الضحاك.

الثاني- أنه جبل بالجزيرة، قاله مجاهد. قال قتادة: هو بباقردىٰ من أرض الجزيرة.

الثالث- أن الجودي اسم لكل جبل، ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل:

سبحانه ثم سُبحاناً نعوذ به ** وقبلنا سبح الجوديُّ والجمد [(٣)]

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود:٤٥-٤٧].

قوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ وإنما قال: ﴿مِنۡ أَهۡلِي﴾ لأن الله تعالىٰ وعده أن ينجي أهله معه.

﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ يحتمل وجهين:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ، وزيادته من مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي (٢/ ٩٠) بتحقيق د. عبدالله الوهيبي، وهو مقتضىٰ السياق.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل (ك) وزيادته من (ق).

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٦٩٨).

أحدهما- الذي يحق فلا يخلف.

الثاني- الذي يلزم كلزوم الحق.

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يعني بالحق. فاحتمل هذا من نوح أحد أمرين: إما أن يكون قبل علمه بغرق ابنه فسأل الله تعالىٰ له النجاة، وإما أن يكون بعد علمه بغرقه فسأل الله تعالىٰ له الرحمة[١].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه ولد علىٰ فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشدة، قاله الحسن ومجاهد[٢].

الثاني- أنه ابن امرأته [٣].

الثالث- أنه كان ابنه، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط [٤].

وقيل إن اسمه كان كنعان، [وقيل بل كان: يام.

قال الحسن: وكان منافقاً ولذلك استعجل نوح أن يناديه][٥] فعلىٰ هذا يكون في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ وجهان:

أحدهما- ليس من أهل دينك وولايتك، وهو قول الجمهور.

الثاني- ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، قاله سعيد بن جبير.

---

(١) قال الألوسي في تفسيره (١٢/ ٧١): ".. وزعم الواحدي أن السؤال قبل الغرق ومع العلم بكفره ..."، والقول الأول أظهر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٠) عنهما. وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٦) عن الحسن، وكذا ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٩). قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٢/ ٤٤٨): "وقد نص غير واحد من الأئمة علىٰ تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلىٰ أنه ليس بابنه وإنما كان ابن زانية" ومعنىٰ قوله لغير رشد، أي ولد لزانية.

(٣) قال ابن كثير (٢/ ٤٤٨): "ويحكىٰ القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج" أي أنه ابن امرأته من زوج سابق.

(٤) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٢/ ٤٤٨): "وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة... - ثم قال - وهو اختيار أبي جعفر الطبري، وهو الصواب الذي لا شك فيه". وانظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٤٦).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدهما- أن مسألتك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، قاله قتادة وإبراهيم. هو تأويل من قرأ بالتنوين عمل غير صالح [١].

الثاني- معناه أن ابنك الذي سألتني [أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ، أي أنه لغيرة رشدة، قاله الحسن.

الثالث- يعني عَمِلَ عملاً غير صالح،] [٢] قاله ابن عباس، وهو تأويل من لم ينون [٣].

﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- فيما نسبته إلىٰ نفسك وليس منك.

الثاني- في دخوله في جملة من وعدتك بإنجائهم من أهلك وليس منهم.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- من الجاهلين بنسبك.

الثاني- من الجاهلين بوعدي لك.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ تأويلان:

أحدهما- معناه إني أرفعك أن تكون من الجاهلين.

الثاني- معناه أني أحذرك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أي يحذركم.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿إنه عَمَلٌ غير صالح﴾.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك).

(٣) وهي قراءة الكسائي: إنه عَمِلَ غير صالح. وانظر: السبعة في القراءات (٣٣٤). ويلاحظ في المطبوعة وهم في ضبط: غير علىٰ قراءة الكسائي حيث ضبطت في الشكل بالرفع: غيرُ، وهي بالنصب: غيرَ. لأنها وصف لموصوف محذوف والتقدير: عَمِلَ عملاً غير صالح. يعني الشرك.

﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود:٤٨-٥٢] .

قوله عز وجل: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه المطر في إبانه، قاله هارون التيمي[(١)].

الثاني- المطر المتتابع، قاله ابن عباس[(٢)].

ويحتمل وجهين [آخرين][(٣)]:

أحدهما- يُدرُّه عند الحاجة.

والثاني- يُدرُّ به البركة، وهو مأخوذ من درور اللبن في[(٤)] الضرع.

﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- يعني شدة إلىٰ شدتكم، قاله مجاهد[(٥)].

الثاني- خصباً إلىٰ خصبكم، قاله الضحاك[(٦)].

الثالث- عزاً إلىٰ عزتكم لكثرة[(٧)] عددكم وأموالكم، قاله علي بن عيسىٰ.

الرابع- أنه ولد الولد، قاله عكرمة[(٨)].

ويحتمل خامساً: يزدكم قوة في إيمانكم إلىٰ قوتكم في أبدانكم.

﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٤٥) إلا أنه قال فقط: المطر.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٥).
(٣) زيادة من (ق).
(٤) في (ق): من الضرع. والمثبت من الأصل (ك).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٥).
(٦) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١١٧).
(٧) في (ق): بكثرة.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٥).

إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾﴾ [هود:٥٣-٦٠] .

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- على الحق، قاله مجاهد[(١)].

الثاني- على تدبير محكم، قاله علي بن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أنه على طريق الآخرة في مصيركم إليه للجزاء وفصل القضاء.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾ [هود:٦١] .

قوله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما- خلقكم من الأرض لأنكم من آدم وآدم من الأرض، قاله السدي[(٢)].

الثاني- معناه أنشأكم في الأرض[(٣)].

ويحتمل ثالثاً: أنشأكم بنبات الأرض.

﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- معناه أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم، قاله مجاهد، من قولهم أعمر فلان فلاناً داره فهي له عُمْرَىٰ[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٤٨) مختصراً، وهو قول الطبري (١٥/ ٣٦٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٢٣) من غير نسبة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٨) مختصراً.

الثاني- أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وغرس أشجار، قاله علي بن عيسىٰ[(١)].

الثالث- أطال فيها أعماركم، قال الضحاك، كانت أعمارهم من ألف سنة إلىٰ ثلاثمائة سنة[(٢)].

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ [هود: ٦٢-٦٣].

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أي مؤملاً برجاء خيرك.

الثاني- أي حقير من الإرجاء وهو التأخير، فيكون علىٰ الوجه الأول عتبـًا، وعلىٰ الثاني زجراً.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- علىٰ حق بَيّن.

الثاني- علىٰ حجة ظاهرة. وقال الكلبي علىٰ دين من ربي.

﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ قال ابن جرير الطبري[(٣)]، يعني النبوة والحكمة.

﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ أي فمن يدفع عني عذاب الله إن عصيته بطاعتكم.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني ما تزيدونني في احتجاجكم باتباع آبائكم إلا خساراً تخسرونه أنتم، قاله مجاهد[(٤)].

الثاني- فما تزيدونني مع الرد والتكذيب إن أجبتكم إلىٰ ما سألتم إلا خساراً لاستبدال الثواب بالعقاب.

(١) ذكره السمعاني في تفسيره (٢/ ٤٣٨) ونسبه للفراء والزجاج.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٢٣).

(٣) تفسير ابن جرير (١٥/ ٣٧٠) بزيادة:.. والإسلام.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٧١).

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود: ٦٤-٦٨].

قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل[1]:

أحدها- أن جبريل عليه السلام صاح بهم.

الثاني- أن الله أحدثها في حيوان صاح بهم.

الثالث- أن الله تعالىٰ أحدثها من غير حيوان.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ لأن الصيحة أخذتهم ليلا فأصبحوا منها هلكىٰ.

﴿ فِى دِيَٰرِهِمْ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- في منازلهم وبلادهم، من قولهم هذه ديار بكر وديار ربيعة.

الثاني- في دار الدنيا لأنها دار لجميع الخلق.

﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- مبيتين، لأن الصيحة كانت بياتنا في الليل، قاله عبدالرحمن بن زيد[2].

الثاني- هلكىٰ بالجثوم[3].

وفي الجثوم تأويلان:

أحدهما- أنه السقوط علىٰ الوجه.

الثاني- أنه القعود علىٰ الركب.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٤٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤٥)، ونسبه لابن أبي حاتم لكنه قال: ميتين. ولم أقف عليه في مظنه عند ابن أبي حاتم.

(٣) قاله قتادة كما عند الطبري (١٥/ ٣٨٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٠٥٢).

[قوله عز وجل: ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- كأن لم يعيشوا فيها.

الثاني- كأن لم ينعموا فيها.

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- كذبوا وعيد ربهم.

الثاني- كفروا بأمر ربهم.

﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾ فقضىٰ عليهم بعذاب الاستئصال فهلكوا جميعـًا إلا رجلاً منهم وهـو أبـو رغال[1] كان في حرم الله تعالىٰ فمنعه الحرم من عذاب الله تعالىٰ[2].][3].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ۝٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ۝٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ۝٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣﴾ [هود:٦٩-٧٣].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ أما إبراهيم ففيه وجهان:

أحدهما- أنه اسم عجمي، قاله الأكثرون. وقيل معناه أب رحيم.

الثاني- أنه عربي مشتق من البرهمة وهي إدامة النظر.

والرسل جبريل ومعه ملكان قيل أنهما ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وروىٰ أبو صالح عن ابن عباس أنه كان الرسل[4] مع جبريل اثني عشر ملكـًا..

---

(١) في (ك): "رمحال" والمثبت من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٠)، وقال محققه: "وهذا الخبر لين الإسناد شيئـًا وقد رواه أبو جعفر في تاريخه (١/ ١١٨) من هذه الطريق نفسها ولم أجده في مكان آخر".

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) في (ك): المرسل.

وفي البشرىٰ التي جاءوه بها أربعة أقاويل:

أحدها- بشروه بنبوّته، قاله عكرمة[1].

الثاني- بإسحاق، قاله الحسن[2].

الثالث- بشروه بإخراج محمد ﷺ من صلبه وأنه خاتم الأنبياء[3].

الرابع- بشروه بهلاك قوم لوط، قاله قتادة[4].

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- تحية من الملائكة لإبراهيم عليه السلام فحياهم بمثله فدل علىٰ أن السلام تحية الملائكة والمسلمين جميعـًا.

الثاني- سلمت أنت وأهلك من هلاك قوم لوط.

وقوله: ﴿سلام﴾ أي الحمد لله الذي سلّمني، ومعنىٰ السلام: سلمت.

وقرأ حمزة والكسائي: (قال سِلْم) بكسر السين وإسقاط الألف[5].

واختلف في السلم والسلام علىٰ وجهين:

أحدهما- أن السلم من المسالمة والسلام من السلامة.

الثاني- أنها بمعنىٰ واحد، قال الشاعر[6]:

وقفنـا فقلنـا إيـه سِـلْم فسَـلّمَتْ ** كما اختل[7] بالبرق الغرام اللوائحُ[8]

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٣).

(2) ذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٢) من غير نسبة. وذكره ابن الجوزي (٤/ ١٢٧). ونسبه للحسن ومقاتل، وهو الأولىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، وانظر: روح المعاني (١٢/ ٩٢).

(3) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٢٧) عن الماوردي.

(4) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٢٧) عن قتادة.

(5) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٣٧)، وذكرها الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٠) ونسبها ليحيىٰ بن وثاب، وإبراهيم النخعي، وقال: وذكر عن النبي ﷺ أنه قرأ بها. وهي بمعنىٰ سلام كما قالوا: حِل وحلال، وحِرْم و حرام.

(6) في (ق): وأنشد الفراء لبعض العرب.

(7) في (ق): احتل.

(8) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٢) نقلا عن الفراء وقد وهم محقق الطبري =

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ ظن رُسُل ربه أضيافـًا لأنهم جاؤوه في صورة الناس فعجل لهـم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ.

وفي الحنيذ قولان:

أحدهما- أنه الحار، حكاه أبان بن تغلب عن ابن علقمة النحوي.

الثاني- هو المشوي نضيجـًا وهو المحنوذ مثل طبيخ و مطبوخ وفيه قولان:

أحدهما- هو الذي حُفر له في الأرض ثم غُمَّ فيها[1]، قال الشاعر:

إذا مـا اعتبطنـا اللحـم للطالـب القِـرىٰ ** حنـذناه حتـىٰ عَـين اللحـم آكلـه

الثاني- هو أن يوقد علىٰ الحجارة فإذا اشتد حرها ألقيت في جوفه ليسرع نضجه، قال طرفة ابن العبد[2]:

لهـم راحٌ وكـافور ومسـكٌ ** وعِقـر الـوحش شـائلة حنـوذ

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ في نكرهم وأنكرهم وجهان:

أحدهما- أن معناهما مختلف، فنكرهم إذا لم يعرفهم وأنكرهم إذا وجدهم علىٰ منكر.

الثاني- أنها بمعنىٰ واحد، قال الأعشىٰ[3]:

=

بقوله تعليقـًا علىٰ هذا البيت: ".. والذي أنشده الفراء في تفسير هذه الآية بيت آخر غير هذا البيت... فلعل الفراء أنشده في موضع آخر ". فقد أنشد الفراء البيتين معـًا في هذا الموضع. وروايته:

مررنـا فقلنـا: إيـه سـلم فسـلمت ** كمـا اكتـل بـالبرق الغـرام اللـوائح

واكتل: بمعنىٰ: لمع. وانظر: البحر المحيط (٥/ ٢٤١)، واللسان: كلل.

(١) قاله الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢١)، وزاد: وهو من فعل أهل البادية معروف. وانظر: الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٣)، فقد ذكر فيه أقوال أهل اللغة والتفسير ثم قال: "وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير؛ متقاربات المعاني بعضها من بعض"؛ وانظر: تفسير ابن عطية (٩/ ١٨٤).

(٢) لم أقف عليه في طبعات ديوانه.

(٣) ديوانه (١٣٧)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٩٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ٣٨٨) وقيل إنه منسوب للأعشىٰ؛ ولذا قال ابن عطية في تفسيره (٩/ ١٨٠): "واستشهد لذلك بالبيت الذي نحله أبو عمرو بن العلاء الأعشىٰ" فذكره. وانظر تعليق محمود شاكر ﷺ علىٰ البيت في تفسير الطبري.

وأنكرَتْنـي ومـا كـان الـذي نكـرت ** مـن الحـوادث إلا الشـيب والصّـلَعَا

واختلف في سبب إنكاره لهم علىٰ قولين:

أحدهما- لأنهم لم يطعموا، من شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شراً، فنكرهم إبراهيم لذلك، قاله قتادة[١].

الثاني- لم تكن لهم أيدي فنكرهم، قاله يزيد بن أبي حبيب[٢].

وامتنعوا من طعامه لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أضمر في نفسه خوفاً منهم.

والثاني- معناه أحسّ من نفسه تخوفاً منهم، كما قال يزيد بن معاوية[٣].

جـاء البريـد بقرطـاس يخـب بـه ** فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

قوله: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ يعني إهلاكهم[٤].

وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان:

أحدهما- ليزول خوفه منهم.

والثاني- لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول: ويحكم أنهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه[٥].

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ وفي قيامها ثلاثة [٦] أقاويل:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٥٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥٠) ولم ينسبه لغير ابن أبي حاتم.

(٣) شعر يزيد بن معاوية (٢٥) وفيه: "يخب به" و "..فزعاً" بدل "جزعاً"، وذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٧١١) من غير نسبة. وفيه: ".. يحث به...

(٤) في (ق): هلاكهم.

(٥) في (ق): فلا تطيعونه.

(٦) ذكرها ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٢٩) منسوبة. وانظر: قول مجاهد في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٥).

أحدها- أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب.

الثاني- أنها كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد.

الثالث- كانت قائمة تُصَلّي، قاله ابن إسحاق.

﴿فضحكت﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- يعني حاضت، قاله مجاهد والعرب تقول ضحكت المرأة إذا حاضت، والضحك هو الحيض في كلامهم، قال الشاعر[(١)]:

وضِحْكُ الأرانب فوق الصفا ** كمثل دَمِ الجوف يوم[(٢)] اللقا

الثاني- أن فضحكت: أي فتعجبت، وقد يسمىٰ التعجب ضحكة لحدوث الضحك عنه، ومنه قول أبي[(٣)] ذؤيب[(٤)]:

فجاء بمِزْجٍ لم يرَ الناس مثله ** هو الضحك إلا انه عمل النحل

الثالث- أنه الضحك المعروف في الوجه، وهو قول الجمهور.

فإن حمل تأويله علىٰ الحيض ففي سبب حيضها قولان:

أحدهما- أنه وافق وقت عادتها فخافت ظهور دمها وأرادت شدادة فتحيرت مع حضور الرسل.

والقول الثاني- ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن يكون الحيض بشيراً بالولادة لأن من لم تحض لا تلد.

---

(١) انظره: في تفسير الطبري (١٥/ ٢٩٣) من غير نسبة، وذكره ابن عطية (٦/ ١٨٥) من إنشاد اللغويين ثم قال عنه: "وهذا القول ضعيف قليل التمكن، وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنىٰ حاضت، و قرره بعضهم" والجمهور علىٰ خلافه. قال الفراء (٢/ ٢٢): "وأما قوله: فضحكت: حاضت فلم نسمعه من ثقة"، وانظر: فتح القدير (٢/ ٧١٢).

(٢) في الأصل (ك):... فوق يوم النقاء.

(٣) في الأصل (ك): ابن أبي ذؤيب.

(٤) ديوانه (١/ ٤٢)، وتفسير الطبري (١٥/ ٣٩٣). والمِزْج: العسل يمزج بالخمر.

وإن حمل تأويله علىٰ التعجب ففيما تعجبت منه أربعة أقاويل:

أحـدها- أنهـا تعجبـت مـن أنهـا وزوجهـا يخـدمان الأضـياف تكرمـة لهـم وهـم لا يـأكلون، قاله السدي[١].

الثاني- تعجب من قوم لوط قد أتاهم العذاب وهو غافلون، قاله قتادة[٢].

الثالث- أنها تعجبت من أن يكون لها ولد علىٰ كبر سنها وسن زوجها، قاله وهب بن منبه[٣].

الرابع- أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتىٰ لحق بأمه وأم العجل في الدار، قاله عون بن أبي شداد[٤].

وإن حمل تأويله علىٰ ضحك الوجه ففيما ضحكت منه أربعة أقاويل:

أحدها- ضحكت سروراً بالسلامة.

الثاني- سروراً بالولد.

الثالث- لما رأت بزوجها من الروع، قاله الكلبي.

الرابع- أنها ضحكت ظنـاً بأن الرسل يعملون عمل قوم لوط، قاله محمد بن قيس[٥].

﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ وفي (الوراء) هاهنا قولان:

أحدهما- أن الوراء ولد الولد، قاله ابن عباس والشعبي[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٠) ورجحه (١٥/ ٣٩٤) وذلك لأنه ذكر عقب قوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ فالعجب من أمر قوم لوط.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩١) فيكون علىٰ التقديم والتأخير أي: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضحكت...

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط من غير نسبة (٥/ ٢٤٣)، وكذا ابن عطية (٩/ ١٨٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٠). وذكره ابن عطية في تفسيره (٩/ ١٨٦) وتعقبه بقوله: "وهذا قول خطأ لا ينبغي أن يلتفت إليه، وقد حكاه الطبري، وإنما ذكرته لمعنىٰ التنبيه علىٰ فساده". وأشار إليه أبو حيان (٥/ ٢٤٣) دون تصريح استفظاعـًا لذكره.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٦).

الثاني- أنه بمعنىٰ بعد، قاله مقاتل [١]، وقال النابغة[٢] الذبياني[٣]:

حلفـت فلـم أتـرك لنفسـك ريبـة ** ولـيس وراء الله للمـرء مـذهبُ

فعجلوا لها البشرىٰ بالولدين مظاهرة للنعمة ومبالغة في التعجب، فاحتمل أن تكون البشارة بهما باسميهما فيكون الله تعالىٰ هو المسمي لهما، واحتمل أن تكون البشارة بهما وسماهما أبوهما.

فإن قيل: فلم خصت سارة بالبشرىٰ من دون إبراهيم؟ قيل عن هذا ثلاثة أجوبة[٤]:

أحدها- أنها لما اختصت بالضحك خصت بالبشرىٰ.

الثاني- أنهم كافأُوها بالبشرىٰ دون إبراهيم مقابلة علىٰ استعظام خدمتها.

الثالث- لأن النساء في البشرىٰ بالولد أعظم سروراً وأكثر فرحـًا..

[٥] قال ابن عباس: سمي إسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به.

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ لم تقصد بقولها يا ويلتا الدعاء علىٰ نفسها بالويل ولكنها كلمة تخفُّ علىٰ أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه، وعجبت من ولادتها وهي عجوز وكون بعلها شيخـًا لخروجه عن العادة، [وما خرج عن العادة] [٦] مستغرب ومستنكر.

واختلف في سنها وسن إبراهيم حينئذ، فقال مجاهد: كان لسارة تسع[٧] وتسعون سنة وكان لإبراهيم مائة سنة[٨].

وقال محمد بن إسحاق: كانت سارة بنت تسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة[٩].

وقال قتادة: كل واحد منهما ابن تسعين سنة[١٠].

---

(١) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٣١)، واختاره ابن قتيبة في غريب القرآن (٢٠٦).
(٢) في الأصل (ك): "النابغة والذبياني" وهو تحريف.
(٣) ديوانه بتحقيق الطاهر بن عاشور (٥٥).
(٤) انظر: تفسير أبي حيان (٥/ ٢٤٣).
(٥) سقط كلام ابن عباس من (ق).
(٦) سقط من الأصل (ك).
(٧) في الأصل (ك): تسعة وتسعين سنة.
(٨) أخرجه الطبري بسنده في تفسيره (١٥/ ٣٩٢) وقال عنه محققه: هذا خبرها لك من جميع نواحيه.
(٩) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٦).
(١٠) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٣٣).

وقيل أنها عرضت بقولها: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ عن ترك غشيانه لها.

والبعـل هـو الـزوج في هـذا الموضـع، ومنـه قـول الله تعـالىٰ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٢٢٨).

والبعـل: المعبـود، ومنـه قـول الله تعـالىٰ: ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلًا ﴾ [الصـافات:١٢٥] أي إلهـًا معبـوداً. والبعل: السيد ومنه قول لبيد:

حاسـري الـديباج عـن أسـعدهم[1] ** عنـد بعـل حـازم الـرأي بَطـل[2]

فسمي الزوج بعلاً لتطاوله علىٰ الزوجة كتطاول السيد علىٰ المسود.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ أي منكـر، [ومنـه قولـه تعـالىٰ][3]: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [ق:٢] أي أنكروا. ولم يكن ذلك منها تكذيبـًا له ولكن استغرابـًا له.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود:٧٤-٧٦].

قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ يعني الفزع، والرُّوع بضم الراء النفس، ومنه قولهم ألقي في رُوعي أي في نفسي.

﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ[4] يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنـه جـادل الملائكـة بقولـه: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾

---

(١) في (ق): أذرعهم.

(٢) ديوانه (١٩٦) من قصيدته الإسلامية الطويلة الشهيرة التي مطلعها:

إن تقـوىٰ ربنـا خيـر نَفَـل ** وبـإذن الله ريثـي وعجـل

وروايته في الديوان:

تحسـر الـديباج عـن أذرعهـم ** عنـد ذي تـاج إذا قـال فعـل

ولا شاهد فيه علىٰ هذه الرواية، والمعنىٰ أنهم يشمرون ثيابهم عن أذرعهم وسواعدهم عند النعمان الذي إذا قال فعل، وما ذكره المؤلف هنا رواية أخرىٰ أشار إليها شارح الديوان.

(٣) زيادة من (ق).

(٤) في الأصل (ك): "﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ فيه ثلاثة تأويلات أحدها...".

[العنكبوت: ٣٢] قاله الحسن.

الثاني- أنه سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها أربعون؟ قالوا: لا، إلىٰ أن نزلهم [1] إلىٰ عشرة، فقالوا لا، قاله قتادة[2].

الثالث- أنه سألهم عن عذابهم هل هو [3] عذاب الاستئصال فيقع بهم لا محالة أم علىٰ سبيل التخويف ليؤمنوا، فكان هذا هو جداله لهم وإن كان سؤالاً لأنه خرج مخرج الكشف عن أمر غامض.

قال أبو مالك[4]: ولم يؤمن بلوط إلا ابنتاه ريه وهي الكبرىٰ وعروبة وهي الصغرىٰ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود:٧٧-٧٩].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ قال ابن عباس: ساء ظنه بقومه وضاق ذرعـًا بأضيافه.

ويحتمل[5] وجهـًا آخر أنه ساء ظنه بر سل ربه، وضاق ذرعـًا بخلاص نفسه لأنه نكرهم قبل معرفتهم.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي شديد لأنه خاف علىٰ الرسل من قومه أن يفضحوهم علىٰ قول ابن عباس. وعلىٰ الاحتمال الذي ذكرته خافهم علىٰ نفسه فوصف يومه بالعصيب وهو الشديد، قال الشاعر:

---

(١) في الأصل (ك) نزل بهم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٠٣) بنحوه.

(٣) في الأصل (ك): هل هم.

(٤) هذا القول ساقط من (ق)، وأبو مالك هو غزوان الأنصاري.

(٥) هذا قول المؤلف.

وإنــك إلا تــرض بكــر بــن وائــل ** يكــن لــك يــوم بــالعراق عصــيب[١]

[قال أبو عبيدة[٢]: وإنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر، قال الكلبي: كان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربع فراسخ][٣].

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي يسرعون، والإهراع بين الهرولة والجمز[٤]، قال الكسائي والفراء: لا يكون الإهراع إلا إسراعًا مع رعدة.

وكان سبب إسراعهم إليه أن امرأة لوط أعلمتهم بأضيافه وجَمالهم فأسرعوا إليهم طلبًا للفاحشة منهم.

﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- من قبل إسراعهم إليه كانوا ينكحون الذكور، قاله السدي[٥].

الثاني- أنه كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل أن تكون في الرجال بأربعين سنة، قاله عمر بن أبي زائدة[٦].

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ قال لهم لوط ذلك ليفتدي أضيافه منهم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فيهن قولان:

أحدهما- أنه أراد نساء أمته ولم يرد بنات نفسه. قاله مجاهد. وكل نبي أمته أولاده[٧]. وقال سعيد بن جبير: كان في بعض القراءة: النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم[٨].

---

(١) ذكره من غير نسبة الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٠)، وقال محققه: لم أعرف قائله، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٩٤)، والسمعاني في تفسيره (٢/ ٤٤٦)، وابن عطية (٦/ ١٩٥).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٣).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) الجمز: سير فوق العَنَق، يقال: هو يعدو الجَمَزَىٰ. أساس البلاغة (١٣٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٢) عن عمر بن أبي زائدة عن جامع بن شداد أبي صخرة.

(٧) في (ق): "وكل نبي أبو أمته". وانظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤١٣-٤١٤).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٢)، وذكر القراءة السمعاني في تفسيره (٢/ ٤٤٧) =

الثاني- أنه أراد بنات نفسه وأولاد صلبه لأن أمره فيهن أنفذ من أمره في غيرهن، وهذا معنىٰ قول حذيفة بن اليمان[١].

فإن قيل: كيف يزوجهم بيناته مع كفر قومه وإيمان بناته؟ قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتىٰ نسخ، قاله الحسن[٢].

الثاني- أنه يزوجهم علىٰ شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح[٣].

الثالث- أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً علىٰ المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل لنكاحهن ولا تعريضاً لخطبتهن، قاله ابن أبي نجيح[٤].

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي أحل لكم بالنكاح الصحيح.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- لا تذلوني بعار الفضيحة، ويكون الخزي بمعنىٰ الذل.

الثاني- لا تهلكوني بعواقب فسادكم، ويكون الخزي بمعنىٰ الهلاك.

الثالث- أن معنىٰ الخزي هاهنا الاستحياء، يقال خزي الرجل إذا استحىٰ، قال الشاعر:

من البِيض لا تخزىٰ إذا الريحُ ألصقت ** بها مِرْطَها أو زايل الحليُ جيدها[٥]

والضيف: الزائر المسترفد، ينطلق علىٰ الواحد والجماعة، قال الشاعر:

=

منسوبة إلىٰ أبي بن كعب، ونسبها أبو حيان لابن مسعود (٥/ ٢٤٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٣)، أراد تزويجهم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٣٨).

(٣) قاله الزجاج بمعناه (٣/ ٦٧)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٣٨).

(٤) لفظ رواية ابن أبي حاتم قال: ما عرض عليهم نكاحاً ولا سفاحاً. كما في مخطوطة التفسير (١٨٠/ أ)- وكذا تفسير الطبري (١٥/ ٤١٤). وفي المطبوعة تصحيف. قال السمعاني (٢/ ٤٤٧): "ومنهم من قال: إنما قال هذا علىٰ طريق الدفع، لا علىٰ طريق التحقيق ولم يرضوا هذا القول لأنه كان معصوماً من الكذب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٣٨) من غير نسبة.

لا تعــــدمي الـــدهر شـــفار الجـــازر ** للضـيـف والضـيفان حــق زائــر[(١)][(٢)]

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أي مؤمن، قاله ابن عباس[(٣)].

الثاني- آمر بالمعروف وناه عن المنكر، قاله أبو مالك[(٤)].

ويعني: رجلاً رشيداً ليدفع عن أضيافه، وقال ذلك تعجباً من اجتماعهم على المنكر.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ما لنا فيهن حاجة، قاله الكلبي[(٥)].

الثاني- لسن[(٦)] لنا بأزواج، قاله محمد بن إسحاق.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- تعلم أن لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وليس منا رجل إلا له امرأة، قاله الكلبي.

الثاني- أننا نريد الرجال[(٧)].

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨٠-٨١].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ يعني أنصار. وقال ابن عباس: أراد الولد.

---

(١) في (ق): ".. أحق زائر" وهي رواية الشوكاني في تفسيره.

(٢) ذكره الشوكاني في تفسيره (٢/ ٧١٧) من غير نسبة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٣٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٣)، وابن الجوزي ونسبه لابن عباس.

(٥) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٣٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

(٦) في النسخ الخطية الثلاث: "ليس لنا بأزواج" والصواب ما أثبته من مختصر العز بن عبدالسلام (٢/ ٩٧) بتحقيق: د. عبدالله الوهيبي، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن قتيبة، وانظر: غريب القرآن (٢٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٣) وهو مقتضى السياق.

(٧) قاله السدي، انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤١٨).

﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ يعني إلىٰ عشيرة [١] مانعة. وروىٰ أبو سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله لوطـًا لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد»". يعني الله تعالىٰ قال رسول الله: «فما بعث الله بعده نبيـًا إلا في ثروة من قومه [٢].

وقال وهب بن منبه: لقد وجدت الرسل علىٰ لوط وقالوا: إن ركنك لشديد.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ أما لوط ففي اسمه وجهان:

أحدهما- أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثرين.

الثاني- أنه اسم عربي مأخوذ من قولهم: لطتُ الحوض إذا ملسته بالطين. وقيل إن لوطـًا كان قائمـًا علىٰ بابه يمنع قومه من أضيافه، فلما أعلموه أنهم رسل ربه مكّن قومه من الدخول فطمس جبريل عليه السلام علىٰ أعينهم فعميت، وعلىٰ أيديهم فجفت.

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ أي فسِرْ بأهلك ليلاً، والسُرىٰ سير الليل، قال عبدالله بن رواحة:

عند الصباح يحمد القوم السُرَىٰ ** وتنجلي عنهم غيايات الكرىٰ[٣]

يقال سرىٰ وأسرىٰ وفيهما وجهان:

أحدهما- أن معناهما في سير الليل واحد.

الثاني- أن معناهما مختلف، فأسرىٰ إذا سار من أول الليل، وسرىٰ إذا سار في آخره، ولا يقال في النهار إلا سار، قال لبيد[٤]:

إذا المرءُ أسرىٰ ليلة ظن أنه ** قضىٰ عملاً، والمرءُ ما عاش عامِلُ

﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ و فيه أربعة تأويلات[٥]:

---

(١) في الأصل (ك): عشرة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٢٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٤)، والترمذي (٢/ ١٣٩)، والحاكم (٢/ ٥٦١) وصححه، وانظر: الدر المنثور (٤/ ٤٥٩).

(٣) ديوانه (١٥٨) وفيه - غيابات - بالباء، والغيابه كل شيء أظل الناس؛ والبيت من الأمثال المضروبة في الصبر علىٰ مقاسات الأمور لما في عواقبها من المحامد.

(٤) شرح ديوانه (٢٥٩).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٥)، والبحر المحيط (٥/ ٢٤٨)، والألوسي (١٢/ ١٠٩).

أحدها- معناه سواد الليل، قاله قتادة.

الثاني- أنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين[1]، ومنه قول الشاعر:

ونائحـــةٍ تنـــوح بقطـــع ليـــل ** علـــىٰ رجـــلٍ بقارعـــة الصـــعيد [2]

الثالث- أنه الفجر الأول، قاله حميد بن زياد[3].

الرابع- أنه قطعة من الليل، قاله ابن عباس.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

[١٨٥/ ب] أحدها- ولا ينظر وراءه منكم أحد، قاله مجاهد[4].

الثاني- يعني لا يتخلف منكم أحد، قاله ابن عباس[5].

الثالث- يعني لا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع، حكاه علي بن عيسىٰ.

﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن قوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ استثناء من قوله: فأسر بأهلك ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ وهذا قول من قرأ: ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ بالنصب[6].

الثاني- أنه استثناء من قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ وهو علىٰ معنىٰ البدل إذا قرئ بالرفع.

---

(١) في الأصل (ك): بنصفين، وهي كذلك في مختصر العز بن عبدالسلام.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٤٨) من غير نسبه، والسمعاني في تفسيره (٢/ ٤٤٨) برواية:.. علىٰ ميت...، وذكره الألوسي في روح المعاني (١٢/ ١٠٩) منسوباً لمالك بن كنانة برواية:

ونائحـــة تقـــوم بقطـــع ليـــل ** علـــىٰ رجـــل أهانتـــه شـــعوب

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٥) بلفظ: السحر الأول. و حميد بن زياد هو: حميد بن زياد المدني أبو صخر الخراط (ت:١٨٩هـ)، تقريب التهذيب (١٨١).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٣٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٦)، وزاد ابن الجوزي نسبته لمقاتل (٤/ ١٤٢).

(٥) المصادر السابقة.

(٦) وهي قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ بالرفع ابن كثير وأبو عمرو، السبعة لابن مجاهد (٢٣٨).

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فذكر قتادة أنها خرجت من القرية مع لوط فسمعت الصوت فالتفتت [وقالت: واقوماه][(١)]، فأرسل الله عليها حجراً فأهلكها[(٢)].

﴿مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ فروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لوطاً لما علم أنهم رسل ربه قال: فالآن إذن فقال له جبريل عليه السلام: إن ﴿مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [(٣)] ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقاتاً لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:٨٢-٨٣].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه[(٤)]:

أحدها- أنه أمر الله عز وجل للملائكة[(٥)].

الثاني- أنه وقوع العذاب بهم.

الثالث- أنه القضاء بعذابهم.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قال محمد بن كعب القرظي: إن الله تعالىٰ بعث جبريل إلىٰ مؤتفكات قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتىٰ إن أهل السماء ليسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجّيل حتىٰ أهلكها وما حولها، وكن خمسة: ضبعة وصفرة[(٦)] وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمىٰ[(٧)].

---

(١) زيادة من حاشية الأصل.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٦)، ولم يذكر قولها.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٦) من رواية عبدالرحمن بن بشير الأنصاري.

(٤) ذكرها ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٤٣) من غير نسبة.

(٥) في الأصل (ك): الملائكة.

(٦) في (ق): صبغة ومقره.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦). وهذه التفصيلات في الروايات لا فائدة فيها ولا دليل ثابت عليها، وأغلبها عن أهل الكتاب. وانظر: تفسير الشوكاني (٢/ ٧٢١).

وقال قتادة: كانوا في ثلاث قرىٰ يقال لها سدوم بين المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف[(١)].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها- أنه فارسي معرب وهو "سنك وكل" فالسنك: الحجر، والكل: الطين، قاله ابن عباس[(٢)].

الثاني- أنه طين قد طبخ حتىٰ صار كالأرحاء، ذكره ابن عيسىٰ[(٣)].

الثالث- أنها الحجارة الصلبة الشديدة، قاله أبو عبيدة[(٤)]، وأنشد قول ابن مقبل:

وَرَجْلَة يضربون البيض عن عُرُضٍ ** ضربًا تواصىٰ به الأبطال سجِّينا[(٥)]

إلا أن النون قلبت لامًا.

الرابع-[(٦)] يعني من السماء واسمها سجيل، قاله ابن زيد[(٧)].

الخامس- من جنهم واسمها سجين فقلبت النون لامًا[(٨)].

السادس- أنه السجيل وهو الكتاب وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالىٰ أن يعذب بها أو كتب عليها، وفي التنزيل: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين:٧-٩][(٩)].

السابع- أنه فِعّيل من السجل وهو الإرسال، يقال أسجلته أي أرسلته، ومنه سمي الدلو سجلاً

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٣٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٨) و نحوه عن مجاهد والسدي وابن جبير.

(٣) وهو قول الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٩٦).

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٩٦)، والطبري (١٥/ ٤٣٤)، وفيها: سجيلاً باللام، والبيت من قصيدة نونية، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٤٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٧١).

(٦) في (ق): من سجيل.

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٣٤)، ونسبه أبو حيان لأبي العالية -أيضًا وضعفه لوصفه بعده بقوله: منضود.

(٨) ضعفه الألوسي لأن المعنىٰ الظاهر يأباه (١٢/ ١١٣).

(٩) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٧٢) ورجحه وقال: "... وهذا أحسن ما مر فيها عندي"، واستدلاله بالآية علىٰ أن سجيل بمعنىٰ سجين.

لإرساله فكأن السجيل هو المرسل[١].

الثامن- أنه مأخوذ من السجل الذي هو العطاء، يقال سجلت له سجلاً مـن العطـاء، فكأنـه قـال سجلوا البلاء أي أعطوه أدبارهم[٢].

﴿مَّنضُودٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- قد نُضد بعضه علىٰ بعض، قاله الربيع[٣].

الثاني- مصفوف، قاله قتادة[٤].

قوله عز وجل: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ والمسومة: المعلّمة، مأخوذ من السيماء وهـي العلامـة، قال الشاعر:

غُـــلامٌ رمـــاه الله بالحُسْـــن يافعـــاً ** لـــه ســيماءٌ لا تشــقُّ علــىٰ البصــر[٥]

وفي علامتها قولان:

أحدهما- أنها كانت مختمة، علىٰ كل حجر منها اسم صاحبه.

الثاني- معلمة ببياض في حمرة، علىٰ قول ابن عباس، وقال قتادة: مطوقة بسواد في حمرة[٦].

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- في علم ربك، قاله ابن بحر.

الثاني- في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره.

---

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٧٢)، وابن الجوزي (٤/ ١٤٥).

(٢) ذكره – مختصراً – الزجاج، وابن الجوزي. وقد رجح الطبري ﷺ في تفسيره (١٥/ ٤٣٥) ما قاله المفسرون لا اللغويون. وهو أنها حجارة من طين، لقوله تعالىٰ: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٦) ورجحه لأن "منضود" نعت لسجيل وليست نعتاً لحجارة.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٣٦) وزاد نسبته لعكرمة.

(٥) قائله أسيد بن عنقاء الفزاري، وهو في تاج العروس "سوم" (٨/ ٣٥٠)، والزاهر لابن الأنباري (٢/ ١٤٥)، وبعده:

كـــأن الثريـــاء علقـــت فـــوق نحـــره ** وفي جيـــده الشـــعرىٰ وفي وجهـــه القمـــر

وقد ذكره المفسر عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٩).

﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- أنه ذكر ذلك وعيداً لظالمي قريش، قاله مجاهد[١].

الثاني- وعيداً لظالمي العرب، قاله عكرمة[٢].

الثالث- وعيداً لظالمي هذه الأمة، قاله قتادة[٣].

الرابع- وعيداً لكل ظالم، قاله الربيع[٤].

وفي الحجارة التي أمطرت قولان:

أحدهما- أنها أمطرت علىٰ المدن حين رفعها.

الثاني- أمطرت علىٰ من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها[٥].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود:٨٤].

قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ ومدين هم قوم شعيب، وفي تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما- أنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقيل مدين والمراد بنو مدين، كما يقال مضر والمراد بنو مضر[٦].

الثاني- أن مدين اسم مدينتهم نسبوا إليها ثم اقتصر علىٰ اسم المدينة تخفيفاً.

[ثم فيه وجهان:

أحدهما- أنه اسم أعجمي.

---

(١) تفسيره (١/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٩). وانظر: الدر المنثور (٤/ ٤٦٥). ونسبه ابن الجوزي (٤/ ١٤٦) للأكثرين، وهو قول الطبري (١٥/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٠) عن السدي.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٧٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٠)، ولعله أولىٰ لعمومه ويدخل فيه ظالمي قريش دخولاً أولياً.

(٥) ولا يمتنع أن تشمل جميعهم من كان منهم في مدنهم أو خارجها.

(٦) ذكره الألوسي ورجحه (١٢/ ١١٤).

الثاني- أنه اسم عربي وفي اشتقاقه وجهان:

أحدهما- أنه من قولهم مدن بالمكان إذا أقام[١] فيه، والياء زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة.

الثاني- أنه مشتق من قولهم دَيَنْت[٢] أي ملكت والميم زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل.

وأما شعيب فتصغير شعب وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه الطريق في الجبل.

الثاني- أنه القبيلة العظيمة.

الثالث- أنه مأخوذ من شعب الإناء المكسور][٣].

﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف فأمروا بالإيمان إقلاع عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- أنه رخص السعر، قاله ابن عباس والحسن[٤].

الثاني- أنه المال وزينة الدنيا، قاله قتادة وابن زيد[٥].

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أنه الخصب والكسب[٦].

﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات[٧]:

أحدها- غلاء السعر، وهذا مقتضىٰ قول ابن عباس والحسن.

---

(١) في الأصل (ك): "إذا قام فيه والتاء زائدة، والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل (ك): دَبيت. وفي مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي: دمث. وما أثبته أولىٰ، جاء في أساس البلاغة للزمخشري (٢٩١) قوله: "ودينته أمرك ملكته إياه...".

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٤) عنهما.

(٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم (٦/ ٢١٧١): عنهما.

(٦) هو قول الماوردي، والأولىٰ أن الخير عام في خيرات الدنيا كلها فيشمل ما ذكر، وهو مارجحه الطبري (١٥/ ٤٤٥).

(٧) انظرها في تفسير ابن الجوزي (٤/ ٤٧).

الثاني- عذاب الاستئصال في الدنيا.

الثالث- عذاب النار في الآخرة.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾﴾ [هود:٨٥-٨٦].

قوله عز وجل: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ فيها ستة أقاويل[١]:

أحدها- يعني طاعة الله تعالىٰ خير لكم، قاله مجاهد.

الثاني- وصية من الله، قاله الربيع.

الثالث- رحمة من الله، قاله ابن زيد.

الرابع- حظكم من ربكم خير لكم، قاله قتادة.

الخامس- رزق الله خير لكم، قاله ابن عباس.

السادس- ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان خير لكم، قاله ابن جرير الطبري[٢].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- حفيظ من عذاب الله أن ينالكم.

الثاني- حفيظ لنعم الله أن تزول عنكم.

الثالث- حفيظ من البخس والتطفيف إن لم تطيعوا فيه ربكم.

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود:٨٧].

قوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾.

---

(١) انظرها في تفسير الطبري (١٥/ ٤٤٧)، وابن الجوزي (٤/ ١٤٨).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٤٤٧) ورجحه لمناسبته السياق (١٥/ ٤٤٩).

في (صلاتك) ثلاثة أوجه:

أحدها- قراءتك، قاله الأعمش[١].

الثاني- صلاتك التي تصليها لله تعبداً.

الثالث- دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع، ومنه أخذ المصلي[٢] في الخيل.

﴿تَأْمُرُكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- تدعوك إلىٰ أمرنا.

الثاني- فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني الأوثان والأصنام.

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- ما كانوا عليه من البخس والتطفيف[٣].

الثاني- الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها، قاله سفيان الثوري[٤].

الثالث- قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه، قاله زيد بن أسلم[٥].

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ فيه ثلاثة أوجه::

أحدها- أنهم قالوا ذلك استهزاء به، قاله قتادة[٦].

الثاني- معناه أنك لست بحليم ولا رشيد علىٰ وجه النفي، قاله ابن عباس[٧].

الثالث- أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد علىٰ وجه الحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلم تنهانا أن

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥١)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٢).

(٢) المصلي من الخيل الذي يجيء في السباق ثانياً بعد الأول لأن رأسه يكون عند صلا الأول أي عند مكتنف ذنبه. انظر: اللسان - صلا - (٧/ ٣٩٨).

(٣) قاله ابن عباس كما في تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - بنحوه - (٦/ ٢٠٧٣)، وانظر ابن الجوزي (٤/ ١٥٠).

(٦) وقاله ابن عباس، وابن جريج، وانظر تفسير الطبري (١٥/ ٤٥٣)، وابن الجوزي (٤/ ١٥٠).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٧٣).

نفعل في أموالنا ما نشاء ؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله، قاله ابن بحر[١].

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود:٨٨].

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ قد ذكرنا تأويله [هود/ ٢٨].

﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- أنه المال الحلال، قاله الضحاك[٢].

قال ابن عباس وكان شعيب كثير المال.

الثاني- أنه النبوة، ذكره ابن عيسىٰ، وفي الكلام محذوف وتقديره: أفأعدل [مع][٣] ذلك عن عبادته[٤].

ثم قال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ أي لا أفعل ما نهيتكم عنه كما لا أترك ما أمرتكم به.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ ومعناه ما أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت، لأن الاستطاعة من شروط[٥] الفعل دون الإرادة[٦].

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ فيه وجهان:

---

(١) ذكره ابن الجوزي(٤/ ١٥٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٣) ، و قاله الطبري (١٥/ ٤٥٣).

(٣) زيادة من (ق) وقد سقطت من الأصل (ك).

(٤) ذكره ابن الجوزي من غير نسبة (٤/ ١٠١)، وزاد ثالثـًا: العلم والمعرفة.

(٥) في الأصل (ك): الشروط.

(٦) في كلام شعيب عليه السلام ترتيب للحقوق، فبدأ بحق الله، ثم حق نفسه، ثم حق غيره. كما اشتمل علىٰ مراعاة لطف المراجعة، ورفق المخاطبة، وحسن المحاورة، ولذا قيل عنه عليه السلام خطيب الأنبياء. انظر: روح المعاني للألوسي (١٢/ ١٢١).

أحدهما- أن الإنابة الرجوع ومعناه وإليه أرجع، قاله مجاهد[١].

الثاني- أن الإنابة الدعاء، ومعناه وله أدعو، قاله عبيد الله بن يعلى[٢].

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود:٨٩-٩٠].

قوله عز وجل: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ﴾ في ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ تأويلان:

أحدهما- معناه يحملنكم[٣]، قاله الحسن وقتادة[٤].

والثاني- معناه لا يكسبنكم، قاله الزجاج[٥].

وفي قوله: ﴿شِقَاقِيٓ﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها- إضراري، قاله الحسن[٦].

الثاني- عداوتي، قاله السدي[٧] ومنه قول الأخطل:

ألا مـــن مبلـــغ قيســـا رســـولاً ** فكيـــف وجـــدتم طعـــم الشـــقاق [٨]

الثالث- فراقي، قاله قتادة[٩].

﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ وهم أول أمة أهلكوا بالعذاب.

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بعد الدار لقربهم منهم، قاله قتادة[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٤).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٤).
(٣) في (ق): لا يحملنكم.
(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٤) كلاهما عن قتادة.
(٥) معاني القرآن (٣/ ٧٤).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ٢٠٧٥).
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٥)، وأخرجه الطبري (١٥/ ٤٥٥) عن ابن جريج.
(٨) ديوانه (٢٠٧).
(٩) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٥).
(١٠) أخرج الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ٢٠٧٥) قول قتادة بعبارة: "إنما كانوا حديثي عهد قريب
=

الثاني [: بعد العهد لقرب الزمان.

ويحتمل أن يكون المراد به قرب الذكر[١]، وقرب العهد.][٢].

والذي أهلك به قوم نوح [الغرق] وقوم هود بالريح العاصف، وقوم صالح بالرجفة والصيحة، وقوم لوط بالرجم [والخسف. وروىٰ يعقوب بن أبي سلمة أن النبي ﷺ كان إذا ذكر شعيباً قال: ذلك خطيب الأنبياء.][٣].

﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ [هود:٩١-٩٢].

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي ما نفهم، ومنه سمي علم الدين فقهـاً لأنه مفهوم، وفيه وجهان:

أحدهما- ما نفقه صحة ما تقول من البعث والجزاء.

الثاني- أنهم قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه واحتقاراً لكلامه.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها- ضعيف البصر، قاله سفيان[٤].

الثاني- ضعيف البدن، حكاه ابن عيسىٰ.

الثالث- أعمىٰ، قاله سعيد بن جبير وقتادة[٥].

=

بعد قوم نوح وعاد وثمود". واختار الطبري أن المراد قرب الدار.

(١) في (ق): ".. مراد به قرب الدار... " والمثبت من الأصل (ك).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥٨)، وذكره ابن الجوزي (٤/ ١٥٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥٧)، وجعله السمعاني في تفسيره (٢/ ٤٥٣) قول أكثر المفسرين وقال إنه لغة حمير. وهو قول لا يحسن حمل الآية عليه، وقد ضعفه ابن عطية في تفسيره (٦/ ٢١٤) بقوله: "وهذا كله ضعيف لا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه... وضعفه الألوسي في روح المعاني (١٢/ ١٢٣) معناً وسياقاً، حيث يصير القيد بقولهم:
=

الرابع- وحيداً، قاله السدي[(١)].

الخامس- ذليلاً مهينـاً، قاله الحسن[(٢)].

السادس- قليل العقل.

السابع- قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- عشيرتك، وهو قول الجمهور.

الثاني- لولا شيبتك[(٣)]، حكاه النقاش.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لقتلناك بالرجم.

الثاني- لشتمناك بالكلام، ومنه قول الجعدي:

تراجمنـــا بِمُـــرِّ القـــول حتـــىٰ ** نصـــير كأننـــا فَرســـا رِهـــان[(٤)]

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بكريم.

الثاني- بممتنع لولا رهطك.

= "فينا" لغواً لأنه لو كان أعمىٰ لكان كذلك فيهم وفي غيرهم.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٥٣) عن الحسن ومقاتل، وأخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦) عن أبي روحه. والأولىٰ أن معنىٰ ضعيفـًا أي لا قوة لك ولا قدرة عندك علىٰ شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع - كما قال الألوسي -، وقال ابن عطية (٩/ ٢١٤): "والظاهر أنه ضعيف الانتصار والقدرة ". وانظر: البحر المحيط (٥/ ٢٥٦).

(٣) كذا في الأصل (ك)، و مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي تحقيق د.عبدالله الوهيبي (٢/ ١٠٢) والقول ساقط من (ق). والمثبت في المطبوعة، والمختصر: "شيعتك، وقال الدكتور: عبدالله الوهيبي في تعليقه: "في الأصل: "شيبتك" وهذا خطأ لأني لم أجده من معاني الرهط في كتب اللغة، والصواب ما أثبته من تفسير الماوردي وقد نسبه للنقاش. وقد أثبت ما في الأصول، ولأن معنىٰ العشيرة والشيعة متقارب، وما حكاه النقاش معنىٰ جديداً وإن كان ضعيفـًا.

(٤) فتح القدير (٢/ ٧٢٠).

قوله عز وجل ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي تراعون رهطي فيّ ولا تراعون الله فيّ.

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- أي اطرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به، قاله السدي[(١)]، ومنه قول الشاعر:

.... ** وجَدْنا بني البرصاءِ من وَلَدِ الظّهْرِ[(٢)]

أي ممن لا يتلفت إليهم ولا يعتد بهم.

الثاني- يعني أنكم حملتم أوزار مخالفته علىٰ ظهوركم، قاله الحسن[(٣)]، من قولهم حملت فلانـًا علىٰ ظهري إذا أظهرت عناده.

الثالث- يعني أنكم جعلتم الله تعالىٰ ظهريـًا إن احتجتم استغشم[(٤)] به، وإن اكتفيتم تركتموه. كالذي يتخذه الجمَّال من أجماله[(٥)] ظهريـًا إن احتاج إليها حمل عليها وإن استغنىٰ عنها تركها، قاله عبدالرحمن بن زيد[(٦)].

الرابع- إن الله تعالىٰ جعلهم وراء ظهورهم ظهريـًا، قاله مجاهد[(٧)].

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٨) عن السدي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧١).

(٢) قاله أرطأة بن سهية المري، وعجزه في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٩٨)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٥٩) من غير عزو، وفي اللسان (ظهر) (٨/ ٢٧٨) بتمامه منسوبـًا. وصدره:

فمن مبلغ أبناء مرة أننا...............

(٣) في الأصل (ك): قاله السدي الحسن. والمثبت من (ق)، وقد تقدم قول السدي.

(٤) تحتمل في (ق) أنها: استعنتم به.

(٥) أجماله: جمع جمل. وفي اللسان (جمل - ٢/ ٣٦٢): "والجمع أجمال وجمال...".

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٦١)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٨)، ونسبه السيوطي لأبي الشيخ في الدر المنثور (٤/ ٤٧١).

(٧) كذا في النسخ الخطية، والمطبوعة. والمعنىٰ غير ظاهر. وجاء في مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي بتحقيق د. عبدالله الوهيبي (٢/ ١٠٢): "... أو جَعْلهم الله وراء ظهورهم ظهريـًا"، وفي تفسير الطبري (١٥/ ٤٦١) عن مجاهد روايات أقر بها لما هنا: قوله عن رهط شعيب: تركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهريـًا. والخلاف في الآية هنا عائد إلىٰ الخلاف في الضمير في قوله: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ هل يعود إلىٰ الله تعالىٰ وهو قول الجمهور ورجحه الطبري، أو عائد إلىٰ ما جاء به شعيب.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما- حفيظ.

الثاني- خبير.

الثالث- مُجَازي.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: ٩٣-٩٥].

قوله عز وجل: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- علىٰ [(١)] ناحيتكم، قاله ابن عباس.

الثاني- علىٰ تمكنكم، قاله ابن عيسىٰ.

وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ يريد ما وعدوه من هلاكه، قال ذلك ثقة بربه.

ثم قال جوابـًا لهم تهديداً ووعيداً: ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما- تعلمون الإجابة.

الثاني- عامل في هلاككم ليطهر الأرض منكم، فسترون حلول العذاب بكم.

قوله عز وجل: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ قال عكرمة: الغرق.

في ﴿يُخْزِيهِ﴾ وجهان:

أحدهما- يذله.

الثاني- يفضحه.

[﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ﴾ وفيه مضمر محذوف تقديره: ومن هو كاذب يخزىٰ بعذاب الله، فحذفه

---

(١) في الأصل (ك): "يعني عن... ". والمثبت من (ق)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٨).

اكتفاء بفحوى الكلام.

﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ أي انتظروا العذاب.

﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- إني معكم شاهد.

الثاني- إني معكم كفيل.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ [هود:٩٦-٩٩].

قوله عز وجل: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ فيه وجهان[(١)]:

أحدهما- أن اللعنة في الدنيا من المؤمنين، وفي الآخرة من الملائكة.

الثاني- أنه عنى بلعنة الدنيا الغرق، وبلعنة الآخرة النار، قاله الكلبي ومقاتل.

﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- بئس العون المعان، قاله أبو عبيدة[(٢)].

الثاني- أن الرفد بفتح الراء: القِدْح، والرِّفد بكسرها ما في القدح من الشراب، حكي ذلك عن الأصمعي فكان ذم بذلك ما يُسقونه في النار.

الثالث- أن الرفد الزيادة، ومعناه بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار، قاله الكلبي.][(٣)].

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ [هود:١٠٠-١٠١].

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي (٤/ ١٥٦) عن الماوردي.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٨).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- نخبرك.

الثاني- نتبع بعضه بعضاً.

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن القائم: العامرة، والحصيد: الخاوية، قاله ابن عباس[١].

الثاني- أن القائم: الآثار، والحصيد: الدارس، قاله قتادة[٢]، قال الشاعر[٣]:

والنـــاس في قســـم المنيـــة بيـــنهم ** كـــالزرع منـــه قـــائم وحصـــيد

قوله عز وجل: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- أن التتبيب الشر، قاله ابن زيد[٤].

الثاني- أنه الهلكة، قاله قتادة[٥].

ومنه قول جرير:

عرابـــة[٦] مـــن بقيـــة قـــوم لـــوطٍ ** ألا تبـــاً لمـــا فعلـــوا تبابـــا[٧]

الثالث- التخسير، وهو الخسران، قاله مجاهد[٨] وتأول قوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد:١] أي خسرت. وقال لبيد:

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره - بنحوه -(١٥/ ٤٧١).

(٣) ذكره من غير نسبة الألوسي في روح المعاني (١٢/ ١٣٥)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٧٣٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(٦/ ٢٠٨٣).

(٦) كذا في النسخ. والصواب: عَرَادَة، والمراد به: عرادة النميري. راوية الشاعر الراعي النميري.

(٧) ديوانه: (٧٢)، وتفسير الطبري(١٥/ ٤٧٢).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٣)، واختاره ابن قتيبة والزجاج. انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٥٧)، ومعاني القرآن (٣/ ٧٧)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٠٩).

ولقد بليت وكلُّ صاحب جِدّةٍ ** لبلىٰ يعود وذاكم التتبيب[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود:١٠٢-١٠٥].

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- يعني لا تشفع إلا بإذنه.][2].

الثاني- لا تتكلم إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام لأنهم ملجؤون إلىٰ ترك القبيح.

الثالث- أن لهم في القيامة وقتاً يمنعون فيه من الكلام إلا بإذنه.

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- محروم و مرزوق، قاله ابن بحر.

الثاني- معذب و منعم، قال لبيد:

فمنهم سعيد آخذٌ بنصيبه ** ومنهم شقي بالمعيشة قانعُ

[ثم في الشقي والسعيد قولان:

أحدهما- أن الله تعالىٰ جعل ذلك جزاء علىٰ عملهما فأسعد المطيع وأشقىٰ العاصي، قاله ابن بحر.

الثاني- أن الله ابتدأهما بالشقاوة والسعادة من غير جزاء. وروىٰ عبدالله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لما نزلت ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ قلت: يا رسول الله فعلام نعمل؟ أعلىٰ شيء قد فرغ منه أم علىٰ شيء لم يفرغ منه ؟ فقال: «بل علىٰ شيء قد فرغ منه يا عمر، وجرت به الأقلام ولكن كل ميسر لما خلق له»[3]][4].

---

(١) جاء في شرح ديوان لبيد (٣٦٢) مما نسب له، وفي نسبته إليه خلاف.

(٢) ساقط من الأصل (ك)، وإثباته من (ق).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٤). وفي سنده سليمان بن سفيان وهو ضعيف، ومعناه صحيح وله شواهد تقويه.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧].

قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها- أن الزفير الصوت(١) الشديد، والشهيق الصوت الضعيف، قاله ابن عباس(٢).

الثاني- أن الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، قاله الربيع بن أنس.

الثالث- أن الزفير تردد النفس من شدة الحزن، مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل، قاله ابن عيسى(٣).

الرابع- أن الزفير أول نهاق الحمار، والشهيق آخر نهاقه(٤)، قال الشاعر(٥):

حشرج في الجوف صهيلاً أو شهق ** حتى يقال ناهق وما نهق

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ فيه ثمانية(٦) تأويلات:

أحدها- خالدين فيها ما دامت سماء الدنيا وأرضها(٧)، إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها حكاه ابن عيسى.

الثاني- ما دامت سموات الآخرة وأرضها إلا ماشاء ربك من قدر وقوفهم في القيامة، قاله بعض المتأخرين(٨).

---

(١) في الأصل (ك): الموت. وهو تصحيف والتصحيح من (ق).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٨٠) وزاد نسبته لأبي العالية.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٩).

(٥) وهو رؤبة بن العجاج. والبيت في ديوانه (١٠٦)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٧٩) وفيها: سحيلاً بدل صهيلاً. وذكره الألوسي (١٢/ ١٤١).

(٦) في (ق): خمسة تأويلات. بسقوط الثالث والرابع والثامن.

(٧) روى نحوه ابن أبي حاتم عن السدي (٦/ ٢٠٨٦).

(٨) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٨٠) بنحوه.

الثالث- ما دامت السموات والأرض، إلىٰ مدة لبثهم في الدنيا، قاله ابن قتيبة.

الرابع- خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من أهل التوحيد أن يخرجهم منها بعد إدخالهم إليها، قاله قتادة، فيكونون أشقياء في النار سعداء في الجنة، حكاه الضحاك عن ابن عباس، وروىٰ يزيد بن أبي حبيب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل ناس جهنم حتىٰ إذا صاروا كالحممة أخرجوا منها وأدخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجهنميون»[(١)].

الخامس- إلا ما شاء من أهل التوحيد أن لا يدخلهم إليها، قاله أبو نضرة يرويه مأثوراً عن النبي ﷺ[(٢)].

السادس- إلا ما شاء ربك من كل من دخل النار من موحد ومشرك أن يخرجه منها إذا شاء، قاله ابن عباس[(٣)].

السابع- أن الاستثناء راجع إلىٰ قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي ليست بزفير ولا شهيق مما لم يسم ولم يوصف ومما قد سّمي ووصف، ثم استأنف ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ حكاه ابن الأنباري[(٤)].

الثامن- أن الاستثناء واقع علىٰ معنىٰ لو شاء ربك أن لا يخلدهم لفعل ولكن الذي يريده ويشاؤه ويحكم به تخليدُهم[(٥)].

وفي تقدير خلودهم بمدة السموات والأرض وجهان:

أحدهما- أنها سموات الدنيا وأرضها، ولئن كانت فانية فهي عند العرب كالباقية علىٰ الأبد

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٧١، ١٣/ ٤٣٤)، وأخرج الطبري نحوه عن قتادة والضحاك (١٥/ ٤٨٢) واختاره(١٥/ ٤٨٩). وقال الشوكاني في تفسيره (٢/ ٧٣١): "وقد ثبت بالأحاديث المتواترة تواتراً يفيد العلم الضروري بأنه يخرج من النار أهل التوحيد فكان ذلك مخصصاً لكل عموم"، وقد ذكر في الآية أحد عشر قولاً، وأنه كتب فيها رسالة خاصة.

(٢) فيكون الاستثناء هنا من الدخول في النار، لا من الخلود فيها. وانظر: تفسير الطبري(١٥/ ٤٨٣).

(٣) كسابقه في المعنىٰ إلا أنه أعم. وانظر: الطبري (١٥/ ٤٨٣).

(٤) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٨٠)، واستدل له بقوله تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع.

(٥) ذكره الزجاج في معاني القرآن لأهل اللغة (٣/ ٧٩) وقال: "فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخرجهم لقدر ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً". وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٦٠).

فذكر ذلك علىٰ عادتهم وعرفهم [(١)] كما قال زهير:

ألا لا أرىٰ علىٰ الحوادث باقيًا ** ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

والوجه الثاني- أنها سموات الآخرة [١٨٨/ أ] وأرضها لبقائها علىٰ الأبد.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٨].

قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها- دامت سموات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها في الخلود فيها.

الثاني- إلا ما شاء ربك من مدة يوم القيامة.

الثالث- إلا ما شاء ربك في مدة مكثهم في النار إلىٰ أن يخرجوا منها، قاله الضحاك.

الرابع- خالدين فيها يعني أهل التوحيد، إلا ما شاء ربك يعني أهل الشرك، ويشبه قول أبي نضرة.

الخامس- خالدين فيها إلا ما شاء ربك أي وما شاء من عطاء غير مجذوذ، فتكون ﴿إلا﴾ هاهنا بمعنىٰ[(٢)] الواو كقول الشاعر:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه ** لعمر أبيك إلا الفرقدان[(٣)]

أي والفرقدان.

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- غير مقطوع.

الثاني- غير ممنوع.

---

(١) واختار الألوسي (١٢/ ١٤٢) فقال: "... الأولىٰ أن تبقىٰ علىٰ ظاهرها...".

(٢) ذكر الألوسي (١٢/ ١٤٤) أن هذا مردود عند النحاة.

(٣) ذكره من غير نسبة ابن عطية في تفسيره (٩/ ٢٢٦)، والألوسي (١٢/ ١٤٤) في روح المعاني.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود:١٠٩-١١١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية[١].

الثاني- نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد[٢].

الثالث- ما وعدوا به من خير أو شر، قاله ابن عباس[٣].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٢-١١٣].

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- لا تميلوا، قاله ابن عباس[٤].

الثاني- لا تدنوا، قاله سفيان[٥].

الثالث- لا ترضوا أعمالهم، قاله أبو العالية[٦].

الرابع- لا تدهنوا لهم في القول وهو أن توافقهم في السر ولا تنكر عليهم في الجهر. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩]، قاله عبدالرحمن بن زيد[٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٨٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠١)، وفي رواية أخرىٰ قال: يعني الركون إلىٰ الشرك.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٠) وزاد:... ثم قرأ: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤].

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٠).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٩٠).

[﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- فيمسكم عذاب النار لركونكم إليهم.

الثاني- فيتعدىٰ إليكم ظلمهم كما تتعدىٰ النار إلىٰ إحراق ما جاورها[١]، ويكون ذكر النار علىٰ هذا الوجه استعارة وتشبيهاً، وعلىٰ الوجه الأول خبراً [٢] ووعيداً.][٣].

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود:١١٤-١١٥].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ أما الطرف الأول فصلاة الصبح باتفاق، وأما الطرف الثاني ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه عنىٰ صلاة الظهر والعصر، قاله مجاهد[٤].

الثاني- صلاة العصر وحدها، قاله الحسن[٥].

الثالث- صلاة المغرب، قاله ابن عباس[٦].

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ﴾ والزلف جمع زلفة، والزلفة المنزلة، فكأنه قال ومنازل من الليل، أي ساعات من الليل، وقيل إنما سميت مزدلفة من ذلك لأنها منزل بعد عرفة، وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلىٰ حواء وهي بها، ومنه قول العجاج في صفة بعير:

نــاجٍ طــواه الأَيْــنُ ممــا وجفــا ** طــيَّ الليــالي زُلَفــاً فزلفــا [٧]

وفي معنىٰ ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ﴾ قولان:

---

(١) في الأصل (ك): ما جاوزها.

(٢) في الأصل (ك): جزاء.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٢) وهو قول القرظي والضحاك.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٣). وروي عن الضحاك، والقرظي، وقتادة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٣)، وروي عن الحسن، وابن زيد. ورجحه الطبري لأن صلاة الفجر تصلىٰ قبل طلوع الشمس ويقابلها صلاة المغرب حيث تصلىٰ بعد غروبها.

(٧) ديوان العجاج (٨٤)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٠٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٠٠).

أحدهما- صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد[١].

الثانية: صلاة المغرب والعشاء الآخرة، قاله الضحاك والحسن ورواه مرفوعـًا[٢].

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ وفي هذه الحسنات أربعة أقاويل:

أحدها- الصلوات الخمس، قاله ابن عباس والحسن وابن مسعود والضحاك[٣].

الثاني- هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قاله مجاهد[٤] قال عطاء: وهن الباقيات الصالحات.

الثالث- أن الحسنات المقبولة يذهبن السيئات المغفورة.

الرابع- أن ثواب الطاعات يذهب عقاب المعاصي.

﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- توبة للتائبين، قاله الكلبي.

الثاني- بيان للمتعظين، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»[٥].

وسبب نزول هذه الآية ما روىٰ الأسود عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال يا رسول [١٨٨/ ب] الله إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة فأصبت منها ما دون أن أمسها وهانذا فاقض فيّ بما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك. ولم يردّ عليه النبي ﷺ شيئًا، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فقرأها عليه فقال عمر: يا رسول الله أله خاصة أم للناس كافة ؟ فقال: لا بل للناس كافة[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٦) وقاله: الحسن، وابن زيد.

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٧-٥٠٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩١) وروي عن الضحاك والقرظي، ومجاهد.

(٣) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٥/ ٥١٠) ورجحه، وهو قول مسروق، ومقاتل بن سليان، ومقاتل بن حيان. وصححه ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٦٨) وهو قول الجمهور.

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥١٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار (٦/ ٢٠٩٢).

(٥) روي عن معاذ بن جبل أنه قال: يا رسول الله، أوصني، فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي (٤/ ٣١٣)، وأحمد (٥/ ٢٢٨)).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥١٥-٥١٦) عن علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد مع اختلاف في آخره.

قال أبو موسىٰ بن طمحان: هذا الرجل أبو البشر [١] الأنصاري. [وقال ابن عباس: عمرو بن غزية الأنصاري، وقال مقاتل: هو عامر بن قيس الأنصاري.][٢].

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾ [هود:١١٦-١١٧].

قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه[٣]:

أحدها- أولو طاعة.

الثاني- أولو تمييز.

الثالث- أولو حظ من الله تعالىٰ.

قوله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ [يحتمل فيه وجهين:

أحدهما- أنهم اتبعوا علىٰ ظلمهم ما أترفوا فيه][٤] من استدامة نعيمهم استدراجًا لهم.

الثاني- أخذوا بظلمهم ما أترفوا فيه من نعمهم[٥]. والمترف: المنعّم. وقال ابن عباس: أترفوا فيه: معناه انظروا فيه.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾ [هود:١١٨-١١٩].

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه وجهان[٦]:

أحدهما- علىٰ ملة الإسلام وحدها، قاله سعيد بن جبير.

---

(١) كذا في النسخ.

(٢) ساقط من (ق).

(٣) وردت هذه الأقوال متأخرة عن موضعها من ترتيب الآيات في النسخ.

(٤) ساقط من الأصل و (ك).

(٥) في الأصل و (ك): بغيهم.

(٦) ذكرهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٣).

الثاني- أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدىٰ، قاله الضحاك.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فيه ستة [(١)] أقاويل:

أحدها- مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق، قاله مجاهد وعطاء.

الثاني- مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة، قاله ابن عباس.

الثالث- مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة. قاله الحسن[(٢)].

الرابع- مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق.

الخامس- مختلفين في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة.

السادس- أن معنىٰ مختلفين أي يخلف بعضهم بعضاً، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سواء في كلامهم خلف بعضهم بعضاً [واختلفوا كقتلوا][(٣)] واقتتلوا ومنه قولهم: ما اختلف الجديدان، أي جاء هذا بعد ذاك، قاله ابن بحر.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل[(٤)]:

---

(١) في (ق): خمسة أقاويل - بسقوط القول الأخير -. وانظر جملة الأقوال في تفسير الطبري (١٥/ ٥٣١-٥٣٥). وقد رجح قول من قال إن المعنىٰ لا يزالون مختلفين في أديانهم وأهوائهم إلا من رحم الله فآمن به وصدق رسله بدليل ختم الآية بما يدل علىٰ العذاب والعقاب بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وذلك لا يكون إلا علىٰ الكفر الذي يوجب النار.

(٢) ضعفه ابن عطية في تفسيره (٩/ ٢٤٠) فقال: "وهذا قول بعيد معناه عن معنىٰ الآية ".

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة يستدعيها المقام ليصح بها الكلام، وبدونها يكون الكلام مضطرباً كماهو عليه الحال في النسخة المطبوعة التي وقع فيها مع الاضطراب تحريف في الكلام. ويشهد لهذا التصحيح قول العز بن عبدالسلام في مختصر تفسير الماوردي (٢/ ١٠٧): "... أو يخلف بعضهم بعضاً يأتي قوم بعد قوم، خلفوا واختلفوا كقتلوا واقتتلوا ".

(٤) عد النحاس في معاني القرآن (٣/ ٣٨٨) هذه الآية من المشكل. وجعل الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٨) اللام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ بمعنىٰ: علىٰ، أي: علىٰ هذه الصفة خلقهم. وجعلها ابن عطية (٩/ ٢٤١) للصيرورة أي خلقهم ليصير أمرهم إلىٰ ذلك. ولعل الأقوال الواردة في هذه الآية لا تتعارض فبعضها ينتهي إلىٰ بعض وهو نتيجة له. فللاختلاف بينهم بالكفر والإيمان، والرحمة للمؤمنين منهم؛ خلقهم، فالكفار منهم إلىٰ النار فهم أشقياء، والمؤمنون إلىٰ الجنة فهم سعداء. فجمعت الآية الكريمة بين وصف حالهم في الدنيا ومصيرهم في الآخرة. والله أعلم بمراده من بليغ كلامه.

أحدها- للاختلاف خلقهم، قاله الحسن وعطاء.

الثاني- للرحمة خلقهم، قاله مجاهد.

الثالث- للشقاء والسعادة خلقهم، قاله ابن عباس.

الرابع- للجنة والنار خلقهم، قاله منصور بن عبدالرحمن.

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:١٢٠].

قوله عز وجل: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ أي نقوّي به قلبك وتسكن إليه نفسك، لأنهم بُلُو فصبروا، وجاهدوا فظفروا.

﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- في هذه السورة، قاله ابن عباس وأبو موسىٰ[1].

الثاني- في هذه الدنيا، قاله الحسن وقتادة[2].

الثالث- في هذه الأنباء، حكاه ابن عيسىٰ.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢١-١٢٣].

وفي هذا (الحق) وجهان:

أحدهما- صدق القصص وصحة الأنباء وهذا تأويل من جعل المراد السورة.

الثاني- النبوة، وهذا تأويل من جعل المراد الدنيا.

---

(١) وهو قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس. ورواية عن الحسن ورجحه الطبري وعلله بأنه إجماع الحجة من أهل التأويل. والمعنىٰ: وجاءك في هذه السورة الحق. مع ما جاءك في سائر سور القرآن. وأبو موسىٰ هنا هو الأشعري. انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٤٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦)، والدر المنثور (٤/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٤٤)، وابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٩٦).

﴿وَمَوۡعِظَةٞ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- القرآن الذي هو وعظ الله تعالىٰ لخلقه.

الثاني- الاعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي ﷺ: «والسعيد من وعظ بغيره».



سورة يوسف

مكية كلها. وقال ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف:١-٣].

قوله عز وجل: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنها الآيات المتقدم(١) ذكرها في السورة التي قبلها.

الثاني- الآيات التي في هذه السورة، ويكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ [١٨٩/ أ]ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين.

الثالث- أن تلك الآيات إشارة علىٰ ما افتتحت به السورة من الحروف وأنها علامات الكتاب العربي، قاله ابن بحر.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها- المبين حلاله وحرامه، قاله مجاهد(٢).

الثاني- المبين هداه ورشده، قاله قتادة(٣).

الثالث- المبين للحروف التي سقطت من ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف، قاله معاذ(٤).

[قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فيه وجهان:

---

(١) في الأصل (ك): " المتقدمة ".

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٤٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٠). وفي سنده الوليد بن سلمة الفلسطيني، كذاب يضع الحديث علىٰ الثقات. ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٣٩). والحروف الستة هي: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد، والعين، والحاء، وانظر: روح المعاني للألوسي (١٢/ ١٧١).

أحدهما- إنا أنزلنا الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب، وهو قول الجمهور..

الثاني- إنا أنزلنا خبر يوسف قرآنـًا، أي مجموعـًا عربيـًا أي يعرب عن المعاني بفصيح من[1] القصص وهو شاذ[2].

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ أي نبين لك أحسن البيان، والقاصّ الذي يأتي بالقصة على حقيقتها.] [3].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف: ٤].

[قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فكنى ذكرهم، وعنى بأحد عشر كوكبـًا إخوته وبالشمس أباه يعقوب، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين، فعبر عنهم بما ذكره، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني- أنه رأى أحد عشر كوكبـًا والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه والقمر أمه، وهو قول الأكثرين. وقال ابن جريج: الشمس أمه والقمر أبوه، لتأنيث الشمس وتذكير القمر. وروى السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال: أتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود يقال له بستانة فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها، قال فسكت رسول الله ولم يجب بشيء، فنزل عليه جبريل ﵇ بأسمائها قال فبعث رسول الله إليه وقال له: «هل أنت تؤمن إن أخبرتك بأسمائها»؟ فقال نعم، فقال: «جريان،

(١) في الأصل ك: "عن".

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٨٧).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

والطارقة، والذيال وذو [(١)] الكتفين و قابس والوثّاب والعمودان والفيلق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء والنور» فقال اليهودي: [(٢)] والله إنها لأسماؤها.][(٣)].

وفي إعادة قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ وجهان:

أحدهما- تأكيداً للأول لبعد ما بينها، قاله الزجاج[(٤)].

الثاني- أن الأول رؤيته لهم، والثاني رؤيته لسجودهم.

﴿سَٰجِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه السجود المعهود في الصلاة إعظامـًا لا عبادة.

الثاني- أنه رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجوداً، كقول الشاعر[(٥)]:

.... ** تـرىٰ الأكـم فيهـا سُـجداً للحـوافر

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف:٥].

[وقيل إنه كان لـه عند هـذه الرؤيا سبع[(٦)] عشر سنة، قال ابن عباس: ورأىٰ هـذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر، فلما قصها علىٰ يعقوب أشفق عليه من حسد إخوته فقال: يا بني هـذه رؤيا الليل فلا يعمل عليها، فلما خلا به ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ﴾ .

---

(١) في الأصل: "ذا".

(٢) في (ك): "لا والله".

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق)، وجاء بدلاً عنه قول قتادة مختصراً. وقد أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢١٠١). وفي سنده الحكم بن ظُهيرة، وهو متروك. وعبد الرحمن بن سابط لم يسمع من جابر. ونقل الألوسي (١٢/ ١٧٩) عن أبي زرعة وابن الجوزي: أنه منكر موضوع. وقد تساهل الحاكم في تصحيحه. وانظر: الدر المنثور (٤/ ٤٩٨).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٩١). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٤٨٠).

(٥) هو زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وصدره:

بجيش تضل البلق في حجراته ** ....

انظر: ديوانه (٦٦)، وتفسير الطبري (٢/ ١٠٤، ٢٤٢)، وابن الجوزي (٤/ ٤٥٣).

(٦) في الأصل و (ك): "سبعة عشر سنة".

وفي تسميته بيوسف قولان:

أحدهما- أنه اسم عبراني أعجمي.

الثاني- أنه عربي مشتق من الأسف، وهو الحزن. لأنه حزن [١] وأحزن.][٢].

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف:٦].

قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- بحسن الخَلق والخُلق.

الثاني- بترك الانتقام. قاله الحسن.

الثالث- بالنبوة[٣].

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- عبارة الرؤيا، قاله مجاهد[٤].

الثاني- العلم والحكمة، قاله ابن زيد[٥].

الثالث- عواقب الأمور، ومنه قول [١٨٩/ ب] الشاعر:

وللأحبــــة أيــــام تــــذكّرُها ** وللنــوىٰ قبــل يــوم البــيْن تأويــل

[قوله تعالىٰ: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيه وجهان[٦]:

أحدهما- باختيارك للنبوة.

الثاني- بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك، قاله مقاتل.

---

(١) تعليل لا يستقيم لأن التسمية تكون في الصغر قبل أحداث الحياة؛ ولأن هذا المعنىٰ غير مطلوب في التسمية ولا مرغوب.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٣) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٨١) عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٠) بلفظ: العلم والحلم. أو العلم والكلام.

(٦) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٨١) عن الماوردي.

وفيه وجه ثالث: أنْ أحوج إخوته إليه حتىٰ أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه.

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ بأن جعل فيهم النبوة.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ قال عكرمة: فنعمته علىٰ إبراهيم أن أنجاه من النار، وعلىٰ إسحاق[1] أن أنجاه من الذبح.][2].

﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف:٧-١٠].

قوله عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ في هذه الآيات وجهان:

أحدهما- أنها عبر المعتبرين.

الثاني- زواجر المتقين.

وفيها من يوسف وإخوته أربعة أقاويل:

أحدها- ما أظهره الله تعالىٰ فيه من عواقب البغي عليه.

الثاني- صدق رؤياه وصحة تأويله.

الثالث- ضبط نفسه وقهر شهوته حتىٰ سلم من المعصية وقام بحق الأمانة.

الرابع- حدوث الفرج بعد شدة الإياس. قال ابن عطاء: ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها.

قوله عز وجل: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ وأخوه بنيامين وهما أخوان لأب وأم، وكان يعقوب قد كفلهما لموت أمهما وزاد في المراعاة لهما، فذلك سبب حسدهم لهما،

---

(١) هذا علىٰ القول المرجوح في الذبيح، والصواب أنه إسماعيل وقد رجحه ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم. وسيذكر المفسر الخلاف في ذلك عند تفسير آية (١٠٥) من سورة الصافات.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق) وجاء عوضاً عنه قوله: "باختيارك للنبوة".

وكان شديد الحب ليوسف، فكان الحسد له أكثر، ثم رأىٰ الرؤيا فصار الحسد له أشد.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ وفي العصبة أربعة أقاويل[١]:

أحدها- أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبير.

الثاني- أنهم من عشرة إلىٰ خمسة عشر، قاله مجاهد.

الثالث- من عشرة إلىٰ أربعين، قاله قتادة.

الرابع- الجماعة، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- لفي خطأ من رأيه، قاله ابن زيد.

الثاني- لفي جور من فعله، قاله ابن كامل.

الثالث- لفي محبة ظاهرة، وحكاه ابن جرير[٢].

وإنما جعلوه في ضلال مبين لثلاثة أوجه:

أحدها- لأنه فضّل الصغير علىٰ الكبير.

الثاني- القليل علىٰ الكثير.

الثالث- من لا يراعي ما له علىٰ من يراعيه.

واختلف فيهم هل كانوا حيئذ بالغين؟ فذهب قوم إلىٰ أنهم كانوا بالغين مؤمنين ولم يكونوا أنبياء بعد لأنهم قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ وهذه حالة لا تكون إلا من بالغ، وقال آخرون: بل كانوا غير بالغين لأنهم قالوا : ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾[٣]، وإنما استغفروه بعد البلوغ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٣) وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٥) وابن الجوزي (٤/ ١٨٣) وزادعن مقاتل أنها عشرة، وعن الضحاك أنها ما كان أكثر من عشرة.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٥/ ٥٦٣) وعبارته: لفي خطأ من فعله في إيثاره يوسف وأخاه بالمحبة. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٨٣). ويعقوب ﷺ إنما أحبه أكثر لما رأىٰ فيه من مخايل الخير ولا لوم علىٰ الوالد في مثل ذلك والمحبة القلبية ليست مما يتحكم فيها. انظر: الألوسي (١٢/ ١٩٠).

(٣) كذا – بالنون – وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، وأبي عمرو. وانظر: السبعة في القراءات . (٣٤٥)

قوله عز وجل: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لتأكله السباع.

الثاني- ليبعد عن أبيه.

﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنهم أرادوا إصلاح [1] الدنيا لا صلاح الدين، قاله الحسن.

الثاني- أنهم أرادوا إصلاح الدين بالتوبة، قاله السدي.

ويحتمل وجهـًا ثالثـًا: أنهم أرادوا إصلاح الأحوال[2] بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل. وفي هذه الآية دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم[3].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ اختلف في قائل هذا منهم [على ثلاثة أقاويل:][4]

أحدها- أنه روبيل وهو أكبرهم وابن خالة يوسف، قاله قتادة[5].

الثاني- أنه شمعون، قاله مجاهد.

الثالث- أنه يهوذا، قاله السدي.

﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني قعر الجب وأسفله.

الثاني- في ظلمة الحب الذي يغيب عن الأبصار ما فيها، قاله الكلبي. قال: فكان رأس الجب ضيقـًا وأسفله واسعـًا.

---

(١) في (ق): "صلاح" والمثبت من الأصل (ك).

(٢) في الأصل:: "لتسوية".

(٣) قال ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٨٤): وفي قصتهم نكتة عجيبة، وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب. وكذلك المؤمن لا ينس التوبة وإن كان مرتكبًا للخطايا.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و (ك)، وإثباته من (ق) وهو مقتضى السياق.

(٥) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٥، ٥٧٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٦)، وابن الجوزي (٤/ ١٨٤)، وقد صحح الألوسي في تفسيره (١٢/ ١٩٢) قول السدي، وأنه لم يذكر أحد باسمه ستراً على المسيء.

وفي تسميته ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ وجهان:

أحدهما- لأنه يغيب فيه خبره.

الثاني- لأنه يغيب فيه أثره، قال ابن أحمر:

ألا فالبثـا شـهرين أو نصـف ثالـثٍ ** إلـىٰ ذاك مـا قـد غيبتنـي غيابيـا [(١)]

وفي ﴿ٱلۡجُبِّ﴾ قولان:

أحدهما- أنه اسم بئر في بيت المقدس، قاله قتادة.

الثاني- أنه اسم بئر غير معينة، وإنما يختص بنوع من الآبار قال الأعشىٰ[(٢)]:

لـئن كُنـتَ في جُـبٍّ ثمـانين قامـةً ** ورقَّيـت أسـباب السـماء بسـلم

وفيما يسمىٰ من الآبار جُبًا قولان:

أحدهما- أنه ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن.

الثاني- ما لا طيّ له من الآبار، قاله الزجاج، وقال: سميت جُبًا لأنها قطعت قطعًا ولم يحدث فيها غير القطع[(٣)].

﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾ معناه يأخذه، ومنه اللقطة لأنها الضالة المأخوذة.

وفي ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ قولان:

أحدهما- أنهم المسافرون سُموا بذلك لأنهم يسيرون.

الثاني- أنهم مارة الطريق، قاله الضحاك.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف:١١-١٢].

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٩).

(٢) ديوانه (١٥٩).

(٣) أي من طي أو شبهه، وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٩٤).

قوله عز وجل: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾ [1] فيه خمسة أوجه[2]:

أحدها- نلهو ونلعب، قاله الضحاك.

الثاني- نسعىٰ وننشط، قاله قتادة.

الثالث- نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضًا ونلهو، قاله مجاهد.

الرابع- نرعىٰ ونتصرف، قاله ابن زيد، ومنه قول الفرزدق[3]:

راحت بمسلمة البغال مودعًا ** فارعي فزارة لا هناك المرتع

الخامس- نطعم ونتنعم مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب، قاله ابن شجرة وأنشد قول الشاعر[4]:

أَكُفراً بعد رَدّ الموت عنّي ** وبعد عطائك المائة الرِّتاعا

أي الراتعة لكثرة المرعىٰ[5] ولم ينكر يعقوب ﷺ اللعب لأنهم عنوا به ما كان منه مباحًا.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ (١٣) قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (١٤)﴾ [يوسف:١٣-١٤].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، وخوفه إنما كان من قتلهم له فكنىٰ عنهم بالذئب مسايرة لهم، قال ابن عباس فسماهم ذئابًا.

والقول الثاني- ما خافهم عليه، ولو خافهم ما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يخاف منه في الصحاري.

---

(١) بالنون قراءة ابن كثير، وابن عامر وأبي عمرو. السبعة في القراءات (٣٤٥).

(٢) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٧).

(٣) ديوانه (٣٥٢) شرح: علي فاعور.

(٤) القطامي. ديوانه (٤١).

(٥) قال الطبري جمعًا بين الأقوال (١٥/ ٥٧٢): فتأويل الكلام: أرسله معنا غداً نلهو ونلعب وننشط في الصحراء ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه.

وقال الكلبي: بل رأىٰ في منامه أن الذئب شَدّ علىٰ يوسف فلذلك خافه عليه[١].

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف:١٥].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني وألهمناه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧].

الثاني- أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه وهو في الجب، قاله مجاهد وقتادة.

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه أوحي إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم علىٰ ماصنعوا، فعلىٰ هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجب تبشيراً له بالسلامة.

الثاني- أنه أوحي إليه بالذي يصنعون به، فعلىٰ هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجب إنذاراً له[٢].

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- لا يشعرون بوحي الله تعالىٰ له بالنبوة، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني- لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف. قاله قتادة وابن جريج.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف:١٦-١٨].

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ هو نفتعل من السباق وفيه أربعة أوجه:

---

(١) قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢/ ١٩٥): "وأنا لم أجد لرواية الرؤيا مطلقـاً سنداً يعول عليه ولا حاجة بنا إلىٰ اعتبارها لتكلف الكلام فيها. ثم قال: وبالجملة ما وقع منه ﷺ من هذا القول: كان تلقيناً للجواب من غير قصد وهو علىٰ أسلوب قوله سبحانه: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] والبلاء موكل بالمنطق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٥) وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٩) و تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٩٠).

أحدها- معناه ننتضل، من السباق و الرمي، قاله الزجاج[١].

الثاني- أنهم أرادوا السبق بالسعي علىٰ أقدامهم.

الثالث- أنهم عنوا استباقهم في العمل الذي تشاغلوا به عن الرعي والاحتطاب.

الرابع- بالمسعىٰ علىٰ أقدامهم أي نتصيد لأنهم يستبقون علىٰ اقتناص الصيد.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ يحتمل أن يعنوا بتركه عند متاعهم إظهار الشفقة عليه، ويحتمل أن يعنوا حفظ رحالهم.

﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ لما سمعوا أباهم يقول: أخاف أن يأكله الذئب أخذوا ذلك من فيه فتخرصوا[٢]، به لأنه كان أظهر المخاوف عليه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدق لنا.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه لم يكن ذلك منهم تشكيكًا لأبيهم في صدقهم وإنما عنوا: ولو كنا أهل صدق ما صدقتنا، قاله ابن جرير[٣].

الثاني- معناه وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال مجاهد: كان دم سخلة[٥]. وقال قتادة كان دم ظبية[٦].

قال الحسن: فلما جاءوا بقميص يوسف فلم ير يعقوب فيه شقًا قال: يا بني والله ما عهدت الذئب حليمًا أيأكل ابني ويبقي علىٰ قميصه. ومعنىٰ قوله: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي مكذوب فيه، ولكن

(١) معاني القرآن (٣/ ٩٥).

(٢) أي افتعلوه كذبًا. وفي المطبوعة "وتحرموا" وهو تحريف لا معنىٰ له.

(٣) تفسير ابن جرير (١٥/ ٥٧٨).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٠).

(٥) وهو قول ابن عباس. تفسير الطبري (١٥/ ٥٨٠١).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١١).

وصفه بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب.

[وقرأ الحسن: (بدم كدب) بالدال غير معجمة، ومعناه بدم متغير][1] قال الشعبي: وفي القميص ثلاث آيات: حين جاءوا عليه بدم كذب، وحين قُدَّ قميصه من دُبر، وحين ألقي علىٰ وجه أبيه فارتد بصيراً[2].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فيه وجهان[3]:

أحدهما- بل أمرتكم أنفسكم، قال ابن عباس.

الثاني- بل زينت لكم، قاله قتادة.

وفي ردّ يعقوب عليهم بتكذيبه لهم ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه كان ذلك بوحي من الله تعالىٰ إليه بعد فعلهم ذلك به.

الثاني- أنه كان عنده علم بذلك قديم أطلعه الله تعالىٰ عليه.

الثالث- أنه قال ذلك حدساً بصائب رأيه وصدق ظنه.

ثم قال توطئة لنفسه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فاحتمل ما أمر به نفسه من الصبر وجهين:

أحدهما- الصبر علىٰ مقابلتهم علىٰ فعلهم فيكون هذا الصبر عفواً عن مؤاخذتهم.

الثاني- أنه أمر نفسه بالصبر علىٰ ما ابتلي به من فقد يوسف.

وفي قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وجهان:

أحدهما- أنه بمعنىٰ أن الجميل أن أصبر.

الثاني- أنه أمر نفسه بصبر جميل.

وفي الصبر الجميل وجهان:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق). وهي قراءة ابن عباس، و الحسن، وأبي العالية، انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٩٣). وفسرها فقال: أي بدم طري.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٨٢) عن الشعبي. وذكر أوله ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١١). والمراد جنس القميص، لا قميصاً بعينه، كما توهم القرطبي (٩/ ١٤٩) حين رد كلام الماوردي.

(٣) ذكرهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١١)، وذكر الطبري (١٥/ ٥٨٢) قول قتادة.

أحدهما- أنه الصبر الذي لا جزع فيه، قاله مجاهد[1].

الثاني- أنه الصبر الذي لا شكوىٰ فيه.

روىٰ حبان بن أبي جَبَلَة[2] قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فقال: صبر لا شكوىٰ فيه، من بث فلم يصبر.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه[3]:

أحدها- والله المستعان علىٰ الصبر الجميل.

الثاني- والله المستعان علىٰ احتمال ما تصفون.

الثالث- علىٰ ما تكذبون[4].

قال محمد بن إسحاق: ابتلىٰ الله تعالىٰ يعقوب في كبره، ويوسف في صغره لينظر كيف عزمهما[5].

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف:١٩-٢٠].

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ وهو الذي يرد أمامهم الماء ليستقي لهم. وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك بن ذعر بن حجر بن جديلة بن لخم.

﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أي أرسلها ليملأها، يقال أدلىٰ إذا أرسل الدلو ليملأها، ودلاها إذا أخرجها

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره(١٥/ ٥٨٤).

(٢) في (ق): "حباب بن أبي حبلة" وهو تصحيف. وفي الأصل (ك): "حِبّان ابن أبي حبلة". والتصويب من الطبري (١٥/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٢) وهو حِبّان بن أبي جَبَلَة المصري، مولىٰ قريش، ثقة، مات سنة ١٢٢ ه. التهذيب (١٤٩) رقم ١٠٧١.

(٣) في (ق): "قال قتادة علىٰ ما تكذبون".

(٤) وهو قول قتادة كما عند أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٢) عن محمد بن إسحاق مطولاً.

ملأىٰ. قال قتادة: فتعلق يوسف ﷺ بالدلو حين أرسلت. والبئر ببيت المقدس معروف مكانها[(١)].

﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه ناداهم بالبشرىٰ يبشرهم بغلام، قاله قتادة[(٢)].

الثاني- أنه نادىٰ أحدهم، وكان اسمه بشرىٰ فناداه باسمه يعلمه بالغلام، قاله السدي[(٣)].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أن إخوة يوسف كانوا [١٩١/ ب] بقرب الجب فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسرّوا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم، قاله ابن عباس[(٤)].

الثاني- أن الواردين إلىٰ الجُب أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون بضاعة لهم لكيلا يشركوهم فيه لرخصه وتواصوا أنه بضاعة استبضعوها من أهل الماء، قاله مجاهد[(٥)].

الثالث- أن الذين شروه أسرُّوا بيعه علىٰ الملك حتىٰ لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لهم.

وحكىٰ جويبر عن الضحاك أنه ألقيَ في الجب وهو ابن ست سنين[(٦)]، وبقي فيه إلىٰ أن أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام.

وقال الكلبي: ألقي فيه وهو ابن سبع عشرة سنة[(٧)].

قوله عز وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ معنىٰ شروه أي باعوه، ومنه قول ابن[(٨)]

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٣) والطبري (٦/ ٢-٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٣) والطبري (٦/ ٢-٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٣) والطبري(٦/ ٢-٣).

(٤) أخرجه الطبري بنحوه (١٦/ ٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤) ورجحه (١٦/ ٧).

(٦) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٩٠) عن الضحاك.

(٧) ذكره ابن الجوزي (٤/ ١٩٠) عن ابن السائب الكلبي، ورواية عن الحسن البصري. وزاد: اثنا عشرة. وقيل: ثماني عشرة. ولا دليل علىٰ هذا التحديد.

(٨) في الأصل (ك): "أبي مفرغ.."، والمثبت من (ق)، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري.

مفرغ الحميري:

وشــــــــريت بــــــــرداً ليتنــــــــي ** مــــن بعــــد بُــــرْدٍ كنــــت هامــــه [١]

واسم البيع والشراء ينطلق علىٰ كل واحد من البائع والمشتري، لأن كل واحد منهما بائع لما في يده مشتر لما في يد صاحبه.

وفي بائعه قولان[٢]:

أحدهما- أنهم إخوته باعوه علىٰ السيارة حين أخرجوه من الجب وادعوه عبداً، قاله ابن عباس والضحاك ومجاهد.

الثاني- أن السيارة باعوه علىٰ ملك مصر، قاله الحسن وقتادة.

﴿بِثَمَنٍۭ بَخۡسٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه[٣]:

أحدها- أن البخس ها هنا الحرام، قاله الضحاك، قال ابن عطاء: لأنهم أوقعوا البيع علىٰ نفس لا يجوز بيعها فكان ثمنه وإن جَلّ بخساً. وما هو وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوة ساعةٍ من معاصيك[٤].

الثاني- أنه الظلم، قاله قتادة.

الثالث- أنه القليل، قاله مجاهد والشعبي.

﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ اختلف في قدرها علىٰ ثلاثة أقاويل[٥].

أحدها- أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعطية والسدي.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢/ ٤٣١) و (١٦/ ٨) وفيه: قبل برد. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٤٨، ٣٠٤) وتفسير السمعاني (٣/ ١٧). والقصيدة في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٢) ذكرها الطبري في تفسيره (١٦/ ٨-١٠) ورجح الأول. والسمعاني (٣/ ١٧) وقال: والصحيح الأول.

(٣) ذكرها الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠-١٢)، والسمعاني (٣/ ١٩). وهي أوصاف متحققة علىٰ القول بان البائع أخوته.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٩٧) عن بعض الصالحين.

(٥) ذكرها الطبري في تفسيره (١٦/ ١٣) وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٦). ولا دليل علىٰ التحديد بما ذكر هنا أو غيره وهو تكلف لا حاجة إليه ولا فائدة فيه.

الثاني- باثنين وعشرين درهمـًا، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد در همين، قاله مجاهد.

الثالـث- بـأربعين درهمـًا، قالـه عكرمـة وابـن إسـحاق. وكـان السـدي يقـول: اشـتروا بها خفافـًا ونِعالاً[١].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ وجهان:

أحدهما- معدودة غير موزونة لزهدهم فيه.

الثاني- لأنها كانت أقل من أربعين درهمـًا، وكـانوا لا يزِنُـون أقل مـن أربعـين درهمـًا، لأن أقـل الوزن كان عندهم الأوقية، والأوقية أربعون درهمـًا[٢].

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ وفي المعنيّ بهم قولان:

أحدهما- أنهم إخوة يوسف كانوا فيه من الزاهدين حين صنعوا به ما صنعوا.

الثاني- أن السيارة كانوا فيه من الزاهدين حين باعوه بما باعوه به.

وفي زهدهم فيه وجهان:

أحدهما- لعلمهم بأنه حرٌّ لا يبتاع.

الثاني- أنه كان عندهم عبداً فخافوا أن يظهر عليه مالكوه فيأخذوه.

وفيه وجه ثالث: أنهم كانوا في ثمنه من الزاهدين لاختبارهم لـه وعلمهـم بفضـله، وقـال عكرمـة أعتق يوسف حين بيع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف:٢١-٢٢].

قولـه عـز وجـل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ﴾ وهـو العزيـز ملكهـا واسـمه: "اظيفيـر

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٦) إلا أنه جاء في المطبوعة: اشتروا به خفافـًا وثقالاً. وهو وهـم لا معنىٰ لـه. وفي تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٩٧): قال المفسرون: اقتسموا ثمنه فاشتروا به نعالاً وخفافـًا.

(٢) وعلىٰ كلا الوجهين فهي تعني القلة.

ابن رويجب[١].

﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ﴾ واسمها راعيل بنت رعائيل، علىٰ ما ذكر ابن إسحاق[٢].

وقال ابن عباس: اسمه قطيفير وكان علىٰ خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الوليد بن الريان من العماليق.

قال مقاتل: وكان البائع له للملك مالك بن ذعر بعشرين ديناراً وزاده بغلة وبغلين[٣].

﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أجملي منزلته.

الثاني- أجلي منزلته، قال كثير[٤]:

أريد ثواءَ عندها وأظُنُّها ** إذا ما أطَلْنا عندها المكث ملَّتِ

وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه، وتوطئة مبيته.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ قيل: بالربح في ثمنه إن بعناه. ويحتمل: ينفعنا بالخدمة والنيابة.

﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ إن أعتقناه وتبنيناه.

قال[٥] عبدالله بن مسعود: أحسن الناس فراسة [ثلاثة][٦]: العزيز في يوسف حين قال لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ .. الآية، وابنة شعيب [في موسىٰ][٧] حين قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ

---

(١) قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢/ ٢٠٦) هذا الشراء غير الشراء السابق بالثمن البخس... وإلا لم يبقىٰ لقوله: من مصر كثير جدوىٰ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧/ ٢١١٧)، والطبري في تفسيره (١٦/ ١٨).

(٣) كذا في الأصل و(ك) وقول مقاتل ساقط من (ق)، وفي مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي، تحقيق د. عبدالله الوهيبي(٢/ ١١٤): "بعشرين ديناراً وزاده الملك بغلة ونعلين". وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ١٩٨)، ولا دليل علىٰ هذا التحديد.

(٤) ديوانه (٩٩).

(٥) في (ق): "قاله عبدالرحمن بن مسعود" وهو وهم من الناسخ، والمثبت من الأصل، (ك).

(٦) زيادة من (ق).

(٧) زيادة من (ق).

﴿خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر ﷺ[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بإخراجه من الجب.

الثاني- باستخلاف الملك له.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ قد ذكرنا في تأويله وجهين[٢].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- غالب علىٰ أمر يوسف حتىٰ يبلغ فيه ما أراده له، قاله مقاتل[٣].

الثاني- غالب علىٰ أمر نفسه مما يريده، أن يقول له كن فيكون[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ يعني منتهىٰ شدته، وقوة شبابه. وأما الأشدُّ ففيه ستة أقاويل[٥]:

أحدها- ببلوغ الحلم، قاله الشعبي، وربيعة، وزيد بن أسلم.

الثاني- ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث- [عشرون سنة، قاله][٦] ابن عباس والضحاك.

الرابع- خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

الخامس- ثلاثون سنة، قاله السدي.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩) بنحوه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٩٨)، والسمعاني في تفسيره (٣/ ١٩).

(٢) في الأصل (ك): "وجهان" وهو وهم، والمفسر ﷺ قد ذكر ثلاثة أوجه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ ..

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٠) من غير نسبة واقتصر عليه، ونسبه ابن الجوزي لمقاتل (٤/ ١٩٩).

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ١٩٩) عن ابن عباس، وانظر القولين في تفسير السمعاني (٣/ ١٩).

(٥) أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٨)، والطبري (١٦/ ٢٢) ورجح عدم التحديد لأنه لا دليل عليه، وذكرها ابن الجوزي (٤/ ٢٠٠).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل (ك)، وإثباته من (ق).

السادس- ثلاث وثلاثون سنة. قاله مجاهد وقتادة.

هذا أول الأشد، وفي آخر الأشد قولان:

أحدهما- أنه أربعون سنة، قاله الحسن.

الثاني- أنه ستون سنة، حكاه ابن جرير الطبري [١]، وقال سُحيم بن وثيل الرياحي:

أخـــو خمســـين مجتمـــع أشُـــدّي ** ومجـــدني مجـــاورة الشـــئون [٢]

وفي المراد ببلوغ الأشد في يوسف قولان:

أحدهما- عشرون سنة، قاله الضحاك.

الثاني- ثلاثون سنة، وهو قول مجاهد.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ في هذا الحكم الذي آتاه خمسة أوجه:

أحدها- العقل، قاله مجاهد.

الثاني- الحكم على الناس.

الثالث- الحكمة في أفعاله.

الرابع- القرآن، قاله سفيان[٣].

الخامس- النبوة، قاله السدي.

وفي العلم الذي آتاه وجهان:

أحدهما- الفقه، قاله مجاهد.

الثاني- النبوة، قاله ابن أبي نجيح.

ويحتمل وجهـًا ثالثـًا: أنه العلم بتأويل الرؤيا[٤].

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٢١).

(٢) كذا في الأصل (ك)، وفي (ق):.. ونجذني مداورة الشئون، وهي رواية لسان العرب، "نجذ" (١٤/ ٥٠). وقبله:

ومـــاذا يـــدّري الشـــعراء منـــي ** وقـــد جـــاوزت حـــد الأربعـــين

والرجل المنجذ المجرب للأمور، ومداورة الشؤون مداولة الأمور ومعالجتها.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٠) عن سفيان عن رجل عن مجاهد. ولعل المراد به القراءة.

(٤) سبق ذكره والتنصيص عليه في قوله سبحانه: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ .

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- المطيعين.

الثاني- المهتدين، قاله ابن عباس.

والفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه، والعالم هو المقتصر علىٰ العلم دون العمل.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف:٢٣].

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ وهي راعيل امرأة العزيز اظيفير. قال الضحاك: وكان اسمها زليخا[١].

قال محمد بن إسحاق: وكان إظفير فيما يحكىٰ لنا رجلاً لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء، وكان يوسف ﷺ قد أُعطي من الحسن ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده كما لم يكن في النساء مثل حواء حسنًا. قال ابن عباس: اقتسم يوسف وحواء الحسن نصفين[٢].

فراودته امرأة العزيز علىٰ[٣] نفسه استدعاء له إلىٰ نفسها.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- بتكثير الإغلاق.

الثاني- بكثرة الإيثاق.

﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- معناه تهيأت لك، قاله عكرمة وأبو عبدالرحمن السلمي، وهذا تأويل من قرأ بكسر

---

(١) وقيل إنه لقبها وراعيل اسمها، وقيل العكس. انظر: روح المعاني (١٢/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٠) بنحوه. وفيه: أن النصف الآخر من الحسن قسم بين الناس.

(٣) في (ق): "عن نفسها"، والمثبت من الأصل (ك).

الهاء وترك الهمز[١]، وقال الشاعر:

قــد رابنــي أن الكَــرِيّ أســكتا ** لــو كــان معنيــًا لنــا لهيتــا[٢]

الثاني- معناه هلم لك، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأنشد أبو عمر بن العلاء:

أبلــغ أميــر المــؤمنين ** أخــا العــراق إذا أتيتــا[٣]

أن العــراق وأهلــه ** عنــق إليــك، فهيــت هيتــا

وهذا تأويل من قرأ هيت لك بفتح الهاء وهي أصح وأفصح، قال طرفة بن العبد[٤]:

لــيس قــومي بالأبعــدين إذا مــا ** قــال داع مــن العشــيرة: هيتــا

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الكلمة فحكىٰ عطية عن ابن عباس أن ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ كلمة بالنبطية[٥] معناها هلم لك، وقال الحسن: كلمة بالسريالية [٦]، وقال مجاهد: بل هي كلمة عربية هذا معناها[٧] .

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أي أعوذ بالله.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ فيه وجهان:

---

(١) هِيْتَ" وهي قراءة نافع، وابن عامر، وابن محيصن، وطلحة بن مصرف. وقرأ ابن عامر، وابن عباس، وأبي الدرداء، وقتادة: هِئْتُ لك، بمعنىٰ تهيأت لك. انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٠١)، والسبعة في القراءات (٣٤٧).

(٢) البيت من غير نسبة في غريب القرآن لابن قتيبة (٢١٥)، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٠٢) و فيهما: "لو كان معنيـًا بها لهيتا"، والمثبت من الأصل (ك)، وهو ساقط من (ق). والكري المستأجر.

(٣) في الأصل (ك): "أتينا" - بالنون - وهي رواية الطبري (٦/ ٢٥) والسمعاني (٣/ ٢٠) في تفسيريهما. والمثبت من (ق)، والبيتان في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٠٠)، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٠٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٠٠)، والمحتسب لابن جني (١/ ٣٣٧). وقوله: عنق إليك أي مائلون بأعناقهم إليك شوقـًا وترقبـًا.

(٤) ديوانه (١٤٣) من صلة الديوان وروايته: "هيتُ"، وهي كذلك في تفسير الطبري (١٦/ ٣٠) ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٠٠) والمحتسب (١/ ٣٣٧).

(٥) كذا بالأصل و (ك). وفي (ق): "بالقبطية" وهي رواية ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢١)، والطبري (١٦/ ٢٧) عن السدي.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧) عن الحسن، قال: كلمة بالسريالية، أي: عليك.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢١) عن مجاهد قال: هيت لك لغة عربية تدعوه بها.

أحدهما- أن الله ربي أحسن مثواي فلا أعصيه، قاله الزجاج[١].

الثاني- أنه أراد العزيز إظيفير إنه ربي أي سيدي أحسن مثواي فلا أخونه. قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي[٢].

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف:٢٤].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ أما همّها به ففيه قولان:

أحدهما- أنه كان هَمّ شهوة.

الثاني- أنها استلقت له وتهيأت لمواقعته[٣].

وأما هَمّه بها ففيه ستة أقاويل:

أحدها- أنه هَمّ بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواقعتها، قاله بعض المتأخرين[٤].

الثاني- أن قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ كلام تام قد انتهىٰ، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ومعنىٰ الكلام لولا أن رأىٰ برهان ربه لهمَّ بها، قاله قطرب[٥].

الثالث[٦] - أن همها كان شهوة، و همه كان عظة.

الرابع- أن همه بها لم يكن عزماً وإرادة وإنما كان تمثيلاً[٧] بين الفعل والترك، ولا حرج في

---

(١) الذي في معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٠١): " إنه ربي: أي إن العزيز صاحبي...".

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٢).

(٣) وصف تفصيلي لا دليل عليه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٠٦) عن ابن الأنباري.

(٥) هذا علىٰ تقدير التقديم والتأخير، وهو ضعيف لأن تقديم جواب لولا عليها مستكره وغير فصيح. انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٠٦)، والطبري (١٦/ ٣٨).

(٦) سقط هذا القول من (ق).

(٧) كذا في الأصل و (ك)، وهو في (ق) من غير نقط، وفي تفسير الطبري(١٦/ ٣٩): ".. غير أن همهما كان تمييلاً منها بين الفعل والترك"، وهو من تصحيح المحقق الشيخ محمود شاكر بمعنىٰ الترجيح والمفاضلة، بعد أن ذكر أنها في المخطوطة والمطبوعة من التفسير: " تمثيلاً " كما هنا.

حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل، وأصل الهم حديث النفس حتىٰ يظهر فيصير فعلاً، ومنه قول جميل[(١)]:

هممت بهمٍّ من بثينة لو بدا ** شفيت غليلات الهوىٰ من فؤاديا

الخامس- أن همه كان هم الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهراً له وهو معنىٰ قول الحسن.

السادس- أنه هم بمواقعتها وعزم عليه. قال ابن عباس: وحل الهميان يعني السراويل وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة، وهو قول جمهور المفسرين[(٢)].

فإن قيل: كيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل؟

قيل: هي منه معصية [(٣)]، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه:

أحدها- أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة إنما ابتلاه ليكون من الله تعالىٰ علىٰ وجل إذا ذكرها فيجدّ في طاعته إشفاقًا منها ولا يتكل علىٰ سعة عفوه ورحمته.

الثاني- أن الله تعالىٰ ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة علىٰ معصيته.

الثالث- أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ ستة أقاويل:

---

(١) لم أقف عليه في ديوانه، وقد ذكره الشوكاني في فتح القدير (٣/ ١٧) من غير نسبة وصدره:
هممت بهم من ثنية لؤلؤ..........

(٢) في نسبة هذا القول إلىٰ الجمهور نظر، كما أنه لا يصح، يقول ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٠٥): "ولا يصح ما يروىٰ عن المفسرين أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الرجل فإنه لو كان هذا دل علىٰ العزم والأنبياء معصومون من العزم علىٰ الزنا". كما أن هذا تفصيل لا تدل عليه كلمة: "هم" لغة، ولم يصح به خبر. وراجع تفسير الطبري (١٦/ ٣٥)، وابن عطية (٩/ ٢٧٧)، والألوسي (١٢/ ٢١٣-٢١٦).

(٣) الهم خاطر لم يصل إلىٰ العزم فضلاً أن يكون معصية، وما ذكره المؤلف تفريع عن القول السابق الذي سبق تضعيفه. فالهم همان: هم عزم علىٰ الفعل وإرادة له. وهو هم إمرأة العزيز، وهم خطرات نفس بحكم الطبيعة البشرية التي لا يمكن التحكم بها.

أحدها- أن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، قال ابن عباس: نـودي يـا ابن يعقوب تزني فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع[(١)].

الثاني- أنـه رأىٰ صـورة يعقـوب وهـو يقـول: يـا يوسـف أتهـمُّ بفعـل السـفهاء وأنـت مكتـوب في الأنبياء؟ فخرجت شهوته من أنامله، قاله قتادة ومجاهد. والحسن وسعيد بن جبير[(٢)].

قال مجاهد: فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف فلم يولد له إلا غلامان ونقص بتلك الشهوة ولده[(٣)].

الثالث- أن البرهان الذي رآه ما أوعد[(٤)] الله تعالىٰ علىٰ الزنىٰ، قـال محمـد بـن كعـب القرظـىٰ: رأىٰ كتاباً علىٰ الحائط: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

الرابع- أن البرهان الذي رآه؛ الملك إظيفير سيده، قاله ابن إسحاق[(٥)].

الخامس- أن البرهان الذي رآه هو ما آتاه الله تعالىٰ من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة، قاله ابن بحر.

السـادس- أن البرهـان الـذي رآه أنهـا لمـا همـت بـه وهـم بهـا رأىٰ سـتراً فقـال لهـا: مـا وراء [١٩٢/ ب] هذه الستر؟ فقالت: صنمي الذي أعبده سترته استحياء منه. فقـال: اسـتحيأت ممـا لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه، قاله الضحاك[(٦)].

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ فيهما وجهان[(٧)]:

أحدهما- أن السوء الشهوة، والفحشاء المباشرة.

الثاني- أن السوء الثناء القبيح، والفحشاء الزنا[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٥) عن مجاهد، وفي رواية سعيد بن جبير أنه نقص ولداً واحداً.

(٤) في الأصل (ك): " ما وعد.. " والمثبت من (ق)، وتفسير الطبري (١٦/ ٤٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٨).

(٦) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٠٨).

(٧) عبارة (ق): " قاله عبدالرحمن بن زيد و جابر: يعني الزناء، الثناء القبيح".

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٦)، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن =

ويحتمل وجهـاً ثالثـاً: أن السوء عقوبة الملك العزيز. والفحشاء مواقعة الزني.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلِصين بكسر اللام، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالىٰ. وقرأ الباقون بفتح اللام[1]، وتأويلها الذين أخلصهم برسالته، وقد كان يوسف ﷺ بهاتين الصفتين لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالىٰ، مستخلصاً لرسالة الله.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف:٢٥-٢٩].

قوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ أي أسرعا إليه، أما يوسف فأسرع إليه هرباً، وأما امرأة العزيز فأسرعت إليه طلباً.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ لأنها أدركته وقد فتح بعض الأغلاق فجذبته من ورائه فشقت قميصه إلىٰ ساقه، قال ابن عباس: وسقط عنه وتبعته[2].

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ أي وجدا زوجها عند الباب. قال[3] أبو صالح: والسيد هو الزوج بلسان القبط.

﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هذا قولها لزوجها لتدفع الريبة عن نفسها بإلقائها علىٰ يوسف، ولو صدق حبها لم تفعل ذلك به ولآثرته علىٰ نفسها، ولكنها شهوة

=

(٣/ ٤١٥) عنه، وذكره أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٣/ ٢٣) من غير نسبة.

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٤٨)، وتفسير الطبري (١٦/ ٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٦).

(٣) في الأصل (ك): "قاله" والمثبت من (ق).

نزعت و محبة لم تصف. وذلك أنه لما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر بالكذب[١] عليه، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ لأنها لما برأت نفسها بالكذب احتاج أن يبرئ نفسه بالصدق عليها، ولو كفت عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلىٰ شاهد يعلم به صدق الصادق منهما من الكاذب، فشهد شاهد من أهلها[٢]، أي حكم حاكم من أهلها لأنه حكم منه وليس شهادة.

وفيه أربعة أقاويل:

أحدها- أنه صبي أنطقه الله تعالىٰ في مهده، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك[٣].

الثاني- أنه خلق من خلق الله تعالىٰ ليس بإنس ولا جن، قاله مجاهد[٤].

الثالث- أنه رجل حكيم من أهلها، قاله قتادة. قال السدي وكان ابن عمها[٥].

الرابع- أنه عنىٰ شهادة القميص المقدود، قاله القاسم ومجاهد أيضاً[٦].

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .. الآية، وإنما كان هذا لأن الرجل إذا طلب المرأة كان مقبلاً عليها فيكون شق قميصه من قبله دليلاً علىٰ طلبه. وإذا هرب من المرأة كان مدبراً عنها فيكون شق قميصه من دبره دليلاً علىٰ هربه.

---

(١) في الأصل (ك): "باللذات" وهو تحريف.

(٢) وكون الشاهد من أهلها أنفىٰ للتهمة، وأدل علىٰ النزاهة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٨)، والطبري (١٦/ ٥٤) ورجحه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٨)، وهو إحدىٰ الروايات عن مجاهد وهو قول غريب، يرده قوله تعالىٰ: ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

(٥) انظر: الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦)، وهو قول عكرمة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨) عن مجاهد، وضعفه لقوله تعالىٰ: ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾ والقميص ليس من الأهل. وذكره النحاس في معاني القرآن (٣/ ٤١٧) عن القاسم.

وهذه إحدىٰ الآيات الثلاث في قميصه: أن كان قد من دبر فكـان فيـه دليـل [١] منـه علـىٰ صـدقه، وحين جاءوا علىٰ قميصه بدم كذب، وحين ألقي علىٰ وجه أبيه فارتدّ بصيراً.

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ علـم بـذلك صـدق يوسف فصدّقه وقال إنه من كيدكن.

وفي الكيد وجهان:

أحدهما- يعني به كذبها عليه[٢].

الثاني- أنه أراد السوء الذي دعته إليه[٣].

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما- أنه الزوج، قاله محمد بن إسحاق[٤].

الثاني- أنه الشاهد، حكاه علي بن عيسىٰ[٥].

قوله عز وجل: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أعرض عن هذا الأمر، قاله قتادة، علىٰ وجه التسلية له في ارتفاع الإثم.

الثاني- أعرض عن هذا القول، قاله ابن زيد، علىٰ وجه التصديق له في البراءة من الذنب.

﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ ﴾ وهذا قول الملك لزوجه وليوسف[٦]. وفيه قولان:

أحدهما- أنه لم يكن غيوراً فلذلك كان ساكنـًا.

الثاني- أن الله تعالىٰ سلبه الغيرة وكانت منه لطفـًا ليوسف حتىٰ كفي بادرته وحلم عنها فأمرها بالاستغفار من ذنبها توبة منه وإقلاعـًا عنه.

---

(١) في الأصل (ك): "دليلاً".

(٢) بمعنىٰ قول الزجاج حيث قال (٣/ ١٠٣): " أي أن قولك: ما جزاء من أراد بأهلك سوء.. من كيدكن".

(٣) ذكره ابن الجوزي (٤/ ٢١٣) نقلاً عن الماوردي.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٠)، وهو قول الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٠).

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٠) من غير نسبة.

(٦) "وليوسف" كذا في الأصل (ك) ولعلها زائدة من الناسخ، أو أن هناك سقط. والمعنىٰ: وليوسف قال: أعرض عن هذا. وعبارة (ق): "واستغفري لذنبك حكم عنها فأمرها بالاستغفار من ذنبها توبة منه وإقلاعـًا عنه ".

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ يعني من المذنبين، يقال لمن قصد الذنب خَطِئَ، ولمن لم يقصده أخطأ، وكذلك في الصوب والصواب، قال الشاعر[(١)]:

لعمرك إنما خطئي وصوبي ** عليّ وإنما أهلكت مالي

ثم قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٠-٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قال جويبر: كن أربعًا: امرأة الحاجب وامرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة القهرمان. قال مقاتل: وامرأة صاحب السجن[(٢)]. وفي هذه المدينة قولان[(٣)]:

أحدهما- مصر.

الثاني- عين شمس.

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ﴾ قلن ذلك ذمًا لها وطعنًا فيها و تحقيقًا لبراءة يوسف، وإنكاراً لذنبه.

والعزيز اسم الملك مأخوذ من عزته، ومنه قول أبي دؤاد[(٤)]:

---

(١) هو أوس بن غلفاء، والبيت في اللسان مادة "صوب"، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٤١)، وتفسير الطبري (١٦/ ٦١) وروايته فيها:

.... ** وإنّ ما أهلكت مال

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢١٤)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٥).

(٣) انظر: تفسير أبي المظفر السمعاني(٣/ ٢٥).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٢)، وقال محققه محمود شاكر : لم أجد البيت في مكان آخر.

درة غـــــاص عليهــــــا تـــــاجر ** جليــت عنــد عزيـــزٍ يـــوم طـــل

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي قد دخل حبه في شغاف قلبها. وفي شغاف القلب خمسة أقاويل[1]:

أحدها- أنه حجاب القلب، قاله ابن عباس.

الثاني- أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون علىٰ القلب وربما سميت لباس القلب، قاله السدي وسفيان.

الثالث- أنه باطن القلب، قاله الحسن، وقيل هو حبة القلب.

الرابع- أنه داء يكون في الجوف، قاله الأصمعي.

الخامس- هو الذعر والفزع الحادث عن شدة الحب، قاله إبراهيم.

وقد قرئ في الشواذ عن ابن محيصن: قد شعفها حباً (بالعين غير معجمة) [2].

واختلف في الفرق بينهما علىٰ قولين:

أحـدهما- أن الشـغف بـالغين معجمـة هـو الجنـون، وبـالعين غيـر معجمـة هـو الحـب، قاله الشعبي[3].

والثاني- أن الشغف بالإعجام الحب القاتل، والشعف بغير إعجام دونه، قاله ابن عباس [4] وقال أبو ذؤيب:

فـــلا وجْـــدَ إلا دُون وجْـــدٍ وجَدتـــه ** أصاب شغافَ القلب والقلبُ يشغف.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- في ضلال عن الرشد وعدول عن الحق.

الثاني- معناه في محبة شـديدة. ولمـا اقـترن شـدة حبهـا بالشـهوة طلبـت دفـع الضـرر عـن نفسـها

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣١)، وابن الجوزي (٤/ ٢١٤).

(٢) وهـي قـراءة الحسـن البصـري، ومجاهـد، وعلـي بـن الحسـين وغيـرهم كثيـر، وانظـر: تفسـير ابـن الجـوزي (٤/ ٢١٥)، والمحتسب لابن جني (١/ ٣٣٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣١)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٣/ ٤٢٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣١).

بالكذب عليه، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق علىٰ نفسها.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه ذمهن لها وإنكارهن عليها.

الثاني- أنها أسرت إليهن حبها له فأشعْن ذلك عنها.

﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ وفي (أعتدت) وجهان:

أحدهما- أنه من الاعتداد.

الثاني- أنه من العدوان.

وفي (المُتْكَأ) ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه المجلس، قاله ابن عباس والحسن[١].

الثاني- أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها، قاله أبو عبيدة والسدي[٢].

الثالث- أنه الطعام مأخوذ من قول العرب اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده، وأصله أن من دعي إلىٰ طعام أُعد له متكأ فسمي الطعام بذلك متكأ علىٰ الاستعارة.

فعلىٰ هذا أي الطعام هو؟

فيه أربعة أقاويل:

أحدها- أنه البزُّماورد، قاله الضحاك وابن زيد[٣].

الثاني- أنه الأترج، قاله ابن عباس ومجاهد وهو تأويل من قرأها مخففة غير مهموزة، والمتْك[٤] في كلامهم الأترج، قال الشاعر:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٠).

(٢) معاني القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٠٩)، وتفسير الطبري (١٦/ ٦٩-٧٠). وهذه الأقوال يتضمن بعضها بعضـًا، فالأصل في المتكأ ما يتكأ عليه من نمارق ووسائد ونحوها، وهذه لا تكون إلا في المجالس، وفي المجالس يكون الطعام عادة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٣) كلاهما عن الضحاك، وذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٢٦). والبزماورد: الرقاق الملفوف باللحم وغيره، أو هو شيء يشبه الأترج. انظر: حاشية تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢١٦).

(٤) في الأصل (ك): "المتكأ"، والمثبت من (ق). وقراءة "المُتْك" بالتخفيف قرأ بها مجاهد، وهي قراءة شاذة نص علىٰ ذلك أبو المظفر السمعاني في تفسيره(٣/ ٢٦). وقد عاب أبو عبيدة علىٰ من فسر المتكأ بالأترج فقال (١/ ٣٠٩): =

نشــرب الإثــم بــالكؤوس[١] جهــارا ** وتــرىٰ المتــك بيننــا مســتعارا[٢]

والإثم: الخمر، والمتك: الأترج.

الثالث- أنه كل ما يحز بالسكين وهو قول عكرمة[٣] لأنه في الغالب يؤكل علىٰ متكأ.

الرابع- أنه كل الطعام والشراب علىٰ عمومه، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة[٤].

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وإنما دفعت ذلك إليهن في الظاهر معونة علىٰ الأكل، وفي الباطن ليظهر من دهشتهن ما يكون شاهد عليهن. قال الزجاج: كان كالعبد لها فلم يمكنه أن لا يخرج بأمرها[٥].

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ وفيه ثلاث تأويلات:

أحدها- معناه أعظمنه، قاله ابن عباس[٦].

الثاني- معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً، قاله ابن بحر.

الثالث- معناه حضن عند رؤيته، وهو قول رواه عبدالصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عبدالله بن عباس[٧].

وقيل: إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت، وقد يسمىٰ الحيض إكباراً، قال الشاعر:

=

"وزعم قوم أنه الأترج وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسىٰ أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه". وقد رد كلامه القاسم بن سلام، وأنصفه الطبري فأيده مع أنه كثير الانتقاد له. انظر: الطبري (١٦/ ٧٠-٧١).

(١) في (ق): "بالصُّواع".

(٢) البيت غير منسوب في تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢١٦)، والقرطبي (١٢/ ١٧٨).

(٣) وقاله الضحاك. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٣).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٩٦٩).

(٥) قاله في معاني القرآن (٣/ ١٠٦).

(٦) وقاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد والسدي. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٠)، وابن الجوزي (٤/ ٢١٨) قال النحاس ٣/ ٤٢٢): وهذا هو الصحيح.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٥)، وعبدالصمد ليس بحجة كما قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٢٠)).

نــأتي النســاء علـىٰ أطهــارهن ولا ** نــأتي النســاء إذا أكــبرن إكبــاراً[1]

﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ دهشـًا ليكون شاهداً عليهن علىٰ ما أضمرته امرأة العزيز فيهن.

وفي قطع أيديهن وجهان:

أحدهما- أنهن قطعن أيديهن حتىٰ بانت.

الثاني- أنهن جرحن[2]، أيديهن حتىٰ دميت، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها.

﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ بالألف[3] في قراءة أبي عمرو ونافع في رواية الأصمعي وقرأ الباقون حاش لله بإسقاط الألف، ومعناهما واحد.

وفي تأويل ذلك وجهان:

أحدهما- معاذ الله، قاله مجاهد[4].

الثاني- معناه سبحان الله، قاله ابن شجرة.

وفي أصله وجهان:

أحدهما- أنه مأخوذ [من] [5] قولهم كنت في حشا فلان أي في ناحيته.

[والثاني- أنه مأخوذ من] [6] قولهم حاش فلانـًا [7] أي عزله في حشا يعني في ناحية.

---

(١) البيت من غير نسبة عند الطبري (١٦/ ٧٧)، والزجاج (٣/ ١٠٦)، والسمعاني (٣/ ٢٦)، وابن الجوزي (٤/ ٢١٨). وقد أنكر العلماء هذا المعنىٰ لغة فقال الطبري عن هذا البيت: "لا أحسب أن له أصلاً لأنه ليس بالمعروف عند الرواة"، وقال أبو عبيدة (١/ ٣٠٩): "ومن زعم أن أكبرنه: حضن. فمن أين! وليس في كلام العرب أكبرن حضن، ولكن عسىٰ أن يكون من شدة ما أعظمنه حضن"، وقال الزجاج: "وليس ذلك بالمعروف لغة.. "، وقال النحاس (٣/ ٤٢٢): " ومن قال: حضن فقد جاء بما لا يعرف، وحضن لا يتعدىٰ".

(٢) في الأصل (ك): "خرجن... إذا خرجها" وهو تصحيف والصواب ما أثبته، وانظر: مختصر تفسير الماوردي للعز بن عبدالسلام (٢/ ١١٩)، والقول ساقط من نسخة (ق).

(٣) أي: حاشا. وانظر: القراءة في السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٤٨)، وتفسير الطبري (١٦/ ٨١)، وابن الجوزي (٤/ ٢١٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٨٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٦).

(٥) زيادة علىٰ ما في النسخ، وهذا القول ساقط من (ق).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق ويتم بها الكلام.

(٧) في الأصل (ك) و(ق): "حاشا فلان" ومقتضىٰ السياق نصب "فلانـًا" لأنها مفعول به.

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ما هذا أهلاً للمباشرة.

الثاني- ما هذا من جملة البشر[(١)]. وفيه وجهان:

أحدهما- لما علمن من عفته وأنه لو كان من البشر لأطاعها.

الثاني- لما شاهدن من حسنه البارع وجماله البديع.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وقرئ ما هذا بشراً[(٢)] (بكسر الباء والشين) أي ما هذا عبداً مشترىً إن هذا إلا ملك كريم، مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة تعظيمًا لشأنه.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ وهذا يدل علىٰ أنها دعته إلىٰ نفسها ثانية بعد ظهور حالهما، فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ يعني الحبس في السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه.

ويحتمل وجهين:

أحدهما- أنه أراد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة وكنىٰ عنها بخطاب الجمع إما تعظيمـًا لشأنها في الخطاب وإما ليعدل عن التصريح إلىٰ التعريض.

الثاني- أنه أراد بذلك جماعة النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدنه لاستحسانهن له واستمالتهن لقلبه.

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- ما دعي إليه من الفاحشة إذا أضيف ذلك إلىٰ امرأة العزيز.

الثاني- استمالة قلبه إذا أضيف ذلك إلىٰ النسوة.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أتابعهن، قاله قتادة[(٣)].

---

(١) وهو الصواب.

(٢) وهي قراءة أبي الحويرث الحنفي، كما في تفسير الطبري (١٦/ ٨٤)(٤). وضبطها ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢١٩) فقال: "ما هذا بِشِرىً" بكسر الباء والشين مقصورة منونـًا. ونسبها لأبي بن كعب وأبي الجوزاء وأبي السّوّار.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٨٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٨).

الثاني- أميل إليهن، ومنه قول الشاعر[(١)]:

إلـــىٰ هنـــدٍ صَـــبَا قَلْبـــي ** وهنـــــدٌ مثلُهـــا يُصْـــبِي

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف:٣٥].

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ في الآيات التي رأوها وجهان:

أحدهما- قد القميص وحز الأيدي.

الثاني- ما ظهر لهم من عفته وجماله حتىٰ قلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ .

﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ فيه ثلاثة أوجه:.

أحدها- أن الحين هاهنا ستة أشهر، قاله سعيد بن جبير[(٢)].

الثاني- أنه سبع سنين، قاله عكرمة[(٣)].

الثالث- أنه زمان غير محدود، قاله كثير من المفسرين[(٤)].

وسبب حبسه بعد ظهور صِدْقه ما حكىٰ السدي أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني وقال إني راودته عن نفسه، فإما أن تطلقني حتىٰ أعتذر وإما أن تحبسه مثل ما حبستني، فحبسه[(٥)].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف:٣٦].

قوله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ قال ابن عباس:

---

(١) البيت ليزيد بن ضبعة الثقفي، كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١١)، وهو من غير نسبة في الطبري (١٦/ ٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤١) عن سعيد.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤١).

(٤) وصححه ابن الجوزي فقال (٤/ ٢٢٢): "وهذا هو الصحيح لأنهم لم يعزموا علىٰ حبسه مدة معلومة، وإنما ذكر المفسرون قدر ما لبث".

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٩٣).

كان أحدهما خازن الملك علىٰ طعامه، والآخر ساقي الملك علىٰ شرابه، وكان الملك وهو الملك الأكبر الوليد بن الريان قد اتهمهما بتهمة [(١)] فحبسهما، فحكىٰ مجاهد أنهما قالا ليوسف حين حُبسا معه: والله لقد أحببناك حين رأيناك، فقال يوسف: أنشدكما بالله أن أحببتماني فما أحبّني أحد إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحبني زوج [(٢)] صاحبي العزيز فدخل علي من حبها بلاء، ولا أريد أن يحبني إلا ربي [(٣)].

وقال ﴿فَتَيَانِۖ﴾ لأنهما كانا عبدين، والعبد يسمىٰ فتىٰ صغيراً كان أم كبيراً.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾

وسبب قولهما ذلك ما حكاه ابن جرير الطبري أنهما سألاه عن علمه[(٤)] فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما وفيها ثلاثة أوجه[(٥)]:

أحدها- أنها كانت رؤيا صدق رأياها[(٦)] وسألاه عنها قال مجاهد وابن إسحاق: كذلك صدق تأويلها. روىٰ محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا»[(٧)].

الثاني- أنها كانت رؤيا عجب كذب سألاه عنها تجربة، فلما أجابهما قالا: إنا كنا نلعب فقال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ وهذا معنىٰ قول ابن مسعود والسدي.

الثالث- أن المصلوب منهما كان كاذبًا، والآخر صادقًا، قاله أبو مجلز. وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ

---

(١) في (ق): "بسمه" والمثبت من الأصل (ك).

(٢) في (ق): "زوجة" وكلاهما صحيح.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩٦) عن مجاهد.

(٤) كذا في النسخ الخطية، وفي مختصر العز بن عبدالسلام لتفسير الماوردي بتحقيق: د. عبدالله الوهيبي (٢/ ١٢٠)، وفي تفسير الطبري (١٦/ ٩٥): "عن عمله" وتعبير الرؤيا من العلم وقد تكون من العمل.

(٥) انظرها في: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٢٢).

(٦) في الأصل (ك): "رآها".

(٧) جزء من حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرؤيا رقم (٢٢٦٣).

﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ أي عنباً. وفي تسميته خمراً وجهان:.

أحدهما- لأن عصيره يصير خمراً فعبر عنه بما يؤول إليه[(١)].

الثاني- أن أهل عُمان يسمون العنب خمراً، قاله الضحاك. وقرأ ابن مسعود: إني أراني أعصر عنباً[(٢)].

﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها- أنهم وصفوه بذلك لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع علىٰ من ضاق مكانه منهم، قاله الضحاك.

الثاني- معناه أنه كان يأمرهم بالصبر ويعدهم بالثواب والأجر.

الثالث- إنا نراك ممن أحسن العلم. حكاه ابن جرير الطبري[(٣)].

الرابع- أنه كان لا يرد عذر معتذر.

الخامس- أنه كان يقضي حق غيره ولا يقضي حق نفسه.

السادس- إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه، قاله ابن إسحاق.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف:٣٧-٣٨].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة قاله السدي.

---

(١) نسبه ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٢٣) لأكثر المفسرين.

(٢) ذكرها الطبري في تفسيره (١٦/ ٩٧) من رواية محمد بن الحنفية.

(٣) في تفسيره (١٦/ ١٠٠)، وهو قول الفراء في معاني القرآن (٢/ ٤٥)، وقد رجح الطبري القول الأول قول الضحاك. وانظر الأقوال في تفسير ابن الجوزي(٤/ ٢٢٣).

الثاني- لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكا بتأويله قبل أن يصل إليكما لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسىٰ، قاله الحسن.

الثالث- أن الملك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع لـه طعامـًا معروفـًا فأرسل بـه إليـه، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يحزنه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه، فلما ألحّ عليه عبرها، قاله ابن جريج[١]. وكذلك روىٰ ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأىٰ رؤيا فلا يقصها إلا علىٰ حبيب أو لبيب»[٢].

[١٩٤/ ب] ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ يعني تأويل الرؤيا[٣].

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وإنما عدل عن تأويل ما سألاه عنه لما كان فيها من الكراهة[٤]، وأخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون تنبيهـًا لهم علىٰ نبوته وحثـًا لهـم علىٰ طاعة الله.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء، وعلىٰ الناس أن بعثنا إليهم رسلاً.

ويحتمل وجهـًا [آخر][٥] ذلك من فضل الله علينا في أن برأنا من الزنىٰ، وعلىٰ الناس في أن خلصهم من مأثم القذف.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

---

(١) في الأصل (ك): "ابن جرير" والمثبت من (ق)، وهو الصواب كما في تفسير الطبري (١٦/ ١٠٢). وانظر: الدر المنثور (٤/ ٥٣٧)، وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه مطولاً رقم (٢٢٧٩).

(٣) ساقطة من الأصل (ك) وإثباتها من (ق).

(٤) في الأصل (ك) والمطبوعة: "الكرامة" وهو تحريف، والمثبت من (ق) وهو الصواب.

(٥) في الأصل (ك): "ثالثـًا". والكلام ساقط من (ق)، وأثبت الكلمة لتستقيم العبارة.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ فيه ثلاثة أوجه[١]:

أحدها- ذلك الدين المستقيم، قاله السدي.

الثاني- الحساب البيّن، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث- يعني القضاء الحق، قاله ابن عباس.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ [يوسف: ٤١].

قوله عز وجل: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ وهو الذي قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾، بشره بالنجاة وعوده إلىٰ سقي سيده خمرة لأنه كان ساقيه.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ وهو الذي قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ فأنذره بالهلكة وكان خباز الملك، قال ابن جرير[٢]: وكان اسمه مجلثًا، اسم الساقي نبواً. فلما سمع الهالك منهما تأويل رؤياه قال: إنا كنا نلعب.

قال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- قضي السؤال والجواب.

الثاني- سيقضىٰ تأويله ويقع.

فإن قيل: فكيف قطع بتأويل الرؤيا وهو غلبة ظن من طريق الاجتهاد الذي لا يقطع فيه؟ ففيه وجهان[٣]:

أحدهما- يجوز أن يكون قاله عن وحي من الله تعالىٰ.

الثاني- لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالىٰ وأجراه علىٰ لسانه، بخلاف من ليس بنبي.

---

(١) انظرها في: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٦).

(٢) في الأصل (ك): "ابن جريج"، والمثبت من (ق). وقد حكاه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٨) عن ابن إسحاق وفي (١٦/ ٩٤) عن مجاهد مطولاً.

(٣) انظر نحوهما في: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٢٦).

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- يعني للذي علم أنه ناج، فعبر عن العلم بالظن، قاله ابن شجرة.

الثاني- أنه ظن ذلك فيه من غير يقين.

وفي ظنه وجهان:

أحدهما- لأن عبارة الرؤيا بالظن فلذلك لم يقطع به، قاله قتادة.

الثاني- أنه لم يتيقن صدقهما في الرؤيا فكان الظن في الجواب لشكه في صدقها.

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ أي عند سيدك يعني الملك الأكبر الوليد بن الريان تأميلاً للخلاص إن[1] ذكره عنده.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتىٰ رأىٰ الملك الرؤيا، قاله محمد بن إسحاق[2].

الثاني- أن يوسف أنساه الشيطان ذكر الله تعالىٰ في الاستغاثة به[3]، والتعويل عليه.

رویٰ أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله يوسف لولا الكلمة التي[4] قال: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ ما لبث في السجن ما لبث»[5].

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال ابن عباس: عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين لما

---

(١) في الأصل (ك): "بان" والمثبت من (ق).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٢) مطولاً.

(٣) في الأصل و (ك): "إليه". والمثبت من (ق).

(٤) في الأصل (ك): "الذي".

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٤١) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه.

وفي "البضع" أربعة أقاويل[١]:

أحدها- من ثلاث إلىٰ سبع، وهذا قول أبي بكر الصديق وقطرب.

الثاني- من ثلاث إلىٰ تسع، قاله مجاهد والأصمعي.

الثالث- من ثلاث إلىٰ عشر، قاله ابن عباس.

الرابع- ما بين الثلاث إلىٰ الخمس، حكاه الزجاج[٢].

قال الفراء: والبضع لا يذكر إلا مع العشر والعشرين إلىٰ التسعين، ولا يذكر بعد المائة.

وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجونـًا ثلاثة أقاويل[٣]:

أحدها- سبع سنين، قاله ابن جريج وقتادة.

الثاني- أنه لبث اثنتي عشرة سنة، قاله ابن عباس.

[١٩٠/ أ] الثالث- لبث أربع عشرة سنة، قاله الضحاك، وإنما البضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله.

وقال وهب: حبس يوسف سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين.

قال الكلبي: حبس سبع سنين بعد الخمس السنين التي قال فيها: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٤)، وصوب أن البضع من الثلاث إلىٰ التسع إلىٰ العشر ولا يكون دون الثلاث، وكذلك ما زاد علىٰ العقد إلىٰ المائة. وما زاد علىٰ المائة فلا يكون فيه بضع. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٢٨) حيث ذكر تسعة أقوال.

(٢) حكاه الزجاج في معاني القرآن (٣/ ١١٢)، ورجح قول الأصمعي: "من ثلاث إلىٰ تسع".

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٤)، وابن الجوزي(٤/ ٢٢٨).

مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف:٤٣-٤٩].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ .. الآية. وهذه الرؤيا رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين:

أحدهما- أنها كانت سبباً لخلاص يوسف من سجنه.

الثاني- أنها كانت نذيراً بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عدته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ وذلك [١] أن الملك لما لم يعلم تأويل رؤياه نادي بها في قومه ليسمع بها من يكون عنده عِلْمٌ بتأويلها فيعبرها له.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ فيه أربعة [٢] أوجه:

أحدها- يعني أنه أخلاط أحلام، [قاله معمر وقتادة.

الثاني- ألوان أحلام، قاله الحسن.

الثالث- أهاويل أحلام] [٣] قاله مجاهد.

الرابع- أكاذيب أحلام، قاله الضحاك.

وفيه خامس: شبهة أحلام، قاله ابن عباس.

قال أبو عبيدة: الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا[٤]، ومنه قول الشاعر[٥]:

كضغث حلم غُرَّ منه حالمُه ** ....

وروى هشام عن ابن سيرين عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا تقارب الزمان لم تكد[٦] رؤيا

(١) في الأصل: "ولذلك".

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١٨/١٦).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك).

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١٢).

(٥) ذكره من غير نسبة أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٣٥)، والقرطبي في تفسير(٩/ ٢٠٠، ١١/ ٢٧٠).

(٦) في الأصل (ك): "تكن" والكلام ساقط من (ق). وهو جزء من حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا رقم (٢٢٦٣).

المؤمن تكذب».

وفي تقارب الزمان وجهان:

أحدهما- أنه استواء الليل والنهار لأنه وقت اعتدال تنفتق فيه الأنوار وتطلع فيه الثمار فكان أصدق الزمان في تعبير الرؤيا.

الثاني- أنه آخر الزمان وعند انتهاء أمده.

والأضغاث جمع واحده ضغث والضغث الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلىٰ بعض وقيل هو ما ملأ الكف، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾ [ص:٤٤] وقال ابن مقبل:

خَوْدٌ كأنَّ فِراشَها وُضِعَتْ بِه ** أَضْغَاثُ رِيْحانٍ غَداةَ شَمَالِ [(١)]

والأحلام جمع حلم، والحلم الرؤيا في النوم، وأصله الأناة، ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرىٰ في النوم حلم لأنها حال أناة وسكون.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ فدل ذلك علىٰ أنه ليس الأول من تأويل الرؤيا هو الحق المحكوم به لأن يوسف بعدهم تأولها بالحق[(٢)]، وإنما قال يوسف للغلامين: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ لأنه منه نذير نبوة. ويجوز أن يكون الله تعالىٰ صرف هؤلاء عن تفسير هذه الرؤيا لطفاً بيوسف ليتذكر الذي نجا منهما حاله فتدعوهم الحاجة إليه فتكون سبباً لخلاصه.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- بعد حين، قاله ابن عباس[(٣)].

الثاني- بعد نسيان، قاله عكرمة[(٤)].

---

(١) ديوانه (٢٦٠)، وذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٨)، والألوسي في روح المعاني (١٢/ ٢٥١) والخود: الفتاة الناعمة.

(٢) عبارة الأصل (ك): "فدل علىٰ أنه ليس التأويل الأول مما تتأول به الرؤيا هو الحق والمحكوم به كان يوسف عرفهم تأويلها بالحق" والمثبت من (ق) وهو أوضح.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٠) عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والسدي.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢١) من رواية عكرمة، وابن عباس، والضحاك، وقتادة، وهي علىٰ قراءة "بعد أَمَهٍ" =

الثالث- بعد أمة من الناس، قاله الحسن. [١]

قال الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم جمع له شمله فعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة.

وقرئ: (واذكر بعد أَمَةٍ) بفتح الألف وتخفيم الميم، والأمه: بالتخفيف النسيان[٢].

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ أي أخبركم بمن عنده علم تأويله ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ [٣].

قال ابن عباس: لم يكن السجن بالمدينة فانطلق إلىٰ يوسف حين أذن له وذلك بعد أربع سنين بعد فراقه.

قوله عز وجل: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا﴾ احتمل تسميته بالصديق وجهان:

أحدهما- لصدقه في تأويل رؤياهما.

الثاني- لعلمه بنبوته.

والفرق بين الصادق والصديق أن الصادق في قوله بلسانه، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلىٰ صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره، فصار كل صدّيق [١٩٥/ ب] صادقاً وليس كل صادق صديقاً.

﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ قال قتادة: هي السنون المخصبات.

﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ قال قتادة: هي السنون المجدبات.

﴿وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ والخضر الخصب لأن الأرض بنباتها خضراء، واليابسات هي الجدب لأن الأرض فيه يابسة، كما أن ماشية الخصب سمان، وماشية الجدب عجاف.

=

تقول العرب: أَمِه الرجل يأمَهُ أمَهاً إذا نسي.

(١) أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٦/ ١٢٢)، و مختصر ابن خالويه (٦٤).

(٣) في (ق) بدلاً عنها قوله: "ثم لم يذكره لهم".

﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي لكي أرجع إلىٰ الناس وهو الملك وقومه، ويحتمل أن يريد الملك وحده فعبر عنه بالناس تعظيماً له.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ لأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا، فلذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ يعني تأويلها. ولم يكن ذلك منه شكاً في علم يوسف؛ لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه، ولكن تخوف أحد أمرين إما أن تكون الرؤيا كاذبة، وإما ألا يصدقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر إلىٰ وقت العيان.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني تباعاً متوالية.

الثاني- يعني العادة المألوفة في الزراعة.

﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ يعني فيخرج من سنبله لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل، وهذا القول منه أمر، والأول خبر، ويجوز لكونه نبياً أن يأمر بالمصالح، ويجوز أن يكون القول الأول أمر وإن كان الأظهر منه أنه خبر.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ يعني المجدبات لشدتها علىٰ أهلها.

وحكىٰ زيد بن أسلم عن أبيه أن يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه إلىٰ رجل فيأكل نصفه ويدع نصفه، حتىٰ إذا كان يوماً قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم السبع الشداد[1].

﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ يعني تأكلون فيه ما ادخرتموه لهن.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- مما تدخرون، قاله قتادة.

الثاني- مما تخزنون في الحصون.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: إلا قليلاً ما تبذرون لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ فيه وجهان:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٤) رقم (١١٦٧٢).

أحدهما- يغاثون بنزول الغيث، قاله ابن عباس[(١)].

الثاني- يغاثون بالخصب، قاله ابن عيسىٰ[(٢)].

﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها- يعصرون العنب والزيتون من خصب الثمار، قاله مجاهد و قتادة.

الثاني- أي فيه يحلبون يعني المواشي من خصب المراعي، قاله ابن عباس[(٣)].

الثالث- يعصرون السحاب بنزول الغيث وكثرة المطر، من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا﴾ [النبأ: ١٤]. قاله عيسىٰ بن عمر الثقفي[(٤)].

الرابع- تنجون، مأخوذ من العُصْرة وهي النجاة، قاله أبو عبيدة[(٥)] والزجاج، ومنه قول الشاعر[(٦)]:

صادياً يستغيثُ غيرَ مغاثٍ ** ولقد كان عُصْرَة المنجودِ

الخامس- يحسنون ويفضلون، ومنه قول الشاعر[(٧)]:

لو كان في أملاكنا ملك ** يعصر فينا مثل ما تعصر

أي يحسن. وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلعه الله تعالىٰ عليه من آيات نبوته.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٨) عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد.

(٢) الخصب لا يكون إلا بعد نزول المطر والغيث.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٥) عن ابن عباس. وفي المطبوعة من تفسير الماوردي "يجلبون..." - بالجيم - وهو تصحيف.

(٤) وهو علىٰ قراءة "يُعْصرون" أي يمطرون. انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٤).

(٥) في الأصل (ك): "ابن عبيدة" وهو وهم، والمثبت من (ق). وانظر: مجاز القرآن (١/ ٣١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٤).

(٦) البيت لأبي زيد الطائي، يرثي أخاه اللجلاج، وقد مات عطشاً في طريق مكة. وهو في تفسير الطبري (١٦/ ١٣١)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٣)، وتفسير أبي المظفر السمعاني (٣/ ٣٧)، والقرطبي (٩/ ٢٠٥)، واللسان مادة: عصر.

(٧) البيت لطرفة، وهو في اللسان مادة: عصر.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥٠-٥٢].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ يعني يوسف ﷺ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني الملك.

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ وإنما توقف عن الخروج مع طول حبسه ليظهر للملك عذره قبل حضوره فلا يراه مذنباً ولا خائناً.

فروى أبو الزناد[1]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله يوسف إنه كان ذا أناةٍ لو كنت أنا المحبوس ثم أُرسل إلي خرجت سريعاً».

وفي سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز ثلاثة أوجه:

أحدها- أن في سؤاله عنها ظنَّةً ربما [2] صار بها متهماً[3].

والثاني- صيانة لها لأنها زوج الملك فلم يتبذلها بالذكر.

الثالث- أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها[4].

﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- معناه إن الله بكيدهن عليم.

الثاني- معناه أن سيدي الذي هو العزيز بكيدهن عليم.

---

(١) في الأصل: "فروى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة". والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٣٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٤٨) وزاد نسبته لابن مردويه، وهو ضعيف الإسناد لجهالة الرجل الذي حدث عن أبي الزناد، ومعناه صحيح ثابت بلفظ: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

(٢) في الأصل (ك): "بما".

(٣) في الأصل (ك): "متهوماً".

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٣٦).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ فهذا سؤال الملك قد تضمن تنزيه يوسف لما قد تخيله من صدقه لطفاً من الله تعالىٰ به حتىٰ لا تسرع واحدة منهن إلىٰ الكذب عليه.

[وفي قوله: ﴿رَٰوَدتُّنِى﴾ وإن كانت المراودة من إحداهن وجهان:

أحدهما- أن المراودة كانت من امرأة العزيز وحدها فجمعهن في الخطاب وإن توجه إليها دونهن احتشاماً لها.

الثاني[1]- أن المراودة من جميعهن. فامرأة العزيز تراوده لنفسها وسائر النسوة راودنه علىٰ طاعتها.][2].

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ﴾ فشهدن له بالبراءة من السوء علىٰ علمهن لأنها شهادة علىٰ نفي، ولو كانت شهادتهن علىٰ إثبات لشهدن قطعاً، وهكذا حكم الله عز وجل في الشهادات أن تكون علىٰ العلم في النفي، وعلىٰ القطع في الإثبات.

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ معناه الآن تبين الحق ووضح، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[3].

وأصله [مأخوذ][4] من قولهم حَصَّ شعره إذا استأصل قطعه فظهرت مواضعه، ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها. فمعنىٰ حصحص الحق أي انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه. وفيه زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق مثل - قوله: (كبوا، وكبكبوا) قاله الزجاج[5]. وقال الشاعر[6]:

ألا مبلـغ عنـي خداشـاً بأنـه ** كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وهذا القول منها وإن لم تسأل عنه إظهاراً لتوبتها

---

(١) سقط هذا الوجه من (ك).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٦).

(٤) زيادة من (ق).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ١٤٠).

(٦) ذكره من غير نسبة أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٨)، والشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣٤).

وتحقيق لصدق يوسف وبراءته[١]، لأن إقرار المقر علىٰ نفسه أقوىٰ من الشهادة عليه، فجمع الله تعالىٰ ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتىٰ لا يخامر نفسًا ظن ولا [يخالجها][٢] شك.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه قول امرأة العزيز عطفًا علىٰ ما تقدم، ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، يعني الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن[٣] الله لا يهدي كيد الخائنين، حكاه ابن عيسىٰ.

الثاني[٤]- أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه، ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والسدي[٥].

الثالث- أنه قول العزيز. ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، وأني لا أغفل عن مجازاته عن أمانته.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ معناه وأن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)﴾ [يوسف:٥٣-٥٥].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ﴾ فيه ثلاثة أوجه[٦]:

أحدها- أنه قول العزيز: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- لأمارة بسوء الظن.

الثاني- بالاتهام عند الارتياب.

---

(١) في (ق): "ونزاهته".

(٢) زيادة من (ق).

(٣) في الأصل: "وأن الله...".

(٤) سقط الوجه الثاني من (ك)، وسقط الوجه الثالث من (ق، ك) وإثباته من الأصل.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٤٠)، وابن الجوزي (٤/ ٢٣٨).

(٦) في (ق): "وجهان" بسقوط الأول ومتعلقاته، وسوف تأتي بقية الأقوال لاحقًا.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- إلا ما[1] رحم ربي أن كفاه سوء الظن.

الثاني- أن ينبه حتىٰ لا[2] يعجل. فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز.

الثاني- أنه قول امرأة العزيز وما أبرئ نفسي أن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة علىٰ السوء إذا غلبت الشهوة عليها.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- إلا ما رحم ربي من نزع شهواته منه.

الثاني- إلا من رحم ربي في قهره لشهوة نفسه، وهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز.

الثالث- أنه من قول يوسف، واختلف قائلو هذا في سببه علىٰ أربعة أقاويل[3]:

أحدها- أن يوسف لما قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل[4]؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، قاله السدي.

الثاني- أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ قاله ابن عباس.

الثالث- أن الملك الذي مع يوسف قال له: أذكر ما هممت به، فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ قال قتادة.

الرابع- أن يوسف لما قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ كره نبي الله أن يكون قد زكىٰ نفسه فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، قاله الحسن.

يحتمل قوله: ﴿لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وجهين:

---

(١) في الأصل: "من" والمثبت من (ك).

(٢) في الأصل و (ك): "لم".

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٤٣-١٤٦).

(٤) راجع تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾.

أحدهما- يعني أنها مائلة إلىٰ الهوىٰ بالأمر بالسوء.

الثاني- أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزمًا أفضت إلىٰ سوء.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ وهذا قول الملك الأكبر لما علم أمانة يوسف اختاره ليستخلصه لنفسه في خاص خدمته.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ لأنه استدل بكلامه علىٰ عقله، وبعفته علىٰ[1] أمانته فقال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ وهذه منزلة العاقل العفيف.

وفي قوله ﴿مَكِينٌ﴾ وجهان:

أحدهما- وجيه، قاله مقاتل[2].

الثاني- متمكن في المنزلة الرفيعة.

وفي قوله ﴿أَمِينٌ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه بمعنىٰ آمن لا تخاف العواقب، قاله ابن شجرة.

الثاني- أنه بمعنىٰ مأمون ثقة، قاله ابن عيسىٰ.

الثالث- حافظ، قاله مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي علىٰ خزائن أرضك، فيها قولان:

أحدهما- هو قول بعض المتعمقة أن[3] الخزائن ها هنا الرجال، لأن الأفعال والأقوال مخزونة فيهم فصاروا خزائن لها[4].

أما الثاني- وهو قول أصحاب الظاهر أنها خزائن الأموال، وفيها قولان:

أحدهما- أنه سأله جميع الخزائن، قاله ابن زيد[5].

---

(١) في الأصل (ك): "قال" وقد سقط من (ق)، والمثبت هو مقتضىٰ السياق.

(٢) قال السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٠): "والمكانة هي الجاه والحشمة والدرجة الرفيعة. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٤٣).

(٣) في الأصل و (ك): "لأن".

(٤) المتعمقة هم أهل الباطن، ولا دليل علىٰ مثل هذا القول.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٤٩) مطولاً، وقد سقط من مطبوعة تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٠)، وتداخل مع =

الثاني- أنه سأله خزائن الطعام، قاله شيبة بن نعامة الضبي[(١)].

وفي هذا دليل[(٢)] علىٰ جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم.

فيما حكىٰ ابن سيرين عن أبي هريرة قال: نزعني عمر بن الخطاب ﷺ عن عمل البحرين ثم دعاني إليها فأبيت، قال: ولم ؟ وقد سأل يوسف العمل[(٣)].

فإن كان المولي ظالمـًا فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله علىٰ قولين:

أحدهما- جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده، لأن يوسف ﷺ ولي من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره.

الثاني- أنه لا يجوز ذلك له لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم بتنفيذ أعمالهم.

فأجاب من ذهب إلىٰ هذا القول عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين:

أحدهما- أن فرعون يوسف كان صالحـًا، وأما الطاغي فرعون موسي.

الثاني- أنه نظر له في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه.

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها- ما يجوز لأهله فعله [١٩٧/ أ] من غير اجتهاد في تنفيذه[(٤)]، كالصدقات والزكوات فيجوز توليته من جهة الظالمين؛ لأن النص علىٰ مستحقيه قد أغنىٰ عن الاجتهاد فيه، وجواز تفرد أربابه [به] [(٥)] قد أغنىٰ عن التقليد.

والقسم الثاني- ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الاجتهاد في مصرفه كأموال الفيء فلا يجوز

=

قول شيبة الضبي، وهو في المخطوطة (٢٢٣ق).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٤٩)، وانظر الدر المنثور (٤/ ٥٥٢).

(٢) في الأصل و (ك): "تأويل" وهو تحريف والمثبت من (ق).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٥١) وزاد نسبته للحاكم، وزاد فيه: "... وكان خيراً منك، فقلت: إن يوسف ﷺ : نبي ابن نبي، ابن نبي، ابن نبي، وأنا أبن أميمة وأنا أخاف أن أقول بغير حلم، وأن أفتي بغير علم، وأن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، ويؤخذ مالي ".

(٤) في الأصل و (ك): "تقييده" والمثبت من (ق).

(٥) زيادة من (ق).

توليه من جهة الظالم لأنه يتصرف فيه بغير حق ويجتهد فيما لا يستحق.

والقسم الثالث- ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام، فعقد التقليد محلول يجوز، فإن كان النظر تنفيذاً للحكم بين متراضيين أو توسطة بين مجبورين جاز، وإن كان إلزام إجبار لم يجز.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- حفيظ لما استودعتني، عليم بما وليتني، قاله ابن زيد.

الثاني- حفيظ للحساب، عليم بالألسن، قاله الأشجعي عن سفيان[1].

[2] الثالث- حفيظ بالكتاب، عليم بالحساب، حكاه ابن سراقة، وأنه أول من كتب في القراطيس.

الرابع- حفيظ لما[3] وليتني، قاله قتادة، عليم بسني المجاعة [4]، قاله شيبة الضبي[5].

وفي هذا دليل علىٰ أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، وليس هذا علىٰ الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب[6]، وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو تنزه الفاضل عن ذلك لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ

---

(١) في الأصل و (ك): "قاله الأشجع بن سفيان". وفي (ق): "الأشجع عن سفيان". - وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦٠) برقم (١١٧١٨) بسنده عن الأشجعي عن سفيان. وأخرجه الطبري (١٦/ ١٥٠) عن الأشجعي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٥٢) عنهما، ونسبه ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٤٣) للسدي.

(٢) هذا القول وما بعده ساقط من (ق).

(٣) في الأصل و (ك): "بما".

(٤) في الأصل و (ك): "المباعة" وهو تحريف.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٠)، قال أبو حبان في البحر المحيط (٥/ ٣١٩): "وهذا التخصيص لا وجه له".

(٦) في (ك): "أو مكسب".

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف:٥٦-٥٧].

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن جرير الطبري: استخلصه الملك الأكبر الوليد بن الريان على[1] عمل إظيفير وعزله[2].

قال[3] مجاهد: وأسلم على يده. قال ابن عباس: ملك بعد سنة ونصف. فروى مقاتل أن النبي ﷺ: قال: «لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك في وقته ذلك»[4].

ثم مات إظيفير فزوّجه الملك بامرأة إظيفير راعيل، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء وولدت ولدين أفرائيم و ميشا[5] ابني يوسف[6].

[ومن زعم أنها زليخا قال لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً، والحمد لله الذي جعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فضمها إليه فكانت في عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها.][7].

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ فيه وجهان[8]:

أحدهما- يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، قاله سعيد بن الجبير.

الثاني- يصنع في الدنيا ما يشاء لتفويض الأمور إليه، قاله عبدالرحمن بن زيد.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ يعني في الدنيا، والرحمة: النعمة.

---

(١) في الأصل و (ك): "عن" والمثبت من (ق) ومختصر تفسير الماوردي للعز بن عبدالسلام (٢/ ١٢٧).

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١٠١) عن ابن إسحاق في خبر طويل.

(٣) في الأصل و (ك): "قاله مجاهد" والمثبت من (ق) وتفسير الطبري (١٦/ ١٥٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٤٣) وهو خبر مرسل.

(٥) في (ق): "وميشيا".

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦١) في خبر طويل.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق)، وقد وقع الناسخ في تكرار بعض عباراته في الأصل و (ك). وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٥٣) عن وهب بن منبه في خبر طويل أخرجه الحكيم الترمذي، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦١) بعضه عن الفضيل بن عياض. وهذه التفصيلات لم تثبت بخبر صحيح.

(٨) أخرجهما ابن أبي حاتم في تفسيره(٧/ ٢١٦١).

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعني في الآخرة بالجزاء. ومنهم من حملها على الدنيا، ومنهم من حملها على الآخرة، والأصح ما قدمناه.

واختلف فيما أوتيه يوسف من هذه الحال على قولين:

أحدهما- ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه.

الثاني- أنه أنعم بذلك عليه تفضلاً منه، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من أجر الدنيا، لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا ينقطع.

والثاني- ولأجر الآخرة خير ليوسف من التشاغل بملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف:٥٨-٦٢].

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ ..الآية. قال ابن إسحاق والسدي: وإنما جاءوا ليمتاروا من مصر في سني القحط التي ذكرها يوسف في تفسير الرؤيا، ودخلوا على يوسف لأنه كان هو الذي يتولى بيع الطعام لعزته[1].

﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف، قاله ابن عباس.

الثاني- ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم، قاله الحسن[2].

وقيل بل عرفهم بلسانهم العبراني حين تكلموا به.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٣).

قال ابن عباس: إنها سميت عبرانية لأن إبراهيم عليه السلام عبر بهم فلسطين فنزل من وراء نهر الأردن فسمّوا العبرانية.

﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لأنه فارقوه صغيراً فكبر، وفقيراً فاستغنىٰ، وباعوه عبداً فصار ملكـًا، فلذلك أنكروه، ولم يتعرف إليهم ليعرفوه.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وذلك أنه كال لهم الطعام، قاله ابن إسحاق: وحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدَّتهم[١].

﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم [٢] مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ قال قتادىٰ: يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه.

قال السدي: أدخلهم الدار وقال: قد استربت بكم - تنكراً عليهم - فأخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيونـًا، فذكروا له حالهم وحال أبيهم وحال يوسف وحال أخيه، وتخلفه مع أبيه قال: إن كنتم صادقين فأتوني بهذا الأخ الذي ذكرتم من أبيكم، وأظهر لهم[٣] أنه يريد أن يستبرئ به أحوالهم. وقيل: بل وصفوا له أنه أَحَبُّ إلىٰ أبيهم منهم، فأظهر لهم محبة رؤيته.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أنه أرخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل.

الثاني- أنه كال لهم بمكيال واف.

﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني خير المضيفين[٤]، قاله مجاهد.

الثاني- وهو محتمل، خير من نزلتم عليه من المأمونين.

فهو علىٰ التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعام، وعلىٰ التأويل الثاني مأخوذ من المنزل وهو الدار.

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٦/ ١٥٢) في خبر طويل.

(٢) لم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم. انظر: روح المعاني (١٣/ ٨).

(٣) في الأصل و (ك): "لكم".

(٤) في الأصل و (ك): "المضيقين" وهو تصحيف. وانظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٥).

قوله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى ﴾ يعني فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال.

﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ أي لا أنزلكم[١] عندي[٢] منزلة القريب ولم يُرد أن يبعدوا منه ولا يعودوا إليه لأنه على العود حثهم.

قال السدي: وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا، فارتهن شمعون عنده. قال الكلبي: إنما اختار شمعون منهم لأنه يوم الجُبّ كان أجملهم قولاً وأحسنهم رأياً.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ والمراودة الاجتهاد في الطلب، مأخوذ من الإرادة.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- وإنا لفاعلون مراودة أبيه وطلبه منه.

الثاني- وإنا لفاعلون للعود إليه بأخيهم، قاله ابن إسحاق.

فإن قيل: فكيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟.

قيل عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها- يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليُعظم له الثواب فاّتبع أمره فيه[٣].

الثاني- يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينتبه يعقوب على حال يوسف.

الثالث- لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.

الرابع- ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ[٥] ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ ﴾ " وقرأ حمزة والكسائي وحفص:

(١) في الأصل و (ك): "لا نزلكم".
(٢) في (ق): "مني".
(٣) استظهره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٤٨) فقال: وهذا الأظهر.
(٤) قال ابن الجوزي عن هذه الأقوال (٤/ ٢٤٩): وكل هذه الأجوبة مدخولة إلا الأول فإنه صحيح.
(٥) كذا في المخطوطات، وهي قراءة ابن كثير، ونافع وأبي عمر، وأبي بكر عن عاصم وبها تستقيم عبارة المؤلف.
=

(لفتيانه) وفيهم قولان:

أحدهما- أنهم غلمانه، قاله قتادة.

الثاني- أنهم الذين كالوا لهم الطعام، قال السدي.

وفي بضاعتهم قولان[(١)]:

أحدهما- أنها وَرِقهم التي ابتاعوا الطعام بها.

[الثاني- أنها كانت ثمانية جُرُب[(٢)] فيها سويق المقل، قاله الضحاك.

وقال بعض العلماء: نبه الله تعالىٰ برد بضاعتهم إليهم علىٰ أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يثابون إليه من الطاعات ويعاقبون عليه من المعاصي][(٣)].

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي ليعرفوها.

﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ يعني رجعوا إلىٰ أهلهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

فإن قيل: فلم فعل [يوسف][(٤)] ذلك.

قيل: يحتمل أوجه خمسة[(٥)]:

أحدها- ترغيباً لهم ليرجعوا، علىٰ ما صرّح به.

الثاني- أنه علم منهم أنهم لا يستحلّون إمساكها، وأنهم يرجعون لتعريفها.

الثالث- ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعاً في أموالهم.

الرابع- أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذي نزل به.

=

انظر: السبعة في القراءات (٣٤٩) وتفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٤٩).

(١) في (ق): "قول واحد من الأول".

(٢) في الأصل و(ك): "جوب" وهو تحريف.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) زيادة من (ق).

(٥) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٦/ ١٥٧) وابن الجوزي (٤/ ٢٤٩).

الخامس- أنه تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف:٦٣-٦٤].

[قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ﴾ واختلفوا في نزلهم الذي رجعوا إليه إلىٰ أبيهم علىٰ قولين:

أحدهما- بالعربات[1] من أرض فلسطين.

الثاني- بالأوج من ناحية الشعب أسفل من حِسْمي[2]. وكانوا باديتها أهل شاء وإبل][3].

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ أي سنمنع من الكيل إن عدنا بغير أخينا لأن ملك مصر ألزمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا[4] فيه.

﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ أي إن أرسلته معنا أمكننا أن نعود إليه ونكتال منه.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ترغيبًا له في إرساله معهم.

فلم يثق بذلك منهم لما كان منهم في يوسف.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ﴾ لأنهم ضمنوا له حفظ يوسف فأضاعوه، فلم يثق بهم فيها ضمنوه.

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿حَٰفِظٗاۖ﴾ يعني منكم لأخيكم[5].

(١) في الأصل و (ك): "القريات". والمثبت من مختصر تفسير الماوردي (٢/ ١٩٢)، وهو واد في فلسطين.

(٢) في الأصل و (ك): "حسو" وهي كذلك في مخطوطة تفسير الطبري كما أشار إلىٰ ذلك المحقق محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٦/ ١٥٩). والمثبت من تفسير الطبري (١٦/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٥) كلاهما من رواية ابن إسحاق. وانظر: معجم ما استعجم للبكري (١/ ٦٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٥٦) عن ابن أبي حاتم إلا أنه قال: "... وما كان صاحب بادية له بها شاء وإبل" وهو وهم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٤) في الأصل و (ك): "منه" والمثبت من (ق).

(٥) والقراءة الأخرىٰ: (حفظًا). أي خير حفظًا من حفظكم. وهي قراءة ابن كثير، ونافع وأبي عمرو، وابن عامر.

=

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- أرحم الراحمين في حفظ من [(١)] استودع.

الثاني- أرحم الراحمين فيما يرىٰ من حزني.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٥-٦٦].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ ..الآية أي وجدوا بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذي امتاروه.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ فيه وجهان:.

أحدها- أنه علىٰ وجه الاستفهام بمعنىٰ ما نبغي بعد هذا الذي قد عاملنا به، قاله قتادة[(٢)] .

الثاني- معناه ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملك، حكاه ابن عيسىٰ.

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ احتمل أن يكون قولهم ذلك [له] [(٣)] تعريفاً[(٤)] واحتمل أن يكون ترغيباً، وهو أظهر الاحتمالين.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نأتيهم بالميرة، وهي الطعام المقتات، ومنه قول الشاعر:

بعثتك مائراً فمكثت حولاً ** متىٰ يأتي غياثك من تغيث [(٥)]

وهذا ترغيب محض ليعقوب.

=

انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٥١).

(١) في (ق): "ما".

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٦) ، وقيل إن ما نافيه والمعنىٰ ما نبغي منك شيئاً بل تكفينا هذه البضاعة للرجوع إليه. وانظر: ابن الجوزي (٤/ ٢٥٢).

(٣) زيادة من (ق).

(٤) في الأصل و (ك): "تعرفا" والمثبت من (ق).

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ١٦٢) من غير نسبة.

﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ وهذا استنزال.

﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ وهو ترغيب وفيه وجهان:

أحدهما- كيل البعير الذي يحمل عليه أخانا.

والثاني- كيل بعير هو نصيب أخينا لأن يوسف قد كان قسّط الطعام بين الناس فلا يعطي الواحد أكثر من بعير.

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أن[1] الذي جئناك به كيل يسير لا ينفعنا.

الثاني- أن ما نريده يسير علىٰ من يكيل لنا، قاله الحسن[2]. فيكون علىٰ الوجه الأول استعطافًا، وعلىٰ الثاني تسهيلاً.

وفي هذا القول منهم وفاءً ليوسف فيها بذلوه من مراودة أبيهم في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيبًا واستنزالاً واستعطافًا وتسهيلاً.

قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في هذا الموثق ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه إشهادهم الله علىٰ أنفسهم.

الثاني- أنه حلفهم بالله، قاله السدي.

الثالث- أنه كفيل يتكفل بهم[3].

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ فيه وجهان[4]:

أحدهما- يعني إلا أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد.

الثاني- إلا تُغلَبوا علىٰ أمركم، قاله قتادة.

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ

---

(١) في الأصل و (ك): " أنه".

(٢) وهو قول الزجاج (٣/ ١٩٩)، وانظر: ابن الجوزي (٤/ ٢٥٣).

(٣) انظر الأقوال في تفسير ابن الجوزي(٤/ ٢٥٣).

(٤) انظر الأقوال في تفسير ابن الجوزي(٤/ ٢٥٣).

ﭐلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف:٦٧-٦٨].

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾ يعني لا تدخلوا مصر من باب واحد، وفيه وجهان:

أحدها- يعني من باب [واحد][(١)] من أبوابها. ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾، قاله الجمهور[(٢)].

الثاني- من طريق واحد من طرقها ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ أي طرق، قاله السدي[(٣)].

وفيما خاف عليهم أن يدخلوا من باب واحد قولان[(٤)]:

أحدهما- أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي صور وجمال، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني- أنه خاف عليهم الملك أن يرىٰ عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسداً

أو حذراً، قاله بعض المتأخرين..

وما ﴿أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ ﴾ أي من شيء أحذره عليكم فأشار عليهم في الأول، وفوض إلىٰ الله في الآخر.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾ أي لا يرد حذر المخلوق قضاء الخالق.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ ﴾ وهو حذر المشفق وسكون نفسه بالوصية أن يتفرقوا خشية العين.

[﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(١) زيادة من (ق).

(٢) وكان لمصر أربعة أبواب. انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٨).

(٤) انظر الأقوال في تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٥٤)، والأول منها في تفسير الطبري (١٦/ ١٦٥).

أحدها- إنه العامل بما علم، قاله قتادة.

الثاني- لمتيقن بوعدنا، وهو معنىٰ قول الضحاك.

الثالث- إنه لحافظ لوصيتنا، وهو معنىٰ قول الكلبي:][1] .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يوسف:٦٩].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ قال قتادة: ضمّهُ إليه وأنزله معه[2].

﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ فيه وجهان[3]:

أحدهما- أنه أخبره أنه يوسف أخوه، قاله ابن إسحاق.

الثاني- أنه قال [له][4] أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ فيه وجهان[5]:

أحدهما- فلا تيأس، قاله ابن بحر.

الثاني- فلا تحزن بما كانوا يعملون.

وفيه وجهان:

أحدهما- بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك.

الثاني- باستبدادهم دونك بمال أبيك.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق)، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٥٥) فقد ذكر سبعة أقوال في الآية.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٠).

(٣) أخرجهما الطبري في تفسيره (١٦/ ١٦٩-١٧٠) بأطول مما هنا.

(٤) "له" زيادة من (ق).

(٥) في (ق): فلا تحزن.

زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ [يوسف:٧٠-٧٢].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وهو كيل الطعام لهم بعد إكرامهم وإعطائه بعيراً لأخيهم مثل ما أعطاهم.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ والسقاية والصواع واحد. قال ابن عباس وكل شيء يشرب فيه فهو صواع، قال الشاعر:

نشرب الخمر بالصواع جهاراً ** وترىٰ المتك بيننا مستعارا[1]

قال قتادة: وكان إناء الملك الذي يشرب فيه.

واختلف في جنسه، فقال عكرمة كان من فضة، وقال عبدالرحمن بن زيد: كان من ذهب، وبه كال طعامهم مبالغة في إكرامهم.

وقال السدي: هو المكوك العادي الذي يلتقي طرفاه.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ أي نادىٰ مناد فسمىٰ النداء أذاناً لأنه إعلام كالأذان.

وفي ﴿ٱلْعِيرُ﴾ وجهان:

أحدهما- أنها الرفقة.

الثاني- أنها الأبل المرحولة المركوبة، قاله أبو عبيدة[2].

فإن قيل: فكيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليُسَرِّقهم وهم برآء، وهذه معصية ؟

قيل عن هذه أربعة أجوبة:

أحدها- أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف.

الثاني- أن المنادي الذي كال حين فقد السقاية ظن أنهم قد سرقوها ولم يعلم بما فعل يوسف، فلم يكن بما فعل عاصياً.

الثالث- أن النداء كان بأمر يوسف، وعنىٰ بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه، فذلك صدق.

---

(١) تقدم عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٢٥٧)، ولم أقف عليه في مظنه من مجاز القرآن لأبي عبيدة.

الرابع- أنها كانت خطيئة من فعل يوسف فعاقبه[1] الله عليها بأن قال القوم: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يعنون يوسف. وذهب بعض من يقول بغوامض المعاني إلىٰ أن معنىٰ قوله: ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ أي لعاقون لأبيكم في أمر أخيكم حيث أخذتموه منه وختنتموه فيه.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴾ لأنهم استنكروا ما قذفوا به مع ثقتهم بأنفسهم فاستفهموا استفهام المبهوت[2] .

﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ والصواع [3] واحد وحكىٰ غالب الليثي عن يحيىٰ بن يعمر أنه كان يقرأ صوغ الملك بالغين معجمة، مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب وقيل من نحاس[4].

[واختلفوا [١٩٩/ أ] فيه علىٰ قولين:

أحدهما- أنه كان مشربة الملك الذي يشرب فيه.

الثاني- أنه كان كالمكوك يستعمل في المكيل][5].

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ وهذه جعالة بذلت للواجد.

وفي حمل البعير وجهان:

أحدهما- حمل جمل، وهو قول الجمهور.

الثاني- حمل حمار، وهي لغة، قاله مجاهد[6].

---

(١) جاء في (ق) تعليقًا علىٰ هذا القول حاشية تقول: "حاشاه من الخطيئة وحاشا أن الله يعاقب نبيه ﷺ وهذا اللفظ فيه خشونة". وقد ذكر هذا القول النحاس في معاني القرآن (٣/ ٤٤٦) عن بعض أهل التأويل. وقد استظهر أبو حيان في البحر (٥/ ٣٢٩) أن ذلك بوحي من الله.. قال: ويقويه قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ .

(٢) في الأصل (ك): مبهوت.

(٣) وجاء عبارة الأصل (ك) مضطربة. هكذا: "والصواع الصياع من الصياغة لأنه مصنوع من فضة و قيل من ذهب، وقيل من نحاس".

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٣) بسنده، وانظر القراءة في تفسير الطبري (١٦/ ١٧٥). والمختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (٦٤).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٧) ، وابن أبي حاتم(٧/ ٢١٧٣). وتعقب النحاس هذا بقوله في معاني القرآن =

واختلف في هذا البذل علىٰ قولين:

أحدهما- أن المنادي بذله عن نفسه لأنه قال: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي كفيل ضامن.

فإن قيل: فكيف ضمن حمل بعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح ؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما- أن حمل البعير قد كان عندهم معلومـًا كالوسق[1] فصح ضمانه.

الثاني- أنها جعالة وقد أجاز بعض الفقهاء فيها، ما لم يجزه في غيرها كما أجاز فيها ضمان ما لم يلزم، وإن منع منه في غيرها.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:٧٤-٧٦].

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لنسرق، لأن السرقة من الفساد في الأرض. [ويحتمل وجه آخر، وهو أن يريد بهذا الفساد قطع سبل المعروف لأنهم نسبوا إلىٰ المكافأة علىٰ الإحسان بالإساءة. وقد ذكروا السرقة بعدها فاقتضىٰ أن يعود الفساد إلىٰ غيرها][2]. وإنما قالوا ذلك لهم ونسبوه إلىٰ علمهم لأنهم قد كانوا عرفوهم بالصلاح والعفاف. وقيل لأنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ومن يؤد الأمانة في غائب لا يقدم علىٰ سرقة مال حاضر.

﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ يحتمل وجهين:

=

(٣/ ٤٤١): "... فأما أهل اللغة فلا يعرفون أنه يقال للحمار بعير. والله أعلم بما أراد".

(١) في (ق): "كالسوق" وهو تحريف.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق) وإثباته من الأصل و (ك).

أحدهما- ما كنا سارقين من غيركم فنسرق منكم.

الثاني- ما كنا سارقين لأمانتكم [(١)] فنسرق غير أمانتكم، وهذا أشبه لأنهم أضافوا ذلك إلىٰ علمهم.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ أي ما عقوبة من سرق منكم إن كنتم كاذبين في أنكم لم تسرقوا منا.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ ﴾ أي جزاء من سرق أن يُسترق.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كذلك نفعل بالظالمين إذا سرقوا أن يسترقوا وكان هذا من دين يعقوب.

﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لتزول الريبة من قلوبهم إن بدأ بوعاء أخيه.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ ﴾ في تأنيث استخرجها ثلاثة أوجه[(٢)]:

أحدها- أنه عني السقاية فلذلك أنّث.

الثاني- عنىٰ الصاع، وهو يذكر ويؤنث في قول الزجاج[(٣)].

الثالث- عنىٰ السرقة فلذلك أنّث.

﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ ﴾ [فيه ثلاثة أوجه[(٤)]:

أحدهما- صنعنا ليوسف، قاله الضحاك.

والثاني- دبرنا ليوسف،] [(٥)] قاله ابن قتيبة وابن عيسىٰ[(٦)].

---

(١) في الأصل و (ك): "لامانيكم ننسرق غير أمانيكم" وهو تصحيف والمثبت من (ق).

(٢) في (ق) ذكر الوجهين الأولين فقط.

(٣) في معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٢٢): "قال رجع بالتأنيث علىٰ السقاية ويجوز أن يكون أنث الصواع".

(٤) في (ق): وجهان.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و (ك)، وإثباته من (ق).

(٦) في غريب القرآن لابن قتيبة (٢٢٠): أي احتلنا له، والكيد الحيلة.

الثالث- أردنا ليوسف، قاله ابن الأنباري، وأنشد قول الشاعر:

كــادت وكــدت وتلــك خيــر إرادة ** لـو عـاد مـن لهـو الصبابة مـا مضـىٰ [(١)]

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- في سلطان الملك، قاله ابن عباس.

والثاني- في قضاء الملك،] [(٢)] قاله قتادة.

والثالث- في عادة الملك، قال ابن عيسىٰ: ولـم يكـن في ديـن الملـك اسـترقاق مـن سـرق. قـال الضحاك: وإنما كان يضاعف عليه الغرم[(٣)].

﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- إلا أن يشاء الله أن يُسْتَرق من سرق.

الثاني- إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل.

[(٤)]﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ فيه خمسة أوجه[(٥)]:

أحدها- بالتقوىٰ.

الثاني- بإجابة الدعاء.

الثالث- بمكايدة النفس وقهر الشهوة.

الرابع- بالتوفيق والعصمة.

الخامس- بالعمل، قاله زيد بن أسلم[(٦)].

---

(١) ذكره من غير نسبة أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٣/ ٥٢)، وصـاحب اللسـان مـن إنشـاد الأخفـش مـادة: كـود وكيـد (١٣/ ١٨٣، ٢٠٠)، وذكره ابن جني في المحتسب (٢/ ٣١).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و (ك) وإثباته من (ق).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٦).

(٤) من هنا إلىٰ قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ﴾ ساقط من المطبوعة بتمامه.

(٥) في (ق): "قال زيد بن أسلم في الدنيا بالعلم".

(٦) كذا هنا. وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٧) قول زيد بن أسلم بقولـه: "إنـه العلـم يرفـع الله مـن يشـاء بـه في الدنيا" وهو بمعنىٰ عبارة نسخة (ق) غير أن كلام المؤلف لاحقًا لا يدل علىٰ تحريف اللفظة. والله أعلم.

ويحتمل سادسـًا: برفعها بـالعلم لتفاضـلهم فيـه. وهـو أشـبه لأنـه قـال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي فوق كل عالم من هو أعلم منه حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ الله تعالىٰ. قال ذلك قتادة.

وقال عكرمة: علم الله فوق كل ذي علم[(١)].

[وقرأ ابن مسعود: وفوق كل عالم عليم[(٢)].

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها- أنه أراد أن يوسف أعلم من إخوته. وفوق يوسف من هو أعلم منه.

الثاني- أنه أراد تعظيم العلم عن أن يحاط به.

الثالث- أنه أراد أن يستصغر العالم نفسه، ولا يعجب بعلمه.][(٣)]

فـإن قيـل: فلـم عـرض أخـاه بمـا يصـير [١٩٩/ ب] بـه متهمـًا بالسـرقة ؟ قيـل عـن هـذا أربعة [(٤)] أجوبة:

أحدها- أنه أراد أن ينتزعه منهم بواجب عندهم فلم يجد لذلك سبيلاً غير ما صنع.

الثاني- أن أخاه قد كان يعلم بالحال فلم يقع ذلك منه موقعـًا مؤلمـًا ولـم يكـن علىٰ يوسف في ذلك حرج.

الثالث- أنه لما كان في جعل بضاعتهم في رحالهم وهم لا يعلمون تنبيهـًا علىٰ أنـه قـد يجوز أن يجعل الصواع في رحل أخيهم وهم لا يعلمون جعل له مخرجـًا من هذه التهمة فزال عنه الحرج.

الرابع- أنه أشار به إلىٰ سرقة قد كانت متقدمة خرج بالإشارة إليها من الحرج.

﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف:٧٧].

---

(١) انظر: قول قتادة وعكرمة في تفسير الطبري (١٦/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٧).

(٢) أخرجها الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٢)، وفي مختصر ابن خالويه (٦٥) عن ابن مسعود: (وفوق كل ذي علم عالم). وانظر: البحر المحيط (٥/ ٣٣٤-٣٣٥).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ق).

(٤) في (ق): ثلاثة أجوبة، بسقوط الرابع.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ يعنون يوسف. وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما- أنها عقوبة ليوسف أجراها الله تعالىٰ علىٰ ألسنتهم، قاله عكرمة.

والثاني- ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن سرق فقد جذبه عِرق أخيه السارق؛ لأن الاشتراك في الأنساب يشاكل[1] في الأخلاق.

وفي السرقة التي نسبوها [2] إلىٰ يوسف خمسة أقاويل:

أحدها- أنه سرق صنماً كان لجده أبي أمه من فضة وذهب، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه به، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

الثاني- كان مع إخوته علىٰ طعام فنظر إلىٰ عرق فخبأه، فعيَروه بذلك، قاله عطية العوفي.

الثالث- أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين، حكاه ابن عيسىٰ.

الرابع- أن عمته وكانت أكبر ولد إسحاق وإليها صارت مِنْطَقة إسحاق لأنها كانت في الكبر من ولده، وكانت تكفل يوسف، فلما أراد يعقوب أخذه منها جعلت المنطقة في قميص يوسف وهو لا يعلم بها وأبعدته ثم أظهرت ضياع المنطقة واتهمته فأخذتها منه، فصارت في حكمهم أحق به، فكان ذلك منها لشدة ميلها وحبها له، قاله مجاهد.

الخامس- أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن[3] .

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه أسر في نفسه قولهم: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ ، قاله ابن شجرة وعلي بن عيسىٰ.

---

(١) في (ق): " تشاكلا ".

(٢) في (ق): "نسبوا يوسف إليها".

(٣) انظر تفسير الطبري (١٦/ ١٩٥) ، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٧) ، و تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٦٣) ، وانظر: تفسير ابن عطية (٩/ ٣٤٧) ، وهذه التفصيلات تحتاج إلىٰ روايات صحيحة ثابتة، ولعل أقربها قول الحسن أرادوا دفع المعرة عن أنفسهم. وقد فعلوا أكبر من ذلك. والله أعلم.

الثاني- أسر في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ .. الآية، قاله ابن عباس وابن إسحاق. وفي قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ وجهان:

أحدهما- أنتم شر منزلة عند الله ممن نسبتموه إلىٰ هذه السرقة.

الثاني- أنتم شر صنعـًا لما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ تأويلان:

أحدهما- با تقولون، قاله مجاهد.

الثاني- بما تكذبون، قاله قتادة.

[وحكىٰ بعض المفسرين أنهم لما دخلوا عليه دعا بالصواع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال: إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً وأنكم انطلقتم بأخٍ لكم فبِعْتموه، فلما سمعها بنيامين قام وسجد ليوسف وقال أيها الملك سلْ صواعك هذا عن أخي أحيٌ هو أم هالك؟ فنقره، ثم قال: هوحي وسوف تراه. قال: فاصنع بي ما شئت، فإنه إن علم بي سينقذني. قال: فدخل يوسف فبكىٰ ثم توضأ وخرج، فقال بنيامين: انقر صواعك ليخبرك بالذي سرقه فجعله في رحلي، فنقره، قال: صواعي هذاغضبان وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت] [(١)].

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف:٧٨-٧٩].

قوله عز وجل: ﴿... يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ قالوا ذلك ترقيقـًا واستعطافـًا وفي قولهم: ﴿كَبِيرًا﴾ وجهان:

أحدهما- كبير السن.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق). وهذا الكلام أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٨٢)، وتفسيره (١٦/ ٢٠٠) مطولاً، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٩) كلاهما عن السدي.

الثاني- كبير القدر لأن كبر السن معروف من حال الشيخ.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ أي عبداً بدله.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- نراك من المحسنين في هذا إن فعلت، قاله ابن إسحاق[1] .

الثاني- نراك من المحسنين فيما كنت تفعله بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا ورد بضاعتنا.

[٢٠٠/ أ] / ويحتمل ثالثاً: إنا نراك من العادلين، لأن العادل محسن.

فأجابهم يوسف عن هذا: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ إن أخذنا بريئاً بسقيم، وفيه وجه ثان: إنا إذاً لظالمون عندكم إذا حكمنا عليكم بغير حكم أبيكم أن من سرق استُرِقّ.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨٠-٨٢].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أي يئسوا من رد أخيهم عليهم.

الثاني- استيقنوا أنه لا يرد عليهم، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الشاعر[2]:

أقول لها بالشعب إذ ييسرونني[3] ** ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٠). وانظر: تفسير ابن الجوزي (٢/ ٢٦٥)، وفيه نظر لأنه يجعل وصفه بالإحسان محدوداً مشروطاً.

(٢) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، وقيل لولده: جابر. كما في اللسان مادة "يأس" (١٥/ ٤٣٢)، وهو من غير نسبة في تفسير ابن المظفر السمعاني (٣/ ٥٥).

(٣) ييسرونني: أي يضربون عليه الميسر من أيسار الجزور، ويروى يأسرونني من الأسر، وزهدم اسم فرس

﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يختلط بهم غيرهم.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل[1]:

أحدها- أنه كبيرهم في العقل والعلم وهو شمعون الذي كان قد ارتهنه يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم، قاله مجاهد.

الثاني- كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف، قاله قتادة.

الثالث- أنه عنى كبيرهم في الرأي والتمييز وهو يهوذا، قاله مجاهد.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني إنفاذ ابنه [هذا] [2] معكم.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ أي ضيعتموه.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني أرض مصر.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ يعني بالرجوع.

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فيه قولان[3]:

أحدهما- يعني أو يقضي الله لي بالخروج منها، وهو قول الجمهور.

الثاني- أو يحكم الله لي بالسيف والمحاربة لأنهم هموا بذلك، قاله أبو صالح.

قوله عز وجل: ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابن عباس: (سُرِّق) بضم السين وكسر الراء وتشديدها[4].

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ فيها وجهان[5]:

أحدهما- وما شهدنا عندك بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من وجود السرقة في رحله، قاله ابن إسحاق.

---

(1) أخرجها الطبري في تفسيره (16/ 206)، وابن أبي حاتم (7/ 2181)، ورجح الطبري أن المراد كبر السن.

(2) زيادة من (ق).

(3) انظرهما في تفسير الطبري (16/ 209)، وابن أبي حاتم (7/ 2182).

(4) أخرجه الطبري في تفسيره (16/ 210)، وهي قراءة الضحاك، وابن أبي سريج عن الكسائي كما في تفسير ابن الجوزي (4/ 267)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (3/ 451).

(5) أخرجه الطبري في تفسيره (16/ 210)، وابن أبي حاتم (7/ 2182).

الثاني- وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ إلا با علمنا من دينك، قاله ابن زيد.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، قاله قتادة[(١)].

الثاني- ما كنا نعلم أن ابنك يسترقّ، وهو قول مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ وهي مصر، والمعنىٰ: واسأل أهل القرية فحذف ذكر الأهل إيجازاً، لأن الحال تشهد به.

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وفي ﴿العير﴾ وجهان:

أحدهما- أنها القافلة، وقافلة الإبل تسمىٰ عيراً علىٰ التشبيه.

الثاني- الحمير، قاله مجاهد[(٢)]، والمعنىٰ أهل العير[(٣)].

وقيل فيه وجه ثالث[(٤)]: أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه نبي، والأنبياء قد يسخر لهم الجماد والحيوان لما يحدثه[(٥)] فيهم من المعرفة إعجازاً، لأنبيائه، فأحالوه علىٰ سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً.

﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [أي يستشهدون بصدْقنا أن ابنك سرق.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف:٨٣-٨٦].

---

(١) وهو قول مجاهد وعكرمة ومكحول، والقول الثاني هو بمعنىٰ قول ابن زيد وقد ذكر ابن الجوزي في تفسيره في معنىٰ الآية ثمانية أقوال. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢١١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٢)، وابن الجوزي (٤/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٤).

(٣) في الأصل (ك): "البعير". والمثبت من (ق) وهو مقتضىٰ السياق.

(٤) سقط هذا الوجه من (ق).

(٥) في (ك): يحدث.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾](١) فيه وجهان:

أحدهما- بل سهلت.

الثاني- بل زينت لكم [أنفسكم] (٢) أمراً في قولكم إن ابني سرق وهو لا يسرق، وإنما ذاك لأمر يريده الله تعالىٰ.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ يعني يوسف وأخيه المأخوذ في السرقة وأخيه المتخلف معه فهم ثلاثة.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ يعني بالعليم بأمركم، الحكيم في قضائه بما ذكرتم.

قوله عز وجل: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- معناه واجزعاه (٣) قاله مجاهد، ومنه قول كثير:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه ** وللنفس لما سليت (٤) فتسلّتِ(٥)

الثاني- معناه يا جزعاه، قاله ابن عباس(٦). قال حسان بن ثابت يرثي رسول الله [٢٠٠/ ب] ﷺ:

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت ** عليه وما تحت السِلام المنضد

[وفي هذا القول وجهان:

أحدهما- أنه أراد به الشكوىٰ إلىٰ الله تعالىٰ ولم يرد به الشكوىٰ منه رغبًا إلىٰ الله تعالىٰ في

---

(١) زيادة من (ق).

(٢) زيادة من (ق).

(٣) في (ق): "يا جزعاه".

(٤) في (ك): "سلبت".

(٥) لم أقف عليه في ديوانه (٩٥) وقريب من معنىٰ عجزه، وإن كان الشاهد في صدره. قوله:

فإن سأل الواشون فيم صرمتها ** فقل نفس حر سليّت فتسلت

والبيت في فتح القدير (٣/ ٤٨).

(٦) كذا في النسخ الخطية، وقد أخرج الطبري في تفسيره (١٦/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٠) أن ابن عباس قال في معنىٰ الآية: يا حزنًا علىٰ يوسف. وهو قول الضحاك وقتادة. وروي عن مجاهد أنه قال: يا جزعاه حزنًا. فجمع بين اللفظين. وفي معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٥٢): "قال ابن عباس: أي يا حزنًا، وقال مجاهد أي: يا جزعًا".

كشف بلائه.

الثاني- أنه أراد به الدعاء وفيه[(١)]: مضمر وتقديره يا رب ارحم أسفي علىٰ يوسف][(٢)].

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ فيه قولان:

أحدهما- أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه.

الثاني- أنه ذهب بصره، قاله مجاهد[(٣)].

﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ فيه أربعة أوجه[(٤)]:

أحدها- أنه الكمد، قاله الضحاك.

الثاني- أنه الذي لا يتكلم، قاله ابن زيد.

الثالث- أنه المغموم، قاله ابن عباس[(٥)]، قال الشاعر:

فإن أك كاظماً لمصاب شاسٍ ** فإني اليوم منطلق لساني [(٦)]

والرابع- أنه المخفي لحزنه، قاله مجاهد وقتادة، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه، قال الشاعر:

فحضضت قومي واحتسبت [(٧)] ** قتالهم والقوم من خوف المنايا كظم

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه

---

(١) في (ك): "وفيه قولان أحدهما" وهو وهم من الناسخ والتصحيح من الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٦) بزيادة: "وقال: له أجر سبعين شهيداً". وانظر تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٧٠).

(٤) في (ق): "وجهان". بسقوط الثاني والثالث. وانظر الأقوال في تفسير الطبري (١٦/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٧)، والدر المنثور (٤/ ٥٦٨).

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦٨) مع شاهده وعزاه لابن الأنباري في الوقف، وهو من مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس. وفي المطبوع من تفسير الماوردي: "أنه المقهور" وهو خطأ.

(٦) قاله قبيس بن زهير كما في الدر المنثور (٤/ ٥٦٨)، وكونه شاهداً لقول ابن زيد أظهر. ولم أجد البيت في شعر قيس بن زهير جمع عادل جاسم البياتي.

(٧) في (ك): " واستحسبت ".

لا تزال تذكر يوسف [١]، قال أوس بن حجر:

فمـا فتئـت خيـل تثـوبُ وتـدّعي ** ويلحـقُ منهـا لاحـق وتقطّـعُ [٢]

أي فما زالت. وقال مجاهد: تفتأ بمعنىٰ تفتر [٣].

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ فيه ثلاثة تأويلات [٤]:

أحدها [٥]: يعني هرماً، قاله الحسن. وقال ابن زيد: وهو الذي قد رد إلىٰ أرذل العمر.

والثاني- دنفاً من المرض، وهو ما دون الموت، قاله ابن عباس ومجاهد.

وقال الشاعر:

سـرىٰ همـي فأمرضـني ** وقِـدْما زادني مرضـا

كـذاك الحـب قبـل ** اليـوم ممـا يـورث الحرضـا

الثالث- أنه الفاسد العقل، قاله محمد بن إسحاق. وأصل الحرض أنه فساد العقل والجسم من مرض أو عشق، قال العرجي:

إني امـرؤ لـجّ بـي حُـبٌّ فأحرضـني ** حتـىٰ بَليـتُ و حتـىٰ شـفّني السـقم [٦]

قوله: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ يعني ميت من الميتين، وهو قول الجميع [٧].

فإن قيل: فكيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً متمكناً بمصر، وأبوه بحرّان من أرض الجزيرة ؟ وهلاّ عجّل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء؟

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢١٩).

(٢) ديوانه، القصيدة رقم (١٧)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١٦)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٢١).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٢١٩).

(٤) انظرها في تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٨)، وابن الجوزي (٤/ ٢٧٢).

(٥) في (ك): "أحدها- يعني ميتاً من الميتين وهو قول الجميع.." وهو وهم من الناسخ فهو تفسير لقوله: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ وسيأتي لاحقاً.

(٦) ديوانه (٥)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١٧)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٢٢)، وابن الجوزي (٤/ ٢٧٣)، والعرجي هو عبدالله بن عمر.

(٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم(٧/ ٢١٨٨).

قيل يحتمل أربعة أوجه:

أحدها- أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالىٰ، ابتلاء لهما لمصلحة علمها فيه لأنه نبي مأمور[١].

الثاني- لأنه بُلي بالسجن، فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر.

الثالث- أن في مفاجأة السرور بطراً[٢]، فأحب أن يروض نفسه بالتدريج.

الرابع- لئلا يتصور الملك الأكبر فاقة أهله بتعجيل استدعائهم حين ملك.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في بثي وجهان:

أحدهما- همّي، قاله ابن عباس.

الثاني- حاجتي، قاله الحسن[٣].

ويحتمل ثالثـاً: أن يكون البث ما أبداه، والحزن ما أخفاه لأن الحزن مستكن في باطن الجسد. والبث تفريق الهم بإظهار ما في النفس. وإنما شكا ما في نفسه فجعله بثـاً. وهو مبثوث.

﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فيه أربعة[٤] تأويلات:

أحدها- أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني ساجد له، قاله ابن عباس.

الثاني- أنه بُشّر أنه سيخرج له اثنا عشر ابنـاً كلهم نبيـاً، قاله جويبر.

الثالث- أنه أحست نفسه حين أخبروه بدعاء[٥] الملك وقال: لعله يوسف، وقال لا يكون في الأرض صدّيق إلا نبي، قاله السدي.

الرابع- أعلم من إجابة دعاء المضطرين ما لا تعلمون.

وسبب قول يعقوب ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ما حكي أن رجلاً دخل عليه فقال: ما بلغ بك ما أرىٰ ؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا يعقوب تشكوني ؟ فقال:

(١) قال عنه ابن الجوزي (٤/ ٢٧٥): وهو الأظهر، وصححه.

(٢) في (ق): "خطراً".

(٣) في (ق): "حكاه ابن جرير".

(٤) في (ق): "تأويلان" بسقوط الثاني والرابع.

(٥) في (ق): "فدعا". والصواب ما أثبته من الأصل (ك)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٢٧).

خطيئة أخطأتها فاغفرها لي. وكان بعد ذلك يقول: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١].

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف:٨٧-٨٨].

قوله عز وجل: ﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي استعلموا وتعرّفوا، ومنه قول عدي ابن زيد[٢]:

فـإنْ حَييـتَ فـلا أحسسـك في بلـدي ** وإن مرضـت فـلا تحسِسْـك عُـوّادِي

وأصله طلب الشيء بالحس.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ فيه تأويلان[٣]:

أحدهما- من فرج الله، قاله محمد بن إسحاق.

والثاني- من رحمة الله، قاله قتادة.

ويحتمل [٤] تأويلاً ثالثاً: من راحة الله. وهو مأخوذ من الريح التي تأتي بالنفع. وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنبّه على يوسف برد البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة ولما حكي أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ وهذا من ألطف ترقيق وأبلغ استعطاف.

[وفي ندائهم بالعزيز وجهان:

أحدهما- يعنون يا أيها العزيز بالملك.

(١) أخرجها الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٨) بنحوها من رواية حبيب بن أبي ثابت.

(٢) لم أقف عليه في ديوانه، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، ١٩٦٥م.

(٣) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٣)، وابن الجوزي (٤/ ٢٧٦).

(٤) هذا القول ساقط من (ق) والمطبوع.

الثاني- أنه قد كان اسماً لكل من ملك مصر][1].

وفي قصدهم باستعطافه[2] وجهان:

أحدهما- أن يرد أخاهم عليهم، قاله ابن جرير الطبري[3].

الثاني- توفية كيلهم والمحاباة لهم، قاله علي بن عيسىٰ.

﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ وأصل الإزجاء السَوْق بالرفق[4]، وفيه قول الشاعر عدي بن الرقاع:

تزجي أغَنّ كأن إبرة روقِهِ ** قلمٌ أصاب من الدواة مدادها [5]

وفي بضاعتهم هذه خمسة أقاويل[6]:

أحدها- أنها كانت دراهم، قاله ابن عباس.

الثاني- متاع الأعراب: صوف و سمن، قاله عبدالله بن الحارث[7].

الثالث- الحبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح.

الرابع- سويق المقل، قاله الضحاك.

الخامس- خلق الحبْل والغرارة، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي المزجاة ثلاثة تأويلات:

أحدها- أنها الرديئة، قاله ابن عباس.

والثاني- الكاسدة، قاله الضحاك.

الثالث- القليلة، قاله مجاهد. قال ابن إسحاق: وهي التي لا تبلغ قدر الحاجة ومنه

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق)، والمطبوع.

(٢) في (ق): "وفي قصدهم بذلك قولان".

(٣) انظر: تفسيره (١٦/ ٢٣٤).

(٤) في (ك): "بالمرفق". وفي (ق): "بالدفع". وهي عبارة الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٤)، والمثبت من الأصل، وانظر: اللسان مادة "زجا" والمعنىٰ أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها كل أحد.

(٥) اللسان مادة "زجا".

(٦) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وابن الجوزي (٤/ ٢٧٧).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩١).

قول الراعي:

ومرسل برسول[1] غير متّهم ** وحاجة غير مزجاة من الحاج[2]

وقال الكلبي: هي كلمة من لغة العجم، وقال الهيثمي: من لغة القبط.

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم، وهو قول ابن جريج.

الثاني- مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل، قاله السدي.

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ فيه أربعة تأويلات[3]:

أحدها- معناه تفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير والسدي، قال الحسن: وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء.

الثاني- تصدق علينا بالزيادة على حقنا، قاله سفيان بن عيينة. قال[4]: ولم تحرم الصدقة إلا على محمد ﷺ وحده.

الثالث- تصدق علينا برد أخينا إلينا، قاله ابن جريج[5]. وكره مجاهد أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدّق عليّ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب.

الرابع- معناه تجوّز عنا، قاله ابن زيد وابن شجرة واستشهد بقول الشاعر:

تصدّق علينا يا ابن عفان واحتسب ** وأمر علينا الأشعري لياليا[6]

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

(١) في الأصل (ك): "و مرسل ورسول..".

(٢) عجزه في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١٧)، واللسان، مادة "زجا"، وتفسير ابن عطية (٩/ ٣٩٥) من غير نسبة.

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٦/ ٢٤١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٢)، وابن الجوزي (٤/ ٢٧٨)، وأبي المظفر السمعاني (٣/ ٦١).

(٤) في (ق): "قاله مجاهد". والصواب ما أثبته، وانظر تفسير الطبري(١٦/ ٢٤٢).

(٥) رده الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٤٢).

(٦) ذكره أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٣/ ٦١) من غير نسبة، والمراد بالأشعري: أبو موسى الأشعري ﷺ.

قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف:٨٩-٩٢].

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ معنىٰ قوله: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم﴾ أي قد علمتم، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ [الإنسان:١] أي قد أتىٰ.

قال ابن إسحاق: ذكر لنا أنهم لما قالوا: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ رحمهم ورقَّ لهم، فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ وعدَّدَ عليهم ما صنعوا بهما.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- يعني جهل الصغر.

الثاني- جهل المعاصي.

الثالث- الجهل بعواقب أفعالهم. فحينئذ عرفوه.

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ [٢٠١/ ب]أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ﴾ وحكىٰ الضحاك في قراءة عبدالله: وهذا أخي وبيني وبينه قربىٰ[(١)].

﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾ يعني بالسلامة ثم بالكرامة، ويحتمل بالاجتماع بعد طول الفرقة.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- يتقي الزنىٰ ويصبر علىٰ العزوبة، قاله إبراهيم[(٢)].

الثاني- يتقي الله تعالىٰ ويصبر علىٰ بلواه. وهو محتمل[(٣)].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- في الدنيا.

الثاني- في الآخرة.

---

(١) ذكرها أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٣/ ٦٢) من حكاية الضحاك عن ابن مسعود ولم يذكرها ابن خالويه في مختصره.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٤)، وإبراهيم هو النخعي.

(٣) وهو قول الماوردي، وهو أعم وأشمل.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي فضَّلك الله علينا، مأخوذ من الإيثار، وهو إرادة تفضيل إحدىٰ [1] النفسين علىٰ الآخر، قال الشاعر:

والله أسماك سُما مباركا ** آثرك الله به إيثاركا [2]

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي فيما صنعوا بيوسف، وفيه وجهان:

أحدهما- آثمين.

الثاني- مخطئين. والفرق بين الخاطئ والمخطئ أن الخاطئ آثم، والمخطئ غير آثم.

فإن قيل: فقد كانوا عند فعلهم ذلك به صغاراً ترفع عنهم الخطايا.

قيل لما كبروا واستداموا إخفاء ما صنعوا صاروا حينئذ خاطئين[3].

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها- لا تغيير عليكم، وهو قول سفيان بن عيينة.

الثاني- لا تأنيب فيما صنعتم، قاله ابن إسحاق.

الثالث- لا إباء [4] عليكم في قبولكم، قاله مجاهد[5].

الرابع- لا عقاب عليكم وقال الشاعر:

فعفوت عنهم غير مثربٍ ** وتركتهم لعقاب يومٍ سرمد [6]

﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

---

(١) وفي (ق): "أحد".

(٢) ذكره في اللسان مادة "سما" من غير نسبة.

(٣) ثم أنه لا يبدو من صنعهم واحتيالهم أنهم كانوا صغاراً بما لا يؤاخذون معه بأفعالهم.

(٤) في الأصل (ك): "لا باءَ..." والمثبت من (ق).

(٥) في (ق): "قولكم". والمثبت من الأصل (ك)، و مختصر تفسير الماوردي للعز بن عبد السلام (٢/ ١٣٧). والقول أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) رقم (١١٩٤٦) مختصراً عن مجاهد قال: لا إباء، وانظر الأقوال الأخرىٰ عند ابن أبي حاتم، والطبري (١٦/ ٢٤٧).

(٦) البيت في اللسان، مادة "ثرب" (٢/ ٩٠) منسوباً لبشر، وقيل: لتبع. وهو من غير نسبة في تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/ ٦٢) بصيغة الخطاب: عنكم، وتركتكم.

أحدهما- لتوبتهم بالاعتراف والندم.

الثاني- لإحلاله لهم بالعفو عنهم.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- صنعه بي حين جعلني ملكًا.

الثاني- في عفوه عنكم عما تقدم من ذنبكم.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف:٩٣-٩٥].

قوله عز وجل: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ وفيه وجهان:

أحدهما- مستبصراً بأمري[1]، لأنه إذا شم ريح القميص عرفني.

الثاني- بصيراً من العمىٰ فذاك من أحد الآيات الثلاث في قميص يوسف بعد الدم الكذب وقدّه من دُبُره. [وفيه وجه آخر لأنه قميص إبراهيم أنزل عليه من الجنة لما أُلقي في النار، فصار لإسحاق ثم ليعقوب، ثم ليوسف فخلص به من الجب وحزنه[2] حتىٰ ألقاه علىٰ وجه أبيه، فيعلم بما سبق من سلامة إبراهيم، ويوسف من الجب أن يعقوب يرجع به بصيراً][3].

قال الحسن: لولا أن الله تعالىٰ أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره، وكان الذي حمل قميصه يهوذا بن يعقوب، قال ليوسف: أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب وحزنته فأنا أحمل الآن قميصك لأسرّه وليعود إليه بصره فحمله، حكاه السدي[4].

---

(١) في الأصل (ك): "بأمره"، والمثبت من (ق)، والمختصر.

(٢) كذا. ولعلها: وحازه.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق)، وإثباته من الأصل (ك). وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٧) بنحوه. عن المطلب بن عبدالله بن حنطب، وهو صدوق كثير التدليس والإرسال كما في التقريب (٥٣٠)، ويحتاج قبوله إلىٰ ثبوته بسند صحيح مرفوع.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٦) بنحوه.

﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ لتتخذوا مِصرَ داراً. قال مسروق فكانوا ثلاثة وتسعين بين رجل وامرأة[1].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ أي خرجت من مصر منطلقة إلىٰ الشام.

﴿قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ فيها قولان:

أحدهما- أنها أمارات شاهدها وعلامات قوي ظنه بها، فكانت هي الريح التي وجدها ليوسف، مأخوذ من قولهم قد تنسمت رائحة كذا وكذا إذا قرب منك ما ظننت أنه سيكون.

والقول الثاني- وهو قول الجمهور أنه شم ريح يوسف التي عرفها. قال جعفر بن محمد ﷺ: وهي ريح الصبا. ثم اعتذر فقال: ﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ فيه أربعة أقاويل[2]:

أحدها- لولا أن تسفهون، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه قول النابغة الذبياني:

إلا سليمان إذ قال المليكُ له ** قم في البرية فاحددها[3] عن الفنّد[4]

أي عن السفة.

الثاني- معناه لولا أن تكذبون، قاله سعيد بن جبير والضحاك، ومنه قول الشاعر:

هل في افتخار الكريم من أود ** أو هل لقول الصديق من فند

[٢٠٢/ أ] أي من كذب.

الثالث- لولا أن تضعّفون، قاله ابن إسحاق. والتفنيد: تضعيف الرأي، ومنه قول الشاعر:

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي ** فليس ما فات من أمري بمردود[5]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٦) عن عبدالله بن مسعود مطولاً.

(٢) انظر في تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٨).

(٣) في الأصل (ك): فاحددها علىٰ الفند.

(٤) ديوانه ص (٢٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٧/ ٤٥٧)، وتفسير ابن عطية (٩/ ٣٧٣)، وقبله في مدح النعمان بن المنذر والاستثناء منه:

ولا أرىٰ فاعلا في الناس يشبهه ** ولا أحاشي من الأقوام من أحد

(٥) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١٨) ونسبه لهاني بن شكيم العدوي، وهو من غير نسبة في تفسير الطبري =

وكان قوله هذا لأولاد بنيه، لغيبة بنيه عنه، فدل هذا علىٰ أن الجدَّ أبٌ.

الرابع- لولا أن تلوموني، قاله ابن بحر، ومنه قول جرير:

يا عاذليَّ دعا الملامة واقصِرا ** طال الهوىٰ وأطلتها التفنيد![1]

واختلفوا في المسافة التي وجد ريح قميصه منها علىٰ ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنه وجدها من مسافة عشرة أيام. قاله أبو الهذيل[2].

الثاني- من مسيرة ثمانية أيام، قاله ابن عباس.

الثالث- من مسيرة ستة أيام، قاله مجاهد. وكان يعقوب بأرض كنعان ويوسف بمصر وبينهما ثمانون فرسخًا، قاله قتادة.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ فيه أربعة تأويلات[3]:

أحدها- أي في خطئك القديم، قاله ابن عباس وابن زيد.

الثاني- في جنونك القديم، قاله سعيد بن جبير. قال الحسن: وهذا عقوق.

الثالث- في محبتك القديمة، قاله قتادة وسفيان.

الرابع- شقائك القديم، قاله مقاتل، ومنه قول لبيد[4]:

تمنىٰ أن تلاقي آل سلمىٰ ** بخطمة والمنىٰ طرف الضَّلال

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما- بنوه، ولم يقصدوا بذلك ذمًا فيأثموا.

=

(١٦/ ٢٥٢)، وابن عطية (٩/ ٣٧٢)، والقرطبي (٩/ ٢٦٠).

(١) ديوانه (١٦٩)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٥٦)، والسمعاني (٣/ ٦٤).

(٢) لم أقف عليه كما هنا. وفي تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٧) عن ابن أبي الهذيل - وهو عبدالله ابن أبي الهذيل العنزي - عن ابن عباس أنه وجدها من مسيرة ثمان ليال. فلعله الصواب في الرواية، والله أعلم.

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٨)، وقول الحسن هنا ليس خاصًا بتفسير سعيد بن جبير بل يريد قولهم: إنك لفي ضلالك القديم.

(٤) شرح ديوانه (٧٤).

والثاني- بنو بنيه وكانوا صغاراً.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف:٩٦-٩٨].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما- شمعون، قاله الضحاك.

الثاني- يهوذا. سمي بذلك أنه أتاه ببشارة.

﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ يعني ألقىٰ قميص يوسف علىٰ وجه يعقوب.

﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ﴾ أي رجع بصيراً، وفيه وجهان:

أحدهما- بصيراً بخبر يوسف.

الثاني- بصيراً من العمىٰ[(١)].

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها- إني أعلم من صحة رؤيا يوسف ما لا تعلمون[(٢)].

الثاني- إني أعلم من قول ملك الموت أنه لم يقبض روح يوسف مالا تعلمون.

الثالث- إني أعلم من بلوىٰ الأنبياء بالمحن ونزول الفرج ونيل الثواب ما لا تعلمون.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ وإنما سألوه ذلك لأمرين:

أحدهما- أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن مالا يسقط المأثم عنهم إلا بإحلاله.

الثاني- لأنه نبيٌّ تجاب دعوته ويعطىٰ مسألته، فروىٰ ابن وهب عن الليث بن سعد أن يعقوب وإخوة يوسف قاموا عشرين سنة يطلبون التوبة فيما فعل إخوة يوسف بيوسف لا يقبل ذلك منهم حتىٰ لقي جبريل يعقوب فعلمه هذا الدعاء: يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي، ويا غوث

(١) وهو الصحيح.

(٢) وهو الصحيح، وفيها اجتماعهم به وسجودهم له.

المؤمنين أغثني، ويَاعَوْن المؤمنين أعني، ويا حبيب [١] التّوابين تُبْ عليَّ فاستجيب لهم[٢].

فإن قيل قد تقدمت المغفرة لهم بقول يوسف من قبل: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾ ..الآية، فَلِمَ سألوا أباهم أن يستغفر لهم؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- لأن لفظ يوسف عن مستقبل صار وعداً، ولم يكن عن ماض فيكون خبراً.

الثاني- أن ما تقدم من يوسف كان مغفرة في حقه، ثم سألوا أباهم أن يستغفر لهم في حق نفسه.

الثالث- أنهم علموا نبوة أبيهم فوثقوا بإجابته، ولم يعلموا نبوة أخيهم فلم يثقوا بإجابته.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۚ ﴾ وفي تأخيره الاستغفار لهم وجهان:

أحدهما- أنه أخره دفعـاً عن التعجيل ووعداً من بعد ذلك، فلذلك قال عطاء[٣]: طلب الحوائج إلىٰ الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترىٰ إلىٰ قول يوسف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ وإلىٰ قول يعقوب: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۚ﴾ .

الثاني- أنه أخّره انتظاراً لوقت الإجابة وتوقعـاً لزمان الطلب.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- عند صلاة الليل، قاله عمرو بن قيس[٤].

الثاني- إلىٰ السحر، قاله ابن مسعود وابن عمر[٥]. [روىٰ أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «أخرهم إلىٰ السحر لأن دعاء [٦] السحر مستجاب »][٧].

---

(١) في (ق): "مجيب". والمثبت من (ك)، والمختصر، وتفسير ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٠) بسنده، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨٧) ولم ينسبه لغير ابن أبي حاتم.

(٣) هو عطاء الخرساني، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٥) رقم (١٨٥٠).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٠) حديث (١١٩٨٤).

(٥) وهو قول النخعي وعكرمة وابن جبير والسدي وقتادة. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٠).

(٦) في (ك): "معنىٰ.." وهو تحريف.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ق). وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨٤) عن ابن عباس، ونسبه لأبي الشيخ وابن مردويه.

الثالث- إلىٰ ليلة الجمعة، قاله ابن عباس ورواه عن النبي ﷺ مرفوعـًا[1].

وإنمـا سـألوه الاسـتغفار لهـم وإن كـان المسـتحق في ذنـوبهم التوبـة منهـا دون الاسـتغفار لهـم ثلاثة أمور:

أحدها- للتبرك بدعائه واستغفاره.

الثاني- طلبـًا لاستعطافه ورضاه.

الثالث- لحذرهم من البلوىٰ والامتحان في الدنيا.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف:٩٩-١٠٠].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ اختلف في اجتماع يوسف مع أبويـه وأهله، فحكىٰ الكلبي والسدي أن يوسف خرج عن مصر وركـب معـه أهلهـا، وقيـل خـرج الملـك الأكبر معه واستقبل يعقوب، قـال الكلبي علىٰ[2] يوم مـن مصـر، وكـان القصـر علىٰ ضـحوة مـن مصر، فلما دنا يعقوب متوكئـًا علىٰ ابنه يهوذا يمشي، فلما نظر إلـىٰ الخيـل والنـاس قـال: يـا يهـوذا أهذا فرعون؟

قـال: لا، هـذا ابنـك يوسـف، فقـال يعقـوب: السـلام عليـك يـا مـذهب الأحـزان عنـي، فأجابه يوسف:

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٢)، والترمذي من حديث علي مطولاً. وذكره ابـن كثير في تفسيره (٢/ ٤٩٠) وقـال عنه: وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر، والله أعلم، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٦) وصححه، وتعقبه الذهبي واستشـكل سـنده فقـال: "هـذا الحـديث منكـر شـاذ أخـاف أن يكـون موضـوعـًا، وقـد حيـرني والله جـودة سـنده". وانظر: حاشية الطبري.

(٢) في (ك): "هو" وهو تحريف.

﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- آمنين من فرعون، قاله أبو العالية.

الثاني- آمنين من القحط والجدب، قاله السدي.

وقال ابن جريج: كان اجتماعهم بمصر بعد دخولهم عليه فيها علىٰ ظاهر اللفظ، فعلىٰ هذا يكون معنىٰ قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ استوطنوا مصر.

وفي قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وجهان:

أحدهما- أن يعود إلىٰ استيطان مصر، وتقديره استوطنوا مصر إن شاء الله آمنين.

الثاني- أنه راجع إلىٰ قول يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم، ويكون اللفظ مؤخراً، وهو قول جريج[(١)].

فحكىٰ ابن مسعود أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون إنسانًا من رجل وامرأة، وخرجوا مع موسىٰ وهم ستمائة ألف وسبعون ألفًا[(٢)]. وقال الربيع بن أنس: دخلوها وهم اثنان وسبعون نفسًا وخرجوا منها مع موسىٰ وهم ستمائة ألف[(٣)].

قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ قال مجاهد وقتادة: العرش السرير.

وفي أبويه قولان[(٤)]:

أحدهما- أنهما أبوه وخالته راحيل، وكان يعقوب قد تزوجها بعد أمه فسميت أُمًا، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين، قاله وهب والسدي.

الثاني- أنهما أبوه وأمه وكانت باقية إلىٰ دخول مصر، قاله الحسن وابن إسحاق.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٦) وتعقبه، وتعقبه الألوسي في روح المعاني (١٣/ ٥٦)، ووصفه بأنه محض جهل.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٦) عن ابن مسعود وفيه: "رجالهم أنبياء، ونساؤهم صديقات".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠١)، وقال عنه السمعاني (٣/ ٦٥): وهو الأشهر.

(٤) انظر الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠١)، وقد رجح الطبري قول ابن إسحاق لأنه الأغلب في الاستعمال وهو المتعارف عليه عند إطلاق الأبوين.

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنهم سجدوا ليوسف تعظيمًا له، قال [١] قتادة: وكان السجود تحية من قبلكم وأعطىٰ الله تعالىٰ هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة.

وقال الحسن: بل أمرهم الله تعالىٰ بالسجود له [٢] لتأويل الرؤيا.

قال محمد بن إسحاق: سجد له أبواه وإخوته الأحد عشر.

والقول الثاني- أنهم سجدوا لله عز وجل، قاله ابن عباس، وكان يوسف في جهة القبلة فاستقبلوه بسجود، وكان سجودهم شكراً، ويكون معنىٰ قوله: ﴿وَخَرُّواْ﴾ أي سقطوا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٢٦]، أي سقط.

والقول الثالث- أن السجود هاهنا الخضوع والتذلل، ويكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَخَرُّواْ﴾ أي بدروا.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ واختلف العلماء فيما بين رؤياه وتأويلها علىٰ خمسة أقاويل:

أحدها- أنه كان بينهما ثمانون سنة، قاله الحسن وقتادة.

الثاني- كان بينهما [٣] أربعون سنة، قاله سلمان [٤]. الثالث- ست وثلاثون سنة، قاله سعيد ابن جبير.

الرابع- اثنتان وعشرون سنة.

والخامس- أنه كان بينهما ثماني عشرة سنة، قاله ابن إسحاق.

---

(١) في (ك): "قاله" والمثبت من (ق) وهو الصواب. انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٦/ ٢٩٦٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢) وقاله عدي بن حاتم وهذا القول هو الراجح، وصححه السمعاني (٣/ ٦٧)، فهي سجدة تحية لا عبادة، كما سجدت الملائكة لآدم.

(٢) "له" ساقط من (ك).

(٣) "كان بينهما" ساقط من (ك).

(٤) في (ك، ق): "سليمان" والصواب ما أثبته، وهو سلمان الفارسي كما عند الطبري (١٦/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨٨).

فإن قيل: فإذا كانت رؤيا الأنبياء لا تكون إلا صادقة فهلاّ وثق بها يعقوب وتسلىٰ؟ وَلِمَ ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ وما يضر الكيد مع سابق القضاء؟

قيل عن هذا جوابان:

أحدهما- أنه رآها وهو صبي فجاز أن تخالف رؤيا الأنبياء المرسلين[1].

الثاني- أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوىٰ وخاف كيد الإخوة في تعجيل الأذىٰ.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ فإن قيل فلم اقتصر من ذكر ما بُلي به علىٰ شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله في الجب أخطر؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنه كان في السجن مع الخوف معرة لم تكن في الجب فكان ما في نفسه من بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر.

الثاني- أنه قال ذلك شكراً لله ﷻ علىٰ نقله من البلوىٰ إلىٰ النعماء، وهو إنما انتقل إلىٰ الملك من السجن لا من الجب، فصار أخص بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملكـًا، وبخروجه من الجب عبداً.

الثالث- أنه لما عفا عن إخوته بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ.

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ أي من سجن السخط إلىٰ فضاء الرضا[2].

وفي قوله: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها- أنهم كانوا في بادية بأرض كنعان أهل مواشٍ وخيام، وهذا قول قتادة.

---

(١) في الأصل (ك): "للمرسلين".

(٢) وهو بعيد فهو من الخواطر التي لا دليل عليها من لغة أو أثر.

الثاني- أنه كان قد نزل "بدا" [١] وبنىٰ تحت جبلها مسجداً ومنها قصد، حكاه الضحاك عن ابن عباس. قال جميل[٢]:

وأنـتِ التـي حَببْـتِ شـغباً [٣] إلـىٰ بَـدَا ❊❊ إلـــيّ وأوطــاني بـــلادٌ سِـــواهما

يقال بدا يبدو بدواً إذا نزل "بدا" فلذلك قال: وجاء بكم من البدو وإن كانوا سكان المدن.

الثالث- لأنهم جاءُوا في البادية و كانوا من سكان مدن، ويكون بمعنىٰ في.

واختلف من قال بهذا في البلد الذي كانوا يسكنونه علىٰ ثلاثة أقاويل.

أحدها- أنهم كانوا من أهل فلسطين، قاله علي بن أبي طلحة.

الثاني- من ناحية حران من أرض الجزيرة، ولعله قول الحسن.

الثالث- من الأولاج من ناحية الشعب، حكاه ابن إسحاق.

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ وفي نزغه وجهان:

أحدهما- أنه إيقاع الحسد، قاله ابن عباس.

الثاني- معناه حرّش وأفسد، قاله ابن قتيبة[٤].

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ قال قتادة: لطيف ليوسف بإخراجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه[٥] نزغ الشيطان.

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا

---

(١) بدا بفتح أوله، مقصوراً، علىٰ مثال: قفا وعصا؛ موضع بين طريق مصر والشام. انظر معجم ما استعجم للبكري (١/ ٢٣٠)، وشغب: منهل في هذا الطريق. انظر: معجم ما استعجم للبكري(١/ ٢٣٠).

(٢) البيت مختلف في نسبته فقد ذكره البكري في المعجم (١/ ٢٣٠) منسوباً لكثير عزه و نسب لجميل بيتاً آخر. وهو في ديوان جميل (٢٠٠) وبعده:

حللــت بهــذا حلّــة ثــم حَلــة ❊❊ بهــذا فطــاب الواديــان كلاهمــا

كما جاء في ديوان كثير (٣٦٣) من قصيدة في أربعة أبيات.

(٣) في الأصل و (ك): شعباً – بالعين –، وهو في الديوان بالغين "شغبة" وهو منهل ماء.

(٤) لم أجده في غريب القرآن لابن قتيبة، وهو قول أبي عبيدة (١/ ٣٦٩).

(٥) في الأصل: "من نبيه"، وفي (ك): "من بينه". والمثبت من (ق)، والمختصر، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٧٧).

وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف:١٠١].

قوله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها- أن الملك هو احتياج حساده إليه، قاله ابن عطاء.

الثاني- أراد تصديق الرؤيا التي رآها.

الثالث- أنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء.

الرابع- أنه أراد ملك الأرض وهو الأشهر. وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون.

﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- عبارة الرؤيا. قاله مجاهد.

الثاني- الإخبار عن حوادث الزمان، حكاه ابن عيسىٰ.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي خالقها.

﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- مولاي.

الثاني- ناصري.

﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- يعني مخلصاً للطاعة، قاله الضحاك.

الثاني- علىٰ ملة الإسلام.

حكىٰ الحسن أن البشير لما أتىٰ يعقوب ﷺ: علىٰ أي دين خلفت يوسف؟ قال: علىٰ دين الإسلام. قال: الآن تمت النعمة.

﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما- بأهل الجنة، قاله عكرمة[1].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٤).

الثاني- بآبائه إبراهيم وإسحاق [٢٠٣/ ب] ويعقوب، قاله الضحاك[١] .

قال قتادة والسدي: فكان يوسف أول نبي تمنىٰ الموت[٢] .

وقال محمد بن إسحاق: مكث يعقوب بأرض مصر سبع عشرة سنة[٣] . وقال ابن عباس مات يعقوب بأرض مصر وحمل إلىٰ أرض كنعان فدفن هناك. ودفن يوسف بأرض مصر ولم يزل بها حتىٰ استخرج موسىٰ عظامه[٤] وحملها فدفنها إلىٰ جنب يعقوب عليه السلام.

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف:١٠٢-١٠٤].

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ يعني هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب.

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾ أي نعلمك بوحي هذا إليك.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ أي مع أخوة يوسف.

﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ في إلقاء يوسف في الجب.

﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما- بيوسف في إلقائه في غيابة الجب.

الثاني- بيعقوب حين جاؤوا علىٰ قميصه بدم كذب.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٥) عن وهب بن منبه عن أبيه، وانظر: تفسير السمعاني (٣/ ٧٠)، وابن الجوزي (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩١).

(٢) الصحيح أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء، والمعنىٰ هنا: توفني إذا توفيتني مسلماً. فهذا دعاء بحسن الختام والوفاة علىٰ الإسلام جعلنا الله كذلك أجمعين، اللهم آمين. وانظر: تفسير ابن الجوزي (٤/ ٢٩٢)، والشوكاني (٣/ ٥٧).

(٣) في الأصل (ك): "سبعة عشر سنة".

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٥) فقد ذكر أثراً في ذلك عن سعيد بن عبدالعزيز، وأخرجه السدي، وقد صحح الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديثاً في ذلك عن أبي موسىٰ (١/ ٥٥٩) رقم (٣٦٣)، والله أعلم. وانظر: الدر المنثور (٤/ ٥٩١)، وابن جرير (١٦/ ٢٨٢).

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٧].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ فيه خمسة أوجه[١] :

أحدها- أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا، قاله مجاهد.

الثاني- أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالىٰ، قاله الحسن.

الثالث- هو أن يشبه الله تعالىٰ بخلقه، قاله السدي.

الرابع- أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان، وهذا قول أبي جعفر[٢].

الخامس- أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالىٰ ويكفرون بمحمد ﷺ، فلا يصح إيمانهم، حكاه ابن الأنباري.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما- هذه دعوتي، قاله ابن عباس.

الثاني- هذه سنتي، قاله عبدالرحمن بن زيد. والمراد بها تأويلان:

أحدهما- الإخلاص لله تعالىٰ بالتوحيد.

الثاني- التسليم لأمره فيما قضاه.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما- علىٰ هدىٰ، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٧).

(٢) ليس قول أبي جعفر الطبري في هذا الموضع (١٦/ ٢٨٦-٢٨٩) فلعله في موضع آخر، أو المراد غير الطبري.

الثاني- علىٰ حق، وهو قول عبدالرحمن بن زيد. وذكر بعض أصحاب الخواطر تـأويلاً (ثالثـًا) أي أبلغ الرسالة ولا أملك الهداية.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾ [يوسف:١٠٩].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ قال قتادة: من أهـل الأمصار دون البوادي لأنهم أعلم وأحلم. وقال الحسن: لم يبعث الله تعالىٰ نبيـًا من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ يعني بالدار الجنة، وبالآخرة القيامة، فسمىٰ الجنة داراً وإن كانت النار داراً؛ لأن الجنة وطن اختيار، والنار مسكن اضطرار.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ ﴾ [يوسف:١١٠].

قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- من قومهم أن يصدقوهم، قاله ابن عباس.

الثاني- أن يعذب قومهم، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثـًا: استيأسوا من النصر.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ﴾ فيه قراءتان[1]:

إحداهما: بضم الكاف وكسر الذال وتشديدها، قرأ بها الحرميّان وأبو عمرو وابن عامر، وفي تأويلها وجهان:

(١) انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٥١)، وتفسير الطبري فقد أطال النفس في الكلام علىٰ الآية (١٦/ ٢٩٦-٣١٢)، وابن كثير (٢/ ٤٩٧)، وأبي المظفر السمعاني (٣/ ٧٣). والألوسي(١٣/ ٦٩-٧٢). وإشكال الآية يأتي من توهم أن الرسل ظنوا أنهم قد كُذِبوا - بالتخفيف - باعتبارهم بشراً لطول البلاء وتطاول الإمهال. وهو ظن لا يجوز فيهم، ولا يليق بهم عليهم صلوات الله وسلامه، وقد أحسن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان المعنىٰ والتوجيه علىٰ قراءة التخفيف.

أحدهما- يعني أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوهم، قاله ابن عباس.

الثاني- معناه تيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، حكاه ابن عيسي.

والقراءة الثانية: (كُذِبو) بضم وتخفيف الذال، قرأ بها الكوفيون، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما- فظن أتباع الرسل أنهم قد كذبوا فيما ذكروه لهم.

الثاني- فظن الرسل أن أتباعهم قد كذبوا فيما أظهروه من الإيمان بهم.

﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما- جاء الرسل نصر الله تعالىٰ، قاله مجاهد.

الثاني- جاء قومهم عذاب الله تعالىٰ، وهو قول ابن عباس.

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ قيل الأنبياء ومن آمن معهم.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعني عذابنا إذا نزل بهم.

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف:١١١].

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ يعني في قصص يوسف وأخوته اعتبار[(١)] لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن وعن[(٢)] الذل والرق إلىٰ أن جعله مَلِكـًا مطاعـًا ونبيـًا مبعوثـًا، فهو علىٰ نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر، وإنما الإمهال إنذار وإعذار[(٣)].

﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ أن يختلق ويتخرّص، وفيه وجهان[(٤)]:

أحدهما- يعني القرآن، قاله قتادة.

(١) في الأصل (ك): "اعباراً" والمثبت من (ق).

(٢) في الأصل (ك): "عن".

(٣) قال أبو عمران الجوني: "ما قص الله علينا نبأهم يعيرهم بذلك إنهم أنبياء من أهل الجنة، ولكن قص علينا نبأهم لئلا يقنط عبده". انظر: الدر المنثور(٤/ ٥٨٧).

(٤) أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢١٣).

الثاني- ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق.

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما- أنه مصدّق لما قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالىٰ، وهذا تأويل من زعم أنه القرآن.

الثاني- لكن يصدّقه ما قبله من كتب الله تعالىٰ، وهذا قول من زعم أنه القصص.

﴿وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾ والله أعلم.

تمت سورة يوسف



فهرس المحتويات

